الجليس الصالح الكافي

والأنيس الناصح الشافي

لأبي الفرج

المعافى بن زكريا النهرواني الجريري

٣٠٣ - ٣٩٠ هـ

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الجزء الثالث

عالم الكتب

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

الجليس الصالح الكافي

والأنيس الناصح الشافي

بسم الله الرحمن الرحيم

عالم الكتب
بيروت - المزرعة ، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقيًا : نابعلبكي - تلكس : ٢٣٣٩٠

المجلس السّادس والخمسون[٧]

[فضل رسول الله ﷺ وبني هاشم]

أخبرنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكرياء قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله بن المنادي حدّثنا أبو بكرٍ محمد بن أحمد بن أبي العوام الرياحي حدّثنا بهلول بن المورّق أبو غسّان الشامي حدّثنا موسى بن عبيدة حدّثني عمرو بن عبد الله بن نوفل من بني عديّ بن سعد الزّهري عن أبي سلمة بن عبد الرَّحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت، قال رسول الله ﷺ: قال لي جبريل: قلبتُ الأَرضَ مَشارقها ومغاربها فلم أَجدْ رجلاً أفضلَ منك يا محمّد، وقلبتُ الأَرضَ مشارقَها ومغاربَها فلم أَجد بني أَبٍ أفضل من بني هاشم.

قال القاضي أبو الفرج: فالحمد لله الذي فضّل نبينا محمداً ﷺ على سائر الأنبياء، وفضّل بني أبيه على سائر بني الآباء، وجعلنا من أُمَّتِهِ التي هي خيرُ أُمَّةٍ أُخرجت للنّاس وهدانا لتصديقه والإيمان به، ووفّقنا لاتباعه، وأبانَنا ممَّن عانده وجحده، وبغى عليه وحسده، وعصمنا من أن نَنْفِسَ على رَهْطِهِ وأُسرته وأَقربيه وعترته، بما آتاهم الله من فضله وكرامته، وحباهم به من شريف نعمته، وذلك بحسن توفيقه وجميل عصمته، وفضّلنا على كثير من أَنسبائه

الراصدين لمحاربته، والجادّين في مخالفته، فقد هلك كثيرٌ منهم بمشاقّته؛ ألا تسمعون إلى ما أنزل الله في أبي لهبٍ وإن كان أَحدَ الهاشميين، وإلى قول الرّسول ﷺ في سلمان الفارسي رضي الله عنه وهو من العجم الاجنبيين إذ قال: سلمان منّا أهلَ البيت؛ وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ٦٨).

[نجا إبراهيم بن عبد الله بحيلَة عجيبة]

حدّثنا أحمد بن أبي العلاء الأضاحيّ المعروف بحرمي قال حدّثنا عبد الله يعني ابن شبيب قال أخبرني جعفر بن محمّد قال حدّثني إبراهيم بن رياحٍ قال أَخبرني محمد بن حيان أبو عبد الله الحرّانيُّ قال: كان إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن قد صار إلى مدينة الموصل في تواريه، وصَحَّ ذلك عند أَبي جعفر فكتب إلى الوالي هناك يُعْلِمُهُ أنّه قد صحَّ عنده أن إبراهيم في مدينة الموصل، ويأمره إذا ورد عليه كتابُهُ أن يتحفَّظَ في بقيّة يومه فإذا هو أَمسى غُلِّقَتْ أبوابُ المدينة فلم يخرجْ منها أَحد ولم يدخل، ثم استقبلِ التفتيشَ لغدٍ فإنك ستجده. وكان مع إبراهيم يومئذٍ من أهل الجزيرة ومن الزّيديّة قومٌ لهم بصائر وأَموال وغَنَاء وعنايةٌ به، وكانت لهم عيون قد أَذْكَوْها على السلطان، فبلغهم خَبَرُ الكتابِ وما عزم عليه الوالي فاشتروا بغلين وحذَّفوهما كما يُعْمَلُ ببغالِ البريد،وعملت لهما لجمٌ وأداة على حسب ما يعمل بدوابّ البريد، وخرج أحدهم إلى بعض القرى التي تقرب من الموصل، فلما كان وقتُ العِشاءِ الآخرةِ وأُغلقت الأبوابُ ركب إبراهيم بن عبد الله أحدَ البغلين، وركب الآخرَ رجلٌ يتشبَّهُ بالفُرانِقِ، وخرج الرجل على البغل يصيحُ كما يصيحُ الفرانق، ومعه خريطة، واتبعه إبراهيم حتى إذا صار إلى الباب صاح ففتح له الباب على أنه من قبل الوالي ثم مضيا فانتهيا إلى الرجل ومضيا. وصحَّ الخبر على هذه الحكاية عند المنصور فكثر منه تعجبه واشتدَّ عليه تأسّفه.

[وصية حكيم لابنه]

حدّثنا محمد بن الحسن بن دريدٍ قال أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال، قال بعض الحكماءِ لابنه: يا بني اقبل عهدي ووصيتي: إن سُرْعَةَ ائتلاف قلوبِ الأبرار حين يلتقون كسرعة اختلاطِ قَطْرِ المطر بماء الأنهار، وبعد الفجّار من الائتلاف وإن طال تعاشرهم كبعد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلافها على آريٍّ واحدٍ. كنْ يا بني بصالح الوزراء أعنَى منك بكثرة عددهم، فإن اللؤلؤةَ خفيفٌ محملها كثيرٌ ثمنها، والحجر فادحٌ حمله قليلٌ غناؤه عنك.

[علي يرسل إلى معاوية في أمر البيعة]

حدّثنا محمد بن مزيد الخزاعيُّ قال حدّثنا الزبير بن بكّارٍ حدّثنا محمد بن يحيى قال حدّثني عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرّحمن بن عوفٍ قال: بلغني أن جرير بن عبد الله البجلي قال(1): بعثني عليُّ بن أبي طالب إلى معاوية بن أبي سفيان يأمره أن يبايع هو ومَنْ قِبَلَهُ؛ قال: فخرجتُ لا أرى أحداً سبقني إليه، حتّى قدمتُ على معاوية، فإذا هو يخطبُ الناسَ وهم حوله يبكون حولَ قميص عثمان رضي الله عنه وهو مُعَلَّقٌ في رُمحٍ، فدفعتُ إليه كتابَ عليٍّ، ومَثَلَ رجلٌ إلى جنبي كان يسير بمسيري ويقيم بمقامي لا أشعر به، فقال لمعاوية:

إنّ بني عمّك عبدِ المطلب — هُمْ قتلوا شيخكُمُ غيرَ كَذِبْ
وأنت أولى الناس بالوثبِ فثِبْ — واغضبْ معاوِيْ للإلـهِ وآرتقبْ
بادرْ بخيلِ الأُمّة الغابَ النَّشبْ — بجمعِ أهلِ الشّامِ تَرْشُدْ وَتُصِبْ
وَسِـرْ مسيرَ المحزئـلِّ المتلئبْ — وهزهز الصَّعْدَة للشّأْسِ الشغب

(1) ملحق الموفقيات: ٦٢٠ (نقلاً عن شرح النهج ٤: ٣١٣).

قال: ثم دفع إليه كتاباً من الوليد بن عقبة بن أَبي مُعيط أخي عثمان لأمّه، فإذا فيه[1]:

معاويَ إنّ الملك قد جُبَّ غارِبُهْ وأنت بما في كفِّكَ اليومَ صاحبُهْ
أتـاك كتابٌ من عليٍّ بِخَصْلَةٍ هي الفصلُ فاخترْ سَلْمَهُ أَو تحاربُهْ
فإن كنتَ تنوي أن تجيبَ كتابَهُ فَقُبِّــحَ مُمْلِيـهِ وَقُبِّــحَ كـــاتِبُـهْ
وإن كنتَ تنوي تَرْكَ رَجْعِ جوابِهِ فـأنت بأمـرٍ لا محـالـةَ راكبُـهْ
فألْقِ إلى الحيّ اليمانين كلمةً تنالُ بها الأمر الذي أنت طالبُهْ
تقــولُ أَمير المــؤمنين أصابه عدوٌّ ومالاهُـــمْ عليه أَقارِبُهْ
وكنتُ أميراً قبلُ بـالشام فيكمُ وحسبي من الحقِّ الذي هو واجبُهْ
يجيبوا ومن أرسى ثبيراً مكانَهُ تدافُعَ بحـرٍ[2] لا تُرَدُّ غـواربُهْ
فَأَكْثِرْ أو آقْلِلْ مالها الدهرَ صاحبٌ سواكَ فَصَرِّحْ لستَ ممن توارِبُهْ

قال، فقال: أقمْ فإن الناس قد نفروا عنه لمقتلِ[3] عثمان حتى يسكنوا؛
قال: فأقمتُ أربعةَ أشهرٍ، ثم جاءه كتابٌ آخر من الوليد بن عقبة فيه[4]:

أَلا أبلغْ معــاويــةَ بن حــربٍ فــإنّــك من أَخي ثقــةٍ مُليمُ
قطعتَ الدهرَ كالسَّدِمِ المعنَّى تُهَــدِّرُ في دمشقَ ومـا تَــريمُ
فــإنــك والـكتــابَ إلـى عليٍّ كــدابـغــةٍ وقــد حَلِمَ الأديـمُ
فلو كنتَ القتيـلَ وكـان حيّـاً لَـشَـمَّــرَ لا أَلــفُّ ولا سـؤومُ

فلما جاءه كتابه وصل ما بين طومارين ثمَّ طواهما أبيضين وكتب

---

(١) الشعر في كتاب وقعة صفين: ٥٣.
(٢) في س: فدافع بحدٍّ. وما أثبته رواية م.
(٣) م: عند قتل.
(٤) انظر أيضاً أنساب الأشراف (المحمودي) ٢٩٠ وجمهرة العسكري ٢: ١٥٨ - ١٥٩ وشرح النهج ١٦: ١٧ واللسان (حلم)، وتتصل الأبيات بالمثل «كدابغة وقد حلم الأديم» (انظر كتب الأمثال وبخاصة أمثال الضبي: ٦٠ وفيه تخريج المثل).

عنوانهما: من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالبٍ، ودفعهما إليَّ وبعث معي رجلاً من عبسٍ ولا أدري ما مع العبسيّ؛ قال: فخرجنا حتى قدمنا الكوفة، فاجتمع الناسُ إلى عليٍّ في المسجد ولا يشكُّون أنها بيعةُ أهل الشام، فلمّا فتح الكتابَ لم يوجد فيه شيءٌ، وقام العبسيّ فقال: مَنْ هاهنا من أفناءِ قيس؟ إني أخصُّ من قيسٍ غطفانَ وأخصُّ من غطفان عبساً، وإني أحلفُ بالله لقد تركتُ تحت قميص عثمان رضي الله عنه أكثر من خمسين ألف شيخٍ خاضبين لحاهم بدموع أعينهم، متعاقدين متحالفين ليقتُلُنَّ قَتَلته، وإني أحلفُ بالله لَيَقْتَحِمَنَّها عليكم ابنُ أبي سفيان بأكثر من أربعة آلاف من خصيان الخيل فما ظنُّكم بعد بما فيها من الفحول(١)؟ فقال له قيس بن سعدٍ: يا أخا عبسٍ لا نبالي بخصيان خيلك ولا ببكاءِ كُهُولك، ولا يكون بكاؤهم بكاءَ يعقوبَ على يوسف. ثمّ دفع العبسيُّ كتاباً من معاوية فيه(٢):

أَتـانيَ أمرٌ فيه للنّاسِ غُمَّةٌ ... وفيه اجتداعٌ للأُنوفِ أصيلُ
مُصَابُ أميرِ المؤمنين وهدّةٌ ... تكادُ لها صُمُّ الجبالِ تزولُ
فللّه عينا من رأى مثلَ هالكٍ ... أُصيبَ بلا ذنبٍ وذاك جليلُ
دعاهم فَصَمُّوا عنه عند دعائه ... وذاك على ما في النفوسِ دليل
ندمتُ على ما كان من تَبَعِ الهوى ... وحسبيَ منه حسرةٌ وعويلُ
سأنعَى أبا عمروٍ بكلِّ مهنَّدٍ ... وبيضٍ لها في الدَّارعين صليلُ
فأَمَّا التي فيها المودةُ بيننا ... فليس إليها ما حييتُ سبيلُ
سأُلْقِحُها حرباً عَواناً مُلِحَّةً ... وإني بها من عامها لكفيلُ

---

(١) م: الفحولة.
(٢) وقعة صفين: ٧٩ وفيه:
أتاني أمر فيه للناس غمة ... وفيه بكاء للعيون طويل
وفيه فناء شامل وخزاية ... وفيه اجتداع للأنوف أصيل

قال: فأمر علي عليه السلام قيس بن سعد أن يجيبه عن كتابه، فكتب إليه قيس:

معاويَ لا تعجلْ علينا معاويـا فقد هجتَ بالرّأي السفيهِ[1] الأفاعيا
وحرّكتَ منا كلَّ شيءٍ كرهتـه وأبقيتَ حَزّاتِ النفـوسِ كما هيا
بعثتَ بقرطاسين صِفْـرين ضَلَّةً إلى خير من يمشي بنعلٍ وحافيا
مضى أو بَقى بعد النبيّ محمدٍ عليـه سلامُ الله عَـوْداً وباديـا
ألا ليت شعري والأمانيُّ ضَلَّةٌ على أيِّ ما تنوي أردتَ الأمانيا
على أن فينا للموارب مـطمعاً وانـك متروكٌ بشـامك عـاصيـا
أبى الله إلّا أنّ ذا غيرُ كائنٍ فَدَعْ عنك ما مَنَّتْكَ نفسُكَ خاليا
وأكثرْ وأقللْ إنّ شامَكَ شحمةٌ تَعَجَّلَهـا طـاهٍ يبـادِرُ شـاويـا
من العام أو من قابلٍ كلُّ كائنٍ قريبٌ، وأبْعِدْ بالذي ليس جائيا

[شروح وتعليقات]

قال القاضي أبو الفرج قوله: « الغابُ النشب »؛ الغابُ جمع غابةٍ وهي الغَيْضَـةُ، والنشـب المشتبـك الـذي قد انتشـب، يقـال: قد نشبـت الخصومةُ بين فلانٍ وفلانٍ، ويروى الأَشِبَ، وأراه أصحَّ في الرّواية، وهو الاختلاط، والأُشَابة: الأخلاط؛ قال الشاعر:

أولئك قومي لم يكونوا أُشـابةً وهل يعظ الضّليلَ إلّا أولئكـا

وقوله: « المحزئل المتلئـبّ»: المحزئل: المنحاز الناهض المجتمع، قال الشاعر[2]:

(١) م: بالراءِ السخيف (والراء بمعنى الرأي، والأصل: بالداء).
(٢) هو الطرماح بن حكيم كما في اللسان (طرب، ددن، ددا) وديوانه: ١٥٧ وروايته « آل الضحى ».

واستطربَتْ ظُعْنُهمْ لما احزألَّ بهم مع الضُّحى ناشطٌ من داعياتِ دَدِ[1]

والمتلئبّ: المستقيم المستتب، وقوله: « وهَزْهِزِ الصَّعْدَةَ » يعني هُزَّ القناة، واستثقل الإدْغام فأظهر التضعيف وكرّر كما قالوا قد كركر كلامه وكمكم قال الله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا﴾ (الشعراء: ٩٤) أي كُبُّوا. وهذا كثيرٌ في العربيّة جدّاً. والشأس: الشديدُ المستصعب الشرس. وقول قيس بن سعدٍ في شعره « مضى أو بَقى » يقال: إن بقى [ولقى] بمعنى بَقِيَ [ولقي] لغة طـيء، قال الشاعر[2]:

لعمرك ما أَخشى التَّصَعْلُكَ ما بَقَى على الأَرض ِ قيسيٌّ يسوقُ الأَباعِرا

وقال آخر:

حتّى لَقَى اللّهَ على بَغْيِهِ واللّهُ من ذي البغي قد يُنْصِفُ

وقد ذكر عن الحسن أنه قرأ: ﴿وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ (يونس: ١٦) بمعنى أدريتكم، فحمله بعضهم على هذه اللغة. وطـيء تنحو هذا النحوَ في الأَسماء فتقول في جارية: جاراة، ويقولون في ناصية: ناصاة، كما قال الشاعر[3]:

أَلا آذَنَتْ أهلَ اليمامةِ طيءٌ بحربٍ كناصاةِ الأغرِّ المشقَّرِ

وقد زعم بعضُ المحققين في عِلل النحوِ واللغة في قولهم أبى يابى من هذه اللغة ، وذاك أنّه أنكر أن يكون في العربية فعل يفعل مما ليست عينه

---

(١) استطربت ظعنهم: طلبت التطريب، والناشط: الحادي، وآل الضحى: السراب. السراب .

(٢) من الشواهد على « بقى » الطائية قول زيد الخيل الطائي: « لقاذعت كعباً ما بقيت وما بقى » وقال طفيل الغنوي مقتبساً اللهجة الطائية: « فلما فَنَى ما في الكنائن قارعوا » انظر عبث الوليد: ٥٢٤ - ٥٢٥.

(٣) هو حريث بن عتاب الطائي كما في اللسان (نصى).

ولا لامه من حروف الحلق، وأن سيبويه لم يحكِ غير هذه الكلمة، وإن كان غيره قد حكى في هذا الباب حروفاً عدّةً. وزعم من حَكَيْنَا قوله أن أصل يابى يأبى ثم استعمل على هذه اللغة، ومن الفاشي في رواية الكوفيين قَلَى يَقْلى وقد حُكِيَ قَلِي يَقْلَى والأفصحُ قلى يقلي.

[أبو الأسود يعوِّذ من جماله]

حدّثنا محمد بن القاسم الأنباري قال حدّثني أبي قال حدّثنا أبو الهيثم الغنوي قال حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ عن أبي مهدية قال أخبرني أبو عُفير الدؤليّ وكان شاعراً قال: كنت عند عبد الملك بن مروان إذ دخل[1] أبو الأسود الدؤلي وكان أحولَ دميماً قبيحَ المنظر، فقال له عبد الملك يمازحه: يا أبا الأسود لو علَّقْتَ عليك عُوذةً تدفعُ عنكَ العينَ، فقال: إن لك جواباً يا أمير المؤمنين، وأنشد[2]:

أفنى الجديدَ الذي فارقتُ جِدَّتَهُ   كرُّ الجديدين من آتٍ ومنطلقِ
لم يتركا ليَ في طولِ اختلافهما   شيئاً يُخافُ عليه لذعةُ الحدق

أما والله لئن كانت أبلتني السنون، وأسرعتْ إليَّ المنون، لما أبْلَتْ ذلك إلا في موضعه، ولرُبَّ يومٍ كنتُ فيه إلى الآنسات البيض أشهى منك إليهنّ في يومك هذا على عُجْبِكَ بنفسك، وإني اليوم لكما قال امرؤ القيس[3]:

---

(١) م: دخل عليه.

(٢) القصة (وأنه دخل على معاوية) والشعر في نور القبس: ١٠ وانظر الكامل ١: ٣٤١ والفاضل: ٧٢ والامتاع والمؤانسة ٣: ١٧٧ وأمالي المرتضى ١: ٢٩٣ وديوان أبي الأسود: ١٦١.

(٣) ديوان امرىء القيس: ١٠٧.

أراهُنَّ لا يُحببنَ من قلَّ مالُهُ ولا من رأين الشيبَ فيه وقَوَّسا

ولقد كنتُ كما قال أيضاً[١]:

يَرُعْنَ إلى صوتي إذا ما سَمِعْنَهُ كما ترعوي عيطٌ إلى صوتِ أعيسا

قال له عبد الملك: قاتلك الله من شيخٍ ما أعظمَ هِمَّتَكَ.

[شــرح]

قال القاضي أبو الفرج: العِيطُ: جمع عَيْطَاء، وهي الناقةُ الطويلة العنق والأعيس: فحلٌ أبيضُ تعلوه شقرة؛ ومن العيط قول ذي الرمّة[٢]:

وعيطٍ كأسرابِ الحدوج تشوَّفَتْ معاصيرها والعاتقاتُ العوانسُ[٣]

[يحرض على بيعة القاسم بن الرشيد]

حدّثنا أحمد بن العبّاس العسكري قال حدّثنا ابن أبي سعدٍ قال حدّثني عمر بن محمد بن حمزة الكوفيّ قال حدّثني سليمان بن سعدٍ قال حدّثني إسماعيل بن صالحٍ بن علي بن عبد الله، وكان انقطاعه إلى الرَّشيدِ، قال[٤]: دخلتُ على الرشيد وقد عهد إلى محمدٍ والمأمون في من يُهَنِّئه من ولد صالح بن علي، فأنشأتُ أقول:

---

(١) ديوانه: ١٠٦.

(٢) ديوان ذي الرمة ٢: ١١٣٥ وروايته «وعيطاً كأسراب الخروج» وفسر الخروج بأنه الخروج يوم عيد.

(٣) تشوفت: تزينت؛ والمعصر: المرأة التي دنا بلوغها؛ والعاتقات العوانس: اللواتي كبرن ولم يتزوجن.

(٤) الخبر والشعر في تهذيب ابن عساكر ٣: ٢٥ (ترجمة إسماعيل بن صالح) وبغية الطلب ٣: ٨٣ والوافي بالوفيات ١٠: ٢٠٦.

يـا أيُّهـا الـملكُ الـذي لـو كان نجماً كان سعـدا
اعـقـدْ لـقـاسـمَ بـيـعـةً وآقدحْ له في الملك زَنْـدا
الله فـردٌ واحـدٌ فـاجعـلْ ولاةَ العهـد فـردا

قال: فاستضحك هارون، وبعثتْ إليّ أمُّ جعفرٍ: كيف تحبنا وأنت شآمٍ[1]؟ وبعثتْ إليّ أمُّ المأمون: كيف تحبّنا وأنت أخو عبد الملك بن صالح؟ وبعثت إليّ أمُّ القاسم بعشرة آلاف درهم، فاشتريت بها ضيعتي بأرتاح.

[يحيى بن أكثم وقّاعة في الناس]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثني يعقوب بن بنان الكاتب قال حدّثني علي بن يحيى قال: كان يحيى بن أكثم وقّاعةً في الناس وكان شريراً، وكان يُغْري المأمونَ بالناس ويقعُ فيهم عنده، وكان يُثْني على عمرو بن مسعدة ويقرِّظه عنده، ولا يزال يذكر فراهته ونصيحته وحسن صناعته؛ فبلغ ذلك عمراً فدخل على المأمون فقال: يا أمير المؤمنين بلغني أن يحيى بن أكثم يُثْني عليَّ عندك، وأنا أسألك بالله يا أمير المؤمنين أن تريه أنك قبلتَ شيئاً من قوله فيَّ، فإنّه إنما قدّم الثناءَ عليَّ لوقيعةٍ يريد أن[2] يوقعها بي لديك لتصدِّقَهُ فيما يقول، قال: فضحك المأمون منه وقال: قد أمِنْتَ من ذلك فلا تخفه مني.

[كيف يسمي يحيى بن أكثم الثقلاء]

حـدّثنا محمـد بن الحسن بن زيادٍ المقـري قال أخبـرنا أحمـد بن يحيى ثعلب قال أخبرنا أبو العالية الشامي مؤدّب ولد المأمون قال، قال المأمون ذاتَ يـومٍ ليحيى بن أكثم القاضي: أُريـدُ منك أنْ تسمّي لي ثقـلاءَ أهلِ عسكـري وحاشيتي، فقال له: يا أميـرَ المؤمنين اعفني فإني لستُ أذكـر أحداً منهم وهم

(١) م: شامي.
(٢) أن: سقطت من م.

لي على ما تعلم، فكيف إنْ جَرَى مثلُ هذا؟! قال له: فإن كنتَ لا تفعل فاضطجع حتى أفتلَ لك مخراقاً دبيقياً وأضربك به وأُسمّي مع كلِّ ضربةٍ رجلاً، فإن كان ثقيلاً تأوَّهْتَ، وإن يك غير ذلك سكتّ، فأكون أنا على معرفةٍ منهم ويقين من ثقلائهم. فاضطجع له يحيى وقال: أرأيت[1] قاضي قضاةٍ وأميراً ووزيراً يُعْمَلُ به مثل ذا؟ فلفَّ له مخراقاً دبيقيّاً وضربه به ضربةً وذكر له رجلاً ثقيلاً فصاح يحيى: آه آه يا أمير المؤمنين في المخراق آجرّةٌ، فضحك المأمون منه حتى كاد يُغْشَى عليه وأعفاه من الباقين.

[من أكرم الناس أباً وأماً وجدة و. . .]

حدّثنا الحسن بن علي بن المرزبان النحوي قال: أخبرنا عبد الله بن هارون النحويّ قال أخبرنا الحسن بن علي قال أخبرنا أبو عثمان قال: سمعت أبا الحسن المدائني يقول، قال معاوية وعنده عمرو بن العاص وجماعةٌ من الأشراف[2]: مَنْ أكرمُ الناسِ أباً وأُمّاً وجَدًّاً وجدّةً وخالاً وخالةً وعمّاً وعمّةً؟ فقام النعمان بن العجلان الزُّرَقيُّ فأخذ بيد الحسن عليه السلام فقال: هذا، أبوه علي، وأُمّه فاطمة، وجدُّه رسول الله ﷺ، وجدّته خديجة، وعمُّه جعفر، وعمته أُمُّ هانىء بنت أبي طالبٍ، وخاله القاسم، وخالته زينب. فقال عمرو بن العاص: فحبُّ[3] بني هاشمٍ دعاك إلى ما عملت؟ فقال ابن العجلان: يا ابنَ العاص أما علمتَ أنّه من التمس رضى مخلوقٍ بِسُخْطِ الخالق حرمه الله تعالى أمنيّته وختم له بالشقاءِ في آخر عمره؟ بنو هاشم أنضر قريشٍ عوداً، وأقعدها سَلَفاً، وأفضلُ أحلاماً.

---

(١) م: ما رأيت.
(٢) تهذيب ابن عساكر ٤ : ٢١٦.
(٣) م: أحب.

[يشتم عمر بن ذر]

حدّثنا محمّد بن أحمد بن هارون العسكريّ قال حدّثنا إبراهيم بن عبدالله ابن عبـد الحميـد قال حدّثني رجل قال: جاء رجلٌ إلى عمر بن ذرٍّ وهو في مجلسه فشتمه، فلمّا سكت أقبل عُمر على أصحابه فقال: ما علم الله فستر، أكثرُ مما قال هذا وأظهر.

[حين عفا المنصور عن أهل الشام]

حدّثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن خلف السُّكري قال حدّثنا أبو يعلى زكرياء بن يحيى بن خلّاد المنقري البصريُّ الصَّيرفيُّ قال حدّثنا الأَصمعي عمّن أخبره أن أبا جعفر المنصور حين عفا عن أهل الشام قال له رجل[1]: يا أمير المؤمنين، الانتقامُ عدلٌ، والتجاوزُ فَضْلٌ، والمتفضّل قد جاوز حَدَّ المنصِف، فنحن نعيذ أمير المؤمنين بالله من أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين وأن لا يرتفع إلى أعلى الدرجتين.

[ابن الرومي يجود بنفسه]

حدّثنا إبراهيم بن محمّدٍ بن عرفة الأزدي قال: رأيتُ علي بن العبّاس بن جريجٍ الروميّ يجود بنفسه فقلت له: ما حالك؟ فأنشد[2]:

غلطَ الطبيبُ عليَّ غلطةَ مُوردٍ ... عجزتْ مواردُهُ عن الإصدارِ
والناسُ يَلْحَوْنَ الطبيبَ وإنما ... غَلَطُ الطبيبِ إصابةُ المقدارِ

---

(١) البصائر ٥ رقم: ٥١٢ وقد تقدم هذا النص في الجليس الصالح ٢: ٥٠.

(٢) الوزراء والكتاب: ٢٢٧ وتاريخ بغداد ١٢: ٢٦، وزهر الآداب: ٢٢٧ ووفيات الأعيان ٣: ٣٦١ ومعاهد التنصيص ١: ١١٨ وديوان ابن الرومي ٣: ١١١١.

[في مَنْ صُرِفَ عن عمله]

قال القاضي أبو الفرج: جرت بيني وبين بعض إخواننا من أهل الأدب مذاكرةٌ جرى فيها قطعةٌ مما مُدِحَ به مَنْ صُرِفَ عن عمل كان يتولّاه، وما رُوِيَ عن بعض أهل الأدب أنّه قال: شَيِّعُوا المعزولَ واستقبلوا الوالي؛ وذكرتُ ما في هذا من الحكمة وإرهاص المنزلة والاحتراس من الظِنَّة وايثار حسن المحالفة وتمكين المودة، فأنشدني هذا الأخُ أبياتاً ذكر أنها لجعيفران في إبراهيم بن المدبّر وقد عُزِلَ عن البصرة، ثم أخبرني صديقنا أبو الحسن بن حوزان أنه وجدها في شعر سوَّار بن أبي شراعة وأن الأخفش أنشده إيّاها لسوَّار أيضاً وهي هذه[1]:

يا أبا إسحاقَ سِرْ في دعةٍ وامضِ مصحوباً فما منكَ خَلَفْ
ليت شعري أيَّ أرضٍ أجدبت فأغيثتْ بك من هذا العجفْ
نزل الرُّحْمُ من الله لهم وَحُرِمْناكَ لذنبٍ قد سلف
إنّما أنت ربيعٌ باكرٌ حيث ما صرَّفَهُ[2] اللّه انصرف

[الأحنف يتستر على معاوية]

حدّثنا محمد بن سهل بن الفضل الكاتب قال حدّثنا أبو زيدٍ يعني عمر بن شبَّة قال[3]: حُدِّثت أن الأحنف بن قيسٍ كان عند معاوية وليس عنده غيره، فغنَّتْ جاريةٌ من جواري معاوية في جانب الدّار، فأقبل على الأحنف

---

(١) الأبيات في البصائر، ٢ رقم: ٢٢٣ لأبي هفان يخاطب إبراهيم بن المدبر، وفي ديوان المعاني ٢: ٢٢٩ لأبي شراعة، وفي الشريشي ٣: ٢٦ - ٢٧ والتذكرة الحمدونية (رئيس الكتاب ٧٧١) الورقة ١٦٦.

(٢) م: يصرفه.

(٣) قارن بأخبار النساء لابن القيم: ١٠٦ - ١٠٧؛ وهذه من الأساطير التي تردد للتسلية، وإلا فإن قدر كلٍّ من معاوية والأحنف يجلّ عن هذا المستوى.

فقال: يا أبا بحرٍ لا تَرِمْ حتى أعودَ إليك، إنّي لأطلبُ خَلْوَةَ هذه الجارية فلا أكاد أقدر على ذلك، ثم قام في أثرها فكأنّما كانت لابنة قرظة امرأة معاويةَ عينٌ على معاوية، فأقبلت به فلببته، فقلتُ لها: أكرمي أسراكم فقالت: اسكتْ يا قوّاد.

[وصيّة المهلب لابنه يزيد]

حدّثنا عبد الله بن أحمد المعروف بابن النحويّ[1] قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن العبّاس اليزيدي قال وحدّثني محمد بن الحسن الأحول قال حدَّثنا المدائني قال: أوصى المهلَّبُ ابنَهُ يزيدَ فقال: إيّاك يا بنيَّ والسرعةَ عند مسألةٍ بنعم، فإن أوّلها سهلٌ وآخرها ثقيلٌ في فعلها، واعلم أنَّ « لا » وإن قَبُحَتْ فربما روَّحَتْ، فإن كنت من أمرٍ تُسْأله على ثقةٍ فأَطْمِعْ ولا توجِبْ، ثم افعل، وإنْ علمتَ أنْ لا سبيلَ إليه، فاعتذر، فإنّه من لا يعتذر بالعذر فنفسَهُ ظَلَم.

[ما بين نعم ولا]

قال أبو عبد الله وأنشدنا ثعلب قال، أنشدني ابن الأعرابي:

لا تتبعنَّ نعم « لا » طائعاً أبداً   فإنّ «لا» أفْسَدَتْ من بعدها نعم
إنْ قلتَ يوماً نعم بدءاً فتمَّ بها   فإنّ إمضاءَها صنفٌ من الكرمِ

قال القاضي رحمه الله: قد أنشدنا هذين البيتين جماعةٌ من شيوخنا عن ثعلب عن ابن الأعرابي، قال وأنشدنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش لرجلٍ من طيءٍ هذه الأبيات[2]:

واللّهِ واللّهِ لولا أنني فَرِقٌ   من الأمير لعاتبتُ ابنَ نبراسِ

(١) م: الغمري.

(٢) الأبيات في اللسان (خمس) والبيتان الأول والثاني في فصل المقال: ١٠٥.

في موعدٍ قالـه لي ثم أخلفني[1] غداً غداً ضَرْبَ أخماسٍ لأسداسِ
حتى إذا نحن ألجانا مواعده إلى الطبيعةِ في حفزٍ وإبساسِ[2]
أجْلَتْ مخيلتُهُ عن «لا» فقلتُ له لو ما بدأتَ بها ما كان من باسِ
وليس يرجعُ في «لا» بعدما سلفتْ منه نعم طائعاً حُرٌّ من الناسِ

قال القاضي أبو الفرج: وقد روينا في جهات « نعم » و« لا » أشياء كثيرة من ملح الأخبار ولطيف الأشعارِ ومن فنون الآداب الغريبة وفوائد العلم النبيهة مما يطول ولا يتسّعُ مجلسٌ من مجالس كتابنا له ،ولكنّا نذكر فيما هاهنا طَرَفاً منه وفيما نستأنفه من مجالسنا هذه ما نعثر أوّلاً أوّلاً عليه.

وحضرني في باب « نعم » و« لا » شيء كنتُ نظمتُهُ وهو:

لا في مقدّمة اللأواءِ مُؤْذِنةٌ بالجحد والنَّفْيِ والحرمانِ والعَدَمِ
وقد رأينا «نعم» في أصل بنيتها صيغتْ مناسَبةَ النعماءِ والنعمِ

ومما أنشدوناه في ذمّ «لا» قول الذي قال:

قبحت «لا» فإنّها خُلِقَتْ خِلْقَةَ الجَلَمْ
تُذْهِبُ العُرْفَ والجميـ ـل وتأتي على الكرمْ

[اللغات في نعم]

وفي « نعم » لغتان مشهورتان ولغة شاذة، فأشهر المشهورتين منهما نَعَم بفتح العين، وعليها قراءة الجمهور من أهل الحجاز والشام والعراقين؛ وقرأ باللغة الثانية عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فيما روي عنه وهي نَعِم، بكسر العين، وهي قراءة أبي وائل شقيق بن سَلَمة، واختارها الكسائيُّ فقرأ بها في

(١) اللسان: أخلفه.
(٢) اللسان: رفق وإيناس.

القرآن كلّه كقوله: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ المُقَرَّبِين﴾ (الأعراف: ١١٤) و ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَن لَمِنَ المُقَرَّبِينَ﴾ (الشعراء: ٤٢) واللغة الشاذَّة « نعام » وبالقراءة الأولى نقرأ لاستفاضتها في الخاصَّة والعامّة لغةً وتلاوةً. وقد ذكر عن أبي وائلٍ أنه كان إذا سمع قارئاً يقرأ نَعَم بالفتح قال له: نَعَمٌ وشاء، يعني إبلاً وغنماً؛ كما قال زهير(١):

فيومٌ منكَ خيرٌ من أُناس　　كثيرٍ حَوْلَهُمْ نَعَمٌ وشاءُ

ويقال للإبل والبقر والغنم نعمٌ وأنعام. وقال بعض أهل اللغة: يقال للإبل على انفرادها نَعَم، ولا يقال ذلك للبقر والغنم إلّا إذا كانت مع الإبل. وأمّا الأَنعام فيستوي كلُّ نوعٍ من ذلك في التسمية به نَعَم، قال ذلك الأَصمعيُّ. وقال بعضهم أَناعيم لجماعةِ الإبل، يقال: نَعَم ثم أنعام ثم أناعيم، قال ذو الرمّة(٢):

دانى له القيدُ في دَيْمُومَةٍ قَذَفٍ　　قينَيْهِ وانحسرتْ عنه الأَناعيمُ(٣)

[نعم ولا فيما يتصل بالفقه]

ومما في نعم ولا ممّا يتصل بعلم الفقه قولُ الرجل للآخر: اعطني سَرْجَ بغلي هذا أو لجامَ دابتي هذه فقال: نعم أو لا، ولم يصله بأعطيكه، فإنّ

---

(١) هذا وهم أو سبق قلم من القاضي إذ ليس البيت لزهير بل هو من أبيات تنسب للأخطل في مدح أسماء ابن خارجة (تهذيب ابن عساكر ٣: ٤٥ والتذكرة الحمدونية ٢ رقم: ٢٢٧) ولعبد الله بن الزبير الأسدي (في الأغاني ١٤: ٢٣٠ وعين الأدب والسياسة: ١٠٠ والوحشيات رقم: ٤٠٩) ولعويف القوافي (في الأغاني ١٩: ١٣٣) وانظر الزهرة ٢: ١٢٥ وحماسة ابن الشجري: ١٠٩.

(٢) ديوان ذي الرمة: ٣٨٣.

(٣) يصف فحل الابل المقيد، وأن قيده قرَّب بين قينيه وهما الوظيفان أو عظما الساقين، والديمومة: المفازة القفر المستوية: قذف: بعيدة، وانحسرت: ابتعدت، الأناعيم: جمع أنعام، والانعام جمع نعم: أي انه أصبح وحيداً مستوحشاً.

شيخنا أبا جعفر ذهب إلى أنّ هذا إقرار منه بالسّرج واللجام. وحكي هذا عن أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمّد، واحتجَّ بأن قوله نعم إنعام بالفعل، لا إباءٌ له، وهذا عندي كما قال. وحكي عن أبي ثور أنه قال: قوله نعم إقرار وقوله لا ليس بإقرار، وبيّن فساد قوله بنحو ما قدَّمنا بيانه.

المجلس السابع والخمسون

[رسول الله يعرض نفسه على القبائل]

أخبرنا المعافى بن زكرياء قال أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بحرمي الأضاحي قال حدّثنا عبد الله بن شبيبٍ قال حدّثني إسماعيل بن مهران قال حدّثني أحمد بن محمّد بن أبي نصرٍ عن أبان بن عثمان عن ابان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال حدّثني علي بن أبي طالب عليه السلام قال[1]: لما أُمِرَ رسولُ الله ﷺ أنْ يعرضَ نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكرٍ، فدفعنا إلى مجلسٍ من مجالس العرب فتقدم أبو بكر وكان رجلاً نسَّابة فسلم فردوا السلام فقال: ممن القوم؟ قالوا: من ربيعة، قال: من هامتها أو من لهازمها، قالوا: بل من هامتها العظمى قال: وأيّ هامتها العظمى؟ قالوا: ذهل الأكبر، قال: فمنكم عوف الذي كان يقال: لا حُرَّ بوادي عوفٍ؟ قالوا: لا، قال: فمنكم بسطام أبو اللواءِ[2] ومنتهى

(١) الخبر في دلائل النبوة للبيهقي: ٩٦ ـ ٩٩ وتهذيب ابن عساكر ٥: ٢٤٦ ـ ٢٤٩ والعقد ٣: ٣٢٦ ـ ٣٢٧ والفائق للزمخشري ٣: ٨٣ ـ ٨٦ ومحاضرات اليوسي ٢: ٥٣٠.

(٢) الدلائل: الملوك.

الاحياء؟ قالوا: لا، قال: فمنكم حسّان بن ربيعة حامي الذمار ومانع الجار؟ قالوا: لا، قال: فمنكم الحوفزان قاتلُ الملوك وسالبها أنفسها؟ قالوا: لا، قال: فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة؟ قالوا: لا، قال: فأنتم أخوال الملوك من كندة؟ قالوا: لا، قال: فأنتم أصهارُ الملوك من لخمٍ؟ قالوا: لا، قال: فلستم أنتم ذُهَل الأكبر أنتم ذهل الأصغر. فقام إليه غلامٌ من بني شيبان يقال له دَغْفَل حين بَقَلَ وجهه، فقال:

إنَّ على سائِلِنَا أن نسأله والعبْءُ لا تعرفُهُ أو تحملَهْ

يا هذا إنك قد سألتنا فلم نكتمك شيئاً، فممن الرجل؟ قال: من قريش، قال: بخٍ بخٍ أهل الشرف والرّئاسة، فمن أيّ قريشٍ أنت؟ قال: من بني تيم بن مرّة، قال: أمكنتَ والله الرّامي من صَفَا الثغرةِ، فمنكم قصيٌّ بن كلابٍ الذي جمع الله به القبائلَ من فهرٍ فكان يدعى مجمعاً؟ قال: لا، قال: فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف[1]؟ قال: لا، قال: فمنكم شيبة الحمد مطعم طير السماء الذي كأنَّ وجهه قمر يضيء ليلةَ الظلام الداجي؟ قال: لا، قال: أفمن المفيضين بالناس أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل الندوة؟ قال: لا. قال: أفمن أهل الحجابة؟ قال: لا، قال: أفمن أهل السقاية أنت؟ قال: لا، قال: فاجتذب أبو بكرٍ رضي الله عنه زمام ناقته فرجع إلى رسول الله ﷺ. فقال دغفل:

صادف درءُ السيلِ درءاً يدفعُهْ يهضبُهُ يرفعُهُ أو يصدَعُهْ

---

(١) هو من قول ابن الزبعرى:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

انظر اللسان (هشم - سنت) والمنصف لابن جني ٢: ٢٣١ ونوادر أبي زيد: ٤٦٤ والسيرة ١: ١٢٦ والمقتضب ١: ٣١٢، ٣١٦ وأنساب الأشراف ١: ٥٨ وأمالي المرتضى ٢: ٢٧٩؛ وينسب البيت أيضاً لمطرود بن كعب، انظر شعر عبد الله بن الزبعرى: ٥٣.

وايم الله لو ثبتَّ لأخبرتك أنّك من زمعات قريش أو ما أنا بدغفل. قال: فتبسَّمَ رسول الله ﷺ. قال علي فقلت: يا أبا بكرٍ وقعت من الأعرابي على باقعةٍ، قال: أجل. إن فوق كلِّ ذي طامَّةٍ طامَّةً والبلاءُ موكَّلٌ بالمنطق. قال علي عليه السلام: ثم دُفِعْنَا إلى مجلسٍ آخر عليه السكينة والوقار، فتقدّم أبو بكرٍ، فسلَّم، فردُّوا عليه السلام، فقال: ممن القومُ؟ قالوا: من بني شيبان بن ثعلبة، فالتفت إلى رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسولَ الله ليس بعد هؤلاء عزٌّ في قومٍ. وكان في القوم مفروق بن عمرو وهانئ بن قبيصة والمثّنى بن حارثة والنُّعمان بن يزيد. وكان مفروق بن عمروٍ قد علاهم جمالاً ولساناً، وكانت له غديرتان تسقطان على تريبته، وكان أدنى القوم إلى أبي بكرٍ فقال له أبو بكرٍ: كيف العدد فيكم؟ قال: إنا لنزيد على ألفٍ ولن نُغْلَبَ عن قِلَّة، قال: فكيف المنعة فيكم؟ قال: علينا الجهد ولكلِّ قوم حدّ، قال: فكيف الحربُ بينكم وبين عدوِّكم؟ قال: إنا أشدُّ ما نكون غضباً [حين نَلْقَى] وأشدُّ ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا نؤثر جيادَنَا على أولادنا، والسلاحَ على اللقاح، والنصرُ من عند الله تعالى يديلنا لنا وعلينا، لعلك أخو قريشٍ؟ قال: إنْ كان بلغكم أنه رسول الله فها هوذا في الرَّحل، قال: قد بلغنا أنه يقول ذلك. قالوا: فإلى ما تدعو يا أخا قريشٍ؟ فقال رسول الله ﷺ: أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأن تؤووني وتنصروني، فإن قريشاً قد ظاهروا على أمر الله وكذَّبوا رُسُلَه، واستغنوا بالباطل عن الحقّ، وهو الله الغنيُّ الحميد، قال: فإلى ما تدعو أيضاً؟ قال: فتلا عليهم رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ إلى قوله: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ (الأنعام: ١٥١) قالوا: وإلى ما تدعو أيضاً؟ قال: فتلا عليهم رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالبَغْيِ﴾ (النحل: ٩٠) الآية. فقال مفروق بن عمروٍ: دعوتَ والله إلى محاسن الأعمال ومكارم الأخلاق ولقد أُفِكَ قومٌ

ظاهروا عليك وكذّبوك. وكأنّه أحبّ أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة فقال وهذا هانىء بن قبيصة، وهو شيخنا وصاحب حربنا[1]، فتكلم هانئ بن قبيصة فقال: يا أخا قريشٍ قد سمعتُ مقالتك، وإنا لنرى تَرْكَنا ديننا واتّباعنا دينَكَ لمجلسٍ جلسته منّا لم ننظر في أمرك ولم نتثَبَّتْ في عاقبة ما تدعو إليه ولهاً في الرأي وإعجالاً في النظر[2]، والولَهُ يكونُ مع العجلة، ومن ورائنا قومٌ نكرهُ أن نعقدَ عليهم عقداً، ولكن نرجع وترجع، وننظر وتنظر. وكأنه أحبَّ أن يشركه في الكلام المثنّى بن حارثة فقال: وهذا شيخنا وكبيرنا وصاحب حربنا، فتكلم المثنَّى فقال: يا أخا قريش قد سمعتُ مقالتك، فأمّا الجوابُ فهو جواب هانئ بن قبيصة، وأما أن نؤويك وننصرك فإنا نزلنا بين صيرين: اليمامة والسمامة. فقال رسول الله ﷺ: فما هذان الصيران؟ فقال: مياه العرب وأنهار كسرى، فأما ما كان مما يلي مياه العرب فذنبُ صاحبه مغفور وعذره مقبول، وأما ما يلي أنهار كسرى فذنبُ صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبولٍ، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نُحْدِثَ حدثاً ولا نؤوي محدثاً، ولسنا نأمن أن يكونَ هذا الأمر الذي تدعونا إليه مما يَكرَهُ الملوك، فإن أحببت أن نؤويك مما يلي مياهَ العرب آويناك ونصرناك؛ فقال رسول الله ﷺ: ما أسأتم الردَّ إذ أفصحتم بالصدق، وليس يقومُ بدينِ الله إلّا من حاطه من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يمنحكم الله عز وجل أموالهم ويُفْرِشَكُمْ نساءهم ويورثَكُمْ ديارهم، أتسبحون الله تعالى وتقدّسونه؟ فقال النعمان: هذا[3] لك، فتلا عليهم رسول الله ﷺ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ (البقرة: ١١٩) ﴿وَدَاعِيَاً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجَاً مُنِيراً﴾ (الأحزاب: ٤٦) ووثب رسول

---

(١) الدلائل: ديننا.

(٢) الدلائل: زلة في الرأي وطيشة في العقل وقلة نظر في العاقبة؛ م: والزلة تكون مع العجلة.

(٣) م: هنيئاً.

الله ﷺ فأخذ بيدي وقال: يا علي، أيُّ أحلامٍ في الجاهلية بها يكفُّ الله بـأسَ بعضهم عن بعضٍ وبها يتحاجزون في هذه الدنيا؟!

[تعليقات على الخبـر]

قال القاضي أبو الفرج: قول أبي بكرٍ رضي الله عنه: « من لهازمها »، اللهازم: نواحي العنق وجوانبه، قال الراجز:

يا خَازِ بازِ أرسلِ اللهازما[1]

وقوله: « من صفا الثغـرة »: الصّفا: الحجر الأَملس ومنه ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ﴾ (البقرة: ١٥٨) قال جرير[2]:

هَبَّـتْ شمالاً فذكرى ما ذكرتكمُ   إلى الصفاةِ التي شرقيَّ حَوْرَانا

وقال أبو ذؤيب[3]:

حتى كأني للحوادث صخرةٌ   بصَفَا المشقَّر كلَّ يومٍ تُقْرَعُ

ويروى بقفا المشقّر، ويروى المشرَّق؛ وذكرت أبياتاً عنَّ لي في بعضها ذكر الصفا وقرعها وهي:

حلفتُ يمينـاً بَـرَّةً وَشَفَعْتُـهـا   فهل أنت منّي باليمينينِ قـانعُ
فما نَازَعَتْ نفسي إلى ما كرهتَهُ   ولا خلتُهـا يـومـاً إليـه تنـازعُ
ولا حلَّ من قلبي هواكَ محلّةً   من النّاسِ ممن أَصطفي وأُشايعُ

---

(١) الشطر في اللسان (خوز، لهزم) وبعده: إني أخاف أن تكون لازما؛ والخازباز: قرحة تأخذ في الحلق.

(٢) ديوان جرير ١: ١٦٥ وروايته « عند الصفاة ».

(٣) شرح ديوان الهذليين: ٩ (وفيه للحوادث مروة).

لقد قرعَ الواشي بأهونِ سعيه صفاةً قديماً أخطأتها القوارعُ
فأزعجني في ضعفه وهو ساكنٌ وشرَّد عن عيني الكرى وهو هاجعُ

وأما الثغرة فهي اللبَّة، قال عنترة[1]:

ما زلت أرميهم بثغرة نحرِهِ ولبانه حتى تسربلَ بالدمِ

وروي[2] ثغرة وجهه. وقال ثابت: الثغرة: الهَزْمَةُ التي بين الترقوتين.
وقوله: « الهضبة »: الدفعة من المطر تجمع هَضَباً، قال ذو الرمة[3]:

فبات يشئزه ثأدٌ ويُسْهِرُهُ تذؤُبَ الريح والوسواسُ والهَضَبُ[4]

وأما قول هانئ بن قبيصة: « وَلَهٌ في الرأي » الوله: الحيرة والقلق،
ولعله قال: وَهَلٌ، فمن ها هنا اشتبه. والوهل: الخطأ والغلط والزّلل.

وأما قول المثنّى بن حارثة: « فإنا نزلنا بين صيرين » فإن الصير:
الجانب والناحية والحدُّ. قال زهير[5]:

وقد كنتُ من سلمى سنينَ ثمانياً على صِيرِ أمرٍ ما يمرُّ ولا يحلو

[شاهَكَ يا أبا مسلم]

حدّثنا محمد بن الحسن بن دريدٍ قال حدّثنا أبو حاتمٍ عن أبي عبيدة قال
حدّثني رجل من أهل خراسان عن أبيه قال: كنت أُطلب العلم فلا آتي موضعاً

---

(١) من معلقته، انظر ديوانه: ٢١٧.
(٢) م: ويروى.
(٣) ديوان ذي الرمة ١: ٩٠.
(٤) يشئزه: يقلقه، الثأد: الندى؛ تذؤب الريح: مجيئها من كل وجه. ويروى والهضب (بكسر الهاء) مثل بدرة وبدر، وهو يصف ثور الوحش وقلقه عند سقوط الندى عليه، وخشيته من القانص. . .
(٥) شرح ديوان زهير: ٩٦.

إلا وجدتُ أبا مسلمٍ قد سبقني إليه، فألفني فدعاني إلى منزله، ودعا بما حضر فأكلت، ثم قال: كيف لعبك بالشطرنج؟ فقلت: إنّي لاعبٌ بها، فدعا بشطرنجه، فتناولت السواد فوضعته بين يديَّ، فتناولها من بين يديّ وأعطاني البياضَ، فأَشْفَتْ شاهه على القتل، فداخله أمر عظيم، فاغتممت له، ثم قال لي: العبْ فقد فَرَّج الله، فخلص شاهه وجعل يقول:

ذروني ذروني ما قدرت فإنني متى ما أَهِـجْ حرباً تضقْ بكمُ أرضي
وأبعثُ في سُودِ الحديد إليكُمُ كتائبَ سوداً طالما انتظرت نهضي

قال: فكنتُ ألاعبه ويلهو بهذين البيتين حتى بلغني خروجه.

[وجوه الاعراب في « وأبعث »]

قال القاضي أبو الفرج: « وأبعث » فيه من جهة الاعراب ثلاثة أوجهٍ: الجزم على العطف إلا أنه لا يستعمل في هذا الموضع لإقامة وزن البيت، والرفع على الاستئناف، والنصب بإضمار أنْ والتقدير: يكون مني هيج فأبعثَ، فلا يعطف « أبعث » على « هيج » لأن « هيج » مصدر و« أبعث » فعل فتقدّر « أن » إذ هي والفعل مصدر، فيصحّ حينئذٍ عطف الثاني على الأول لأنه عطف اسمٍ على اسمٍ، ويسمّي الكوفيون هذا الوجه الصرف لأَنَّه صرفٌ عن الجزم؛ وقد جاء هذا كثيراً في القرآن والشعر؛ قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: ٧) فجزم الثاني على العطف. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٨٤) فقرئ فيغفرُ ويعذّبُ جزماً ورفعاً ونصباً، وقرأ القرأة ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ، وَيَعْلَمَ الَّذِينَ﴾ (الشورى: ٣٤، ٣٥) بالرفع والنصب في يعلم. وقرئ: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٢) على النصب والجزم. وقولهم لا تأكل السمكَ وتشربَ اللبن بالنصب إذا أُريد به

النهيُ عن الجمع بينهما دون الإفراد، وإن أُريد النهيُ عن كُلِّ واحدٍ منهما فالجزم هو الكلام. وقد أتى كثير من هذا في الشعر، قال الشاعر:

فــإن لم أصـدِّق ظَنَّكُمْ بتيقُّنٍ   فلا سَقَتِ الأوصالَ مني الرواعدُ
ويعلمَ أكفائي من الناسِ أنّني   أنا الحافظُ الحامي الذمارِ المذاود

وقال الأعشى(١):

ومن يغتربْ عن قومه لا يزلْ يرى   مصـارعَ مظلومٍ مَجَـرًّا ومَسْحبا
وتدفنُ منه الصالحاتُ وإن يُسِئْ   يكنْ ما أساءَ النارَ في رأسِ كبكبا

وقال النابغة(٢):

فـإن يهلكْ أبو قـابوسَ يهلكْ   ربيــعُ النـاسِ والبلدُ الحــرامُ
ونمسـكُ بعـده بِـذِنـابِ عيشٍ   أجبَّ الـظهـر ليس لـه سنـامُ

ويروى بذناب دهرٍ. الجزم في نمسك والرفع والنصب وجوه جائزة، وجاز في هذا البيت الجزمُ الذي لا يجوز فيما أنشدناه، قيل لعلةٍ أنا ذاكرها إن شاء الله.

وأقولُ مستعيناً بالله: إنّ بيت النابغة من النوع الذي يُسَمّيه العروضيون الوافر وهو أوّل أنواعه عند جمهورهم، وإذا روي بالرفع والنصب فلا زحاف فيه، ويسمَّى سالماً لسلامته من الزحاف، وإذا روي بالجزم سُكِّنَتْ لام مفاعلتن فصار مفاعلْتن فنقلت إلى مفاعيلن ويسمَّى معصوباً. وبيت النابغة يروى على وجهين: أجبّ الظهر بالإضافة، ويصرف أجبّ فيكسر لإضافته، ويروى أجبَّ الظهر فيفتح وهو في موضعِ جرٍ إذ هو صفة لعيشٍ أو دهر لأنّه

---

(١) سيبويه ١: ٤٤٩ وديوان الأعشى: ٨٨.
(٢) ديوان النابغة: ١٠٥، ١٠٦ والثاني عند سيبويه: ١: ١٠٠ وانظر الخزانة ٤: ٩٥.

لا ينصرف والتنوين مُقَدَّر في أصله. ومن هذا الباب زيدٌ حسنُ الوجه. قال زهير[١]:

أهوى لها أسفعُ الخدّينِ مُطَّرِقٌ ريشَ القوادم لم يُنْصَبْ له الشَّرَكُ[٢]

فالنصبُ في ريش القوادم كالنصب في زيدٍ الحسنُ الوجهِ، والحسنُ الوجهَ أقوى عند البصريين من حَسَن الوجه وهما عند الكوفيين سواء. قال الحارث بن ظالم[٣]:

فما قومي بثعلبةَ بن سَعْدٍ ولا بفزارةَ الشُّعْرِ الرقابا

وقال عديّ بن زيدٍ[٤]:

من وليٍّ أو أخي ثقةٍ والبعيدِ الشاحطِ الدّارا

وهذا باب من النحو له شُعَبٌ وفروع ولاستقصائه موضع هو أولى به.

[بين عريب وعلويه]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثنا الفضل بن العبّاس أبو الفضل الربعي قال حدّثنا إبراهيم بن عيسى الهاشميّ قال، قال علويه[٥]: أمرني المأمون وأصحابي أن نغدو عليه لنصطبح، فغدوت فلقيني عبد الله بن إسماعيل صاحب المراكب فقال: يا أيها الرجل الظالم المعتدي، أما ترحم

(١) ديوان زهير: ١٧٣ وسيبويه ١: ١٠٠.

(٢) يصف الصقر وهو يطارد فريسته، وقوله مطرق ريش القوادم: أي لم ينتشر ريشه، ولم ينصب له شرك كناية عن عدم تذليله.

(٣) البيت في سيبويه ١: ١٠٣ والمقتضب ٤: ١٦١ وأمالي الشجري ٢: ١٤٣ والانصاف: ١٣٣ وابن يعيش ٦: ٨٩، والعيني ٣: ١٠٩.

(٤) ديوان عدي: ١٠١ وسيبويه ١: ١٠٢ (وروايته أو عدو شاحط).

(٥) القصة في الأغاني ١١: ٣٢٥، ٢١: ٨٤ـ ٨٥ وانظر مصارع العشاق ٢: ١٥٢.

ولا ترقُّ ولا تستحي من عريب، هي هائمةٌ بك وتحتلمُ عليكَ في كلِّ ليلةٍ ثلاث مرات؟ قال علويه: وكانت عريب أحسن الناس وجهاً وأظرفَ الناس وأفكه، وأحسن غناء مني ومن صاحبي مخارق؛ فقلت له: مُرَّ حتى أجيء معك. فحين دخلت قلت له: استوثق من الأبواب فإني أعرف الناس بفضولِ الحجاب. فأمر بالأبواب فأُغلقت، ودخلتُ فإذا عريب جالسةٌ على كرسيٍّ بين يديها ثلاث قدور زجاج، فلما رأتني قامَتْ إليَّ فعانقتني وقبلتني وأدخلت لسانها في فمي، ثم قالت: ما تشتهي تأكل؟ قلت: قدراً من هذه القدور، فأَفْرَغَتْ قِدراً منها بيني وبينها فأكلنا ثم دعت بالنبيذ فصبَّتْ رطلاً فشربتْ نصفَهُ وسقتني نصفه، فما زلنا نشرب حتى سكرنا. ثم قالت: يا أبا الحسن، أخرجتُ البارحةَ شعر أبي العتاهية فاخترت منه شعراً، قلت: ما هو؟ قالت[1]:

وإني لمشتاقٌ إلى ظلِّ صاحبٍ يروقُ ويصفو إن كـدرتُ عليهِ
عذيري من الإنسانِ لا إن جفوتُهُ صفا لي ولا إن كنتُ طَوْعَ يديه

فصيرناه مجلسنا، فقالت: بقي عليَّ فيه شيء فأصلحه، قلت: ما فيه شيء، قالت: بلى في موضع كذا، فقلت: أنت أعلم، فصححناه جميعاً. ثم جاء الحجّاب فكسروا البابَ واستخرجتُ فأُدْخِلْتُ على المأمون، فأقبلتُ أَرْقُصُ من أقصى الصحن وأُصَفِّقُ بيدي وأغنّي الصَّوْت، فسمع وسمعوا ما لم يعرفوه فاستظرفوه. فقال المأمون: آدنُ يا علويه، فدنوت فقال: رُدَّ الصوت، فرددته سبع مرات، فقال: أنت الذي تشتاق إلى ظل صاحبٍ يروق ويصفو إن كدرت عليه؟ فقلت: نعم، فقال: خذ مني الخلافة وأعطني هذا الصاحب بدلها. وسألني عن خبره[2] فأخبرته فقال: قاتلها الله فهي أجل أبزارٍ من أبازير الدنيا.

(١) ورد البيتان أيضاً في ربيع الأبرار ١: ٤٧٢ منسوبين لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر.
(٢) م: خبري.

[من الحكم السياسية]

أخبرنا المعافى قال حدّثنا محمد بن أبي الأزهر البوشنجيّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا مباركُ الطبريّ قال: سمعت أبا عبيد الله يقول: سمعت أمير المؤمنين المنصور يقول[1]: الخليفة لا يصلحه إلا التقوى، والسلطان لا يُصْلحه إلا الطاعة، والرعية لا يُصْلحها إلا العدل، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقصُ الناسِ عقلاً من ظلم مَنْ هو دونه.

[في وصف الأحمق]

حدّثنا محمد بن القاسم الأنباري قال حدّثني أبي قال حدّثنا أحمد بن عبيد قال، قال الهيثم بن عديّ قال وهب بن منبه[2]: الأحمقُ إذا تكلَّم فضحه حُمْقُهُ، وإذا سكتَ فضحه عِيّه، وإذا عمل أفسد وإذا ترك أضاع. لا علمه يغنيه، ولا علمُ غيرِهِ ينفعُهُ، تودُّ أُمُّهُ لو أنها ثكلته، وتودُّ امرأته لو أنها عدمته، ويتمنَّى جارُهُ منه الوحدة، وتأخذُ جليسَه منه الوحشة؛ وأنشد لمسكين الدارميّ في ذلك[3]:

اتقِّ الأحمقَ أنْ تصحبَهُ ... إنما الأحمقُ كالثوب الخَلَقْ
كلَّما رقَّعتَ منه جانباً ... حركته الريحُ وهناً فانخرق
أو كَصَدْعٍ في زجاجٍ فاحشٍ ... هل ترى صَدْعَ زجاجٍ يتفق
وإذا جالستَهُ في مجلسٍ ... أفسد المجلسَ منه بالخرق
وإذا نهنهته كي يرعوي ... زاد جهلاً وتمادى في الحُمُقْ

(١) ورد هذا القول في تاريخ بغداد ١٠: ٥٦.
(٢) ورد في البصائر ٨ رقم: ١٩.
(٣) شعر مسكين في الأغاني ٢٠: ١٦٧ وتهذيب ابن عساكر ٥: ٣٠٥ وبهجة المجالس ١: ١٠٣ وخزانة الأدب ١: ٤٦٨ وديوانه: ٥٥ ـ ٥٦ (وفيه مزيد من التخريج).

[من جاد بماله وبنفسه فقد جاد بنفسيه]

قال المعافى: وحدّثني أبو النضر العقيلي قال حدّثنا أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني أبو تمام حبيب بن أوس الطائي قال حدّثني محمد بن خالد الشيباني قال، قال يزيد بن أبي يزيد الغسّاني[1]: من جاد بنفسه عند اللقاء، وبماله عند العطاء، فقد جاد بنفسيه كليهما.

[طوق بن مالك يستزير العتابي]

حدّثنا عبد الله بن منصور الحارثي، قال حدّثنا أحمد بن أبي طاهر قال حدّثنا أبو دعامة الشاعر قال[2]: كتب طوق بن مالك إلى العتّابيّ يستزيره ويدعوه إلى أن يصل القرابة بينه وبينه، فردَّ عليه: إنَّ قريبك من قَرُبَ منك خيره، وإن عمَّكَ من عَمَّك نفعُهُ، وإن عشيرتك من أحسن عشرتك، وإن أحبَّ الناس إليك أجداهم بالمنفعة عليك، ولذلك أقول:

ولقد بلوتُ الناسَ ثم سَبَرْتُهُمْ   وخبرتُ ما وصلوا من الأسبابِ
فإذا القرابةُ لا تقرِّبُ قاطعاً   وإذا المودةُ أقربُ الأنسابِ

ويروى أكبر.

---

(١) قارن بقولهم: من جاد بماله فقد جاد بنفسه، إلا يكن جاد بها فقد جاد بقوامها. في البصائر٤ رقم: ٦٣٤ ونثر الدر ٦: ٨ ومحاضرات الراغب ١: ٥٦٩ وربيع الأبرار: ٣٢٢ ب، ٣٢٤ ب.

(٢) الأغاني ١٣: ١١٦ وفيه قال طوق بن مالك للعتابيّ: أما ترى عشيرتك يعني بني تغلب كيف تدل عليّ وتتمرغ وتستطيل وأنا أصبر عليهم؟ وقال العتابي: أيها الامير إن عشيرتك.. الخ. وفيه البيتان: وهما بهذه الرواية حسبما أوردهما ابن الأعرابي مع بعض تغيير في البيت الأول، وفي رواية أخرى أن الأول هو:

ولقد طويتكم على بللاتكم   وعرفت ما فيكم من الأذراب

انظر التنبيه والايضاح لابن بري ١: ٧٦ وسيرد البيتان فيما يلي من الكتاب.

المجلس الثامن والخمسون

[خطبة لعمر رضي الله عنه]

أخبرنا المعافى بن زكريا قال حدّثنا ابن أبي داود عبد الله بن سليمان في شعبان سنة ست عشرة وثمانمائة إملاءً من لفظه بتلقين ابنه أبي معمر إياه قال حدّثنا المسيب بن واضح قال حدّثنا أبو إسحاق الفزاري عن سعيدٍ الجريري عن أبي نضرة عن أبي فراس قال: خطبنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال في خطبته[1]: أيُّها الناس إنما كنّا نعرفكم إذ كان رسول الله ﷺ بين أظهرنا، وكان ينزل عليه الوحي وإذ ينبئنا الله تعالى من أخباركم، ألا فقد مضى رسول الله ﷺ وانقطع الوحيُ، وإنما نعرفكم بما نقول لكم: من أظهرَ منكم خيراً ظننا به خيراً وأحببناه على ذلك، ومن أظهر منكم شراً ظنّنا به شراً وأبغضناه عليه. أسراركم فيما بينكم وبين الله تعالى. ولقد أتى عليَّ زمانٌ وما أرى أحداً يقرأ القرآن يريدُ به إلا ما عند الله تعالى، وقد خُيّلَ إليَّ أن أُناساً يقرأون القرآن

---

(١) بعض هذه الخطبة في نثر الدر ٢: ٤٥، ٥٣ وبعضها في خراج أبي يوسف رقم: ٣٨ (من مقدمة المؤلف)ورقم ٣٠٢/(١٦) وانظر شرح النهج ١٢: ٢٢ وطبقات ابن سعد ٣: ٢٩٣، ٣٣٦ وسيرة عمر لابن الجوزي: ٩٥ والتذكرة الحمدونية ١: ١٢٤ وتاريخ الطبري ١: ٢٧٤١، ٢٧٤٢ وكنز العمال ٣: ١٤٨.

يريدون بـه ما عنـد الناس، ألا فـأريدوا الله بقـراءتكم وأعمالكم، ألا وإني لم أبْعَثْ عليكم عمَّالاً ليضربوا أبشاركم ولا ليأكلوا أموالكم، ولكن بعثتهم ليحجزوا بينكم ويقسموا فيكم فيئكم، فمن كانت له قِبَلِ أحدٍ منهم مظلمـةٌ فليقم. فما قـام أحد غيـر رجلٍ واحـدٍ فقال: يـا أمير المؤمنين إنَّ عـاملك ضربني مـائـة سوطٍ، فسأله عمر لم ضربه فاعتلَّ لـه، فقال لـه عمر: قم فـاستقِدْ منـه، فقام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين [إنك إن تفتح هذا على عمالك كبـر عليهم وكـانت سنـة يـأخذ بهـا من بعدك، فقـال عمـر][1]: أنـا رأيتُ رسـول الله ﷺ أقاد من نفسه، قم فاستقد منـه، فقال لـه عمرو بن العـاص: أو فَدَعْنـا إذن فَلْنُرْضِهِ، قـال: دونكم فأرضـوه. فافتـدوا منه بمـائة[2] دينـار، قال: قلنـا لعـطاء يعني ابن عجلان: وكيف أُقصُّ رسـول الله ﷺ من نفسه؟ قال: أقبل من منىً يـزورُ البيتَ حتى إذا كان في بعض الـطريق عرض لـه إنسـان، فكـره أن يوطئه فضربه بمخصرته، فلما طاف بالبيت وصلَّى قال: يا أيها الناس إني أقبلت من منى فعَرَض لي إنسانٌ فضربته بمخصرتي، فإن كان في الناس فليقم. فقام رجل فقال له: أنا، فقال له رسـول الله ﷺ: استقد فقـال: بل أعفـو يا رسـول الله.

[تعليق المؤلف على خطبة عمر]

قال القاضي أبـو الفرج: قـد ضمَّنَ عمر رضي الله عنـه خطبتـه هذه من الحكم التي تتقبلهـا العقولُ ويشهـد بصحتها المعقـول ما فيـه أكثر النفـع لمن استمع إليه، وأجرى أمره في دينه عليه، وذكـر أنه يحمـل الناس في مـوالاتهم ومعاداتهم على ما أبدوه ويكلهم إلى ربهم عز وجل فيما أخفوه، ونصح الناس

---

(١) ما بين معقفيـن زيادة لازمة من كتاب الخراج.

(٢) الخراج: بمائتي.

في ما أمرهم به من أن يريدوا الله تعالى بتلاوة كتابه كما كان السلف الذين نزل الوحيُ بينهم، وأخبر أنه سيأتي من يريد بتلاوته الناسَ وحطامَ الدنيا، ويأتي بالتلاوة للسمعة والرياء، وذكر ما لم يكن عند أحدٍ ممن سمعه ردٌّ له ولا مريةٌ فيه من إنفاذه عماله على الناس للعدلِ فيهم وأداءِ حقوقهم إليهم، وأنه حكم بالقصاص ممن جنى منهم، وبإنصاف مظلومهم من ظالمهم، وها نحن في زمانٍ الجورُ فيه ظاهرٌ غامرٌ، والظالمُ قاهر، والمظلوم حائر؛ وأما تلاوة القرآن في زماننا فإن مَنْ يتلوه فيه تقرّباً إلى ربِّه واعتباراً به، وتفكراً في حكمه، وتدبراً في آياته، وتفقهاً في دينه، فإنه في قلَّته ومهانته وذلته على حدٍّ عظيم في منزلته، وهو بمنزلة الكبريت الأحمر في عزته، وبمنزلة الشامة البيضاء في الثور الأسود، إذا نظر في أمره في عدد أهله، ومعظم من يتلوه في وقتنا إما مباهٍ لأمثاله مفاخرٌ، أو مبارٍ لأشكاله مكاثر، أو مستميحاً للحطام والسُّحْتِ الحرام من ذوي البغي والضلالة، واللهو والبطالة، بالتغني لهم به على الوجه الذي زَجَر الله تعالى عنه ورسوله من ألحان اللاهين وترجيع اللعّابين، قد جعل ذلك له طُعْمةً واتخذه لنفسه معيشة، ودرَّتْ عليه الهباتُ، والعطايا والصلات، من المغرورين، المسحورين منهم والمفتونين، المطبوع على قلوبهم، وتعلقوا عند العامة بادّعاء التأويل في الخبر الوارد عن النبي ﷺ أنه قال: زيّنوا القرآن بأصواتكم، وبقوله: ليس منا من لم يتغَنَّ بالقرآن، فحملوه على غير وجهه ووجهوه إلى خلاف ما قصَدَ له به، فكانوا في تلاوتهم للقرآن من الذين ذكر النبي ﷺ أنهم يتعجلونه ولا يتأجّلونه، وضلُّوا عن سواءِ السبيل في ما يتأولونه. وقد أتينا من الكلام في هذا المعنى بما ينتفع به الناظر فيه، إذا وقف على معانيه، ناصحاً لنفسه، مشفقاً من خشية ربه، في كتابنا المسمى: «التذكير والتحذير» وفي بعض ما مضى من مجالس كتابنا هذا وفي غيرهما.

[تعال فاستقد]

ومما روي عن النبي ﷺ في معنى القصاص الذي ذكره عمر في خطبته

ما حدثناه إبراهيم بن حمّاد في المحرّم سنة سبع عشرة وثلاثمائة قال حدّثنا أبو موسى يعني محمد بن المثنّى قال حدّثنا وهب بن جرير قال حدّثنا أبي قال: سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبي حبيب عن بُكير بن عبد الله عن عبيدة بن مسافع عن أبي سعيد الخدري قال[1]: بينا رسول الله ﷺ يقسم شيئاً إذ أكَبَّ عليه رجلٌ فطعنه بعرجونٍ كان في يده، فصاح الرجل، فقال له رسول الله ﷺ: فاستقِدْ، فقال الرجل: قد عفوتُ يا رسولَ الله.

قال القاضي أبو الفرج: وما روي في هذا النحو كثير، وإلى الله تعالى من زمانِ السّوء المشتكى والمفرُّ والملجأ، وغوثه المأمول المرتجى، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

[اضرب ضرباً تقوى عليه]

حدّثنا محمد بن الحسن بن دريد الأزدي قال، حدّثنا أبو حاتم قال: ضرب رجل من ذوي السلطان رجلاً فأوجعه فقال له: أصلحك الله اضربني ضرباً تقوى عليه فإن القصاصَ أمامك.

[الأشتر وجيداء]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثنا عبد الله بن موسى القرشي ابن أبي الدنيا قال حدّثنا محمد بن صالح الحسنيّ قال حدّثني أبي عن نمير بن قحيف الهلالي قال[2]: كان في بني هلال فتىً يقال له بشر ويعرف بالأشتر، وكان سيداً حسنَ الوجه شديدَ القلب سخيَّ النفس، وكان معجباً بجارية من قومه تسمَّى جيداء، وكانت الجارية بارعةَ الجمال، فاشتهر أمره وأمرها، ووقع

---

(١) ورد الحديث في سنن النسائي ٨: ٣٢ وسنن أبي داود ٢: ٤٨٩ ومسند أحمد ٣: ٢٨.

(٢) نقلها السراج في مصارع العشاق (٢: ١٤٨) عن الجليس الصالح، وتكرر بعضها لديه: ١٥٦.

الشرُّ بينه وبين أهلهـا حتى قتلت بينهم القتلى وكثرت الجـراحات، ثم افتـرقوا واصطلحوا على ألاّ ينزل أحدٌ منهم بقـرب الآخر، قـال نمير بن قحيف: فلمـا طال على الأشتر البلاءُ والهجر جاءني في ذات يوم فقـال: يا نميـر، هل فيـك من خير؟ قلت: عندي كلُّ ما أحببت، قال: أسعدني على زيـارة جيداء، فقـد ذهب الشـوق إليها بـروحي وتنغَّصَتْ عليَّ حياتي، قلت: بـالحبِّ والكـرامـة، فانهض إذا شئت؛ فركبَ وركبتُ معه. فسرنا يومنا وليلتنا والغد، حتى إذا كان قـريبٌ[1] من مغرب الشمس نـظرنا إلى منـازلهم ودخلنـا شِعْبـاً خفيّـاً فـأنخنـا راحلتينا وجِلّيْن، فجلس عند الـراحلتين وقال: يـا نميـر اذهب بـأبي أنت وأُمي فادخل الحيَّ، واذكر لمن لقيك أنـك طالبُ ضـالَّةٍ، ولا تعرضن[2] بذكري بين شَفَةٍ ولسانٍ، فإن لقيت جاريتَها فلانةَ الرَّاعيـة فأَقْـرِهَا مني السـلام، وسلها عن الخبـر وأعلمهـا بمكـاني. فخـرجتُ لا أُعـذِّر في أمـري حتى لقيتُ الجـاريـة فأبلغتها الرسالةَ وأعلمتها بمكانه وسـألتها عن الخبـر، فقالت: هي والله مُشَـدَّدٌ عليها متحفَّظٌ منها، وعلى ذلـك فموعـدكما الليلةَ عنـد تلك الشجرات اللواتي عند أعقاب البيـوت، فانصـرفت إلى صاحبي فـأخبرتـه الخبر، ثم نهضنـا نقودُ راحلتينـا حتى جئنا[3] الموعد، فلم نلبثْ إلا قليـلاً إذا جيداء قـد جـاءتْ تمشي حتى دَنَتْ منّا، فوثب إليها الأشتر فصـافحها وسلَّم عليهـا وقمت موليـاً عنهما، فقـالا: إنا نقسمُ عليـك إلاّ ما رجعت، فـوالله ما بيننـا ريبة ولا قبيـح نخلو بـه دونك، فانصرفتُ راجعاً إليهما حتى جلستُ معهما، فتحدثا سـاعةً، ثم أرادت الانصراف فقال لها الأشتر: أمـا فيك حيلةٌ يـا جيداء، فنتحـدثَ ليلتنا ويشكـو بعضنا إلى بعضٍ؟ قالت: والله ما إلى ذلك سبيل إلا أن نعودَ إلى الشـرِّ الذي تعلم، قال لها الأشتر: لا بدَّ من ذلك ولو وقعتِ السمـاءُ على الأرض، قالت:

---

(١) م: قريباً.

(٢) م: تعرض.

(٣) س: دنا؛ مصارع: جاء.

هل في صديقك هذا من خيرٍ أو معه مساعدة لنا؟ قال: الخيـر كله، قالت: يـا فتى هل فيك من خيرٍ؟ قلت: سلي ما بدا لكِ فإني مُنْتَهٍ إلى رأيكِ[1] ولو كـان في ذلـك ذهـابُ روحي، فقـامت فنـزعت ثيـابهـا فجعلتهـا عليّ فلبستهـا، ثـم قالت: انزع ثيابك، فخلعتهـا فلبستها ثم قـالت: اذهب إلى بيتي فادخـل إلى خبائي فإن زوجي سيأتيك بعد ساعة أو ساعتين فيطلب منك القدح ليحلبَ فيه الإبل فلا تعطه إياه حتى يطيل طلبـه ثم ارمه بـه رمياً ولا تعـطه إيـاه مـن يدك فإنّي كذلك كنتُ أفعل به، فيذهب فيحلب، ثم يأتيك عنـد فراغـه من الحلب والقدحُ ملآن لبناً فيقول: هاكِ غبوقَكِ، فلا تأخذْ منه حتى يُطيلَ، نكداً عليـه، ثم خـذه أو دعه حتى يضعـه، ثم لستَ تـراه حتى يصبـح إن شـاء الله، قـال: فـذهبتُ ففعلتُ ما أمـرتني به حتى إذا جـاء بالقـدح الذي فيـه اللبن أمرني أن آخـذه فلم آخذه حتى طـال نكدي عليـه، ثم أهـويت لآخـذه وأهـوى ليضعـه واختلفتْ يـدي ويده، فـانكفأ القـدح واندفق مـا فيه، فقـال: إنَّ هـذا طمـاحٌ مفرطٌ، وضرب بيده إلى مُقَدَّم البيت فاستخرج منه سَوطـاً مفتولاً كمتنِ الثعبـان المطوّق ثم دخل عليّ فهتـك الستر عني وقبض بشعـري ثم اتبع ذلـك السوط متني، فضربني تمام ثلاثين، ثم جاءت أمـه وإخوتـه وأختٌ له فـانتزعـوني من يده، ولا والله ما أقلع حتى زايلني روحي وهممت أن أُوجـرَه السكينَ وإن كان فيه الموت، فلمـا خرجـوا عنّي وهو معهم شـددتُ ستـري وقعـدتُ كما كنت، فلم ألبث إلا قليلاً حتى إذا أُم جيداء قـد دخلت عليَّ تكلمني، فكلَّمتني وهي تحسبني ابنتها، فأتقيها بالسكات والبكاء، وتغـطيت بثوبي دونهـا، فقالت: يـا بنية اتقي الله ربَّكِ ولا تعرَّضي لمكروه زوجكِ، فذاك أولى بـك، فأمـا الأشتر فلا أشتر لك آخرَ الدهر. ثم خرجتْ من عندي وقالت: سأُرْسِـلُ إليكِ أختـكِ تُـؤْنِسُكِ وتبيت عنـدك الليلة، فلبثت غير مـا كثيرٍ، فـإذا الجـاريـةُ قـد جـاءت فجعلت تبكي وتدعو على من ضربني، وجعلتُ لا أكلمها، ثم اضطجعتْ إلى

---

(١) مصارع: مرادك.

جانبي، فلما استمكنتُ منها شددتُ بيدي على فمها وقلت: يا هذه تلك أُختك مع الأشتر، وقد قُطِعَ ظهري الليلةَ في سببها، وأنت أولى بالسَّترِ عليها، فاختاري لنفسك ولها، فوالله لئن تكلمتِ بكلمةٍ لأصيحنَّ بجهدي حتى تكون الفضيحةُ شاملةً. ثم رفعتُ يدي عنها فاهتزَّت الجاريةُ كما تهتز القَصَبةُ من الزرع، ثم بات معي منها أملحُ رفيقٍ رافقته وأعفّه وأحسنه حديثاً فلم تزل تتْحدث وتضحك مني ومما بليت به من الضَّرب حتى برق النور وإذا جيداء قد دخلتْ علينا من آخر البيت، فلما رأتنا ارتاعت وفزعت وقالت: ويلك من هذا عندك؟ قلت: أُختك، قالت: وما السبب؟ قلت: هي تخبرك، ولعمر الله إنها لعالمةٌ بما نزل بي، وأخذت ثيابي منها ومضيت إلى صاحبي، فركبنا ونحن خائفان. فلما اطمأننا حدثته بما أصابني وكشفتُ عن ظهري فإذا فيه ما غرس الله من ضربةٍ إلى جانبٍ أخرى، كل ضربة تخرج الدمَ وحدها، فلما رأى ذلك قال: لقد عَظُمَتْ صنيعتك ووجب شكرك إذ خاطرت بنفسك فبلّغني الله مكافأتك.

قال الكوكبيّ وحدثني أحمد بن جعفر المستملي قال حدّثنا أبو يونس محمد بن نعيم الوراق حدثني محمد بن صالح مثله سواء.

[هذا فزدي أَنَهْ]

حدَّثنا محمد بن القاسم الأنباري قال حدّثني أبي قال حدّثنا أحمد بن الحارث قال، قال أبو عبد الله ابن الأعرابي[1]: كان حاتم الطائي أسيراً في

---

(١) في قصة أسر عنزة لحاتم وفصده الناقة انظر الأغاني ١٧: ٢٩٩، وأمالي القالي ٣: ١٨٧ وفاضل المبرد: ٤١ ـ ٤٢ والتذكرة الحمدونية ٢ رقم: ٧٧٤ وقد نقل ابن عساكر القصة وتعليقات المعافى في تاريخه (تهذيب٣: ٤٢٨) وانظر جمهرة العسكري ٢: ١٩٣ في المثل: «لم يحرم من فصد له» وسرح العيون: ١١٥ والمثل: لو ذات سوار لطمتني (ويروى لو غير ذات سوار) في أمثال أبي عبيد: ٢٦٨ والعسكري ٢: ١٩٣ والميداني ٢: ١٧٤ والمستقصى ٢: ٢٩٧ وفصل المقال: ٣٨١ واللسان (سور).

عنزة فقالت له امرأة منهم يوماً: قُمْ فافصد لنا هذه الناقة، وكان الفصد عندهم أن يُقْطَعَ عرقٌ من عروق الناقة ثم يُجْمع الدم فيشوى، فقام حاتم إلى الناقة فنحرها فلطمته المرأة، فقال حاتم: لو غير ذات سوارٍ لطمتني. فذهب قوله مثلاً. وقالت له النسوة: إنما قلنا له افصدها، فقال: هكذا فصدي أنَهْ. قال أبو بكرٍ: يريد أنا وهي لغة طيء.

[اللغات في أنا]

قال أبو بكر وبغير هذا الإسناد: في « أنا » أربع لغاتٍ: أنا قائم بإسقاط الألف في الوصل، وأنا قائم بإثبات الألف في الوصل، وأنَه بإدخال هاء السكت، والرابعة أخبرنا بها أبو العبّاس عن بعض النحويين عن العرب أنْ قائمٌ بإسكان النون، يراد بها أنا قائم، قال الشاعر[1]:

أنا شيخُ العشيرةِ فاعرفوني ... حميداً قد تذَرَّيْتُ السناما

فنصب حميداً على المدح؛ وتذريت معناه ارتفعت إلى ذِرْوة الحسبِ، وذكر السنام مثلاً.

[تعليقات وتوضيحات]

قال القاضي أبو الفرج: قد كان أهل الجاهلية فيما ذكر يشوون الدمَ مخلوطاً بالوبر ويأكلونه ويسمونه العِلهز. ولما قال حاتم: لو غير ذات سوارٍ لطمتني فأرسلها مثلاً صارت كلمةً يقولها القائل عند عَدْوِ الدقيقِ الحسب على من هو فوقه، وحين يهتضمُ الرفيعَ ذا القدر مَنْ هو دونه. ويروى أن حاتماً قال في هذا الخبر: هكذا فزدي أنَهْ، وإشمام الصَّاد السَّاكنة الزَّاي إذا وَلِيَتْها الدَّالُ لغةٌ للعرب معروفةٌ جيدة قد قرأ بها في القرآن عددٌ من القَرَأة كقوله: يصدفون، ويصدر الناس، ويصدر الرعاء. والذي رواه لنا أبو بكْر ابن الأنباري

(١) ورد البيت في الجليس الصالح ١: ٢٠٥ وهو لحميد بن بحدل.

من اللغات في « أنا » كما روي، وقد قرأه بإثبات الألف في الوصل والوقف بعضُ قرأة المدينة في مواضع عدّة. وممن روي عنه هذا نافع بن عبدالرحمن.

[خالد بن صفوان يردّ على مفاخر اليمنية]

حدّثنا أحمد بن العبّاس العسكري قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعدٍ قال حدّثني أبو جعفرٍ محمد بن إبراهيم بن يعقوب بن داود قال حدّثنا الهيثم بن عديٍّ قال[1]: كان أبو العبّاس يعجبه السمر ومنازعة الرجال، فحضره ذاتَ ليلةٍ في سمره إبراهيم بن مخرمة الكندي وناسٌ من بني الحارث بن كعبٍ، وهم أَخواله، وخالد بن صفوان بن إبراهيم التميمي فخاضوا في الحديث وتذاكروا مضر واليمن، فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين إن اليمن هم العربُ الذين دانت لهم الدُّنيا، وكانت لهم القُرَى، ولم يزالوا ملوكاً أرباباً، ورثوا ذلك كابراً عن كابرٍ وأوّلاً عن آخر، منهم النعمانيات والمنذريّات والقابوسيات والتبابعة، ومنهم من حمت لحمه الدَّبْرُ، ومنهم غسيل الملائكة، ومنهم من اهتزّ لموته العرش، ومنهم مكلّم الذئب، ومنهم الذي كان يأخذ كلَّ سفينة غَصْباً[2]، وليس شيءٌ له خَطَرٌ إلا وإليهم ينسب: من فرس رائع، أو سيفٍ

---

(١) الموفقيات: ١٢١ - ١٢٧ وتهذيب ابن عساكر ٥: ٦١ ومختصر ابن منظور ٣: ١١٢ والمحاسن والمساوئ: ٩٤ وتأتي القصة موجزة في بعض المصادر الأدبية، انظر مثلاً عيون الأخبار ١: ٢١٧ والبيان والتبيين ١: ٣٣٩ والبصائر ٦ رقم: ٥٠٨ وديوان المعاني ١: ١٥٠ - ١٥١ والشريشي ٥: ١١٥ حيث تكتفي بقول خالد بن صفوان في الرد: « ما عسى أن أقول لقوم كانوا بين ناسج برد وقائد قرد ودابغ جلد، دل عليهم هدهد وغرقتهم فأرة وملكتهم امرأة ».

(٢) حمي الدبر: عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح حمت الدبر (وهي الزنابير والنحل) جثته أن يأخذها المشركون في يوم الرجيع؛ وغسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر أصيب يوم أحد والذي اهتز العرش لموته هو سعد بن معاذ: ومكلم الذئب رجل من خزاعة كان في عهد النبي. وأما الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً فقيل اسمه الجلندى وقيل هدد بدد وقيل غير ذلك (وسيأتي التعريف بحميّ الدبر وبغسيل الملائكة في الجزء الرابع من الجليس الصالح).

قـاطعٍ، أو درعٍ حصينـةٍ، أو حُلّةٍ مصونـةٍ، أو دُرَّةٍ مكنونـةٍ، إنْ سُئلوا أعْطَوْا، وإن سيمـوا أبـوا، وإن نـزل بهم ضيفٌ قَـرَوْا، لا يبلغهم مكـاثـر، ولا ينـالهم مفـاخر. هم العـربُ العاربـة وغيرهم المتعـرّبـة. قـال أبـو العبـاس: مـا أظن التميميَّ يرضى بقولك، ثم قال: ما تقول يا خالد؟ قال: إن أنت أذنت لي في الكـلام وأمَّنتني من المـوجـدة تكلمتُ، قـال: قـد أذنتُ لـك فتكلم ولا تهبْ أحداً، فقال: أخطأ يا أمير المؤمنين المتقحّم بغير علمٍ، ونطق بغير صـوابٍ، فكيف يكون ما قـال؟ القوم ليست لهم ألسنٌ فصيحـةٌ، ولا لغةٌ صحيحـةٌ، ولا حجة نزل بهـا كتاب، ولا جـاءت بها سُنَّـة، وهم منا على منـزلتين: إن جاروا عن قصـدنـا أُكلوا، وان جـازوا حكمنـا قتلوا، يفخـرون علينـا بـالنعمـانيـات والمنـذريات وغيـر ذلك ممـا سنأتي عليـه، ونفخر عليهم بخيـر الأنام، وأكـرم الكرام، محمد عليه السلام، ولله عز وجل علينـا المنّة بـه وعليهم، لقد كـانوا أتباعه فبه عزُّوا وله أُكرموا، فمنا النبيّ المصطفى، ومنا الخليفة المرتضى، ولنا البيتُ المعمـور والمسعى وزمزم والمقـام والمنبر والـرُّكن والحطيم والمشـاعـر والحجابة والبطحاء، مع ما لا يخفى من المآثر، ولا يدرك من المفاخر، وليس يعدل بنا عادل، ولا يبلغ فضلنا قـولُ قائـل. ومنا الصّـديق والفاروق والـوصيُّ وأسَـدُ الله سيّـدُ الشهـداءِ، وذو الجنـاحين وسيف الله، عـرفـوا الـدين وأتـاهم اليقين، فمن زاحمنا زحمناه، ومن عادانا اصطلمنـاه. ثم التفت فقـال: أعالمٌ أنت بلغة قومك؟ قال: نعم. قال: فما اسم العين؟ قـال: الجحمة قـال: فما اسم السنّ؟ قال: الميزم. قال: فما اسمُ الأُذن؟ قال: الصِّنَّارة، قال: فما اسم الأصابع؟ قال الشناتِرُ، قال: فمـا اسمُ اللحية؟ قـال: الزب، قـال: فما اسمُ الـذئب؟ قال: الكتـع، قال فقـال له: أفمؤمن أنت بكتـاب الله تعالى؟ قـال: نعم، قـال: فإن الله تعـالى يقول: ﴿إِنَّـا أَنْزَلْنَـاهُ قُرْآنـاً عَـرَبِيّـاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: ٢) وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعـراء: ١٩٥) وقال: ﴿وَمَـا أَرْسَلْنَـا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَـانِ قَـوْمِـهِ﴾ (إبـراهيم: ٤) فنحن العـرب والقـرآن

بلسانانا نزل؛ ألم تر أنّ الله عزّ وجلّ قال: ﴿وَالْعَيْنَ بِالعَيْنِ﴾ (المائدة: ٤٥) ولم يقل: الجحمة بالجحمة. وقال: ﴿وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ (المائدة: ٤٥) ولم يقل الميزم بالميزم وقال جلّ اسمه: ﴿والأُذُنَ بِالأُذُنِ﴾ (المائدة: ٤٥) ولم يقل الصنّارة بالصنّارة. وقال: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ في آذَانِهِمْ﴾ (البقرة: ١٩) ولم يقل شُناترهم في صنّاراتهم وقال تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ (طه: ٩٤) ولم يقل لا تأخذ بزبّي. وقال: ﴿فأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ (يوسف: ١٧) ولم يقل فأكله الكتع. ثم قال: أسألك عن أربعٍ إن أنت أقررت بهنّ قهرت وان جحدتهن كفرت. قال: وما هُنَّ؟ قال: الرسول منّا أو منكم؟ قال: منكم، قال: والقرآن نزل علينا أو عليكم؟ قال: عليكم، قال: فالبيت الحرام لنا أو لكم؟ قال: لكم، قال: فالخلافة فينا أو فيكم؟ قال: فيكم. قال خالد: فما كان بعد هذه الأربع فلكم.

المجلس التاسع والخمسون

[رائحة عتبة بن فرقد]

أخبرنا المعافى قال حدّثنا أبي قال حدّثنا أحمد يعني ابن يحيى الحلواني قال حدّثنا سعيد يعني ابن سليمان عن عبّاد عن حصين قال: أخبرتني أُمُّ عاصم امرأةُ عتبة بن فرقدٍ قالت[1]: كنّا عند عتبة نسوة[2] نتطيّبُ فيخرج وهو أطيبنا ريحاً، ما يزيد على أن يدَّهن، فقلنا: ما هذه الريح؟ قال: أخذني الشَّرَى على عهدِ رسولِ الله ﷺ فشكوتُ ذلك إليه فأمرني أن ألبس عليَّ ثوباً، قال: يعني يُغَطِّي فَرْجَه، ثم تَفَلَ في يده ثم مسح بها ظهري وبطني.

قال القاضي أبو الفرج: وهذا مما أبان الله تعالى لعباده من فضائل نبيّه عليه السلام وآياتِهِ وخصائصه وبركاتِهِ، ونحن نرجو إذ هدانا إلى الإيمان به أن نصلَ إلى شريف المنزلةِ بعد البعث ببركته صلوات الله عليه وسلامه.

---

(١) حديث أم عاصم امرأة عتبة بن فرقد السلمي أخرجه الطبراني في الكبير والصغير، وانظر الاصابة ٤: ٢١٦ والاستيعاب: ١٠٢٩.

(٢) في الاستيعاب: ثلاث نسوة، وفي الاصابة: أربع نسوة.

[بين معاوية وابن الزبير]

حدّثنا محمد بن الحسن بن دريدٍ قال حدّثني محمد بن الحسين عن سليمان بن أحمد قال(١): حدّثني عبد الله بن محمدٍ بن حبيبٍ أنّ معاوية لما حجَّ مرَّ بالمدينة فلقيه عبد الله بن الزبير فقال: آدني على الوليد بن عتبة فقد تزايد خَطَلُهُ، وذهب به جهله إلى غايةٍ تقصّر عنها الأَنوقُ، ودون قرارِها العيُّوق، فقال معاوية: والله ما يزال أحدكم يأتيني يغلي جوفُهُ غَلْيَ المرجل على ابنِ عمه، فقال ابن الزبير: أما والله ما ذاك عن فرارٍ منه ولا جبنٍ عنه، ولقد علمتْ قريشٌ أني لستُ بالفهِّ الكَهام ولا بالهِلْباجةِ النَّثِر، فقال له معاوية: إنك لتهدِّدني وقد عجزتَ عن غلامٍ من قريش لم يُبِرَّ في سباقٍ ولا ضَرَب في سياقٍ، وإن شئتَ خلَّينا بينَك وبينه، فقال ابن الزُّبير: ما مثلي يُهارَشُ به، ولكن عندك من قريشٍ والأنصار ومن ساكني الحَجون والآطام مَنْ إن سألت(٢) حملك على مَحَجَّةٍ أبينَ من ظهر الجفير، قال: ومن ذلك؟ قال: هذا، يعني أبا الجهم بن حذيفة، فقال معاوية: تكلَّمْ يا أبا الجهم. فقال: أعفني، قال: عزمتُ عليكَ لتقولنَّ، قال: نعم أُمُّك هند، وأُمُّه أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ، وأسماء خير من هند، وأبوك أبو سفيان وأبوه الزبير، ومعاذَ الله أن يكون أبو سفيان مثل الزبير، وأما الدنيا فلك وأما الآخرة فله، إن شاء الله.

[شرح النص السابق]

قال القاضي أبو الفرج: قول ابن الزبير لمعاوية: «آدني على الوليد» معناه أعدني، وزعم بعضهم أنَّ فلاناً يستأدي على فلانٍ أفصح من

---

(١) نقله ابن عساكر في تاريخ دمشق (جزء: عبد الله بن جابر - عبد الله بن يزيد): ٤٣٥ - ٤٣٨ ومعه تعليقات القاضي، وانظر تهذيب ابن عساكر ٧: ٤٠٦.

(٢) م: سألته.

يستعدي، وهما عندي سواء. وقد روي أنّ رجلاً قـال للنبيّ ﷺ: أعدني على رجل من أصحابـك، وقولـه: « يقصِّر عنهـا الأَنوق »، يعني الـرخم وهو يـرتادُ لبيضه شوامخ الجبال وحيث يبعد متناوَلُهُ ويخفى مكانُهُ، فلا يكادُ إنسانٌ يجـده أو يصلُ إليه، والعرب تضرب المثل في من طلب ما يعزُّ وجودُهُ ويتعـذَّرُ إدراكه ونيله فيقولون: إنـه يطلبُ بَيْضَ الأَنـوق. وقد روي لنـا أن رجلاً سـأَلَ معاويـة حـاجةً معتـاصةً مستثقَلَةً فـردَّه عنها، فسـأله حـاجة هي أيسـرُ منها إلّا أن فيهـا استصعاباً، فقال معاوية[١]:

طـلب الأَبـلقَ الـعَـقُـوقَ فـلمـا ... لـم يـنـلـه أراد بـيضَ الأَنــوقِ

والأَبلق: الفرس، والعقوق: ذاتُ الحمل، وذلك في الـذكر مستحيـل. وبيض الأَنوق ما فسّرنا؛ فلما طلب هذا الرجل أمراً مستبعداً لا سبيلَ إليه، ثم طلب ما يُنالُ على صعوبةٍ لمَّـا مُنِعَ مـا لا مَطْمَـعَ له فيـه، ضرب معـاويةُ هـذا البيتَ مثلاً له. وهذا من المثال القـريب والتشبيه المصيب. وأمـا العيُّوقُ فنجمٌ عالٍ معروف. وأمّا قوله: « لست بالفَهِّ »: فمعنى الفهاهـةِ في الكلام مـا يأتي على غيرِ استقامةٍ، ويقال: أتى فلان في قوله بفهّةٍ، أي بقولٍ ساقطٍ في لفـظه ومعنـاه. وأما الكهـام فالكليـل، يقال: سيفٌ كهـام إذا كان نـابياً كليـلاً. وأمّـا الهلباجة فالأحمق. وأمّا النثـر فذو الـرأي السخيف واللبِّ الضعيف. كما قـال الشاعر[٢]:

هِــذْرِيــانٌ هَــذِرٌ هَذَّاءَةٌ ... مــوشــكُ السقـطةِ ذو لبٍّ نَثِـرْ

---

(١) يتـردد في كتب الأمثال عنـد قولهم « الأبلق العقـوق » أو « أعز من الأبلق العقـوق » انظر أمثـال الضبي: ٥٢ وجمهـرة العسكري ١: ٢٣٩، ٢: ٦٤، واللسان (أنق، بلق، عقق) والحيـوان ٣: ٥٢٢ وأمالي القالي ١: ١٢٨ وقال الجاحظ: وأنا أظن أن معاوية لم يقل كما قالـوا، ولكنه قدم في اللفظ بيض الأنوق فقال: طلب بيض الأنوق فلما لم يجده طلب الأبلق العقوق.

(٢) البيت في اللسان والتاج (نثر) وقد مرَّ في الجليس الصالح ١: ١٦٧.

وأما قول معاوية: «لَمْ يُبرَّ في سباقٍ»: أي لم يسبق مجارياً فيفضله ويظهر غلبته إياه، يقال: أبرَّ فلان على فلانٍ إذا غلبه وزاد في الفضل عليه، يُبِرُّ إبراراً فهو مُبِرٌّ، كما قال ذو الرُّمّة يمدح بلالَ بن أبي بُردة[1]:

أَبَـرَّ على الخصوم فليس خَصْمٌ ولا خَصْمانِ يَغْلِبُهُ جِدالا
ولَبَّسَ بينَ أقوامٍ فكلٌّ أعدَّ له الشغازب والمحالا[2]

قال القاضي أبو الفرج: الشغازب: جمع شغزبةٍ وأصله أن يدخل الرجل رجلَهُ بين رجلي الرجل فيصرعه، يقال: صرعه شغزبيّةً. والمحال الكيد والمكر، من قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ المِحَالِ﴾ (الرعد: ١٣) وأما قوله: «ولا ضرب في سياق» فمعناه أنه لم يُرَضْ فيحتنك ولم يؤخذ بالتثقيف ولذع التأديب فتستحكم عزيمته وتستحصد مِرَّتُه. وأما قول ابن الزبير: «من ساكني الحجون والآطام»: فإن الحجون موضعٌ بمكةَ معروفٌ وإياه عنى الشاعر بقوله[3]:

كأنْ لم يكنْ بين الحجون إلى الصفا أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكةَ سامرُ

وقال آخر[4]:

هيجتني إلى الحجون شجونُ ليته قد بدا لعيني الحجونُ

وأمَّا الآطامُ فإنها جَمْعُ أُطُم، والعربُ تسمي ما كان من البيوت مُرَبَّعاً

---

(١) ديوان ذي الرمة ٣: ١٥٤٥، ١٥٤٤ وأمالي القالي ٢: ٢٦٨.
(٢) الشغازب: الكيد والخصومة؛ المحال: الجدال.
(٣) من قصيدة لمضاض بن عمرو الجرهمي لما أجلتهم خزاعة عن مكة (ياقوت ـ الحجون).
(٤) من أبيات وردت في مصارع العشاق ٢: ٢٠٦ (دون نسبة).

كعبة، وما كان مدوَّراً أُطماً. وأمَّا الجفير فإنه الكنانةُ، وجمعه جُفَر، قال الشمّاخ(١):

وخفَّتْ نواها من جنوبِ عُنَيزةٍ كما خَفَّ من نبل المُرامي جفيرها

وحكى أبو عبيدة عن أبي عمرو: الكنانة جَعْبةُ السهام، والكنانة هي الوفضة وجمعها وِفاضٌ؛ الكسائي مثله؛ الأحمر: الجفير والجشير جميعاً الوفضة أيضاً.

[ابن أبي دواد يخرج عيناً على المعتصم]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثني يعقوب بن بنان الكاتب قال حدّثني أبو العباس ابن الفرات قال: كنا ليلةً في دار أبي الصقر إسماعيل بن بلبل فوافى يعقوب بن إسحاق الصائغ برسالةٍ من أبي القاسم عبيد الله بن سليمان في حاجةٍ له، فجلس معنا إلى أن يؤذن له على أبي الصَّقر، فجرى ذكر أحمد بن أبي دوادٍ فكلٌّ حدَّثَ عنه وعن أيامه بشيء. فحدّثنا يعقوب بن الصائغ قال(٢): لما وجَّه المأمون بأبي إسحاق المعتصم إلى مصر وعقد له من باب الأنبار إلى أقصى المغرب قال ليحيى بن أكثم: ينبغي أن ترتادَ لي رجلاً حصيفاً لبيباً له علمٌ وأمانة وثقة أنفذه مع أبي إسحاق، وأُولّيه المظالم في أعماله، وأتقدم إليه سراً بمكاتبتي سراً بأخباره وما تجري عليه أموره، وبما يُظهر ويبطن، وما يرى من أمر قواده وخاصته، وكيف تدبيره في الأموال وغيرها، فإني لستُ أثِقُ بأحدٍ ممن يتولى البريد، وما أحب(٣) أن أُجشّمَهُ بتقليد صاحب البريد عليه فيكون معتمدي عليه وتكون كتبه سريَّةً إليك

(١) ديوان الشماخ: ١٦١.
(٢) انظر مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٣: ٦٨.
(٣) س: أريد.

لتقرئني إياها إذا وردت، فقال: يا أمير المؤمنين عندي رجلٌ من أصحابي أثِقُ بعقله ودينه ورأيه وأمانته وصدقه ونزاهته. فقال: جئني به في يوم كذا وكذا، فصار يحيى بن أكثم بأحمد بن أبي دوادٍ إلى المأمون في اليوم الذي حدَّه له. فكلَّمه المأمون فوجده فَهِماً راجحاً، فقال له: إني أريدُ إنفاذك مع أخي أبي إسحاق، وأريد أن تكتبَ بأخباره[1] سراً، وتتفقَّدَ أحواله ومجاري أموره وتدبيراته وخَبَر خاصّته وخلواته، وتنفذ كتبك بذلك إلى يحيى بن أكثم مع ثقاتك ومن تأمنه على دمك، فإنّي أشهر أمرك بتقليد[2] المظالم في عسكره، وأتقدم إليه بمشورتك والأُنس بك. فقال له أحمد: أبلغُ لكَ يا أمير المؤمنين في ذلك فوقَ ما قدّرته عندي وبي، وأنتهي إلى ما يُرْضي أميرَ المؤمنين ويُزْلِفُ عنده. فجمع المأمون بين أحمد بن أبي دوادٍ وبين المعتصم وقال له: إنك تشخصُ في هذا العسكر وفيه أوباشُ الناس وجندٌ وعجمٌ وأخلاطٌ من الرعيةِ، ولا بدَّ لعسكرك من صاحب مظالم يكونُ فيه لينظرَ في أُمورِ الناس، وقد اخترتُ لك هذا الرجلَ فضُمَّه إليكَ وأحْسِنْ صحبته وعشرته؛ فأخذه المعتصم معه، فلما بلغوا الأنبار وافت كتبُ أصحاب البريد بموافاةِ المعتصم الأنبار، فقال المأمون ليحيى: تُرَى ما كان من بغدادَ إلى الأنبار خبرٌ يكتبُ به صاحبك إليك؟! قال فقال يحيى: لعله يا أمير المؤمنين لم يحدث خبر تحسن[3] المكاتبة به؛ وكتب يحيى إلى أحمد يعنفه ويستبطئه ويخبره أن أمير المؤمنين قد أنكر تأخُّرَ كتابه. فلما ورد الكتاب على أحمد ووقف على ما فيه احتفظ به ولم يُجِبْ عنه؛ وشخص المعتصمُ حتى وافى الرحبةَ ولم يكتب أحمد بحرفٍ واحدٍ من أخبار المعتصم التي تُقَدِّمَ إليه فيها. وكتب أصحاب البريد بموافاة المعتصم الرحبةَ وأخبارِ عسكره، فدعا المأمون يحيى بن أكثم فقال: يا أسخن

---

(١) م: أخباره.

(٢) م: بتقليدك.

(٣) م: تجب.

الله عينك، عجبتُ أن تختار إلاّ مَنْ هذه سبيله، تختارُ لي ويحك رجلاً تصفه بكلِّ الصفات فأتقدمُ إليه بما كنتَ حاضرَهُ، فلا يكتبُ من بغداد إلى أن يوافي الرحبةَ إليك كتاباً في معنى ما اعْتُمِدَ عليه فيه؟! قال: فكتب يحيى إلى أحمد كتاباً أغلظ له المخاطبةَ وأسمعه فيه المكروه ويقول له: إنما أشخصناك لما تقدمنا به إليك، وإنا إنّما أظهرنا تقليدك المظالم ليتيسر ما أُمِرْتَ به، فما هذه الغفلة وما هذا الجهل بما يراد منك؟! فورد الكتابُ على أحمد فقرأه واحتفظ به، وسار المعتصم من الرحبة حتى وافى الرقّة، فدعا المأمون بيحيى فقال له: يا سخينَ العين، هذا مقدارُ رأيك وعقلك؟! اللهم إلا أن تكون غررتني معتمداً، وأوطأتني العَشْوةَ قصداً أولاً فتجيئني برجل تعلم موقعه عندك وتطلعني على الوقوف عليه فتصفه وتقرظه حتى أودعته سراً من أسراري وأمراً أُقَدِّمُهُ على كُلِّ أموري، فمضى من مدينة السلام إلى ديار مصر فلم يكتب بحرفٍ مما أُمر بالكتاب به؟! فقال: يا أمير المؤمنين من يعمل بغير ما يؤدي إلى محبتك ويقود إلى إرادتك فأذاقه الله بأسك، وألبسه نكالَكَ، وصبَّ عليه عذابك.

وكتب إلى أحمد كتاباً يشتمل على كل إيعادٍ وإرهابٍ وتخويفٍ وتحذيرٍ، وخاطبه بأوحشِ مخاطبةٍ وأنكلها، فورد الكتاب على أحمد فقرأه واحتفظ به. وأمر المأمون عمرو بن مسعدة أن يكتبَ إلى أبي إسحاق المعتصم كتاباً يأمره فيه بالبَعْثَةِ بأحمد بن أبي دواد مشدودةً يده إلى عنقه، مُثْقَلاً بالحديد، محمولاً على غير وطاء. فورد الكتاب على المعتصم، ودخل أحمد بن أبي دواد إليه وهو بالرَّقّة ما جاوزها، فرأى المعتصمَ كئيباً مغموماً، فقال: أيها الأمير أراك متغيراً وأرى لونك حائلاً، فقال: نعم لكتابٍ ورد عليَّ من أجلك، ونبذ إليه بالكتاب فقرأه أحمد، فقال له المعتصم: تعرف لك ذنباً يوجبُ ما كتب به أمير المؤمنين؟ قال: ما اجترمتُ ذنباً، إلا أنّ أمير المؤمنين لا يستحلُّ هذا مني إلا بحجةٍ، فما الذي عند الأمير فيما كتب به إليه؟ فقال: أمرُ أمير المؤمنين لا

يخالَفُ لكني أُعفيك من الغلّ والحديد، وأحملك إليه على حال لا توهنك ولا تؤلمك وأوجّه بك مع غلامٍ من غلماني أتقدم إليه في ترفيهك وأن لا يَعْسِفَكَ، فقال: جزاك الله أيها الأمير أفضلَ ما جازى مُنْعماً، فإن رأى الأمير أن يأذنَ لي في المصير إلى منزلي ومعي من يراعيني إلى أن يردَّني إلى مجلس الأمير فيأمر بأمره فعل، فقال له: امض؛ ووجَّه معه خادماً من خدمه، فصار أحمد إلى منزله واستخرج الكتبَ الثلاثة التي كاتبه بها يحيى بن أكثم وهم بالأنبار، والكتابَ الذي ورد وهم بالرحبة، والكتابَ الذي ورد وهم بالرّقة، ورجع إلى المعتصم فأقرأه الكتابَ الأول ثم الثاني ثم الثالث وقال له: إنما بُعِثْتُ لأكتبَ بأخبارك وأتفقّد أحوالك وأُكاتبَ يحيى بذلك ليقرأه على أمير المؤمنين فخالفتُ ذلك لما رجوتُهُ من الحظوة عندك ولما أُمِّلتُهُ في غدك. فاستشاط المعتصم غضباً وكاد يخرج من ثيابه غيظاً وتكلم في يحيى بكلِّ مكروه وتوعده بكلِّ بلاءٍ وقال: ويلي على البقار البليد[1] السراويل، وقال لأحمد: يا هذا لقد رعيتَ لنا رعاية لم يتقدَّمْها إحساننا إليك، وحفظتَ علينا ما نرجو أن نتسع لمكافأتك عليه، ومعاذ الله أن أُسلمك أو أفرج عنك أو تنالك يدٌ ولي قدرةٌ على منعها منك، أو أوثر خاصةً وحميماً عليك ما امتدَّ بي عمر أو تراخى بي أجل، فكن معي فأمرُكَ نافذ في كل ما ينفذ فيه أمري؛ ولم يجب المأمون على كتابه، فلم يزل معه إلى أن وليَ الخلافةَ وإلى أن وليَ الواثقُ وإلى أيام المتوكل، فأوقع به.

قال القاضي أبو الفرج: قول المأمون ليحيى: «أوطأتني العَشوةَ» يقال فيها: العُشوة والعِشوة. وقال بعض علماء اللغة: الضمُّ فيها أفصح اللغات.

[لا ينقص الكامل نفع عياله]

حدّثنا محمد بن القاسم الأنباري قال حدّثنا محمد بن المرزبان قال

---

(١) س: التليد.

حدّثنا عبد الله بن محمد قال: رأى رجلٌ محمد بن كناسة يحمل بيده بطنَ شاة[1] فقال له: أنا أحمله لك فقال:

لا يَنْقُصُ الكاملَ مِنْ كمالِهْ ... ما جرَّ من نفعٍ إلى عيالِهْ

[شعر لعريب]

حدّثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدّثنا أبو العيناء قال حدّثنا أحمد بن جعفر بن حامد قال[2]: لما توفي عمي محمد بن حامد وهو الذي كانت عريب تحبُّهُ صار أبي[3] إلى منزله لينظر إلى تركته فأُخرج إليه سفط مختومٌ، فإذا فيه رقاعُ عَريب، فجعل يتصفحها ويضحك، فأخذت منها رقعة فإذا فيها شعرٌ لها:

ويلي عليكَ ومنكا ... أوقعتَ في القلب شكا
زعمتَ أني خؤونٌ ... جَوْراً عليَّ وإفكا
ولم يكنْ ذاك مني ... إلا مجوناً وفتكا
إن كان ما قلتَ حقاً ... أو كنتُ حاولتُ تركا
فأبدل الله قلبي ... بفتكةِ الحبِّ نُسْكَا

[الرشيد ولحم الجزور]

حدّثنا محمد بن الحسن بن زيادٍ المقري قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدّثنا أبو العالية الشامي عن إبراهيم بن المهدي أنه كان يتغدّى مع الرشيد في يومٍ شاتٍ، وأن الرشيد سأل صاحبَ المطبخ: هل عنده بُرْمَةٌ من

---

(١) م: شيئاً، وفوقها بطن شاة.

(٢) القصة والشعر في الأغاني ٢١: ٧٧ ـ ٧٨ وانظر الحدائق الغناء: ١٠٢.

(٣) الأغاني: جدي.

لحم الجزور؟ فأعلمه أن عنده عدةَ ألوانٍ منه، فأمر بإحضارِ ما عنده منه، فَقُدِّمَتْ إليه صحفةٌ ومدَّ يده إلى لقمة منها فأدخلها في فيه، فلما حرَّك لحييه عليها مرتين ضحك جعفر بن يحيى، فسأله الرشيد عن سبب ضحكه، وأمسكَ عن المضغ، فقال: ذكرتُ كلاماً دار بيني وبين جاريتي البارحةَ فضحكت منه، فقال له الرشيد: هذا محال، فأخبرني عن السبب بحقّي عليك، فقال له جعفر: إذا ابتلع أمير المؤمنين لقمته حدثته السبب، فأخرج لقمتَهُ من فيه وألقاها تحت المائدة، فلما فعل ذلك قال له جعفر: بكم يتوهَّمُ أميرُ المؤمنين أن هذا اللونَ يقومُ عليه؟ فقال له الرشيد: أتوهَّمُهُ يقومُ عليَّ بأربعة آلاف درهم[1]، فقال له جعفر: والله إنّ هذا اللونَ ليقوم عليك بأربع مائة ألف درهمٍ، فقال: وكيف ويحك؟ فقال جعفر: سأل أميرُ المؤمنين صاحبَ المطبخ منذ أكثر من أربع سنين عن بُرْمَةٍ من لحم الجزور فأخبره أنه لم يتخذها، فأنكر ذلك عليَّ أمير المؤمنين وقال: لا يَفُتْ مطبخي لونٌ يُتَّخَذُ من لحم الجزور في كلِّ يوم، فأنا منذ ذلك اليوم أنحر[2] جزوراً في كلِّ يومٍ لأنَّ الخلفاء لا يُبتاعُ لهم لحم الجزور من السوق، ولم يَدْعُ أمير المؤمنين بشيءٍ من لحمها إلى يومه هذا. قال إبراهيم: وكان الرشيد في أول طعامه ولم يكن أكلَ إلا مُلَهْوَجَةً واحدةً، وكان أشدَّ خلقِ الله تقززاً، فصعق حين قال له جعفر ما قال، وضرب بيده اليمنى وفيها الغمر وجهه ومدَّ بها لحيته ثم قال: هلكتَ ويلك يا هارون، واندفع يبكي، وأمر برفع المائدةِ وطفق يبكي حتى أذَّنه المؤذنون بصلاة الظهر، فتهيَّأ للصلاة ثم أمر أن يحمل إلى الحرمين ألفا ألف درهمٍ [يفرق في كل حرم ألف ألف درهم][3] وأن يُفرَّقَ في كلِّ جانبٍ من جانبي بغداد خمسمائة ألف درهمٍ وأنْ يُفَرَّقَ في كُلِّ مدينةٍ من الكوفةِ والبصرة خمسمائة ألف درهمٍ،

---

(١) م: بأربعة دراهم.

(٢) م: اتخذ.

(٣) ما بين معقفين زيادة من م.

وقال: لعلَّ الله تعالى أن يغفر لي هذا الذنب. وقام يصلّي الظهر، ثم عاد في مكانه فلم يزل باكياً حتى أذَّنه المؤذنون بصلاةِ العصر وقام فصلَّى، وعاد لمكانه إلى أن قرب ما بين صلاة العصر والمغرب، فأخبره القاسم بن الربيع مولاه أنّ أبا يوسف القاضي بالباب فأمره بإدخاله، فدخل وسلَّم فلم يردَّ عليه وأقبل يقول: يا يعقوب هلك هارون، فسأله يعقوب عن القصة فقال: يخبرك جعفر بها، وعاد لبكائه. وحضر جعفر فسأله أبو يوسف عن القصة والسبب المخرج للرشيد إلى ما خرج إليه، فحدّثه جعفر عن الجزور التي كانت تنحر في كلٍّ يوم طولَ تلك المدة ومبلغ ما أنفق في أثمانها من الأموال، فقال له أبو يوسف: أخبرني عن هذه الإبل التي كانت تبتاع بهذه الدَّراهم هل كانت تُتْرَكُ إذا نُحِرَتْ حتى تَفْسُدَ، ولا تُؤكل لحومها حتى تنتن فيرمى بها؟ قال جعفر: اللهمّ لا، قال أبو يوسف: فكان يُصْنَعُ بها ماذا؟ قال: يأكلها الحَشَمُ والموالي وعيالُ أمير المؤمنين، فقال أبو يوسف: الله أكبر الله أكبر، أبشر يا أمير المؤمنين بالثواب الجزيل من الله عز وجل على نفقتك، وأبشر بثواب الله تعالى على ما فتح لك من الصَّدقةِ في يومك هذا، ومن البكاء للتقيَّة من ربك، فإني لأرجو يا أمير المؤمنين أن لا يرضَى الله تعالى من ثوابه على ما قد داخلك من الخوف من سخطه عليك إلا الجنّة، فإنّه يقول تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن: ٤٦) وأنا أشهد بالله تعالى أنك خِفْتَ مَقامَ ربك، فَسُرِّيَ عن الرشيد وطابت نفسه ووصل أبا يوسف بأربعمائة ألف درهمٍ، ثمّ صلَّى المغرب ودعا بطعامه فأكل، فكان غداؤه في اليوم عشاءَه.

المجلس الستون

[بايعنا الرسول على السمع والطاعة . . .]

حدّثنا عبد الله بن محمد بن ثابت البزّاز، قال حدّثنا محمد بن عمرو بن أبي مذعورٍ قال حدّثنا عبد الله بن إدريس، قال سمعت يحيى بن سعيد الأنصاري ومحمد بن إسحاق وعبيد الله بن عمر ومحمد بن عجلان عن عبادة بن الوليد عن أبيه عن جدّه عبادة بن الصامت قال[1]: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمَنْشَطِ والمَكْرَه، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازعَ الأمر أهله، وأن نقولَ بالحقِّ حيث ما كنّا لا نخافُ في الله لومةَ لائم.

قال القاضي أبو الفرج: هذا الذي ذكره عبادة أنهم بايعوا عليه رسول الله ﷺ هو دينُ الله الذي أمره بالدعاء إليه والمبايعة عليه، فأداه عن ربه وقام

---

(١) حديث عبادة هذا يرد في عدد من الصحاح انظر مثلاً ابن ماجه ٢ : ٩٥٧ والنسائي ٧ : ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠ وقد أخرجه مالك في الموطأ: ٢٩٥ وأحمد في مسنده ٥ : ٣١٤، ٣١٨، ٣١٩، وله صور مختلفة.

لله تعالى فيه بحقّه، نسأل الله تعالى أن يوفقنا ويعيننا عليه، ويعصمنا من الزيغ عنه والتفريط فيه، ونرجو اجابته دعاءَنا إنه قريبٌ مجيب.

[بين العباس بن مرداس وخفاف]

حدّثنا محمد بن الحسن بن دريدٍ قال حدّثنا أبو حاتمٍ قال قال أبو عبيدة[1]: ذكرتْ بنو سليم أنَّ العباس يعني ابن مرداس ندم على ما كان منه في خُفافٍ، قال فقال في مجمعٍ من قومه: جَزَى الله خفافاً والرَّحِمَ عني شرّاً، كنت أخَفَّ بني سُلَيم من دمائهم ظهراً، وأخمصهم من أذاها بطناً، فأصبحتُ ثقيلَ الظهر من دمائها، منفضجَ البطنِ من أذاها وأصبحت العربُ تعيّرني بما كان منّي، وايم الله لوددتُ أني كنت أصمَّ عن هجائه، أخرسَ عن جوابه ولم أبلغ من قومي ما بلغت، ثم قال:

ألم تر أني كرهتُ الحروبَ ... وأني ندمتُ على ما مضى
ندامةَ زارٍ على نفسه ... وتلك التي عارها يُتَّقَى
وأيقنتُ أني بما جئتُهُ ... من الأمر لابسُ ثوبي خزا
حياءً ومثلي حقيقٌ به ... ولم يلبسِ الناسُ مثلَ الحيا
وكانت سُليمٌ إذا قَدَّمَتْ ... فتىً للحوادث كنتُ الفتى
وكنت أُفيءُ عليها النهابَ ... وأُبلي عليها وأَحمي الحمى
ولم أوقدِ الحربَ حتى رمى ... خفافٌ بأسهمه من رمى
فألهبتُ حرباً بأصبارها ... ولم أكُ فيها ضعيفَ القوى

قال القاضي: الاصبار: النواحي.

---

(١) نقله ابن عساكر مع تعليقات المعافى انظر التهذيب ٧: ٢٦٩ ـ ٢٧١ والتاريخ (عبادة ـ عبد الله) ٢٥٦ ـ ٢٥٩ والقصة وبعض الشعر في الأغاني ١٨: ٢٨ ـ ٢٩ وذلك أتم في الشعر والشعراء: ٦٣٣ ـ ٦٣٤ وانظر ديوان العباس: ٢٩ وشعر خفاف: ٦٨.

فـإن تـعـطِف الـيـوم أحـلامـهـا ... ويـرجـعُ مـن ودِّهـا مـا نـأى
فـلستُ فـقـيـراً إلـى حـربـهـا ... ولابـيَ عـن سـلمهـا مـن غنـى

فلما بلغت خفافاً قال: عرف والله العبّاس خطأ ما ركب، الآن لما فَدَحَتْهُ الحرب واحتمل ثقلَ الدماء أنشأ يُظْهِرُ الندامةَ ، لا والله ما اختلفت الدرة والجِرّة حتى يبوءَ بعذرٍ أو يلبسَ ثوبَ ذلٍّ ، وقال:

أعبَّـاسُ إمّـا كـرهـتَ الحـروبَ ... فقـد ذُقْتَ مـن حَـرِّهـا مـا كفى
وألـقَـحْـتَ حـربـاً لـهـا درةٌ ... زبـونـاً تُـسَـعِّـرهـا بـالـلظى
ولـمـا تـرقَّـيْـتَ فـي غَـيِّـهـا ... دَحِـضْـتَ وزلَّ بـك الـمـرتـقى
وأصـبـحـت تـبـكـي عـلى زَلَّـةٍ ... ومـاذا يـردُّ عـليك الـبـكـا
فـإن كـنتَ أخـطأتَ فـي حـربنـا ... فـلسنـا مـقـيـليك ذاك الـخـطا
وإن كـنتَ تـطمـعُ فـي صلحنـا ... فـحـاول ثـبـيـراً ورُكْـنَـيْ حِـرا

[شرح النص]

قال القاضي أبو الفرج: قول العباس بن مرداس: « وأخمصهم من أذاها بطناً »: من المخمصة، وهي المجاعة، وخُمْصُ البطنِ اضطمارُهُ، يقال: بطنٌ خميص، قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾ (المائدة: ٣) ومن الخِمْصِ قولُ أعشى بني قيس بن ثعلبة[١]:

تبيتـون في المشتـى ملاءً بطونكم ... وجاراتـكـم غبـر يبتـن خمائصا

ويروى غرثى أي جياعاً. ويقال: امرأة خمصانة إذا دقَّ خصرها. وقال الشاعر[٢]:

---

(١) ديوان الأعشى: ١٠٩.

(٢) هو الحارث بن خالد المخزومي كما في الأغاني ٩: ٢١٧ وانظر شعر الحارث: ٩٠ (وفيه تخريج).

خُمْصَانَةٌ قَلِقٌ مُوَشَّحُها رُؤْدُ الشبابِ غلابها عَظْمُ

وقوله: « منفضج البطن » أراد خلوَّه من أذاها. وقوله: « أُفيءُ عليها النِّهابَ » أي أردُّه ويتّجه في مَدْحِه نَفْسَهُ بِرَدِّه النهابَ على قومه وَجْهان: أحدهما أن يستعيد ما انتهب من أموالهم فيردّه عليهم، والآخر أنَّه يعفُّ عن غنائمهم ولا يستأثر بها فيحويها لنفسه دونهم، كما قال عنترة[1]:

يخبرْكِ مَنْ شهدَ الوقيعةَ أنني أغشى الوغَى وأعفُّ عند المغنم

ويقال: فاءَ الشيءُ إذا رجع. وأفاء الرجلُ الشيءَ على غيره أي ردَّه عليه، قال الله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى﴾ (الحشر: ٧) أي ما ردَّه؛ ومن الفيء قولُ امرئ القيس[2]:

تيمَّمتِ العينَ التي عند ضارجٍ يَفيءُ عليها الظلُّ عَرْمَضُهَا طامي

والفيئةُ الرجعة. وقوله: « ويرجع من ودّها ما نأى »، قد عطفه على قوله: فإن تعطفِ اليوم، ووجهُ الإعرابِ فيه الجزم، إذ هو معطوفٌ على المجزوم على ما يجب في باب الجزاء إلا أنه لمّا لم يجدْ بُدّاً من الحركة لتمام وزن البيت نوى النون الخفيفة كما قال الشاعر[3]:

اضربَ عنك الهمومَ طارقَها ضَرْبَكَ بالسيف[4] قَوْنَسَ الفرسِ

---

(١) من معلقته: انظر الديوان: ٢٠٩.

(٢) الشعر والشعراء: ٥٥ ومعجم البكري: ٨٥٣ وتهذيب ابن عساكر ٣: ١١٠ (مع تعليقات المعافى) وتاريخ بغداد ٢: ٣٧٤ وبغية الطلب ٣: ٢٩٨، ٢٩٩ والتنبيه والايضاح ١: ١١٢ وديوانه: ٤٧٥؛ وقد مرَّ البيت في الجليس الصالح ١: ٣٥٠.

(٣) يقال إنه بيت مصنوع لطرفة؛ انظر نوادر أبي زيد: ١٦٥ وسر الصناعة ١: ٩٣، واللسان (قنس، هول)

(٤) م: بالسوط.

وقـد يحمـل على إرادة أنْ وبمعنى الجمـع ﴿وَلَمَّـا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّـذِينَ جَـاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّـابِرِينَ﴾ (آل عمـران: ١٤٢) على مـا بينـاه في مـا مضى من المجالس. وأما قول خفاف: « الآن لما فدحته الحرب » معناه أثقلته، كما قال الشاعر:

إذا لم تَـزلْ يـومـاً تُـؤَدِّي أمـانـةً وتحمـلَ أخـرى أَفْـدَحَتْـكَ المغـارمُ

وجاء في الأَثر: لا يُتْركُ في الإسلام مُفْـدَح[1]، فقيل: معنـاه الذي قـد فدحه الـدين وأثقله. وقال بعضهم في الـرواية لا يتـرك مُفْدَجٌ ـ بـالجيم ـ وقيل في تفسيره قولان: أحدهما أنّه لا أحد يؤدّي عنه من أهله، والآخر أنه الجاني الـذي لا عشيرةَ لـه ولا عاقلةَ تعقله وتؤدي عنـه عَقْلَ جنـايته وأَرْشَ جـريرتـه. والدرَّة ما يُحْتَلَبُ، والجِرَّة ما يُجْتَرّ. وقوله: « ألقحتَ حربـاً لها درّةٌ » أنهـا تدرّ وتتصل ويتبع بعضُ مكـروهها بعضـاً. وقولـه: « زبونـاً » أي تدفـع ببأسهـا من أصـابته، يقـال: حربٌ زَبـون، والزبن: الـدفع، ويقـال زبنه أي دفعـه، ومنـه الزبانية، سُمُّوا بذلك لأنهم يزبنون أي يدفعون أهلَ النار فيها. قال الله تعالى: ﴿يَـوْمَ يُدَعُّـونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّـا﴾ (الطور: ١٣) أي يـدفعـون فيهـا دفعـاً. ويقال: ناقةٌ زَبُونٌ أي تدفع الجِمالَ، قال الشاعر[2]:

ومستعجـب مِمّـا يَـرَى من أنـاتنـا ولـو زَبَنَتْـهُ الحـربُ لـم يَتَـرَمْـرَمِ

ونهي النبيِّ ﷺ عن المـزابنـة من هـذا، وهـو بيـع الـرُّطب في رؤوس النخل بالتمر كيلاً، وكـذلك بيـع العنب بالـزبيب، هو من دفـع كل واحـدٍ من المتزابنين ما يبيعه إلى صاحبه.

---

(١) م: مفدح في الإسلام.
(٢) هو أوس بن حجر، انظر ديوانه: ٢٧ وجمهرة العسكري ٢: ١٥٩.

[كيف بدأت نقمة المأمون على يحيى بن أكثم]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثنا أبو يوسف يعقوب بن بنان الكاتب قال حدّثنا علي بن يحيى المنجم أن المأمون كان احتظى يحيى بن أكثم ورفع منزلته وخُصَّ به خاصةً باطنةً، فدخل عليه يوماً وهو يتغدّى وعبد الوهاب بن علي إلى جانب المأمون، فسلَّم فردَّ عليه السلام ثم قال: هلمَّ يا أبا محمد؛ يا غلام وَضِّئْهُ، قال: فخرج يحيى والطويلة على رأسه يتوضأ، فقال المأمون: أوْسِعْ لأبي محمدٍ، فأوسع له عبد الوهاب بينه وبين المأمون فغسل يده ودخل فوضع طويلته من غير إذنه، فقال المأمون لعبد الوهاب: عُدْ إلى مكانك، وأَقْعَدَ يحيى بين يديه، وكان ذلك بدءَ ما نقمه عليه.

[لماذا كان عمر بن عبد العزيز كذلك]

حدّثنا محمد بن القاسم الأنباري قال حدّثنا أبو العبّاس، قال حدّثنا عمر ابن شبّة قال حدّثنا ابن عائشة، قال سمعتُ أبي يقول: قيل ليحيى بن الحكم بن أبي العاص: ما بالُ عمرَ بن عبد العزيز ومولدُهُ مولده ومنشأه منشأه جاء على ما قد رأيت؟ فقال: إن أباه أرسله إلى الحجاز سوقةً فكان يُغْضِبُ الناسَ ويغضبونه، ويمخضهم ويمخضونه، ولقد كان الحجاج بن يوسف لا يُعْرَفُ عربيٌّ أحسن منه أدباً فطالت ولايته، فكان لا يَسْمَعُ إلا ما يُحِبّ، فمات وإنّه لأحمقُ وسيِّىءُ الأدب.

[حول أبي العتاهية وهو ينشد]

حدّثنا محمد بن يحيى الصوليّ قال حدّثنا الغلابي قال حدّثنا عبد الله بن الضحّاك قال: رأيتَ الناس في النَّفْرِ وقد اجتمعوا على رجلٍ وهو ينشد، فدنوت فقلت: من هذا؟ فقيل: أبو العتاهية، وكان ينشد[1]:

(١) الشعر في ديوان أبي العتاهية: ٥٩٤ (نقلاً عن بغية الطلب).

أجـاب الله داعـيـكِ وعـادى من يـعـاديـكِ
كـأن الـشـمسَ والـبـدر جـمـيـعـاً في تـراقـيـكِ
وفي فيـك جـنى النحـل وما أحـلاه مـن فـيكِ
وقـد شـاع بـأنَّ الـخـ ـزَّ يـؤذيـكِ ويـدميـكِ
ومـا يُـدْريـك مـن ذلـ ـك أسـمـاء جـواريك
ولا فـاخـتـة الـنـخـل من الـطاووسِ والـديـكِ
تـعـالـى الله ما أحـسـ ـنَ ما بـرَّاك بـاريـك

فقال له رجل: يا شيخ أفي مثل هذا الموضع؟ قال: وما على من قَضَى حجّهُ أن يشكو بثَّهُ ويصفَ من هَوِيَهُ.

[حسد إسحاق الموصلي للأصمعي]

حدّثنا أحمد بن العباس العسكري، قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعدٍ، قال حدّثني أحمد بن علي بن أبي نعيمٍ قال: كان الرَّشيد يحبّ الوحدة، فكان إذا ركب حمارَهُ عادَلَهُ الفضلُ بن الربيع، وكان الأصمعي يسير قريباً منه بحيث يحادثه، وإسحاق الموصليُّ على دابَّةٍ يسير قريباً من الفضل. فأقبل الأصمعيُّ لا يحدِّث الرشيد شيئاً إلا سُرَّ به وضحك منه، فحسده إسحاق. وكان فيما حدّثه الأصمعيُّ قال: يا أمير المؤمنين مررتُ على رجلٍ زانكيٍّ جالسٍ على بابه قال: ويحك فما الزّانكيّ؟ فوصفه له (قال العسكريُّ: هو الشارط) قال: فقلت له: يا فتى أيسرُّك أنك أمير المؤمنين؟ قال: لا، قلت: ولِمَ؟ قال: لا يَدَعُوني أذهبُ حيث شئتُ، قال فقال الرشيد: صدق والله ما يدعونا نذهب حيث شئنا. قال: فاستضحك الرشيد. قال فقال إسحاق للفضل: ما يقول كذبٌ، فقال الرشيد: أيّ شيء قال؟ فأخبره فغضب فقال: والله إن كان ما يقول كذباً إنه لأظرفُ الناس، وإن كان حقاً إنه لأعلمُ الناس فمكث بينهما شرٌّ دهراً من الدهر، فقال إسحاق:

* أُصَيْمِعُ باهليٌّ يستطيلُ *

[النخار ومعاوية]

حـدّثنا أبـو النضر العقيلي، قـال حدّثني عبيـد الله اليزيـدي قال حـدّثنـا محمد بن حبيبٍ عن ابن الأعرابي قال[1]: دخل النخّـارُ العذريّ النسّـابة على معـاوية وعليـه عباءة فكلّمـه فأعـرض عنـه، فقـال: يـا معـاويـة إنّ العبـاءة لا تكلمك، إنما يكلمك من فيها، فأقبل عليه.

[رؤبة والنسابة البكري]

حدّثنا عبد الله بن منصورٍ الحارثيّ قال حدّثنا الفضل بن محمدٍ اليـزيدي قال حدّثنا أبو عثمان المازني بكر بن محمدٍ قال حدّثنا الأصمعي عن العلاء بن أسلم قال[2]: سمعتُ رؤبةَ بن العجاج يقول: أتيتُ النسابةَ البكريَّ فقال لي: من أنت؟ قلت: رؤبة بن العجاج، فقال لي: قَصَّرْتَ وعَـرَّفْتَ، لعلك من قوم عندي إن سكتّ عنهم لم يسألوني وإن حدثتهم لم يعوا عني، قال قلت: أرجو أن لا أكون كذلك، قال: فما أعداءُ المرء؟ قال قلت: لا أدري فأخبرني، قال بنو عمّ السوء إنْ رأوا قبيحاً أذاعوه وإن رأوا حَسَناً دفنوه. ثم قال لي: إن للعلم آفةً ونَكداً وهُجْنَةً، فآفتـه نسيانـه، ونكده الكـذب فيه، وهجنتـه نَشْرُهُ عنـد غير أهله.

[عافية بن يزيد القاضي]

حـدّثنا محمـد بن الحسن بن زيادٍ المقـرىء قـال حـدّثنـا داود بن وسيمٍ البوشنجي ببوشنج قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه عبـد الملك بن

---

(١) البيان والتبيين ١: ٢٣٧ وكامل المبرد ٢: ١٦٩ وتاريخ الطبري ٢: ٢١٤ وعيون الأخبار ١: ٢٩٧ وأنساب الأشراف ٤/١: ٢٣ ونور القبس: ٣٤٨ وربيع الأبرار: ٢٠٣ ب.

(٢) عيون الأخبار ٢: ١١٨، وتهذيب ابن عساكر ٥: ٣٣٦.

قريبٍ الأصمعيّ أنه قال[1]: كنتُ عند الرشيد يوماً فَرُفِعَ إليه في قاضٍ كان استقضاه هو يقالُ له عافية[2]، فكثر عليه فأمر بإحضاره فأُحضر، وكان في مجلسه جمعٌ كثيرٌ، فجعل أمير المؤمنين يخاطبه ويوقفه على ما رُفع فيه، وطال المجلس، ثم إنّ أمير المؤمنين عطس فشمته من كان بالحضرة مَنْ قَرُبَ منه سواه فإنه لم يُشَمِّتْهُ، فقال له الرشيد: ما بالك لم تُشَمِّتْني كما فعل القوم، فقال له عافية: لأنك يا أمير المؤمنين لم تحمدِ الله عزَّ وجلّ فلذلك لم أُشَمِّتْكَ ـ هذا النبيّ ﷺ عطس عنده رجلان فشمَّت أحدهما ولم يُشَمِّتِ الآخر فقال: يا رسول الله ما بالك شمَّتَ ذاك ولم تشمتني؟ فقال: إن هذا حَمِدَ الله تعالى فشمَّتناه، وأنت فلم تحمده فلم أُشَمِّتْكَ، فقال له الرشيد: ارجع إلى عملك، أنت لم تسامح في عطسةٍ، تُسامِحُ في غيرها؟ وصرفه منصرفاً جميلاً.

قال أبو بكرٍ: هذا عافية بن يزيد الأوْديّ قلَّده المهدي القضاء وأشرك بينه وبين محمد بن عبد الله بن علاثة الكلابي، قال أبو بكرٍ فأخبرنا عبد الله بن الحسن الخزاعي[2] عن علي بن الجعد قال: رأيت محمد بن عبد الله وعافية بن يزيد وقد أَشركَ المهدي بينهما في القضاءِ يقضيان جميعاً.

[التشميت والتسميت]

قال القاضي أبو الفرج: يقال لما يُدعى به للعاطس سَمَّتَ وشَمَّتَ،

---

(١) القصة في تاريخ بغداد (ترجمة عافية) ١٢ : ٣٠٧ ـ ٣١٠ وعنه وفيات الأعيان ٨: ٦٢٧ ـ ٦٢٨. وانظر أخبار القضاة ٣: ٢٥١ وفيه الرواية عن علي بن الجعد أنه رآهما يقضيان معاً في المسجد الجامع بالرصافة. وقارن بموقف سوار من أبي جعفر المنصور حين عطس فلم يشمته فلما عطس الثانية وحمد الله شمته. فقال له: زعموا أنّك تحابي، وأنت لم تحابني في عطسة، ارجع إلى عملك (البصائر ٥ رقم: ٦٨٢ وانظر في التشميت والتسميت البصائر١ رقم: ٤١).

(٢) م: الحراني.

وهو بالشين المعجمة أفصح في اللغة وأشهر في الرواية، وقيل إنه مأخوذ من قولهم: استأشمتِ الماشيةُ في الرعي بمعنى أنها انبسطت فيه. وأمّا التسميت بالسين المهملة فكأنه أراد به الرفق والتسكين. وأخذ من السمت ومن القصد ومثله: رفوتُ فلاناً إذا رفقت به ولاينته كما قال الهذلي[1]:

رَفَوْني وقالوا يا خُوَيْلدُ لا تُرَعْ فقلتُ وأنكرتُ الوجوهَ همُ هُمُ

وقال بعضهم: التشميت مبادرة العاطس بالدعاء له، والمبادرة الى تشميته كسرعة الشامت بالشماتة إلى من يشمت به. وقد ذكر أن بعض جلساء الرشيد شمَّتَ الرشيدَ وقد عطس، فقال له بعض الحاضرين: لا ينبغي أن تفعل مثل هذا، ولا تخاطب أمير المؤمنين بما يقتضي منه تكلفَ الردّ، وان بعضهم قال: أصاب المشمّتُ السنّةَ وأصاب المعترض عليه أدبَ المجالسة للسلطان.

قال القاضي أبو الفرج: قد أصاب المشمّت في هذه القصة إصابةً مطلقةً لا خطأ فيها ولا شريطة، وأخطأ الرادّ عليه والمعتذر لمن نهاه والموبخ له، ولو كان الأمر على ما ذكره لكان ينبغي للناس تركُ السلام على أئمتهم إذا دخلوا عليهم والكفُّ عن تعزيتهم وتهنئتهم،وأحقُّ من شُمِّتَ ودعي في مواطن الدعاء له أمير المؤمنين، وأولى من سارع إلى تحية المسلم بأحسن من تحيته أو مثلها كما أمر الله عز وجل وبادر بتأدية الفرض فيه وفي ما جرى مجراه من التشميت وغيره أئمةُ الدين. وقد كان رسول الله ﷺ يردُّ على من شمّته من أُمته وأهلِ ذمَّته ويشمِّتُ من عطس من المسلمين بحضرته، وروي أن اليهود كانوا يتعاطسون عنده رجاء أن يدعو لهم. وعلى نحو ما وصفنا مضت الأئمة

---

(١) هو أبو خراش، انظر: شرح ديوان الهذليين ٣: ١٢١٧ والخصائص ١: ٢٤٧، (٣: ٣٣٧ والاشتقاق لابن دريد ٢: ٤٨٨ واللسان والتاج (رفأ، رفا) والخزانة ١: ٢١١ وعبث الوليد: ٤٥٢.

الـراشدون والسلف الصـالحون والخلفـاء المهـديّـون. وذكـر أن الحجـاج بن يوسف قال للناس يوماً: بلغني أن أمير المؤمنين عبد الملك عطس فشمّتـه من حوله فردَّ عليهم، فيا ليتني كنت معهم فـأفوزَ فـوزاً عظيمـاً. وروى بعضهم أنه كتب بهذا القول والأُمنية إلى عبد الملك. وأكثر من يشيرُ في هذه الأُمور بغيـر الحقِّ من لا رأيَ له ولا أمانةَ ولا للأئمة عنده موالاة ولا نصيحة. وقد تجاوزوا هذا الحد إلى السعي فيما يَقْدَحُ في المملكة ويشعِّثُ أسبابَ الخـلافة، ولكن ما الحيلة إذا كان الرأي في يد من يملكـه ويتمكن من تصريفـه على هواه فيـه دون من يعرفه ويضطلع في ترتيبه مرتبته وإنزاله منزلتـه ويؤثر الحقَّ على نفسـه وأقربيه ولا يخاف لومة لائم.

قال القاضي: ومـا أتى في سُنَّةِ العـطاس وما نـدب فيه العـاطس وأرشد إليه وصفة التشميت والردّ على المشمّت من الآثار والـرواية والاخبـار ومنظوم الأشعار أكثر من أن يحيط امرؤٌ به في مثل هذا الموضع.

المجلس الحادي والستون

[حديث في أشراط الساعة]

أخبرنا المعافى بن زكرياء قال: حدّثنا محمد بن الحسن بن علي بن سعيد أبو الحسن الترمذي في صفر سنة سبع عشرة وثلاثمائة إملاءً من أصل كتابه، قال حدّثنا أبو سعيد محمد بن الحسين بن ميسرة، قال حدّثنا أبو بكر محمد بن أبي شعيب الخواتيمي، قال حدّثنا إبراهيم بن مخلد عن سُلَيم الخشاب مولى لبني شيبة قال أخبرني ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: لمّا حجّ النبي ﷺ حجة الوداع أخذ بحلقتي باب الكعبة ثم أقبل بوجهه على الناس فقال: يا أيّها الناس فقالوا: لبيك يا رسولَ الله فدتك آباؤنا وأمهاتنا، ثم بكى حتى علا انتحابه فقال: يا أيها الناس إني أخبركم بأشراط القيامة، إن من أشراط القيامة إماتة الصلوات واتباع الشهوات والميل مع الهوىٰ وتعظيم ربّ المال، قال فوثب سلمان فقال: بأبي أنت وأمّي وإنّ هذا لكائن؟ قال إي والّذي نفسي بيده، عندها يذوبُ قلب المؤمن كما يذوب الملح في الماء مما يرىٰ، ولا يستطيع أن يغيّر، قال سلمان: بأبي أنت وأُمّي وإنّ هذا لكائن؟ قال إي والّذي نفسي بيده، إنّ المؤمنَ ليمشي بينهم يومئذٍ بالمخافة، قال سلمان: بأبي أنت وأُمّي وإنّ هذا لكائن؟ قال: إي والذي نفسي بيده، عندها يكونُ

المطرُ قيظاً والولدُ غيظاً، وتفيضُ اللئامُ فيضاً، ويغيضُ الكرام غيضاً، قال سلمان: بأبي أنت وأُمّي وإنّ هذا لكائن؟ قال: إي والّذي نفسي بيده، لَلْمُؤمِنُ يومئذٍ أذلُّ من الأَمَة، فعندها يكون المنكرُ معروفاً والمعروفُ منكراً ويُؤتَمَنُ الخائن ويخون الأمين، ويصدَّقُ الكذّاب، ويكذَّب الصادق، قال سلمان: بأبي أنت وأُمّي وإنّ هذا لكائن؟ قال: إي والّذي نفسي بيده، عندها يكون أمراء جَوَرَةٌ، ووزراء فَسَقة، وأمناء خَوَنة، وإمارة النساء ومشاورة الإماء، وصعود الصبيان المنابر، قال سلمان: بأبي أنت وأُمّي وإنّ هذا لكائن؟ قال: إي والّذي نفسي بيده يا سلمان، عندها يليهم أقوامٌ إن تكلّموا قتلوهم وإن سكتوا استباحوهم، ويستأثرون بفيئهم ويطأون حريمهم ويُجار في حكمهم يليهم أقوام جثاهم جثا الناس، (قال القاضي أبو الفرج: هو هكذا في الكتاب، والصواب جثثهم جثث النّاس) وقلوبهم قلوبُ الشياطين لا يوقّرون كبيراً ولا يَرْحَمونَ صغيراً - قال سلمان: بأبي أنت وأُمّي، وإنّ هذا لكائن؟ قال: إي والّذي نفسي بيده، يا سلمان، عندها تُزَخْرَفُ المساجدُ كما تزخرفُ الكنائسُ والبِيَعُ، وتحلّى المصاحف، ويطيلون المنابر، وتكثر الصفوف، قلوبهم متباغضةٌ وأهواؤهم جمّة وألسنتهم مختلفة، قال سلمان: بأبي أنت وأُمّي وإنّ هذا لكائن؟ قال: إي والّذي نفسي بيده، عندها يأتي سبيٌ من المشرق يلون أمّتي فويلٌ للضّعفاء منهم، وويلٌ لهم من الله، قال سلمان: بأبي أنت وأُمّي وإنّ هذا لكائن؟ قال: إي والّذي نفسي بيده، عندها يكونُ الكذبُ ظَرْفاً والزكاة مغرماً، وتظهر الرشا، ويكثر الربا، ويتعاملون بالعِينة[1]، ويتّخذون المساجدَ طرقاً، قال سلمان: بأبي أنت وأُمّي وإنّ هذا لكائن؟ قال: إي والّذي نفسي بيده يا سلمان، عندها تُتخذ جلود النمور صفاقاً[2]، وتتحلّى ذكور

(١) العينة: نوع من السلف يدخل فيه الربا، وذلك أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل معلوم ثم يشتريها منه بأقل من ثمن البيع.
(٢) الصفاق: لبس قميص فوق آخر.

أمّتي بالذهب ويلبسون الحرير، ويتهاونون بالـدماءِ، وتـظهر الخمـور والقينات والمعازف، وتشاركُ المـرأةُ زوجها في التّجـارة؛ قال سلمـان: بأبي أنت وأمّي وإنّ هذا لكائن؟ قال: إي والّذي نفسي بيده يا سلمـان، عندهـا يطلعُ كـوكبُ الذنب وتكثرُ السيجان ويتكلّم الرويبضة[1]، قال سلمان: وما الـرويبضة؟ قـال يتكلّم في العامّة من لم يكن يتكلّم، ويحتضَنُ الرجلُ للسمنـة، ويُتَغَنّى بكتاب الله تعالى ويُتَّخَذُ القرآنُ مزامير، وتباع الحكم وتكثر الشرط؛ قال سلمان: بأبي أنت وأمّي وإنّ هذا لكائن؟ قـال: إي والّذي نفسي بيـده، عندهـا يحجُّ أمـراء النـاس لهـواً وتنزهّـاً، وأوسـاطُ النـاسِ للتجـارة، وفقـراءُ النّاس للمسألة، وقُـرّاءُ النـاسِ للـرّياء والسمعـة؛ قال سلمــان: بأبـي أنـت وأمّـي وإنّ هذا لكائـن؟ قال: إي والّـذي نفسـي بيده، عندهــا يُغَـارُ علـىٰ الغـلام كما يُغـار علىٰ الجـارية البـكر، ويُخْطَـبُ الغـلام كمـا تُخْطَـبُ المـرأة، ويُهَيَّأ كمـا تُهَيَّأ المـرأة، وتتشبَّـهُ النسـاءُ بالرجـال وتتشبَّـهُ الرجـالُ بالنساء، ويكتفـي الرجـالُ بالرجـال والنسـاء بالنسـاء، وتـركبُ ذواتُ الفـروج السروجَ فعليهــنَّ من أمّتــي لعنــةُ الله، قال سلمــان: بأبــي أنــت وأمّــي وإنّ هذا لكائن؟ قال: إي والّذي نفسي بيده، عندها يظهر قُرّاءُ عبادتهم التـلاومُ بينهم، أولئك يُسمَّوْنَ في ملكوتِ السماء الأنجاسَ الأرجاسَ؛ قال سلمان: بـأبي أنت وأمّي وإنّ هـذا لكائن؟ قـال: إي والّذي نفسي بيـده، تتشبّب المشيخة، قـال قلتُ: ومـا تشبب المشيخـة؟ (قال: أحسبه ذهب من كتـابي ان الحمـرة هـذا الحـرف وحده خضـاب الإسلام والصفـرة خضـاب الإيمـان والسـواد خضـاب الشيطان) قال سلمـان: بأبي أنت وأمّي وإنّ هـذا لكـائن؟ قـال: إي والّـذي نفسي بيـده، عندهـا يُوضَـعُ الدِّين وتُـرْفَعُ الـدنيا ويشيَّـدُ البناء وتعـطَّلُ الحدود ويميتون سنّتي، فعندها يا سلمان لا ترىٰ إلّا ذامّاً ولا ينصرهم الله، قال: بأبي أنت وأمّي وهم يومئذ مسلمون كيف لا ينصرون؟ قال: يا سلمـان إنّ نُصرةَ الله

(١) الرويبضة: الرجل التافه الحقير ينطق في أمر العامة (وسيشرح المؤلف السيجان في ما يلي).

الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكر، وإنّ أقواماً يذمّون الله تعالىٰ ومذمّتهم إيّاه أن يشكوه وذلك عند تقارُبِ الأسواق، قال: وما تقاربُ الأسواق؟ قال عند كسادها كلٌّ يقول: ما أبيعُ ولا أشتري ولا أربح، ولا رازقَ إلّا الله تعالى. قال سلمان: بأبي أنت وأُمّي وإنّ هذا لكائن؟ قال: إي والّذي نفسي بيده، عندها يَعُقُّ الرّجُل والديه ويجفو صديقه، ويتحالفون بغير الله ويحلفُ الرجلُ من غير أنْ يُسْتحلَف ويتحالفون بالطلاق، يا سلمان لا يحلف بها إلّا فاسق، ويفشو الموت ـ موتُ الفجاءة ـ ويحدِّثُ الرجلُ سوطه؛ قال سلمان: بأبي أنت وأُمّي وإنّ هذا لكائن؟ قال: إي والّذي نفسي بيده، عندها تخرجُ الدّابّة، وتطلعُ الشمس من مغربها، ويخرج الدجال وريح حمراء، ويكون خسفٌ ومسخٌ وقَذْفٌ ويأجوج ومأجوج وهدمُ الكعبة، وتمورُ الأرض، وإذا ذكر الرجلُ رؤ ي.

[ابن عباس يتوقع أشراط الساعة]

حدّثنا محمد بن الحسن الترمذي، قال حدّثنا محمد بن شاذان الجوهري، قال حدّثنا هوذة بن خليفة قال حدّثنا ابن جريج قال حدّثني ابن أبي مليكة قال: غدوتُ على ابنِ عباس ذاتَ يوم فقال: والله ما نمتُ حتى أصبحتُ، قال قلت: ولم ذاك؟ قال: قالوا طلع الكوكبُ ذو الذنب، خشيت أن يكون الدجالُ قد طرق، فوالله ما نمتُ حتّى أصبحت.

[مادة ش ر ط]

قال القاضي أبو الفرج: قوله: « أشراط القيامة » يعني أعلامها وأماراتها قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ (محمد: ١٨) يعني علاماتها، يقال أشرط الرجل نفسه أي وسمها بسيما وجعل لها علامةً تعرف بها، قال أوس بن حجر[١]:

(١) ديوان أوس: ٨٧.

فأشرطَ فيها نفسه وهو مُعْلِمٌ   وألْقى بأسبابٍ له وتوكّلا

والواحد من الأشراط شرط، وشرط المال رذاله، قال الشاعر:

وفي شَرط المعزَى لهنَّ مهورُ

وقوله: « يكثر السيجان » وهي الطيالسة واحدها ساج، ومثله تاج وتيجان ونار ونيران وجار وجيران، وقال بعض اللغويين: هي الخضر منها خاصّة.

[المؤلف يرى كثيراً من أشراط الساعة]

قال القاضي أبو الفرج: وقد رأينا كثيراً من أشراط القيامة وأدركنا منها ما فيه عظةٌ وكأنّا بباقيها قد رَدَفَ ما فَرَطَ من ماضيها، وحقيقٌ علىٰ كلّ ذي مرّة سويّ وأخي دين رضيّ أن يبادرَ ما قد أظلّه بالتوبةِ وبِحُسْنِ الإقلاع والإنابة، ويتأهب لما هو لاقيه لا محالة، ولا يضيّع ما أنعم الله تعالى عليه من المهلة، ولا يغترّ بالأماني الكاذبة، فإنّ أجل الله إذا جاء لا يُؤخَّر، والغارُّ نفسه بالتسويف بعد الزجر والتخويف لا يُعذر، وفقنا الله وإياكم للجِدّ فيما يرضيه، وعصمنا من ركوب معاصيه، وأعاننا على عدوّه القاصدِ بكيده لضلالتنا، والحريص علىٰ غوايتنا واستزلالنا، برأفته.

[خطبة عتبة في حجته]

حدّثنا محمد بن الحسن بن محمّد بن دُريد قال حدّثنا أبو عثمان عن العتبي عن أبيه عن هشام بن صالح عن سعيد القصير قال[1]: حجَّ عتبةُ سنةَ إحدىٰ وأربعين والناسُ قريبٌ عهدُهُمْ بالفتنة، فصلّىٰ بمكّة الجمعة ثم قال: يا أيّها النّاس إنّا قد ولينا هذا المقامَ الّذي يُضاعف للمحسن فيه الأجرُ وعلى

---

(١) خطبة عتبة في الأخبار الموفقيات: ٣٢٧، وأمالي القالي ١: ٢٣٦ وقول الأعرابي ورد في البيان والتبيين ٤: ٨٩.

المسيء فيه الوزر، ونحن على طريق ما قصدنا، فلا تمدّوا الأعناق إلىٰ غيرنا فإنّها تنقطعُ دوننا، ورُبَّ متمنٍّ حتفُهُ في أمنيته، فاقبلوا العافيةَ ما قبلناها فيكم وقبلناها منكم. وإياكم و «لو» فإنّها أتعبتْ من كان قبلكم ولن تريحَ من بعدكم، وأنا أسألُ الله تعالى أن يعينَ كلّاً علىٰ كلّ؛ قال فصاح به أعرابي: أيّها الخليفة، فقال: لستُ به ولم تُبْعِدْ، فقال: يا أخاه، فقال: قد أسمعتَ فقُلْ، فقال: تالله إن تحسنوا وقد أسأنا خيرٌ من أن تسيئوا وقد أحسنّا، فإن كان الإحسانُ لكم دوننا فما أحقكم باستتمامه، وإن كان منّا فما أولاكم بمكافأتنا، رجلٌ من بني عامر بن صعصعة يلقاكم بالعمومةِ، ويقربُ إليكم بالخؤولة، قد كثره العيالُ ووطئه الزمانُ، وبه فقرٌ وعنده شكر، فقال عتبة: أستغفرُ الله منكم وأستعينه عليكم، قد أمرتُ لك بغناك فليتَ إسراعنا إليكَ يقومُ بإبطائنا عنك.

[قد بلغ السيل الزبى]

حدّثنا محمد بن مزيد الخزاعي قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا محمد بن الحسن قال: لمّا كثر الطعن علىٰ عثمان رضي الله عنه تنحّىٰ علي عليه السلام إلىٰ ماله بينبع فكتب إليه عثمان[1]: أمّا بعد فقد بلغ السيلُ الزبى وجاوز الحزام الطبيين[2] وبلغ الأمرُ فوق قدره، وطمع فيّ من لا يدفع عن نفسه.

فإن كنتُ مأكولاً فكن خيرَ آكلٍ وإلّا فأدركني ولمّا أُمَزَّقِ

قال ابن مزيد حدّثني بهذا الحديث بعينه أحمد بن الحارث الخزاز عن أبي الحسن المدائني سنة اثنتين وخمسين ومائتين.

---

(١) عيون الأخبار ١: ٣٤ والكامل ١: ١٧ والعقد ٤: ٣١٠ وزهر الآداب: ٣٧.

(٢) في النسخ: أما بعد فقد بلغ الحزام الطبيين وخلف السيل الزبى، ولا يلتئم هذا مع ما سيرد في الشرح.

[ظلم آل علي أحب إلى الزبير]

حدّثنا ابن مزيد قال حدّثنا الزبير بن بكار قال[1]: كان الزبير إذا جاءه من ناحية ولد علي بن أبي طالب عليهم السلام أذىً وجاءه من ناحية ولد عمر بن الخطّاب رضي الله عنهم مثله قال: والله لأن يظلمني آل علي أحبّ إليّ وينشد:

وإن كنتُ مقتولاً فكن أنت قاتلي فبعضُ منايا القوم أكرمُ من بعضِ

[تفسير ما تقدّم]

قال أبو عبيدة: قوله: « بلغ السيل الزّبى » فإنّها زبى الأسد التي تحفر له، وإنّما جُعلت مثلاً في بلوغ السيل إليها لأنّها إنّما تجعل في الروابي من الأرض، ولا تكون في المنحدر، وليس يبلغها إلّا سيل عظيم.

قال القاضي أبو الفرج رحمه الله: وقوله: « وجاوز الحزام الطبيين » يعني قد اضطرب من شدّة السير حتّى خلّف الطبيين من اضطرابه، يُضرب هذا المثل للأمر الفظيع الفادح الجليل. وأمّا قوله:

فإن كنتُ مأكولاً فكن خير آكلٍ وإلّا فأدركني ولمّا أُمزّقِ

فإن هذا بيت تمثّل به لشاعر من عبد القيس جاهلي يقال له المُمَزَّق[2]، وإنّما سُمّي ممزّقاً لبيته هذا، وقال الفرّاء الممزِّق.

قال القاضي أبو الفرج: ومن الزبية التي هي مصيدة الأسد قول الطرماح بن حكيم[3]:

(١) الخبر والشعر في ذيل أمالي القالي: ٩٤، والبيت في الكامل ١: ١٩ (دون نسبة).
(٢) هو شأس بن نهار، انظر الشعر والشعراء: ٣١٤ (وفي حاشيته مسرد بمصادر ترجمته).
(٣) ديوان الطرماح: ١٥٨ والكامل ١: ١٨ وحماسة ابن الشجري: ١٢٦ والتشبيهات: ٣٦٣ واللسان (زبى).

يا طـيءَ السهلِ والأجبالِ موعـدكم كبمتغي الصَّيـدِ أعلى زُبْيـةِ الأسـدِ

وقال الراجز[1]:

قـد كنتَ في الأمـر الَّـذي قـد كيـدا كـاللّذ تـزبّىٰ زُبْـيــةً فـاصـطـيـدا

اللّذ: لغـة في الّذي. ومن العـرب من يقول اللّذِ بكسـر الذّال من غير إثبات ياء كما قال الشاعر:

واللّذِ لــو يُكْـنَـى لكـانـت بــرا أو جـبـلاً أشـمَّ مـشـمـخـرا

ويُقـال من هذه اللغـة يعني اللّذ مسكنة الـذّال، في المؤنث اللّت، قال الشاعر:

فـقــلْ لِلَّتْ تـلومُــكَ إن نفسي أراهــا لا تُـعَـلَّـلُ بـالـنَّـمـيـر[2]

والزبية علىٰ ما بيّنا لا تتّخذ إلاّ في قُلّة رابيةٍ أو رأس قلعةٍ أو هضبة، قال العجاج[3]:

وقد علا السَّيلُ الزبى فلا غِيَرْ

أي جلّ الأمر عن التلافي والإصلاح للتغيير، وقيل إنّ الغير هاهنا الديّات، والمعنى لكثرة القتل. ومن الغير بمعنى الديّات قول هدبة بن الخشرم[4]:

لنجـدعـنَّ أُنوفـاً من أنوفكُم بني أمية أنْ لا تقبلوا الغِيَرا

---

(١) الشطران في الخزانـة ٢ : ٤٩٨ والانصاف: ٦٧٢ واللسـان (زبى) والثاني في الكـامل ١ : ١٧ وابن يعيش ٣ : ١٤.

(٢) م: بالنميم.

(٣) ديوان العجاج ١ : ١٧ والكامل ١ : ١٨.

(٤) شعر هدبة: ٩٢ والأغاني ٢١ : ٢٩٤، وعجزه: «ويذهب القتل في ما بيننا هدرا».

والعرب تقول في شدّة الأمر وتفاقمه واستشراء الشرّ وتعاظمه: **قد علا الماء الزبى**، وانقدّ في البطن السَّلَى، وبرح الخفا، وحُلّت الحبا، وبلغ السكين العظم، والتقت حلقتا البطان، وهو مضارع لقولهم: بلغ الحزام الطبيين، قال أوس بن حجر[1]:

وازدحمت حلقتا البطانِ بأقـ ـوام وطارت نفوسُهُـمْ جَزَعا

ومن أفصح ما أتى في هذا المعـنى ما جاء القرآن به وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ (القيامة: ٢٩) وقال الشاعر:

* وقامت الحرب بنا على ساق *

والطبيان تثنية طبي وجمعه أطْباء، ويقولون: التقت حلقتا البطان والحقب، ومنه:

اشدد بمثنى حَقَبٍ حقواها

ويقال حَقِبَ البعيرُ إذا صار الحزام في الحقب، قال الشاعر[2]:

إذا مـا حَـقَبٌ جـالَ شـددنـاهُ بـتـصـديـرِ

والأطباء موضع الثدي من السباع، ويقال لذلك الموضع من ذوات الخفّ والظلف أخلاف والواحد خِلْفُ، قال ابن عبدل:

وأحلبُ الثَّـرةَ الـصفـيَّ ولا أُجْهـدُ أخلافَ غيـرها حلبـا

[عتاب بين علي وعثمان]

وحدّثني عبيد الله بن محمد بن جعفر الأزدي قال حدّثنا أبو العبّاس

---

(١) ديوان أوس: ٥٤ والكامل ١: ١٩.
(٢) الكامل ١: ١٩.

محمّد بن يزيد الأزدي قال[1]: ويروى عن قنبر مولى علي قال: دخلت مع علي على عثمان فأحبّا الخلوةَ فأومى إليَّ عليٌّ بالتنحّي فتنحيت غير بعيد، فجعل عثمان يعاتبُ عليّاً وعليٌّ مطرقٌ، فأقبل عليه عثمان فقال: ما لك لا تقول؟ قال: إن قلتُ لم أقلْ إلّا ما تَكْرَهُ، وليس لك عندي إلّا ما تحبّ؛ قال أبو العبّاس: تأويلُ ذلك أنّي إن تكلّمت اعتددتُ عليك بمثل ما اعتددتَ به عليّ فلذعك عتابي، وعَقْدي أن لا أفعلَ وإن كنتُ عاتباً إلّا ما تحبّ.

[تأويل المؤلف لمعنى العتاب]

قال القاضي أبو الفرج: هذا الّذي تأوّله أبو العبّاس وجهُ مفهوم، وفي هذا القول تأويل آخر، وهو أن يكون أراد أنّه إن شرع في مخاطبته بما استدعي أن يخاطبه فيه ذكر له أنه أتى بخلاف الأصوب عنده، وترك ما كان الأولىٰ به أن يفعله، إلّا أنّه لإشفـاقه عليه مع إيثاره النصيحة له آثر محبته وكره إظهارَ ما فيه تثريب عليه أو لائمة له، وهذا التأويل عندي أصحُّ من تأويل أبي العبّاس، وقد ورد في معناه ما يشهد لما وصفناه في القصّة التي ذكرنا[2].

[عثمان يشكو علياً إلى ابن عباس]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثنا عبد الرحمن بن منصور قال حدّثنا العُتبي عن أبيه قال: بعث عثمان بن عفّان إلى ابن عبّاس وهو محصور عنده مروان بن الحكم، فقال عثمان: يا ابن عبّاس أما ترىٰ إلى ابن عمّك، كان الأمر في بني تيمٍ وعديّ فرضي وسلّم، حتّى إذا صار الأمر إلى ابن عمّه بغاه الغوائل، قال ابن عبّاس فقلت له: والله إنّ ابنَ عمي ما زال عن الحقِّ ولا يزول، ولو أنّ حسناً وحسيناً بغيا في دين الله الغوائل لجاهدهما في

---

(١) الكامل ١: ١٩.

(٢) م: وشاهده على ذلك القصة التالية.

اللهِ حقَّ جهاده، ولو كنتَ كأبي بكر وعمر لكان لك كما كان لأبي بكر وعمر(١) بل كان لك أفضل لقرابتك ورحمك وسنك، ولكنَّك ركبتَ الأمر وهاباه. قال ابن عبّاس: فاعترضني مروان فقال: دعنا من تخطئتك يا ابن عباس فأنت كما قال الشاعر:

دعوتُكَ للعتابِ ولستُ أدري ... أمِنْ خلفي المنيّةُ أم أمامي
فشقّقتَ الكـلامَ رخيَّ بـالٍ ... وقد جلَّ الفَعالُ عن الكلام

إن يكن عندك لهذا الرجل غياثٌ فأغِثْهُ، وإلاّ فما أشغله عن التفهُّم لكلامك والفكر في جوابك، قال ابن عبّاس، فقلتُ له: هو والله كان عنك وعن أهل بيتك أشغل إذ أوردتموه ولم تُصْدِرُوه، ثم أقبلتُ على عثمان رضي الله عنه فقلت له:

جعلتَ شعارَ جلدك قومَ سوءٍ ... وقد يُجزىٰ المقارنُ بالقرينِ
فما نظروا لدنيا أنت فيهـا ... بـإصلاحٍ ومـا نظروا لـدين

ثم قلتُ له: إنّ القوم والله غير قابلين إلاّ قتلك أو خَلْعَكَ، فإن قُتِلْتَ قُتِلْتَ علىٰ ما قد علِمْتَ وعملتَ، وإن تُرِكْتَ فإن بابَ التوبة مفتوح.

قال القاضي أبو الفرج: فقد أنبأ هذا الخبر أَنَّ أَصحَّ التأويلين في ما قاله علي لعثمان في الخبر المتقدّم هو ما وصفنا.

[حق العالم على غيره]

حدّثنا محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثنا أبي قال حدّثنا أحمد بن عبيد قال أخبرنا ابن الأعرابي وسهل بن هارون قال، قال علي بن أبي طالب عليه السلام(٢): من حق العالم أن لا تُكثر عليه السؤال ولا تعنته في

---

(١) م: كما كان لهما.

(٢) عيون الأخبار ٢: ١١٩.

الجواب، ولا تلحّ عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفشي له سرّاً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تجلس أمامه، وإذا أتيته خصصته بالتحيّة وسلّمت علىٰ القوم كافةً[1]، وأن تحفظ سرّه ومغيبه ما حفظ أمر الله عزَّ وجلَّ؛ فإنّما العالم بمنزلة النخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء، والعالِم أفضل من الصائم القائم الغازي في سبيل الله تعالىٰ، وإذا مات العالم شيعه سبع وسبعون ألفاً من مقربي السماء وإذا مات العالم انثلم بموته في الإسلام ثلمة لا تُسَدُّ إلى يوم القيامة.

[ليلة قرّ]

حدَّثنا محمّد بن يحيى الصوليّ قال حدّثنا أحمد بن يحيىٰ ثعلب قال حدّثنا أحمد بن سعيد بن سلم الباهلي عن أبيه قال[2]: أدخلت إلىٰ الرشيد يوماً فقال لي: أنشدني في شدّة البرد فأنشدته لابن محكان السّعدي[3]:

في ليلة من جمادَى ذاتِ أنديةٍ لا يُبصِرُ الكلبُ من ظلمائها الطُنبا
ما ينبحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ حتّى يلفّ علىٰ خرطومه الذنبا

قال القاضي: وقد روي على خيشومه.

فقال هات غير هذا، فأنشدته[4]:

وليلة قَرٍّ يصطلي القوسَ ربها وأقـدحه اللائي بهـا يَتَنبَّـلُ

---

(١) م: عامة.
(٢) رويت القصة عن الأصمعي في سرور النفس: ٢٤٥.
(٣) هو مرة بن محكان وشعره في الحماسية رقم: ٦٤٥ (المرزوقي) ومحاضرات الراغب ٢: ٢٤٦ ونهاية الأرب١: ١٧٧ ومجموعة المعاني: ١٩٠ وانظر الأول في الخصائص ٣: ٥٢.
(٤) الحيوان ١: ٣٨٨، ٢: ٧٢، ٥: ٧٥ (للهذلي) ومجموعة المعاني: ١٩٠.

فقال لي ما بعد هذا شيء. قال الصُّولي وأنشدني عبد الله بن المعتز لنفسه[1]:

وليلٍ يودُّ المصطلون بنارِهِ ... لو أنَّهُمُ حتّى الصباحِ وقودُها
رفعتُ لها ناري لمن يبتغي القرى ... على شَرَفٍ حتى أتتها وفودها

[شرح وتوضيح]

قال القاضي: قول ابن محكان « ذات أندية »: ذكر جمهور أهل العلم أن جمع النّدى، أنداء على أفعال وأنّه الباب في هذا النوع من المقصور، وأنّ الباب في الممدود من جنسه على أفعلة ومنه حشا وأحشاء وطلا وأطلاء وأمّا الممدود فمنه عطاء وأعطية وخلاء وأخلية وقباء وأقبية، ألا ترى أنّهم يقولون هوى في هوى النفس مقصور ويجمعونه أهواء، قال الله تعالى ذكره: ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم﴾ (محمد: ١٤، ١٦) وقالوا في جمع هواء الجو الممدود أهوية، وأن أندية في بيت ابن محكان شذّ عن القياس. وزعم بعضهم أن أندية في هذا البيت جمع نادٍ وهو المجلس، وأن المعنى أنّهم كانوا يُجلسون في النّادي يصطلون عند شدّة البرد، وأنّ ذلك بمنزلة قولهم وادٍ وأودية، وقيل إنه جمع نديّ وهو مثل النادي، وأنكر هؤلاء جمع الندى الذي هو في معنى الطلّ أندية. وقد زعم الفرّاء في قول الله تعالى: ﴿وأَحْسَنُ نَدِيّاً﴾ (مريم : ٧٣) أن النّدي تجمع أندية والنادي نوادي القوم، وقال: ولو جمعت الندى نوادي والنادي أندية كان صواباً لأنّ معناهما واحد.

قال القاضي أبو الفرج: يتّجه صرف الأندية في بيت ابن محكان إلى وجه يطّرد في القياس جمعه على أفعلة لكن المعنى الظاهر أنه عنى به يبطل

---

(١) ديوان ابن المعتز (دار صادر): ١٥٦ (الأول وحده) وأخبار الزجاجي: ١٦١.

أو يتشعث، والذي عندي في هذا أنهم جمعوا الندى بمعنى الطل أنداء على أصله وقياسه ذو أندية على الشذوذ وادخاله في غير بابه، كما قالوا في جمع رحى أرحاء علىٰ القياس وأرحية على الشذوذ، والباب في الجمع أحد الأبواب التي أخرج كثير منها عن أصل قياسه وألحق بغير بابه. ومن الأندية بمعنى المجالس قول الشاعر(١):

يـومـانِ يـومُ مقـامـات وأنـديـةٍ ويومُ سيرٍ إلىٰ الأعـداءِ تأويبِ

التأويب: سير النّهار، والسُّرى: سير الليل، والإسآد: سير الليل والنَّهار، هذا قول محقّقي أهل اللغة في هذه الفصول الّتي ذكرناها في هذا الباب من الجمع. وقد استقصينا القـول فيها وفيما يُضارعها وفيٰ البيت الّذي أنشدناه في بيت ابن محكان في موضع غير هذا، وأتينا فيهما بما لم نر لإعادته في هذا الموضع وجهاً، وقد روينا خبراً في هذه القصة وفيها أبيات لابن محكان عدّة وفي أوّلها:

يا ربّةَ البيتِ قومي غيرَ صاغرةٍ ضُمّـي إليكِ رجالَ القومِ والقربا

ولعلّنا أن نورد هذه الرواية فيما بعد إن شاءَ الله تعالى.

(١) هو سلامة بن جندل السعدي، وبيته هذا هو الرابع من المفضلية رقم: ٢٢ وانظر ديوانه: ٩٤.

المجلس الثاني والستون

[يا عبادي كلكم مذنب إلا من عافيت]

أخبرنا المعافى قال حدّثنا إبراهيم بن الفضل الحلواني سنة سبع عشرة وثلاثمائة قال حدّثنا أحمد بن حازم الكوفي قال حدّثنا عبيد الله بن موسىٰ قال حدّثنا شيبان عن ليث عن شهر بن حوشب الأشعري عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي ذرّ عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله قال[1]: إن الله عزّ وجلّ يقول يا عبادي كلّكم مذنب إلاّ من عافيت، فاستغفروني أغفر لكم، ومن علم منكم أنّي ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني بقدرتي غفرت له ذنوبه، وكلّكم ضال إلا من هديت فسلوني أهدكم، وكلكم فقير إلاّ من أغنيت فسلوني أرزقكم، ولو أنّ أوّلكم وآخركم وحيّكم وميّتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا علىٰ إشقاء قلب عبدٍ من عبادي لم ينتقص ملكي جناح بعوضة، ولو أنّ حيّكم وميّتكم وأوّلكم وآخركم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فسأل كلّ سائل ما بَلَغَتْ أمنيته فأعطيتُ كلَّ سائِل

---

(١) هو في سنن الترمذي ٤: ٦٧ وأوله: يا عبادي كلكم ضال إلا من هديت فسلوني الهدى أهدكم، وكلكم فقير.. الخ، ففيه بعض التقديم والتأخير عما هنا. وقال الترمذي: هذا حديث حسن؛ وانظر البصائر ١ رقم: ٢٣٩.

ما سأل لم ينقص ملكي إلّا كما لو أنّ أحدكم مرَّ على شفة البحر فغمسَ فيه إبرة ثم انتزعها، وذلك بأنّي جواد ماجد واجد أفعل ما أشاء، عطائي كلام، وعذابي كلام، إذا أردت شيئاً فإنما أقول له كن فيكون.

[تعليق على الحديث]

قال القاضي أبو الفرج: في هذا الخبر ما يبعث علىٰ التفكُّر في عظمة الله ورأفته ورحمته وسعة ملكه وجوده وكرمه، ويدعو إلى توجيه كلّ راغب إليه رغبته ومسألته ومغفرته وانزاله كلّ حاجة به ثقة بتفضّله وإيماناً بأنّه الملك الأعز الأكرم وحده الّذي بيده ملكوت كلّ شيء، وهو يجير ولا يجار عليه، وأنّه لا ملجأ ولا منجى منه إلّا إليه، وأنّ الفضل كلّه بيده، اللهمَّ فاغفر لنا ذنوبنا واستر عيوبنا واكشف كروبنا وطهر قلوبنا فقد فرطنا في أمورنا وظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، اللهمّ وأجرنا من سخطك واعصمنا من معصيتك ووفقنا لطاعتك وأعنّا علىٰ عبادتك وأوزعنا شكر نعمتك وألهمنا ذكرك، ويسر لنا الحلال الطيّب من رزقك وألبسنا عافيتك وافتح لنا أبواب فضلك وأحينا متقلبين في نعمك منعمين بخيرك واختم لنا خير خاتمة وأكرمنا بحسن المنقلب، واجعل قبضك إيّانا راحةً لنا من فتن الدنيا ومهالكها ومفضياً بنا إلىٰ رَوْحِ الجنّة وممالكها، إنك جواد كريم رؤوف رحيم.

[وصية عبد الملك لأبنائه]

حدّثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن العتبي قال[1]: لمّا حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة جمع ولده وفيهم مسلمة وكان سيّدهم فقال: أوصيكم بتقوىٰ الله تعالىٰ فإنّها عصمة باقية وجُنَّةٌ واقية، وهي

(١) ورد جانب من هذه الوصية في ديوان المعاني ١ : ١٥٢ وربيع الأبرار: ٣٦٦ ب، وهي أوفى من ذلك في التعازي والمراثي للمبرد: ١٢٣ ـ ١٢٥.

أحصنُ كهفٍ وأزْيَنُ حلية، وليعطفِ الكبيرُ منكم على الصغير، وليعرِف الصغيرُ منكم حقّ الكبير، مع سلامةِ الصدور، والأخْذِ بجميل الأُمور، وإيّاكم والفرقة والخلاف فبهما هلك الأوّلون، وذلَّ ذوو العزَّةِ المعظّمون. انظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه فإنَّه نابُكُمُ الّذي عنه تفترُّون ومجنّكم الّذي بـه تستجنّون، وأكرموا الحجاج فإنّه وطَّأ لكم المنابر وأثبت لكم المُلْكَ، وكونوا بني أمٍ بررة وإلاّ دبّت بينكم العقارب، كونوا في الحرب أحراراً وللمعروف مناراً، واحلولوا في مرارةٍ، ولينوا في شدّة، وضعوا الذخائرَ عند ذوي الأحساب والألباب، فإنّه أصونُ لأحسابهم وأشكر لما يُسدى إليهم. ثم أقبل على ابنه الوليد فقال: لا أُلفِيَنَّكَ إذا متُّ تجلسُ تعصرُ عينيك وتحنّ حنين الأَمَةَ، ولكن شمّر وائتزر والبسْ جلدةَ نمر ودلّني في حفرتي وخلّني وشأني وعليكَ وشأنك، ثم ادعُ الناسَ إلى البيعة فمن قال هكذا فقلْ بالسيف هكذا. ثم أرسل إلىٰ عبدالله ابن يزيـد بن معاوية وخالد بن أسيد فقال: هل تدريان لـم بعثتُ إليكما؟ قالا: نعم لِتُرينَا أثَرَ عافيةِ الله تعالىٰ إيّاك، قال: لا، ولكن قد حضر من الأمرِ ما تريان، فهل في أنفسكما من بيعةِ الوليد شيءٌ؟ فقالا: لا، والله ما نرى أحداً أحقَّ بها منه بعدك يا أميرَ المؤمنين، قال: أولى لكما، أما والله ولو غيرَ ذلك قلتما لضربتُ الذي فيه أعينكما، ثم رفع فراشه فإذا السيفُ مشهور، ولم يزل بين مقالتين حتّى فاظ، مقالته الأولى[1]:

فهل من خالـدٍ إما هلكنـا ... وهل بالموتِ يا لَلْنَاسِ عارُ

ومقالته الثانية: الحمد لله الذي لا يبالي من أخذ من خلقه أو ترك، صغيراً أو كبيراً، حتّى مات، فسجّاه الوليد، وكان هشام أصغر ولده فقال[2]:

---

(١) البيت لعدي بن زيد وهو مما تمثل به معاوية. انظر أنساب الأشراف ٤/أ: ١٥٠، ١٥٢، ١٥٤، وديوان عدي: ١٣٢.

(٢) سيأتي البيت في ما يلي.

وما كان قيسٌ هلكُـهُ هُلْكَ واحدٍ ولكنَّهُ بنيانُ قومٍ تهدّما

فلطمه الوليد ثم قال له: اسكت يا ابن الاشجعيّة فإنك أحولُ أكشفُ، تنطقُ بلسان شيطان، ألا قلت[1]:

إذا مُقْرَمٌ منا ذرى حـدُّ نابـهِ تخمَّطَ منا نابُ آخرَ مُقْرَمِ[2]

فقال مسلمة: إياكم والضجاج فإنكم إن صلحتمْ صَلُحَ الناس، وإن فسدتم كان الفساد أسرع، ثم قال:

لقد أفسد الموتُ الحياةَ وقد أتى على شخصه يومٌ عليَّ عصيبُ
فـإن تكن الأيـام أَحْسَنَّ مــرةً إليَّ فقـد عـادتْ لهن ذنـوب
أتى دون حلوِ العيشِ حتى أمرَّه نُكُـوبٌ على آثـــارهنّ نكـــوب

فقال سليمان: مات والله أمير المؤمنين وصار في منزلة هو فيها والذليلَ الضعيفَ سواء. ثم صعد المنبر الوليد فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي ﷺ ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون يا لها مصيبة ما أعظمها وأفظعها، وأخصَّها وأعمّها وأوجعها، موتُ أمير المؤمنين، ويا لها نعمةً ما أعظمها وأجسمها وأوجب الشكر علـيَّ لله فيها: خلافته التي سَرْبلنيها. فكان أوَّل من عزّى نفسه وهنّأها بالخلافة. ثم قال: انهضوا رحمكم الله فبايعوا على بركة الله. فلما بايعه الناس جلس مجلسَ عبد الملك وجمع أهل بيته ثم قال[3]:

---

(١) البيت لأوس بن حجر، انظر ديوانه: ١٢٢، وأمالي القالي ١: ٢٠١ واللسان والتاج (خمط، قرم).

(٢) ذرا الناب: انكسر أو كلَّ، تخمط: ثار؛ المقرم: البعير المكرم الذي لا يذلل، يشبه به السيد.

(٣) في التعازي والمراثي أن هذه الأبيات جزء من وصية عبد الملك، وهو الأشبه لأنها متصلة بقصة القداح التي لا تكسر مجتمعة، فإذا تفرقت كسرت. وذكر المسعودي في مروج الذهب ٣: ٣٧٤ أن الأبيات من وصية عبد الملك ولكن الوليد كان كثير الانشاد لها؛ وانظر شرح النهج ١٧: ٧.

أَلْقُوا الضغائنَ والتحاسدَ بينكم عند المغيب وفي الحضور الشهَّدِ
بصلاحِ ذاتِ البينِ طولُ بقائكمْ إنْ مُدَّ في عمري وإن لم يمدد
فلمثل رَيْبِ الدهر ألف بينكم بتواصلٍ وتراحمٍ وتودُّد
وانفوا الضغائنَ والتخاذل عنكمُ بتكرمٍ وتوازُرٍ وتغمُّدِ
حتى تلينَ جلودكم وقلوبكم لمسوَّدٍ منكم وغيرِ مسوَّدِ
إنّ القداحَ إذا اجتمعن فرامها بالكسر ذو حَنَقٍ وبطش أيّدِ
عزَّتْ فلم تُكْسَرْ وإن هي بُدِّدَتْ فالوهن والتكسير للمتبدّدِ

[شروح وتعليقات]

قال القاضي: قوله: «تحنّ حنين الأَمَة»، الحنين: البكاء، وقيل صوت البكاء، كما قال الشاعر:

فلا تبكوا عليَّ ولا تحنُّوا بقولِ الإثم إنّ الإثمَ حُوبُ

وأما تمثل هشام بالبيت الذي ذكرناه فإنه لعبدة بن الطبيب قاله في قيس ابن عاصم يرثيه في شعرٍ له وهو[1]:

عليك سلامُ اللّهِ قيسَ بن عاصمٍ ورحمتُهُ ما شاءَ أن يترحما
تحيةَ من أَسْدَيْتَهُ[2] منكَ نعمةً إذا زار عن شَحْطٍ بلادَكَ سلما
فما كان قيسٌ هلكُهُ هلكَ واحدٍ ولكنه بنيانُ قومٍ تهدما

ويروى: هلكُ واحدٍ، رفعاً ونصباً، فمن نصب فعلى أنه خبر كان، وجعل قوله «هلكه» بدلاً من «قيسٍ»، البدل المعروف بالاشتمال لاشتماله على المعنى، كقولك أعجبني عبدالله علمه؛ المعنى: أعجبني علم عبدالله.

(١) انظر عيون الأخبار ١: ٢٨٧ والحماسة (التبريزي) ٢: ١٤٥ والبصرية ١: ٢٠٧.
(٢) م: أوليته.

قال الله تعالــى: ﴿ يَسْأَلُونَـكَ عَنِ الشَّهْـرِ الحَـرَامِ قِتَـالٍ فِيهِ﴾ (البقرة: ٢١٧) المعنى: يسألونك عن قتال في الشهر الحرام. ومن هذا النوع قول الأعشى يهجو الحارث بن وعلة[1]:

لعمرْكَ ما أشبهتَ وعلةَ في الندى   شمـائِلَهُ ولا أبـاه المجـالـدا

المعنى: شمائل وعلة؛ والبدل في الكلام له أقسام وفروع وأحكام، والكوفيون يعبرون عن هذا الباب بالتكرير والترجمة والإتباع، ولبسطه وشرحه موضعٌ هو أولى به، وقد ذكرناه في غير موضع من كتبنا وضمّنا طرفاً منه في كتابنا المسمى « الشافي في طهارة الرجلين ».

[حوار بين ابن الزبير وابن عباس]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال أخبرنا[2] أبو عكرمة الضبيّ عامر بن عمران قال أخبرنا العتبي عن أبيه قال[3]: لما خرج الحسين بن علي عليهما السلام إلى الكوفة اجتمع ابن عباسٍ وعبد الله بن الزبير بمكة، قال: فضرب ابن عباس على جنب ابن الزبير وتمثل[4]:

يـا لـكِ من قُبَّـرةٍ بِمَعْمَـرِ   خلا لكِ الجوّ فبيضي واصفري
ونقّري ما شئتِ أن تنقري

خلا والله لك يا ابن الزبير الحجاز وصار الحسين إلى العراق؛ قال فقال

---

(١) ديوان الأعشى: ٤٩.

(٢) س: حدّثنا.

(٣) أخبار الدولة العباسية: ١٠٨ ـ ١٠٩ (ببعض اختلاف).

(٤) انظر الرجز أيضاً في فصل المقال: ٣٦٤، ٣٦٥ والمحاسن والاضداد: ٩٩ وتهذيب ابن عساكر ٤: ٣٣٤ والخزانة ١: ٤١٧ وشرح شواهد المغني: ١٣ وهو ينسب لطرفة ولكليب بن ربيعة.

ابن الزبير لابن عبّاسٍ: والله ما ترون إلا أنكم أحقُّ بهذا الأمر من سائر الناس، فقال له ابن عباس: إنما يرى من كان في شكٍّ، فأما نحن فمن ذلك على يقين، ولكن أخبرني عن نفسك: لم زعمت أنك أحقُّ بهذا الأمر من سائر العرب؟ قال ابن الزبير: لشرفي عليهم قديماً لا ينكرونه، قال: فأيما أشرف أنت أم من شَرُفْتَ به؟ قال: إنّ الذي شرفتُ به زادني شرفاً. قال: وعلتْ أصواتهما، فقال ابن أخٍ لعبد الله بن الزبير: يا ابن عبّاس دعنا من قولك فوالله لا تحبونا يا بني هاشم أبداً، قال: فخفقه عبد الله بن الزبير بالنعل وقال: أتتكلم وأنا حاضر؟، فقال له ابن عباس: لِمَ ضربتَ الغلام وما استحق الضربَ وانما يستحق الضرب من مَرَقَ ومَذَقَ؟ قال: يا ابن عبّاس أما تريد أن تعفو عن كلمة واحدةٍ؟ قال: إنّما نعفو عن من أقرّ فأمَّا من هرَّ فلا؛ قال: فقال ابن الزبير: فأين الفضل؟ قال ابن عباس: عندنا أهلَ البيتِ لا نضعه في غير موضعه فنندمَ، ولا نَزْويه عن أهله فنظلم، قال: أولستُ منهم؟ قال: بلى إن نبذتَ الحسدَ ولزمت الجَدَد؛ قال: فاعترض بينهما رجال من قريش فأسكتوهما.

[قصة جحدر اللص والحجاج والأسد]

حدّثنا محمد بن القاسم الأنباري قال حدّثني أبي قال أخبرني أحمد[1] بن عبيدٍ عن أبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي قال[2]: بلغني أنه كان رجل من بني حنيفة يقال له جحدر بن مالك فتاكاً شجاعاً قد أغار على أُهل حَجْرٍ وناحيتها، فبلغ ذلك الحجاجَ بن يوسف، فكتب إلى عامله باليمامة يوبّخه

(١) م: محمد.

(٢) القصة والشعر في الموفقيات ١٧٢ ـ ١٧٥ ومعظم ذلك في شرح شواهد المغني: ١٣٩ (عن الموفقيات) ومعجم البلدان (حجر) وتهذيب ابن عساكر ٤: ٦٦ ـ ٦٧ وبغية الطلب ٤: ٢٤ والخزانة ٤: ٤٨٣ وألف باء البلوي ٢: ٥٠١ وانظر القصيدة النونية في الحماسة البصرية ٢: ٩٧ وأمالي القالي ١: ٢٨١.

بتلاعب جحدر به، ويأمره بالاجداد في طلبه والتجردِ في أمره؛ فلما وصل الكتابُ إليه أرسل إلى فتيةٍ من بني يربوع من بني حنظلة فجعل لهم جُعْلاً عظيماً إن هم قتلوا جحدراً أو أتوا به أسيراً، فانطلق الفتية حتى إذا كانوا قريباً منه أرسلوا إليه أنهم يريدون الانقطاع إليه والتحرز به، فاطمأنَّ إليهم ووثق بهم، فلما أصابوا منه غرةً شدُّوه كتافاً وقدموا به على العامل، فوجّه به معهم إلى الحجاج وكتب يثني عليهم خيراً، فلما أُدخل على الحجاج قال له: من أنت؟ قال: أنا جحدر بن مالك، قال: ما حملك على ما كان منك؟ قال: جرأة الجنان، وجفاءُ السلطان، وكلب الزمان، فقال له الحجّاج: وما الذي بلغ منك فيجترئ جنانك ويجفوك سلطانك ويكلب زمانك؟ قال: لو بلاني الأمير - أكرمه الله - لوجدني من صالح الأعوان وبُهَم الفرسان، ولوجدني من أنصح رعيته، وذلك أني ما لقيت فارساً قطُّ إلا كنتُ عليه في نفسي مقتدراً، قال له الحجاج: إنَّا قاذفون بك في حائرٍ فيه أسد عاقر ضارٍ فإن هو قتلك كفانا مؤونتك، وإن أنت قتلته خلَّينا سبيلك؛ قال: أصلح الله الأمير، عظَّمْتَ المنّة، وأعطيت المنية[1]، وقوَّيْتَ المحنة، فقال الحجاج: فإنا لسنا بتاركيك لتقاتله إلا وأنت مكبَّلٌ بالحديد، فأمر به الحجاجُ فَغُلَّتْ يمينه إلى عنقه وأرسل به إلى السجن. فقال جحدر لبعض من يخرج إلى اليمامة: تحمَّلْ عني شعراً، وأنشأ يقول:

ألا قد هاجني فازددتُ شوقاً بكاءُ حمامتين تَجَاوبانِ
تجاوبتا بلحنٍ أعجميٍّ على غصنين من غَرَبٍ وبانِ
فقلت لصاحبيّ وكنت أحزو ببعضِ الطير ماذا تحزوانِ[2]
فقالا الدارُ جامعةٌ قريبٌ فقلت بل أنتما متمنيان

---

(١) لم ترد العبارة في الموفقيات، وإنما ورد: «قربت المحنة وأعظمت المنة».

(٢) يحزو: يقرأ على وجه الكهانة.

فكان البانُ أن بانتْ سليمى   وفي الغَرْبِ اغترابٌ غير داني
أليس الليل يجمع أمَّ عمرو   وإيّانا فذاك بنا تداني
بلى وترى الهلالَ كما نراه   ويعلوها النهار إذا علاني
إذا جاوزتما نَخَلاتِ حَجْرٍ   وأوديةَ اليمامة فانعياني
وقولا جحدرٌ أمسى رهيناً   يحاذرُ وَقْعَ مصقول يماني

قال: وكتب الحجاج إلى عامله بكَسْكَر أنْ يوجه إليه بأسدٍ ضارٍ عاتٍ ويجرّ على عجل؛ فلما ورد كتابه على العامل امتثل أمره، فلما ورد الأسد على الحجاج أمر به فجعل في حائرٍ وأجيع ثلاثةَ أيام، وأرسل إلى جحدر فأتي به من السجن ويده اليمنى مغلولة إلى عنقه، وأُعطي سيفاً والحجاج وجلساؤه في مَنْظرةٍ لهم، فلما نظر جحدر إلى الأسد أنشأ يقول:

ليثٌ وليثٌ في محلٍّ[1] ضَنْكِ   كلاهما ذو أَنَفٍ وَمَحْكِ[2]
وشدةٍ في نفسه وفَتْكِ[3]   إن يكشفِ الله قناعَ الشكّ
أو ظفر بحاجتي ودركي   فهو أحقُّ[4] منزلٍ بترك

فلما نظر إليه الأسد زأر زأرةً شديدةً وتمطى وأقبل نحوه، فلما صار منه على قدر رمح وثب وثبةً شديدةً، فتلقاه جحدر بالسيف فضربه ضربةً حتى خالط ذبابُ السيف لهواته، فخرَّ الأسد كأنه خيمةٌ قد صَرعتها الريح، وسقط جحدر على ظهره من شدةِ وثبة الأسد وموضع الكبول، فكبر الحجاج والناس جميعاً، وأنشأ جحدر يقول[5]:

---

(١) الموفقيات: مجال.
(٢) الموفقيات: وفتك.
(٣) الموفقيات: وسورة في صولة ومحك.
(٤) الموفقيات: فذاك أحرى.
(٥) في رواية الموفقيات بعض اختلاف عما هنا؛ وبعض ذلك الاختلاف من قبيل الخطأ والتصحيف (وهما كثيران في الكتاب المذكور).

يا جُمْلُ إنك لو رأيتِ كريهتي في يوم هولٍ مُسْـدِفٍ وعجاجِ
وتقـدُّمي لليث أرسفُ مـوثقـاً كيمـا أُثـاوِرَه على الإحــراج
شثنٌ بـراثـنـه كـأنّ نيـوبَـهُ زُرْقُ المعاولِ أو شَبَاةُ زجاج
يسمو بنـاظرتين تحْسَبُ فيهما لمـا أحـدَّهمـا شعـاعَ سـراج
وكـأنّمـا خيـطتْ عليه عبـاءةٌ برقاءُ[1] أو خِرَقٌ من الديبـاج
لعلمتِ أني ذو حفـاظٍ ماجـدٌ من نسـلِ أقوامٍ ذوي أبـراج

ثم التفت إلى الحجاج فقال:

ولئن قصدتَ بي المنيةَ عامداً إني بخيرك بعد ذاك لراجـي

ويروى: إني لخيرك يا ابن يوسف راج.

علم النسـاء بـأنني لا أُنثني إذ لا يَـثِقْـنَ بـغـيـرةِ الأزواج
وعلمتُ أني إن كرهتُ نزالـه أني من الحجـاج لستُ بنـاج

فقال له الحجاج: إن شئتَ أسنينا عطيتك، وإن شئتَ خلَّينا سبيلك، قال: لا، بل اختار مجاورة الأمير، أكرمه الله. ففرض له ولأهل بيته وأحسن جائزته.

قال القاضي: مُسْدِفٌ: مظلمٌ من السُّدْفَةِ، والرسف: مشي المقيد، والبراثن: مخالب الأسد. والشبا والشباة: حدُّ الأَسنّة، قال أبو بكرٍ: البرقاء التي فيها سواد وبياض.

[المأمون يترحم على ابن أبي خالد]

حدّثنا محمد بن يحيى الصولي قال[2]: سمعت جرير بن أحمد بن أبي

---

(١) م: زرقاء.
(٢) تهذيب ابن عساكر ٢: ١٢٠.

دواد يحكي عن أبيه أن أحمد بن أبي خالدٍ وزير المأمون توفي في آخر سنة اثنتي عشرة ومائتين، وأنّ المأمون صلّى عليه ووقف على قبره، فلما دُلِّيَ في قبره قال: رحمك الله، أنت والله كما قال الشاعر:

أخو الجدّ إنْ جَدَّ الرجالُ وشمّروا　　　وذو باطلٍ إنْ كان في القوم باطلُ

[سعة علـم المأمون]

حدّثنا عبد الباقي بن قانعٍ قال حدّثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدّثنا عثمان بن عمران العجيفي عن محمد بن سعدٍ قال حدّثني محمد بن حفص الأنماطيّ قال(١): تغدَّينا مع المأمون في يوم عيدٍ، قال: وأظنه وضع على مائدته أكثر من ثلاثمائة لونٍ، قال: فكلّما وضع لـون نظـر المأمون إليه فقال: هذا نافع لكذا ضارٌّ لكذا، فمن كان منكم صاحبَ بلغم فليجتنب هذا، ومن كان منكم صاحب صفراء فليأكل من هذا، ومن غلبت عليه السوداء فلا يعرضْ لهذا، ومن قصد قلةَ الغذاء فليقتصر على هذا. قال: فوالله إن زالت تلك حاله في كل لونٍ يُقَدَّم اليه حتى رفعت الموائد، فقال له يحيى بن أكثم: يا أمير المؤمنين إنْ خضنا في الطب كنتَ جالينوسَ في معرفته، أو في النجوم كنتَ هرمس في حسابه، أو في الفقه كنتَ علي بن أبي طالب عليه السلام في علمه، أو ذكر السخاء كنت حاتم طـيء في صفته، أو صدق الحديث فأنت أبو ذرٍ في لهجته، أو الكرم فأنت كعب بن مامة في فعاله، أو الوفاء فأنت السموأل ابن عاديا في وفائه. فَسُرَّ بهذا الكلام وقال: يا أبا محمد إنَّ الإنسان إنما فضل بعقله، ولولا ذلك لم يكن لحم أطيب من لحمٍ ولا دم أطيب من دمٍ.

[ميل المأمون إلى التواضع]

قال: ونظر يوماً إلى رؤوس آنيته محشوةً بقطنٍ وكانت قبلَ ذلك بأطباقِ

---

(١) الاخبار الموفقيات: ٤٠ وكتاب بغداد: ٣٦ والمحاسن والمساوئ: ٤٣٨ - ٤٣٩.

فضّةٍ، فقال لصاحب الشراب: أحسنت يا بنيّ إنما يباهي بالذهب والفضة من قلَّ عنده، وأما نحن فينبغي أن نباهي بالأفعال الجميلة والأخلاق الكريمة، فإيّاك أن تحشو رؤوس أوانيك إلا بالقطن فذاك بالملوك أهيأ وأبهى.

[وُلِدَ لأبي دلامة ابنة]

حدّثنا أحمد بن العباس العسكري قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعدٍ قال حدّثنا يحيى بن خليفة بن الجهم الداريّ قال حدّثني محمد بن حفصٍ العجلي قال[1]: ولد لأبي دلامة ابنة فغدا على أبي جعفر المنصور فقال له: يا أمير المؤمنين إنه وُلِدَ لي الليلةَ ابنة، قال: فما سميتها؟ قال: أُم دلامٍ. قال: وأيّ شيء تريد؟ قال: أُريد أن يعينني عليها أمير المؤمنين، ثم أنشده:

لو كان يَقْعُدُ فوقَ الشمس من كَرَمٍ قومٌ لقيلَ اقعدوا يا آل عبَّاسِ
ثم ارتقوا في شُعاعِ الشمسِ كلكم إلى السماءِ فأنتم أكرمُ الناسِ

قال: فهل قلتَ فيها شيئاً؟ قال: نعم، قلت:

فما ولدتكِ مريمُ أُمُّ عيسى ولم يكفُلْكِ لقمانُ الحكيمُ
ولكن قد تضمُّك أُمُّ سوءٍ إلى لبَّاتها وأَبٌ لئيم

قال: فضحك أبو جعفر، ثم أخرج أبو دلامة خريطةً من خرق فقال: ما هذه؟ قال: يا أمير المؤمنين أجعلُ فيها ما تحبوني به، فقال: املؤوها له دراهم فوسعت ألفي درهم.

[إياس دخل الشام وهو غلام]

حدّثنا محمد بن الحسن بن زيادٍ المقري قال حدّثنا مسبح بن حاتم

---

(١) قارن بالأغاني ١٠: ٢٥١.

بالبصرة قال حدّثنا عبد الله بن عائشةَ عن أبيه قال[1]: دخل إياس بن معاوية الشامَ وهو غلام، فقدم خصماً له إلى قاضٍ لعبد الملك بن مروان، وكان خصمه شيخاً صديقاً للقاضي، فقال له القاضي: يا غلام أما تستحي أن تقدم شيخاً كبيراً؟! قال إياس: الحقُّ أكبر منه، قال له: اسكت، قال له: فمن ينطق بحجتي إذا سكت؟ قال: ما أحسبك تقولُ حقاً حتى تقوم، قال: أشهد أنْ لا إله إلا الله، قال: ما أظنك إلا ظالماً، قال: ما على ظنِّ القاضي خرجتُ من منزلي. فدخل القاضي على عبد الملك فأخبره الخبر فقال له: اقضِ حاجته واصرِفْهُ عن الشام لا يفسدِ الناسَ علينا..

[كرم إبراهيم بن عاصم العقيلي]

حدّثنا محمد بن أحمد بن علي الإسكافيّ حدّثني جدّي قال وحدّثني أبو محلم قال: كان هشام بن عبد الملك ولّى سجستان إبراهيم بن عاصم العقيلي، وكان من كرماء الناس، فقال فيه علكم بن مهير العقيلي:

أما قبيحاتُ النساءِ فإننا أبينا، وأمّا منجبات الكرائمِ
فيمنعني منهنَّ أنْ ليس عندنا لهنّ مهورٌ أو يزار ابن عاصم

قال: فحمل إليه من سجستان قبل أن ينزعَ إليه مائة ألف درهمٍ.

[أنواع المفاتيح]

حدّثنا محمد بن الحسن النقاش قال حدّثنا السراج قال حدّثنا داود بن رشيدٍ قال حدّثنا الوليد بن مسلمٍ قال حدّثني خليد بن دعلج عن قتادة قال: مفاتيح البحر السفن، ومفاتيح الأرض الطرق، ومفاتيح السماءِ الدعاء.

[ضوال الكلام وضوال الإبل]

حدّثنا علي بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أبو العباس محمد بن يزيد

(١) البيان والتبيين ١: ١٠١ وتهذيب ابن عساكر ٣: ١٧٨ وحدائق الأزاهر لابن عاصم: ١٨.

قال، قال بعض الحكماء[1]: ضوالُّ الكلام أحبُّ إليَّ من ضوالِّ الإبل، قيل له: نحو ماذا؟ قال: نحو قول الشاعر:

وإنــي لأرجـو الله حتى كأنَّمـا أرى بجميل الظنِّ ما الله صانعُ

[وصف دعوة مظلوم]

حدّثنا محمد بن يحيى الصوليّ قال أنشدنا أبو إسحاق إبراهيم بن المدبر قال أنشدني محمد بن عمر الجرجاني قال أنشدني إسحاق بن إبراهيم الموصلي، قال الصوليّ: وأنشدنا أحمد بن يحيى ولكنه قال: أنشد إسحاق لأعرابي يصف دعوةً دعا بها مظلوم[2]:

وساريةٍ لم تَسْرِ في الأرض تبتغي محلاً ولم يقـطعْ بها البُعْـدَ قـاطـعُ
سَرَتْ حيث لم تُحْدَ الركابُ ولم تُنَخْ لوردٍ ولم يقصرْ لها القيدَ مانعُ
تمرُّ مرورَ الليلِ والليلُ ضاربٌ بجثمـانـه فيـه سميـرٌ وهـاجـعُ
إذا وردتْ لم يردِدِ الله وَفْدَهَا على أهلهـا والله راءٍ وسـامـعُ
تُفَتَّـحُ أبـوابُ السمـوات دونهـا إذا قَـرَعَ الأبوابَ منهن قـارعُ
وإني لأرجـو الله حتى كـأنمـا أرى بجميل الظنِّ ما الله صانعُ

[المؤتمن يتعلم النحو]

حدّثنا العباس بن العباس بن المغيرة أبو الحسين الجوهري حدّثني محمد بن موسى الواسطي الفراقي[3] قال أبو الحسين: الفراقي هذا كان نظير

---

(1) البصائر ٨ رقم: ٦١ والبيت لابن وهيب في الكامل ٢: ٨.

(2) الأبيات في عيون الأخبار ٢: ٢٨٦ والعقد ٣: ٢٢٧ والبصائر ٤ رقم: ٥٥٧ وبهجة المجالس ١: ٣٨٠، ٢: ٢٧٤ وزهر الآداب: ٨٤٢ وربيع الأبرار ٢: ٢١٣ وانظر ديوان محمد بن حازم الباهلي: ٦٩.

(3) هكذا وردت النسبة في م ب: وهي في س: الفراقبي، ولم أجدها في الحالين؛ ولعلّ =

ثعلب، قال حدّثني سلمة أو الطوال ـ شكَّ أبو الحسين ـ قال حدّثني الفراء أنه دخل على المؤتمن وكان قريش مؤدبه، فقال له الفراء: أين بلغ الأمير؟ ـ يعني من العربية ـ فقال: سله، فقال له الفراء: كيف تقول: إن ما ضربت زيد؟ فقال له المؤتمن: إنما ضربتُ زيدٌ، فقال الفراء: يجمل بالأمير النظر فيها، ولم يقل له أخطأتَ، فقال: قد أصبت، فقال له الفراء: وأين توجد «ما» في معنى الذي؟ قال: في كتاب الله تعالى، قال: أين؟ قال: قول الله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (النساء: ٣) معناه الذي ملكت أيمانكم، قال الفراء: فقمتُ وقد حُمِمْتُ.

قال أبو الحسين: وكان الكسائي يؤدب المؤتمن، فظهر به في كفه بياض، فبلغ ذلك أُمَّه فخشيتْ أن يؤذيه الكسائيّ وجيء بقريشٍ يؤدبه.

[ما ومن]

قال القاضي: قد ذهب قومٌ إلى أن «ما» تأتي بمعنى «الذي» و «من»، والأصل الظاهر اختصاصُ مَنْ يعلمُ ومن يعقلُ بـ «مَنْ» وأنَّ «ما» لما لا يعقل ولجنس ما يعقل، وان «الذي» لهما جميعاً، ومن أحكام «ما» أنها قد تكون هي وصلتها بمعنى المصدر، وقد حكي عن بعض العرب: سبحان ما سبّحت له، يعنون الرعد، فذهب به بعضهم إلى معنى «من» وكذلك قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (الشمس: ٥ ـ ٧) وقال منكروه من محققي النحاة: هذا كلُّه بمعنى المصدر والمعنى وبنائها وطحوها وتسويتها، وقالوا: معنى ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (النساء: ٣٦) وأيمانهم أي ملك أيمانكم وأيمانهم كقولك: أعجبني ما

= محمد بن موسى الواسطي هو الذي ذكره السيوطي في البغية ١: ٢٥٣ غير أنه لم يذكر «الفراقي» أيضاً. والمؤتمن لقب للقاسم بن هارون الرشيد، وكانت وفاته سنة ٢٠٨.

صنعتَ أي صنيعك. وقيل في قوله: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ والأُنْثَى﴾ (الليل: ٣) أنه بمعنى: وخلقه الذكر والأنثى، وقيل غير ذلك. ويقال: ما زيدٌ؟ فيقال: إنسانٌ فهذا صحيح في جنس ما يعقل.

والعجب من استخذاء الفراء عندما احتجَّ عليه المؤتمن به وكيف لم يورد شيئاً مما تعلَّق به الموافقون له في مذهبه، وقد كانت رتبته تجلُّ عن أن يذهب هذا المعنى عليه، وأن ينفكَّ عن نصرة قوله والقيام به، ولكن ربما ارتبك النحرير والبليغُ المَزيرُ عند شيء يفجؤه أو عارض يفدحه.

[كتاب من عمرو بن مسعدة إلى ابن الزيات]

حدّثنا علي بن محمد بن الجهم أبو طالبٍ الكاتب قال حدّثني عبدالله ابن هارون قال حدّثنا أبو عبد الله محمد بن موسى البيمارستاني، قال أبو طالب: أحسبه سمعه من أبي عبد الله البيمارستانيّ، هو البرطني، قال حدّثني أبو حفص الكرمانيّ، وكان من كتاب عمرو بن مسعدة، أنه كتب إلى محمد بن عبد الملك الزيات(١): أما بعد فإنك ممّن إذا غرس سقى وإذا أسَّسَ بنى، ليستتمّ بناء أُسّه، ويجتني ثمر غرسه، وبناؤك في ودّي قد وهى وشارفَ الدروس، وغرسك عندي قد عطش وأشفى على اليبوس. فتداركْ بناءَ ما أسست، وغَرْسَ ما زرعت. قال أبو عبد الله البيمارستاني: فحدّثت بذلك أبا عبد الرَّحمن العطويّ فقال في هذا المعنى أبياتاً يمدحُ بها محمد بن عمران بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك:

إنَّ البرامكةَ الكرامَ تعلموا فعلَ الكرام فعلَّموهُ الناسا
كانوا إذا غرسوا سَقَوْا وإذا بَنَوْا لم يَهْدِمُوا لبنائهم آساسا
وإذا همُ صنعوا الصنائعَ في الورى جعلوا لها طولَ البقاء لباسا

---

(١) البصائر ١: ٣٢٥ والمنظوم والمنثور: ٤٢٢ وربيع الأبرار: ٢٠٤ ب.

فعــلام تسقيني وأنت سقيتـني كأسَ المودّة من جفائك كاسا
آنستني متفـضّــلاً أفــلا تــرى أنَّ القـطيعَةَ تـوحش الإيناســا

[منامـان]

حدّثنا عبد الله بن محمد بن الفرج الواسطيّ قال حدّثنا أبو بكر بن أبي الدنيا قال حدّثنا يحيى بن عبد الله المقدمي قال سمعت محمد بن عمر بن علي يحدث عن هارون بن رحيم قال: رأيتُ الحسنَ بن حبيبٍ بن ندبة في النوم فقلت: ما صنع بكَ ربك؟ قال: ما تراه صنع بي؟ رحمني وأكرمني وغفر لي وطيَّبني وقال: هكذا أفعل بأبناءِ ثلاث وثمانين.

حدّثنا أحمد بن محمد بن علي الديباجيّ، قال حدّثنا محمد بن يونس، قال حدّثنا الأصمعيّ، قال حدّثني أبي قال: رأى رجلٌ في المنام جرير بن الخطفى فقال: ما فعل بكَ ربُّكَ؟ قال: غَفَر لي، قال: بماذا؟ قال: بتكبيرةٍ كبرت الله تعالى في المقر (قال الأصمعي: ماءٌ بالبادية) قلت: فما فعل أخوك الفرزدق؟ قال: هيهات، أهلكه قذفُ المُحْصَنَاتِ، قال الأصمعي: لم يدعه في الحياة ولا في الممات.

المجلس الثالث والستون

[علي بن الجهم وحديث العشرة المبشرين بالجنة]

أخبرنا المعافى قال حدّثنا عبد الباقي بن قانعٍ ، قال حدّثنا أبو محمدٍ عبد الرحمن بن عبد الرحيم المعروف بعبدان الشافعيّ بالبصرة، قال حدّثني إبراهيم بن صالحٍ الشيرازيّ قال: نزلَ عليَّ عليُّ بن الجهم بشيراز فقال لي: أَخُصُّك بحديثٍ؟ قال: فقلت له: افعل، فقال: قال لي المتوكل يوماً: يا علي هذا الحديث الذي يُرْوَى عن النبيِّ ﷺ: عشرة من قريشٍ في الجنّة، أيُّ حديثٍ هو؟ قال قلت: يا أمير المؤمنين أصحُّ حديثٍ، قال: فمن رواه؟ قال قلت: رواه سفيان الثوري عن منصورٍ عن هلال بن يَسَافٍ[1] عن عبد الله بن ظالم عن سعيدٍ بن زيدٍ قال قال رسول الله ﷺ[2]: عشرة من قريشٍ في

---

(١) في م: هليل بن يساف، وهو هلال بن يساف أو أساف الأشجعي مولاهم الكوفي، روى عن الحسن بن علي وأبي الدرداء، وله عن سعيد بن زيد رواية مباشرة، ومن شيوخه أيضاً عبد الله بن ظالم (تهذيب التهذيب ١١: ٨٦).

(٢) لحديث سعيد بن زيد في المبشرين بالجنة صور مختلفة من غير طريق، وبالسند الذي ذكره المؤلف ورد الحديث: اسكن حراء فليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد (انظر مسند أحمد ١: ١٨٧ - ١٨٨).

الجنّة، قال فقال لي: ما أحْسَنَهُ من حديثٍ!! قال: قلت: يا أمير المؤمنين قد حضرني شيءٌ فأقوله؟ قال: قل، قال: قلت[1]:

محمــدٌ خيــرُ بني النضــر ... حكـاهُ بـالعــدلِ أبـو بكــر
صديقُ خير الخلق لا واني ... ينصـرُهُ في العُسْرِ واليســر
وثـالثُ القوم الــذي بعـده ... يخلفهم في البــرِّ والـبحـر
ذاك أبـو حفصٍ فمـا مثله ... يكــونُ حتى آخرِ الــدهـر
سبحـانَ من أكرمهم بـالتقى ... وصيّــر الأبــرار في قـبـر
هـذا هو الفخرُ فلا غيـرُهُ ... ما بعد ذاك الرمسِ من فخر
ورابعُ القـوم إمــامُ الهـدى ... عثمان ذو النور أبـو عمرو
كفى رسول الله مــا همَّــه ... وجهّـز الجيشَ لـدى العُسْرِ
يخمسهـم إبن أبـي طــالبٍ ... إمـامُ عـدلٍ ظـاهـرُ النصر
صـاحبُ صفينَ فمـا قبلهـا ... إلـى حُنَـيـنٍ وإلـى بَـدْرِ
وطلحـةُ الخيـر لهم سـادسٌ ... أنـقــذَهُ الله مـن الــكـفــر
وسـابعُ القـوم الزبيـرُ الـذي ... كـان حليفَ الشفـع والـوتـر
هــذا وسـعــدٌ لهـم ثـامنٌ ... وإبنُ عَــوْفٍ طيِّبُ النشــر
وحمــزةُ السيِّدُ في قــومِـهِ ... على وجـوه القـوم كــالبـدر
وعمُّ خير الخلق لا يمترى ... أبـو الملوك السـادة الــزهـرِ
فــالملك فيهم أبـداً ثـابتٌ ... من أولِ الدهر إلى الحشر

قال: فضحك، وأخرج ذلك اليومَ مالاً عظيماً وقسمه على بني هاشم وقريشٍ والأنصار وبني المهاجرين وأعطاني منه صدراً صالحاً.

---

(١) لم ترد الأبيات في ديوان ابن الجهم.

[تعليق الجريـري]

قال القاضي: الخبر الوارد عن النبيّ ﷺ بشهادته للعشرة من أصحابه بالجنة خبرٌ صحيح، وقد أتتِ الروايةُ به من طُرُقٍ عِدَّةٍ، وفي بعضها أنَّ النبيَّ ﷺ ذكر نفسه وتسعة معه، وفي بعضها أنه ذكر من صحابته عشرةً، والأخبارُ بكلٍّ واحدٍ من الوجهين ثابتةٌ. وقول علي بن الجهم في شعره «لا واني» أتى به على الأصل، وهذا مما يسوغ للشاعر لإقامة الوزن، قال الشاعر:

كمشتـريٍ بالحمد أحمرةً تترى

وقال آخر[1]:

لا باركَ الله في الغواني هَلْ يُـصْبِـحْـنَ إلا لـهـنَّ مُـطَّلَبُ

وقوله: «كفى رسولَ الله ما همَّه» العرب تقول: هَمُّك ما أَهَمَّك أي أذابك مـا يعـذبك[2]، ويقال: هممتُ الشحم أي أذبته، فكأنه قال: ما كرثه ولذعه بمضَضِهِ، وقوله: «يخمسهم ابنُ أبـي طـالبٍ» يقال: خمستُ القومَ أخمسهم إذا صرتُ خامساً لهم، ومثله ثَلَثْتُهُمْ أثلثهم وسَدَسْتهم أسدسهم، ومثله ثمنتهم وعشرتهم، فإذا قلت أخمُسُهُم بالضمِّ فمعناه أخذت خُمْسَ أموالهم، ومثله أَثلُثُهم وأَسْدُسُهم وأثمُنُهم وأَعْشُرهم إذا أخذت هذه الأجزاء منهم، فإذا قلت: ربعتهم وسبعتهم وتسعتهم قلت في الوجهين أربَعهم وأتسَعهم، ففتحت عين الفعل من أجل حرف الحلق. وقوله: «إبن أبي طالبٍ» و«إبن عوفٍ» بالقطع والألف فيه للوصل لضرورة الشعر وتصحيح

---

(١) هو عبيد الله بن قيس الرقيات، وانظر ديوانه: ٣ وسيبويه ٢: ٥٩ وشرح شواهد المغني: ٢١١ واللسان والتاج (غني).

(٢) ب م: كما حزنك.

الوزن، وقد أتى مثل هـذا كثيراً في أشعارِ العرب، وذكرنا منه فيما مضى من كتابنا هذا أبياتاً عدّةً، من ذلك قولُ الشاعر(1):

ألا لا أرى إثنين أكرمَ شيمةً   على حَدَثانِ الدهرِ منّي ومن جُمْلِ

وقال آخر(2):

فأيُّ امرىءٍ ألشـامُ بيني وبينه   أتتني ببشـرى بُـرْدُهُ ورسائِلُهْ

ولاستقصاءِ القول في هذا موضعٌ آخر.

[مقام رجل بين يدي هشام]

حدّثنا محمد بن الحسن بن دريدٍ قال حدّثنا أبو عثمان عن العتبيّ قال(3): صعد رجلٌ إلى هشام بن عبد الملك في خضراءِ معاوية، فمثل بين يديه لا يتكلم، فقال له هشام: مالك لا تتكلم؟ قال: هيبة الملك وبهر الدَّرَج؛ فلما رجعتْ نفسه إليه قال له هشام: تكلم وإياك ومَدْحَنا، فقال: لستُ أحمدك إنما أحمدُ الله تعالى فيك. ثم قال: إنَّ الدنيا ذُمَّتْ بأعمال العباد إذا أساءوا، ولم تحمد بأعمالهم فيها إذا أحسنوا، وإنّ الدنيا لم تكتمْ بما فيها فتذمّ ولكن إنما جهرت به، فأخذها مَنْ أخذها بذلك وهي عليه، وتركها من تركها لذلك وهي له. وإنَّ الدنيا نادَتْ أهلها بأنها تاركةٌ من أخذها، ومفارقةٌ من صحبها، ومخرّبةٌ عمرانَ من عَمَرها، فمن زرع فيها شروراً حصد

(1) نسب لجميل في نوادر ابي زيد: ٥٢٥ والمحتسب ١: ٢٤٨ والخزانة ٣: ٢٣٥ وهو في ديوانه: ٧٤ واللسان (ثني) وفي تهذيب ابن عساكر ١: ٢٧٦ وقد مرَّ في الجليس الصالح ١: ٥٢٠، ٢: ٢٠٥.

(2) أورده في الجليس الصالح ١: ٥٢٠، ٢: ٢٠٥ وانظر تهذيب ابن عساكر ١: ٢٧٦.

(3) قارن بما ورد في البصائر ١ رقم: ٦٥ ونثر الدر ٢: ١٨٣ ومحاضرات الراغب ١: ٣٨٠ وربيع الأبرار: ٣٥٥ ب.

حزناً، ومن أبَّرَ فيها هوىً اجتنى ندامةً، وإنما هي لمن زهد فيها اليوم وأعرض عنها وآثر الحقَّ عليها؛ وأخذها من أخذها بعد البيان منها والإخبار عن نفسها، فغرَّ نفسه وسمَّاها غرّارةً، وكذَّب نفسه وسمَّاها كذابة، وزهد فيها آخرون فصدَّقوا مقالتها، ورأوا آثارها في فعلها فأخذوا منها قليلاً، وقدَّموا فيها كثيراً، وسلموا من الباطل، وصارت لهم عَوْناً على الحقِّ في غيرها، فلم تُحْمَدْ بإحسانِ مَنْ أحسن فيها وهي له، وذُمّت بأساءة من أساء فيها وهي عليه[1]، فأنت أحقُّ بإساءتك فيها إذ كان الإحسانُ لك دونها. فأطرق هشامٌ يفكر في كلامه وامَّلس الرجلُ فلم يره.

[شرح غريب النصّ]

قال القاضي: «ومن أبَر فيها هوىً» أي لقح[2] يقال: أبَرْتُ النخلَ وأبَّرته إذا ألقحته، ومنه قولُ النبيِّ ﷺ: من باع نخلاً مؤبراً، وقوله: سِكَّةٌ مأبورةٌ، وقال الشاعر[3]:

لا تأمنَنْ قوماً وترتهمُ ... وبدأتهمْ بالغَشْم والظُّلمِ
أنْ يأْبِرُوا نخلاً لغيرهمُ ... والشيءُ تحقرُهُ وقد ينمي

وقوله: «فامَّلس» معناه زال عن موضعه بسهولةٍ، وهو مأخوذٌ من الملاسة، يقال: أمْلَسَ من كذا وتملَّسَ أي زال بسرعةٍ لملاسةِ موضعه وأنه ليس فيه أجزاء لها نتوء ونبوّ وتضريس. ويقال في هذا المعنى املص[4] وتملَّص فكأنه من الدَّحْض والزَّلَق، ويقال إن هذا الوجه أفصحُ الكلامين،

---

(١) ب: وهو عليها.
(٢) س: ألقح.
(٣) هو الحارث بن وعلة كما في الاختيارين: ٣٨٧ ـ ٣٨٨ وانظر تهذيب ابن عساكر ٥: ١٢٩.
(٤) ب: انماص؛ س: انملص.

ومنه أمْلَصَت المرأة فأَزلقت إذا أسقطتْ جنينها، ومنه الخبر الواردُ أنّ النبيّ ﷺ قضى في إملاصِ امرأةٍ بغُرَّةٍ: عبدٍ أو أَمَةٍ وذلك إذا ضُرِبَتْ فأسقطت جنيناً ميتاً.

وهذا الخبر مما ينبِّهُ على الحَذَر من غرور الدنيا، وقال الله تعالى ذكره: ﴿يا أَيُّها النَّاسُ إنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الغَرُورُ﴾ (فاطر: ٥).

[شعوانة تبكي وتُبكي]

حدّثنا أبي قال حدّثنا أبو أحمد الختلي[١] قال حدّثنا الحسين بن يحيى قال: كانت شعوانة تُرَدِّدُ هذا البيت فتبكي وتُبكي النساء معها:

لقد أَمِنَ المغرورُ دارَ إقامةٍ ... وَيُوشِكُ يوماً أن يخافَ كما أَمِنْ

[ما أنفق يوم تحذيق المعتز]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدّثني أبو يوسف يعقوب بن بنان الكاتب قال حدّثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن الفرات قال: حدّثنا أبي وجماعةٌ من شيوخنا قال: لما حذق المعتز القرآنَ دعا المتوكل شفيعاً الخادم بحضرة الفتح بن خاقان فقال: إني عزمت على تحذيق أبي عبد الله في يوم كذا وتكون خطبته عليَّ وحذاقَـهُ ببركوارا، فأخرج من خزانةِ الجوهر جوهراً بقيمة مائة ألف دينارٍ في عَشْرِ صواني فضة للنثار على مَنْ يقرُبُ من القوّاد مثل محمد بن عبد الله ووصيف وبغا وجعفر الخياط ورجاء الحصاري ونحو هؤلاء من قادة العسكر، وأخرج مائة ألف دينارٍ عدداً للنثارِ على القواد الذين دون هؤلاء في الرواق الذي بين يدي الأبواب، وأخرج ألفَ

---

(١) ب: الجيلي.

ألفِ درهمٍ بيضاً صحاحاً للنثار على من في الصحن من خلفاءِ القواد والنقباء.
قال شفيع: فوجَّهتُ إلى أحمد بن حُباب الجوهريّ فأقام معنا حتى صنَّفنا في عَشْرِ صواني من الجوهر الأبيض والأحمر والأزرق والأخضر بقيمة مائة ألف دينارٍ ووزن كلِّ صينية ثلاثة آلاف درهمٍ؛ وقال شفيعٌ لابن حباب: اجعل في صينيةٍ من هذه الصواني جوهراً يكون قيمته خمسةَ آلاف دينار وانتقصه من باقي الصواني حتى يكونَ في كلٍّ واحدة تسعة آلاف وخمسمائة دينار فإن أمير المؤمنين أمرني أن أدفعَ هذه الصينيةَ إلى محمد بن عمران مؤدّب الأمير أبي عبد الله إذا فرغ من خطبته، ففعل ذلك، وشدوا كلَّ صينية في منديلٍ، وختمت بخاتم شفيع، وتقدم شفيع إلى من كان معه من الخدم أن ينثروا العينَ في الرواق، والوَرِقَ في الصحن، وأوعز إلى الناس من الأكابر ووجوه الموالي والشاكرية بحضور بركوارا في يومٍ سُمِّيَ لهم ليشهدوا خطبةَ الأمير المعتز، وكتب إلى محمد بن عبدالله وهو بمدينة السَّلام بالقدوم إلى سُرَّ من رأى لحضور الحذاق. قال: فتوافى الناس إلى بركوارا قبل ذلك بثلاثة أيام، وضربت المضارب، وانحدر المتوكل غداةَ ذلك اليوم ومعه قبيحة ومن اختصَّت من حرم المتوكل ومن حشمها إلى بركوارا، وجلس المتوكل في الإيوان على منصته وأخرج منبر أبنوس مضبَّبٍ بالذهب مُرَصَّعٍ بالجوهر مقابضه[1] عاج، وقال بعضهم: عودٌ هنديّ، فَنُصِبَ تجاهَ المنصَّة وسط الإيوان، ثم أمر بإدخال محمد بن عمران المؤدّب، فدخل فسلَّم على أمير المؤمنين بالخلافة ودعا له، فجعل أمير المؤمنين يستدنيه حتى جلس بين يدي المنبر، وخرج المعتز من بابٍ في جنبة الإيوان حتى صعدَ المنبر، فسلَّم على أمير المؤمنين وعلى من حضر، ثم خطب، فلما فرغ من خطبته دُفِعَت الصينيَّة إلى محمد بن عمران، ونثر شفيعٌ صواني الجوهر على من في الايوان، ونثر الخدمُ الذين كانوا في الرّواق والصحن ما كان معهم من العَيْن

(١) ب: مضاربه.

والورق، وأقام المتوكلُ ببركوارا أياماً في يومٍ منها دعته قبيحة، فيقال إنهِ يوم لم ير مثله سروراً(1) وحُسناً وكثرةَ نفقةٍ، وإنَّ الشمع كلـه كان عنبراً إلا الشمعة التي في الصحن فإنه كان وزنها ألف منٍّ فكادت تحرق القصر، ووجد حَرَّها مَنْ كان في الجانب الغربيّ من دجلة. وقد كان أمر المتوكلُ أن يُصاغَ له سريران: أحدهما ذهب والآخر فضة، ويفرشَ السرير الفضة ببساط حبٍّ وبرذعة حبٍّ ووسادي حبٍّ ومخدتي حبٍّ ومسند حبٍّ منظوم على ديبـاج أسـود، وكان طولُ السـرير تسعـة أذرعٍ، قال: فأُخْرِج من خزانةِ الجوهر حبٌّ عُمِلَ له ذلك فكان أرفعُ قيمة الحبة ديناراً، وأقلُّ القيمة درهماً، فاتُّخذ له ذلك وأمر بفرش السرير الذهب بمثل فَرْشِ السرير الفضة منقوشاً بأنواع الجوهر الأحمر والأخضر والأصفر والأنواع، ففرشا فقعد عليهما هو وقبيحة ثم وهبهما لها.

[دافع عن أبي هريرة في مجلس الرشيد]

حدّثنا محمد بن القاسم الأنباري قال حدّثنا محمد بن يونس الكديمي قال حدّثنا يزيد بن مُرَّةَ الدّباغ قـال حدّثنا عمر بن حبيب قال(2): كنا عند هارون أمير المؤمنين، وبين يديه قومٌ يتناظرون، فذكروا حديثاً فقالوا: رواه أبو هريرةَ عن رسول الله ﷺ، وكذب أبو هريرة، وارتفعت أصواتهم بتكذيب أبي هريرة، فرأيتُ هارونَ قد نحا نحوهم ومال إلى قولهم، فقلتُ أنا: صدق أبو هريرة، وأبو هريرة الصادقُ في روايته عن رسول الله ﷺ، وقمتُ فانصرفت. فلما دخلتُ منزلي وافى بريدٌ فأدخلتُهُ فقال: أجبْ أمير المؤمنين إجابةَ مقتول

---

(1) ب: شرفاً.

(2) عمر بن حبيب العدوي ولي قضاء البصرة أيام الرشيد ثم الشرقية أيام المأمون، وكان في قضائه محموداً صلباً مهيباً، توفي سنة ٢٠٦ أو التي بعدها؛ وقصته مع الرشيد وردت في تاريخ بغداد ١١: ١٩٧.

لأنَّكَ لا ترجع، فقلتُ في نفسي: الله يعلمُ أني قمتُ بحقٍّ، ونصرتُ صاحبَ رسول الله ﷺ، ومضيتُ إلى هارون فدخلت عليه وهو جالسٌ على كرسيٍّ من ذهب حاسراً عن ذراعيه، بيده سيفٌ، فقال: يا عمر بن حبيب[1]، تُقْبِلُ عليَّ بالردِّ بما أقبلت[2] به؟! فقلتُ: يا أمير المؤمنين، الذي قُلْتَهُ إزراءٌ على رسول الله ﷺ، إذا كان أصحابُ رسول الله ﷺ كذابين فأَمْرُ الإسلام كلّه باطلٌ، والصلاة والصوم والطلاق والحدود. قال: صدقتَ يا عمر بن حبيب، أحييتني أحياك الله، أحييتني أحياك الله.

قال القاضي: الفصيح زرَيتُ على الرجلِ زرايةً وأزريتُ به إزراءً.

[تقبَّل السواد في أيام المأمون فربح كثيراً]

حدّثنا علي بن محمد بن الجهم أبو طالب الكاتب، قال حدّثني القاسم ابن أحمد الكاتب، قال حدّثني أحمد بن محمد بن مدبّرٍ، قال حدّثني إسحاق ابن إبراهيم بن مصعبٍ قال[3]: تضمنتُ السوادَ من المأمون لسنة ثلاث عشرة ومائتين بأربعمائة ألف كُرّ شعيراً مصرفاً بالفالج حاصلاً، وثمانية آلاف ألف درهمٍ سوى مُؤَنِ العملِ وأرزاقِ العمال وغير ذلك، فارتفع لي فيه من الفضل بعد المؤن والأرزاق الجارية عشرون ألف ألف درهمٍ، قال: فأتيت المأمون، فقلت: يا أمير المؤمنين إني قد استفضلت في ضمان السوادِ عشرين ألف ألف درهمٍ، قال: قد سَرَرْتَني وقد سَوَّغْتُكَها، ولكن اكتبْ إلى عبد الله بن طاهرٍ فعرِّفْه أني إنما ضمَّنْتُكَ السوادَ له وسوَّغْتُكَ هذا الفضل لمكانِهِ ومحلِّه منّي، ففعلت، قال: فكتب إليَّ عبد الله بن طاهرٍ: قد سَرَّني ما كتبتَ به من

---

(١) ب: يزيد.

(٢) س: أفلت.

(٣) بغية الطلب ٢: ٢٣٦ عن المعافى.

ربحك عشرين ألف ألف درهم وتسويغ أمير المؤمنين إياك ذلك، وأميرُ المؤمنين أجلُّ قدراً وأعظمُ خَطَراً من أن يُسْتَكثَر هذا من فعله، إذ كان أهلاً لما هو أكثرُ منه، وليس ينبغي أن نقنع لك بهذا دونَ أن أضيفَ إليه شيئاً آخر من مالي فاقبضْ من غلَّةِ ضياعي مائة ألف ألف درهم.

[بين بني هاشم وبني أمية]

حدّثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدّثنا محمد بن زكريا الغلابيّ قال حدّثنا عبد الله بن عائشة عن جويرية قال، قال عمر بن عبد العزيز: ما زلنا نحن وبنو عمنا من بني هاشم مرةً لنا ومرةً علينا، نلجأ إليهم ويلجأون إلينا حتى طلعت شمسُ الرسالة فأكسدتْ كلَّ نافق وأخرستْ كلَّ ناطق.

[جرير يحكم بتفوق الأخطل]

حدّثنا عبيد الله بن محمدٍ بن جعفر الأزديُّ قال: حدّثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال حدّثنا ابن الأعرابي قال، قيل لجرير: أيّما أشعر أنت في قولك(١):

حيِّ الغـداةَ برامـةَ الأطلالا　　رَسْمـاً تحمَّـلَ أهلُهُ فـأحـالا

أم الأخطل في جوابها(٢):

كَذَبَتْكَ عينُكَ أم رأيتَ بواسط　　غَلَسَ الظلام من الرباب خيالا

قال: هو أشعر مني، إلاّ أني قد قلتُ في قصيدتي بيتاً لو أن الأفاعي نهشتهم في أستاههم ما حَكُوها حيثُ أقول(٣):

---

(١) ديوان جرير ١: ٤٧.
(٢) ديوان الأخطل: ٤١.
(٣) ديوان جرير ١: ٥٢، ٥٣.

والتغلبيّ إذا تنحنح للقرى حكَّ آسْتَهُ وتمثَّلَ الأمثالا

[تعليقات للمعافى بن زكريا]

قال القاضي: من فضل جريرٍ تفضيلهُ الأخطلَ في الشعر واعترافُهُ بأنَّ شعره يفضلُ شِعْرَ نَفْسِهِ، على ما بينهما من العداوة والملاحاة والمقارعة والمهاجاة والمفاخرة والمباراة، مع أن جريراً قد أتى في قصيدته هذه بما ليس في قصيدة الأخطل ولا غيرها من شعره ما يدانيه ويقارب[1] معناه، وذلك قوله:

ما زلتَ تحسبُ كلَّ شيء بعدهم خيلاً تكرُّ عليكمُ ورجالا

وهذا من أخصر كلام وأفصحه، وأبلغ نظامٍ وأوضحه. وقد روي أن الأخطل لما أُنشد هذا البيت بُهِتَ عنده وكثر تعجبه منه وقال: من أين لابن المراغة هذا؟ فقيل له: إن هذا المعنى في القرآن وتلي عليه قول الله جلّ وعز: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ العَدُوُّ﴾ (المنافقون: ٤) فقال الأخطل: أنا من أين لي مثلُ كتابِ محمَّدٍ آخذ منه وأستعينُ به؟! والذي أتى القرآن به في هذا مُبِرٌّ على ما قاله الشعراء فيه لأمرٍ متفاوت في قلَّةِ عَدَدِ حروفه وقُرْب مأخذه ووضوحِ معناه. ومما يشبه قولَ جرير في هذا المعنى قولُ الذي قال:

ولو أنها عصفورةٌ لحسبتَها مُسوَّمةً تدعو عبيداً وأزنما

ونحو هذا قول الآخر[2]:

---

(١) س: أو يقارب.

(٢) هو عبيدة بن أيوب العنبري في البصرية ١: ٩ ٢ وعبد الله بن الحجاج في الأغاني ١٣: ١٦٣ وانظر الحيوان ٥: ٢٤٠، ٦: ٤٣٢ والكامل ٣: ١٣١ والزهرة ٢: ١٥٦ وحماسة البحتري: ٢٦٠ وتهذيب ابن عساكر ٢: ٣٣٦ (٣٣٩) وتشبيهات ابن أبي عون: ٢٤٥ والمختار من شعر بشار: ٩ وحماسة الظرفاء ١: ٤٣.

كـأنَّ بـلادَ الله وهي عـريضـةٌ على الخائف المطلوبِ كِفَّةُ حابلِ
تؤدي[1] إليــه أنّ كـلَّ ثنيَّــةٍ تــطلَّعهـا تــرمي إليـه بقــاتـل

ويروى تسنّمها.

قال القاضي: قوله: «كفة حابل» يعني حبالةَ الصائد، وقال اللغويون: الكفة ما كان مستديراً ككفّة الميزان، والكُفّة - بالضم - ما كان مستطيلاً ككفة الثوب، والوجهان يرجعان إلى معنى واحد، وهو الكفُّ والحصرُ والحبس وإحاطة النهايات بالحواشي المتوسطات؛ ومنه حاجةٌ لها كفة، وحاجات لها كُفَفٌ أي نهايةٌ تجمعها وتحيطُ بها وتكفّها عن التشذّب والانتشار. ومن ذلك قول الأعشى ميمون بن قيسٍ[2]:

كانت وصاةٌ وحاجاتٌ لها كِفَفٌ وأنّ صَحْبَكَ إنْ ناديتَهم وقفوا

[هفوة من سوارح العقل الباطن]

حدّثنا محمد بن القاسم الأنباري قال حدّثني أبي قال حدّثنا إبراهيم بن سعدان قال حدّثنا الأصمعي عن عبد الله بن صالح قال، قال لي رجل من حارثة بن لام: أضافني رجلٌ من بني تغلب فأحسن ضيافتي فأفلتَ من لساني هذا البيت:

والتغلبيُّ إذا تنحنح للقرى حــكَّ آستـه وتمثَّـلَ الأمثـالا

فلما قلته خجلتُ وسُقط في يدي، فقال لي: يا عبدَ الله انبسط، فإنما قلتَ كلمةً مقولةً.

(١) في م ب: يوتي، وفي س: تومي.
(٢) ديوان الأعشى: ٢٠٨.

[أحلى قولٍ للمستملي]

حدّثنا محمد بن الحسن بن زيادٍ المقري قال حدّثنا عبد الله بن محمود بمرو قال، سمعتُ يحيى بن أكثم يقول[1]: كنتُ قاضياً وأميـراً ووزيراً وقاضياً على القضاة ما ولج سمعي أحلى من قول المستملي: مَنْ ذكرتَ رضي الله عنك؟

[مجموعة حكم]

حدّثنا محمد بن عبد الله[2] السّليطي قال حدّثنا محمد بن المنذر الهروي أبو عبد الرحمن شكر، قال حدّثني حطان بن عبد الرحمن الجنديّ، قال حدّثنا عبد الله بن سليمان الجندي قال، قالوا: دعامةُ العقلِ الحلم وجماعُهُ الصبر. واعلم أنَّ هذه الدنيا دُوَلٌ، فما كان منها للإنسان أتاه على ضعفه، وما كان منها عليه لم يَدْفَعْهُ بقوَّته. وقالوا: الشرُّ مخوفٌ من كلِّ وجهٍ، والنفعُ مَـرْجوٌّ من كلِّ ناحيةٍ، وما أكثر ما يأتي الخير من وجوه الخوف ويأتي الشرُّ من ناحية الرجاء.

حدّثنا أحمد بن علي القاضي النيسابوري، قال حدّثنا محمد بن المسيب الأرغياني، قال حدّثنا عبد الله بن خبيق، قال حدّثني أبو عبد الله الحلبي، قال سمعت أبا إسحاق الفزاري يقول: إن للحوائج فرساناً كفرسان الحرب. وقال لي أبو إسحاق: إن الرجل ليسألني عن حالي ولو أخبرته لشمتَ بي.

[عمرو بن عبيد يعظ المنصور]

حدّثنا عمر بن الحسن بن عليّ بن مالك الشيباني قال حدّثنا الحارث بن

---

(١) ورد الخبر في شرف أصحاب الحديث للخطيب: ١٠٤ (رقم: ٢٣١).
(٢) م: محمد بن أبي عبد الله.

أبي أُسامة، قال حدّثنا المدائني، قال: دخل عمرو بن عبيد على المنصور فقال: إن الله تعالى أعطاك الدنيا بأسرها، فاشترِ نَفْسَكَ منه ببعضها، واحذرْ ليلةً تَمَخَّضُ عن يومٍ لا ليلةَ بعده. قال: فبكى أبو جعفر، قال عمرو: انبذ عنك البكاءَ واترك ما تنكر إلى ما تعرف، واعلمْ إنّ ربك لبالمرصاد، والسلام.

[شعر إسحاق الموصلي حين أَبَلَّ صباح بن خاقان]

حدّثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي قال حدّثنا محمد بن أحمد بن عمّار قال حدّثنا أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان بن علي قال حدّثنا صباح بن خاقان قال(1): اعتللتُ علّةً أشفيتُ منها، فبلغ ذلك إسحاق بن إبراهيم الموصليّ فاغتمَّ منها، ثم ورد عليه الخبرُ بإفاقتي فكتب إليّ:

حمـدتُ الله إذ عافـى صباحا ... وأعقبـه السلامـةَ والصلاحا
وكنّـا خائفينَ علـى صباح ... من الخبر الـذي قد كان باحا
وخوّفنـي من الحدثـان أني ... رأيت المـوتَ إنْ لم يَغْـدُ راحا

[الأخطل يسرق معنىً للأعشى]

حدّثنا المظفر بن يحيى بن أحمد الشرابيّ، قال حدّثنا أبو العباس المرثدي، قال أخبرني طلحة بن عبد الله الطلحيّ، قال أخبرني إبراهيم بن سعدان، قال حدّثنا ابن بشير المديني قال(2): وفدتُ إلى بعض ملوك بني أُميَّة فمررتُ بقريةٍ فإذا رجلٌ مرنَّحٌ من الشراب قائمٌ يبول، فسألته عن الطريق فقال: أمامك، ثم لحقني فقال: انزل، فنزلتُ، فقال: ادنُ دونَكَ وعليك

---

(1) تهذيب ابن عساكر ٢: ٤٣٠.
(2) القصة وما تخللها من شعر في الموشح: ٢٢١ - ٢٢٢.

الحانة، فدخلت، فأحضر سُفْرةً واستلَّ سلةً فأخرج منها رُغُفا[1] ووذراً من لحمٍ فقال: أَصِبْ، فأصبت، ثم سقاني خمراً، فإذا أبو مالكٍ. ثم قال لي: كيف علمك بالشعر؟ قلت: قد رويتُ، فأنشدني قصيدته[2]:

صَرَمَتْ حبالَكَ زينبٌ ورعومُ

فلما انتهى إلى قوله:

حتى إذا أخذ الزجاج أكفنا نفحت فأدركَ ريحَها المزكومُ

قال: ألستَ تزعم أنك تبصرُ الشعر؟ قلت: بلى، قال: فكيف لم تشققْ بطنك فضلاً عن ثوبك عند هذا البيت؟! قال: قلت: قد فعلتُ عند البيتِ الذي سرقتَ هذا منه، قال: وما هو؟ قلت: بيت الأعشى[3]:

من خمرِ عانةَ قد أتى لختامها حَوْلٌ، تفضُّ غَمَامَةَ المزكومِ

قال: أنت تبصر الشعر، فلما صرتُ إلى سليمان سمرتُ معه بهذا أول بدأتي.

[تعليق الجريري]

قال القاضي: للأعشى في هذا المعنى بيت هو أبلغُ من هذا البيت في كلمةٍ له أُخرى وهو[4]:

من اللاتي حُمِلْنَ على الروايا كريح المسك تستَلُّ الزكاما

واستلالُ الزكام أبلغ من فَضِّه لأنَّ استلاله نَزْعُهُ وإخراجه، وفضُّهُ نشره

---

(١) م س: رغيفاً.

(٢) ديوان الأخطل: ٨٢، ٨٥ والأغاني ٩: ١٢٠.

(٣) ديوان الأعشى: ٢٥٨ والأغاني ٩: ١٢١.

(٤) ديوان الأعشى: ١٣٥، والموشح: ٢٢٣ والأغاني ٩: ١٢٠.

وتفريقه وكسره كفضِّ الخاتم، وفي فضِّه مع هذا إزالتُهُ وتنحيته كما يزول الخاتم عند فضّه ويفارق ما كان حالاً فيه ولازماً له. وفي قول الأخطل: «فأدرك ريحها المزكومُ» من البلاغة أنه إنما يفوته إدراك المشموم لحلول الزكام به وغلبته إياه، فإذا أدرك ريحَ الخمر التي كان الزكامُ حائلاً بينه وبينها عند نَفْحَتِها فإنما ذلك لزوالِ الزكام المانع الحائل بينه وبين إدراكها. وقد تُدْرَكُ الرائحة بعد خفَّةِ الزكام وزوال بعضه وإن لم يَزُلْ بكلّيته، فمن هاهنا كان الفضُّ والاستلال أبلغَ وأبينَ في المعنى.

[ما يقوله الحسن إذا أصبح وإذا أمسى]

حدّثنا طلحة بن محمد بن إسرائيل الجوهري قال حدّثني أبو الحسن أحمد ابن عبد الرحمن الجوهريّ قال حدّثنا أبو حذيفة قال حدّثنا سفيان الثوري عن حصين الأسدي قال: كان الحسن إذا أصبح قال:

يَسُرُّ الفتى ما كان قَدَّمَ من تقىً ... إذا عرف الداءَ الذي هو قاتِلُهْ

وإذا أمسى قال:

فمــا الـدنيا بباقيةٍ لحيٍّ ... ولا حيٌّ على الـدنيا بباقِ

[من أول من قال شعراً: يعقوب أم آدم]

حدّثنا أحمد بن جعفر بن محمد المنادي، قال حدثنا محمد بن إسماعيل بن يونس أبو إسماعيل إملاءً، قال حدّثنا أبو صالح سهل بن خاقان، وكان من خيار الناس، قال: سمعتُ أبا المورع(١) يقول: أوَّلُ من قال بيتَ شعر يعقوب ﷺ لما جاءُوهُ فأخبروه عن يوسف عليه السلام بالذي أخبروه به فقال:

---

(١) س: المدرع.

فصبرٌ جميلٌ بالذي جئتمُ به   وحسبي إلٰهي في المهمّاتِ كافيا

قال القاضي أبو الفرج: قد أتتْ هذه الرواية بما وصفناه، وقد روي لنا أنَّ أوّلَ من قال الشعرَ آدمُ عليه السلام لما قتل قابيلُ أخاه هابيلَ، وأن إبليس لعنه الله أجاب آدم عليه السلام عن شعره ذلك، وهي روايةٌ معروفةٌ، ولعلّنا نأتي بها فيما بعد إذا خرجت لنا إن شاء الله تعالى.

[معاوية يغري ابن عمر بالمال ليبايع ليزيد]

حدّثنا محمد بن العباس بن نجيح البزاز قال حدّثنا إبراهيم بن أحمد بن عمر(1) الوكيعي من كتاب أبيه يُلقن، قال حدّثني أبي قال حدّثنا مؤمل قال: حدّثنا حماد بن زيدٍ قال حدّثنا أيوب عن نافع أن معاوية لما أراد أن يبايع ليزيد أرسل إلى ابن عمر بمائة ألفٍ ثم أرسل إليه أن بايعْ ليزيد فقال ابن عمر: إنْ كان ذاك لذلك إنّ ديني عندي إذن لرخيص.

[لماذا يُخْتَلَفُ إلى الناس]

حدّثنا الحسن بن أحمد بن محمد بن سعيد الكلبي الدينوري، قال حدّثنا أحمد بن علي بن نعيم الدينوري، قال حدّثني محمد بن يزيد بن هارون الواسطي بسرَّ من رأى، في سنة ثلاث وستين ومائتين، قال حدّثنا القاسم بن بهرام عن أبي الزبير عن جابرٍ عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لا يُؤْتَى الرجلُ إلا لخصلةٍ من أربع خصالٍ: لشرفٍ، أو لشكرِ معروفٍ سلف، أو لأمرٍ يؤْتَنَف، أو لحديث يُطَّرَف.

حدّثنا محمد بن زيادٍ المقري قال سمعت أحمد بن صالح النحوي

---

(1) س: عمرو.

السَّرخسي قال، سمعت المسعوديّ يقول، قال المأمون[1]: يُخْتَلَفُ إلى الناس لأربعة أشياء: لصحّةِ شرفٍ، أو لعلمٍ مطرّف، أو لأمرٍ مُؤْتَنَفٍ، أو لمعروفٍ قد سلف.

[ما في جيب ابن الجهم حين قتل]

حدّثنا محمد بن محمد بن الحسن بن أستاذ[2] الهرويّ، قال سمعتُ عبد الله بن عروة يقول، سمعتُ أبا عشانة يقول[3]: لما قُتِلَ علي بن الجهم وُجِدَ في جيبه رقعةٌ فيها:

يا وحشتا للغريب في البلد النا — زح ماذا بنفسه صَنَعا
فارق أحبابه فما انتفعوا — بالعيش من بعده ولا انتفعا

[أف للدنيا وتف]

حدّثنا عبد الله بن الحسن بن محمدٍ البزاز قال حدّثنا محمد بن خلف قال حدّثني عبد الله بن محمد بن مرزوق العتكي عن عبد الواحد بن غياث أو آخر غيره ذهب عني اسمه ـ العتكي يقول هذا ـ قال: قد دخلتُ دار المورياني ليلاً فسمعتُ قائلاً يقول:

أفٍّ للدنيا وتُفْ — كل من فيها يَلُفْ

فأجابه آخر:

---

(١) الوافي ١٦: ١٣٢ للشرقي بن القطامي يقوله للمنصور «يزار المرء لأربع» على معروف سلف أو مثله يؤتنف أو قديم شرف أو علم مطرف».

(٢)م: أشناذ.

(٣) تاريخ بغداد ١١: ٣٦٩ وشرح المختار: ٢٥١ والزهرة: ١٨٢ والعقد ٤: ٤١٠؛ ٦: ٦ والأغاني ١٠: ٢٤١ وديوانه: ١٥٤.

لـــم تــقـلْ والله شــيـئـاً إنَّ فــيــهــا مــن يــعـف
مـنـهــم الـقــاضــي ويـحـيــى والــهــجــيــميّ الــمُــخِـفّ

[توضيـــح]

قـال القـاضي أبـو الفـرج: القـاضي معـاذ بن معـاذ، ويحيى بن سعيـد القطان، وخالد بن الحارث الهجيمي.

قال القاضي: أفّ عند جمهور أهل العلم كلمة يقولها المـرءُ عند الشيء يُضْجِرُهُ أو يتبرَّمُ منه ويتقذره، وتف بمعنـاها، وقيـل إنها إتبـاعٌ لأُفٍ مثل حسنٌ بَسَنٌ وعطشان نطشان. وقيل هي بمعنى النتن، وقيل التفّ الشيء الحقيـر نحو الشظيّة تؤخذ من الأرض. وقال بعض المحققين في علم العـربية الأُفّ وَسَـخُ الظفر، والتفّ وسخُ الأُذُن. وقال الله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ (الاسراء: ٢٣) وأتت هذه اللفظة في مواضعَ عـدةٍ من القرآن وفيهـا لغات عـدة وقراءات مختلفة، وقد ذكرنا هذا مستقصىً في مواضع من كتبنا.

المجلس الرابع والستون

[كيف تولى عمر بن حبيب القضاء]

حدّثنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى إملاءً من لفظه سنة تسعين وثلاثمائةٍ، حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثنا أبو العبّاس الكديميّ، قال حدّثنا عمر بن حبيبٍ العدويّ القاضي قال[1]: قدمتُ مع وفدٍ من أهل البصرة حتى دخلنا على أمير المؤمنين المأمون، فجلسنا وكنتُ أصغرَهُمْ سِناً، فطلب قاضياً يولّى علينا بالبصرة، فبينا نحن كذلك إذ جيء برجلٍ مقيَّدٍ بالحديد مغلولةٍ يدُهُ إلى عنقه، فَحُلَّتْ يدُهُ من عنقه، ثم جيء بنطعٍ فوضع في وسطه ومُدَّتْ عنقه، وقام السيَّافُ شاهراً السيف، فاستأذنَ أميرَ المؤمنين في ضَرْبِ عنقه فأَذِنَ له، فرأيتُ أمراً فظيعاً، فقلت في نفسي: والله لأتكلمنَّ فلعلّه أن ينجو، فقمت فقلت: يا أميرَ المؤمنين اسمعْ مقالتي. فقال لي: قُلْ، فقلت: إنَّ أباك حدّثني عن جدِّك عن ابن عباسٍ عن رسول الله ﷺ أنّه قال: إذا كان يومُ القيامةِ ينادي منادٍ من بطنان العرش ليقمْ من على الله[2] تعالى أجره، فلا يقومُ إلاَّ من عفا عن ذنب

(١) وردت القصة في تاريخ بغداد ١١: ١٩٨ ـ ١٩٩.
(٢) تاريخ بغداد: من أعظم الله.

أخيه. فاعفُ عنه عفا الله عنك يا أمير المؤمنين، فقال لي: آلله إنَّ أبي حدَّثك عن جدِّي عن ابن عباس عن رسول الله[1] ﷺ بهذا؟ فقلت: آلله إن أباك حدّثني عن جدِّكَ عن ابن عباس عن النبي ﷺ بهذا. فقال: صدقتَ، إن أبي حدّثني عن جدّي عن ابن عباسٍ عن رسول الله ﷺ بهذا، يا غلام أَطْلِقْ سبيله، فأَطْلَقَ سبيله ثم أمر أن أولى القضاء[2] ثم قال لي: عن من كتبتَ؟ قلتُ: أقدمُ من كتبتُ عنه داود بن أبي هندٍ، قال: فحدِّث، قلت: لا، قال: بلى فحدث، فإن نفسي ما طلبتْ مني شيئاً إلا وقد نالته ما خلا هذا الحديثَ فإني كنتُ أُحِبُّ أن أقعدَ على كرسيّ ويقال لي من حدَّثك؟ فأقول: حدَّثني فلان، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين فلم لا تحدِّث؟ قال: لا يصلحُ الملك والخلافة مع الحديث للناس.

[مدح حسن العفو]

قال القاضي: ما قرَّرَهُ[3] الله عز وجل في العقول من حُسْنِ العفو وتفضيل أهله وما أنزله فيه وأحكمه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ أكثر من أن نأتي على ذكر جميعه وقد قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ٤٠) وقال جلَّ ذكره: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٣٧) وكلّ هذا مؤكِّدٌ لما مكّنه الله جل وعلا في العقول وشاهدٌ لما تواتر من الأخبار عن الرسول ﷺ.

[العائف اللهبيّ]

حدّثنا محمد بن الحسن بن دريدٍ قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه عن

---

(١) س: عن النبي.
(٢) ب: ثم أمر لي بالقضاء.
(٣) ب: نوره.

يونس عن شيخ من عَنَزة قال: خرج رجلٌ من لِهْبٍ، وهم حيٌّ من الأزد، وهم أعيفُ العرب، ومعه سِقاءُ لبن، فسار صَدْرَ يومه ثم عطش فأناخ ليشربَ فإذا غرابٌ ينعبُ، فأثار راحلته ومضى؛ فلما أجهده العطش أناخ ليشربَ فنعب الغرابُ، فأثار راحلته فمضى، ثم أناخ ليشرب فنعب الغراب وتمرَّغ في التراب، فضرب الرجلُ السقاءَ بسيفه فإذا فيه أسودُ سالخٌ. ثم مضى لوجهه فإذا غرابٌ واقعٌ على سِدْرَةٍ، فصاح به فوقع على سَلَمةٍ، فصاح به فوقع على صخرةٍ، فإذا تحت الصخرة كنز ذَهَبٍ، فلما رجع إلى أبيه قال له: ما صنعتَ؟ قال: سرتُ صَدْرَ يومي، ثم أنخت لأشربَ فنعب غراب، فقال: أَثِرْهُ وإلا لستَ بابني، قال: فأثرته ثم أنخت لأشرب فنعب غراب قال: أثره وإلا لستَ بابني، قال: أثَرْتُهُ، ثم أنختُ الثالثةَ لأشرب فنعب غرابٌ وتمرّغ في التراب فقال: اضرب السّقاءَ بالسيف وإلا لستَ بابني، قال: فضربتُهُ فإذا فيه أسودُ سالخ. قال: ثم مَهْ، قال: ثم رأيت غراباً واقعاً على سِدْرَةٍ قال: أَطِرْهُ وإلا فلستَ بابني، قال: أطرته، قال: فوقع على سلمة، قال: أَطِرْهُ وإلا فلستَ بابني، قال: أطَرْتُهُ فوقع على صخرةٍ، قال: أحذني يا بنيّ، قال: فَأَحْذَاه.

[معنى أحذى]

قال القاضي: قوله أحذني أي أعطني فأعطاه، يقال: أحذى فلان فلاناً شيئاً من ماله إذا رضخ له؛ قال رجل من بني سعدٍ لرؤبة بن العجاج:

أحذِ أبا الجحّافِ إذ حُبينا

[أعرابية ترثي قوماً هلكوا]

حدّثنا علي بن محمد بن الجهم الكاتب أبو طالب، قال حدّثني أبو الحسين الحسن بن عمرو السَّبيعي، قال حدّثني رجلٌ من الأعراب وفد إلى ابن البعيث، قال حدّثني عمٌّ لي قال: نزلتُ ماءً لبني فزارةَ ثم ارتحلتُ عنه

وأتيتـهُ في العام المقبـل فإذا ليس من الحيِّ أحـدٌ خلا عجـوز في سفح جبـلٍ تبكي، فقلت: ما يبكيك يا عجوز؟ قالت: على أثر الحيّ، قلت لهـا: أعَسى حُيَيّـاً نزلتُ بـه عامَ أول؟ قـالت: أَقُلْتَ حُيَيّاً؟ والله لقـد كـان حيَّ ربَحْـل، إذا ارتحلوا على ألف فحل، لقد كان فيهم مليل، وما مليل[1]؟ سَحَّابُ ذَيْلٍ على ذيـلٍ، عطاؤه سَيْـلٌ، وغَضَبُهُ ويـل، لم تحمل مثله إبـلٌ ولا خَيْلٌ، ولقـد كان فيهم مالك وما مالك؟ خير من هنـالك. ولقـد كان فيهم مَهَجْعـةُ وما مهجعـة؟ فارسٌ كأربعة[2]، يكرُّ والخيلُ معه، ولقد كان فيهم عمّار وما عمّار؟ يومَ الفخرِ فَخّار، ويوم الجرّ جرّار[3]، لم تخمـد له نـار، طلّاب بـأوتار، ولقـد كان فيهم هجينٌ لهم يقال له حممة، وما حممة؟ له ألف ناقة مسنّمة، وألف مهرة مسوّمة، وألف نعجةٍ مزنّمةٍ، وألف عبد وأَمَة، قعد ذاتَ يومٍ قعدةً له حسنة فأنهبها كلَّها في ساعةٍ لم يقض نَهَمه، قال: فكأنما ألقمتني عنها وعن قومها[4] حجراً.

[شرح الغريب في حديث الأعرابية]

قـال القاضي: قـولها «حيّ ربحـل» أي حيّ قَيْلٍ كـريم نبيـه، واسـعٍ عطاؤه، رحبٍ فناؤُهُ، ومنه قولُ القائل: مـرحباً وأهـلاً، وناقـة ورحلاً، ومَلكـاً ربحلاً، يُعْطي عطاءً جزلاً. وأما قولها: «ولقد كان فيهم هجينٌ لهم» فالهجين الذي أُمُّه أَمَة، ومنه قول عنترة قبل أن يحرره أبوه:

أنا الهجيـنُ عنترة

وجمعُ الهجِين هجناء مثل أمين وأُمناء، وقرين وقرناء، وكمين وكمناء. ومن

---

(١) ب د: مليك.

(٢) ب د: كل ربعة.

(٣) س: النحر نحار، م: النحر جزار.

(٤) م: قولها.

الهجين قول الشاعر:

ألا ضَـرَبَتْ تلك الفتـاةُ هـجينَهـا ألا قَضَبَ الـرحمن ربّي يمينَهـا

وقول الشمّاخ[1]:

إذا بـركـت عـلى نَـشَـزٍ وألْـقَـتْ عسيبَ جِـرانِهـا كعصا الـهجينِ

والمسنّمة من الإبل: العظيمة الأسنمة؛ والمسوّمة من الخيل: المحسنة المهيّأة. وقيل في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَالخَيْلُ المُسَوَّمَةِ﴾ (آل عمران: ١٤) هي المطهَّمة، أي التي يُعْنَى بها ويقام عليها، والغنم المزنَّمة: ذوات الزنمات التي تحت ألحيها الزنمات. وعسيب الجران: الحلقوم، والجران: باطن العنق.

[رؤيا المأمون وما قال أرسطاطاليس]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبيّ، قال حدّثنا ابن أبي سعدٍ[2] قال أخبرني محمد بن يحيى بن خالد بن يزيد بن مثنًّى المروزي، قال حدّثني منصور بن طلحة بن طاهرٍ بن الحسين، قال حدّثني عبد الله بن طاهر قال[3]: عجَّبني أميرُ المؤمنين من رؤ يا[4] رآها، فسألتُهُ عنها فذكر أنه رأى في منامه كأن رجلاً جلس مجلس الحكماءِ فقلت له: من أنت؟ قال: أنا أرسطاطاليس الحكيم، فقلت له: أيها الحكيم ما أحسنُ الكلام؟ قال: ما يستقيم في الرأي قلت: ثمَّ ماذا؟ قال: ما يستحسنه سامعُهُ، قلت: ثم ماذا؟ قال: ما لا تُخْشَى

(١) ديوان الشماخ: ٣٢٥ والاقتضاب: ٢٩٦ والخزانة ٢: ٢٢٦.

(٢) س: سعيد.

(٣) البصائر ٤ رقم: ٢٩٣.

(٤) م: برؤ يا.

عاقبته، قلت: ثم ماذا؟ قال: لا ثم. قال المأمون: لو كان حيّاً ما كان يتكلم بأكثر مما تكلّم به.

[الكندي رأي جالينوس في المنام]

وحدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثني أبو الحسن الأشج قال قال: حدّثني يعقوب الكنديّ قال: رأيتُ جالينوس فيما يرى النائم فقلت بأبي أنت، رجل من الملوك اعتلّ علةً لا يبرئه إلا فتح الباسليق[1] وليس يوجد له فما ترى؟ قال: افتح له عرقاً بين الخنصر والبنصر يقال له الأُسَيْلم[2]، قال الكندي: فأنا أولُ مَنْ فَصَدَ الأُسيلم.

[أعرابي يسأل]

حدّثنا محمد بن القاسم الأنباري قال حدّثني أبي قال حدّثنا أحمد بن عبيدٍ عن ابن الأعرابي قال: قدم أعرابي من البادية فوقف على الناس فقال: أنا عكاب بن عُدَينة[3] أبَوْتُ عشرةً وأَخَوْتُ عشرةً، وكنت مَفْزعاً للجمة، مَقْنَعاً للهمّة، أهنأ الفقير، وأفكُّ الأسير، وأُذيل العسير، فانباق عليَّ الدهر متخوِّفاً لإخوتي وبنيَّه يوديهم واحداً واحداً حتى اخترم ظهرتي، وأفنى عمارتي، وأسافَ ماليه، وأباد رجاليه، وكنت أُوردُ إبلي سَحَراً، وأُصدرها طَفَلاً، عكراً دثراً، ومالاً وفراً، قليلة الفَرْشِ والإفال، حسنة الحلية والفحال، فانتسفها الزمان، واجتملها الحدثان، حَبجاً وغُدَّة، فقَرِعَ مراحي، وفَنتْ أوضاحي، فهل من راحمٍ أخا جَهْدٍ ولأواء وشصاصاء، شملكم الله بإسباغ الرّزق.

[تفسير حديث الأعرابي]

قال أبو بكر ابن الأنباري قولهم: « أبوتُ وأَخَوْتُ » معناه كنت أباً لعشرة

---

(١) الباسليق: عرق يمتد من الابط إلى القلب ماراً بباطن المرفق.
(٢) هو كما حدّده، أي بين الخنصر والبنصر، ولم يأت إلا مصغراً.
(٣) م: عكاف بن عوينة.

وأخاً لعشرة. وقوله: « أهنأ الفقير »: أُصْلِحُ شأنه؛ قال القاضي: وأصله من الهِناءِ الذي تطلى به الإبل من الجرب، قال زهير[1]:

فأبرئ موضحاتِ الرأسِ منه   وقد يَشْفي من الجرب الهِناءُ

ومنه قول الآخر[2]:

ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ به   كاليوم طالي أينقٍ جُرْبِ
متبذِلاً تبدو محاسنُهُ   يَضَعُ الهناءَ مواضعَ النُّقْبِ

ثم استعير هذا في كلِّ من رَفَدَ غيره لسدِّ فَقرٍ أو إصلاح أمرٍ، وهو من حَسَنِ التشبيه وقريبه؛ قال أبو بكرٍ: « وأذيل العسيرة » معناه: أُلين الناقة الصعبة لأحملَ عليها الضعيف والمجتدي. وقوله: « فانباق عليَّ الدهر » معناه: قصدني ببائقةٍ، وهي البلية والداهية، ومتخوّفاً: متنقّصاً قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ (النحل: ٤٧) قال القاضي: يقال تخوَّفه إذا انتقصه، كما قال الشاعر[3]:

تخوف السيرُ منها تامكاً قَرِداً   كما تخوَّفَ عودَ النبعةِ السَّفَنُ

يعني ناقةً تنقَّصَ سَيْرُهَا من سنامها بعد تمكّنه واكتنازه. والنبعُ شجر معروف وقال الأعشى[4]:

---

(١) ديوان زهير: ٨٢.
(٢) هو دريد بن الصمة من أبيات له يتغزل فيها بالخنساء، انظر الشعر والشعراء: ٢٦٠ وأمالي القالي ٢: ١٦١ والأغاني ٩: ١٠، ١٣، ١٣٠ وجمهرة العسكري ٢: ١٨٨ وسرح العيون: ٣٦٧ وتهذيب ابن عساكر ٥: ٢٢٦ والثاني في اللسان (نقب).
(٣) هو ابن مقبل في اللسان والصحاح (خوف) وورد في اللسان والتاج (سنن) منسوباً لذي الرمة وفي الأساس (خوف) لزهير، وفي اللآلي: ٧٣٨ لقعنب ابن أم صاحب، وانظر أمالي الزجاجي: ٣٧ وأخبار الزجاجي: ٨٨.
(٤) ديوان الأعشى: ١٣٨.

ونحـــن أنـــاسٌ عودنـــا عودُ نبعةٍ   إذا افتخـــر الحيَّان بكرٌ وتغلبُ

والسَّفَنُ: الفأس، وهو يتنقَّصُ العود وينحته حتى يصنع منه سفينةً، ومنه سمّيت سفينةً بمعنى مسفونة أي منحوتـة منجورة مُنْتَقَصة الأعواد بـالسَّفَنِ. وقد قـرئ على تخوّف بمعنى الانتقـاص من الحافـات والجوانب. قـال أبـو بكرٍ: والجمة: القوم يسألون في الدّيّةِ ويقال أيضاً للدية جمة. قال الشاعر[1]:

وجمـــةٍ تســـألني أعطيـتُ[2]   وســـائلٍ عن خبـــري لويـتُ

فقلتُ لا أدري وقد دَرَيْتُ

وقوله: «حتى اخترم ظهرتي» في الظهرة قولان: الظهرة عشيرة الرجل. وقال لي أبي قال أحمد بن عبيد: الظهرة والأهرة متاع البيت وما يصونه الرجـل ممـا يودعـه منزلـه من الآنية. «وأفنى عمـارتي» العمارة: القبيلة. و«أسـاف ماليه» معنـاه أَوْقَعَ السَّـواف في إبلي. و«أُصْدِرُهـا طَفَلاً» معنـاه عند غيبـوبة الشمس، يقـال طفلت الشمس إذا تهيّـأت للغـروب. وفي السَّـوافِ لغتـان: السُّواف والسَّواف ـ بضم السين وفتحها ـ وهو داءٌ يـأخذ الإبـل فيقتلها. قـال أبو عمرو الشيباني: السَّواف من أدواء الإبل بالفتـح، وقال الأَصمعي: السُّـواف مضموم من الأدواء بمنزلة الكُباد والسُّعال والنخار. «عكـراً دثراً» العكـر جمع عكرة وهي سبعون من الإبل إلى المائة، والدَّثْر هو المـال الكثير وجمعه دثور. قال امرؤ القيس[3]:

لعمـري لقـومٌ قـد نـرى في ديـارهم   مـــرابطَ لــلأمهـــارِ والعَكَـــرِ الـــدَّثِـرْ

---

(١) أمالي القالي: ١: ٥٢.

(٢) الجمة: القوم يسألون الديات.

(٣) ديوانه: ١١٢ ورواية البيت:

لعمري لقوم قد نرى أمس فيهم . .

وجواب القسم في البيبت التالي: «أحب إلينا . . .».

يريد العكر الدَّثْر، فكسر الثاء لكسرة الراء على لغة من يقول قام بكِر ومررت ببكرٍ. وقال أبو ذرٍ[١]: يا رسول الله ذهب أَهْلُ الدّثور بالأُجور، يعني أصحاب الأموال الكثيرة.

قال القاضي: والوقف في بكر على حركة إعراب طَرَفة لغةٌ معروفةٌ للعرب، وقد رُوي عن أبي عمرو أنه قرأ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبِر﴾ (البلد: ١٧) في الوقف بكسر الباء، ومن هذه اللغة قول الشاعر[٢]:

علَّمنا إخواننا بنو عِجِلْ   شُرْبَ النبيذ واعتقالاً بالرِّجِلْ

وقد شرحنا علَّةَ هذه اللغة في موضعها. والعرب ايضاً تقول مالٌ دَثْرٌ وأموال دَثْرٌ. قال أبو بكر: « قليلة الفرش والإفال » الفَرْشُ: الصغار من الابل التي لا تطيقُ أن يُحْمَلَ عليها، والإفال: الصغار من الإبل واحدها أفيل. قال القاضي: قد قيل إنّ الفرش الغنم، والحمولة الإبل والبقر والبغال والحمير، فأما الإفال فهي الصغار عند اللغويين، قال الفرزدق[٣]:

وجاء قريعُ الشولِ قبل إفالها   يزِفُّ وجاءَتْ خلفه وهي زُفَّفُ[٤]

ويروى يرف، وهي رُفَّفُ، والمعنى واحد، وهو المشي السريع. قال الله عز ذكره: ﴿فأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ (الصافات: ٩٤) ومن القَرَأة من يقرأ يرفّون. قال أبو بكرٍ « واجتملها الحدثان » ذهب بجملتها ولم يبق منها شيئاً.

---

(١) عن أبي هريرة أن أبا ذر قال: يا رسول الله ذهب أصحاب الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم فضول أموال يتصدقون بها وليس لنا ما نتصدق به فقال رسول الله ﷺ: أفلا أدلك على كلمات إذا عملت بهن أدركت من سبقك.. الحديث (مسند أحمد ٢ : ٢٣٨ وتهذيب ابن عساكر ٣ : ٢٤٩).

(٢) هو في نوادر أبي زيد: ٢٠٥ والخصائص ٢ : ٤٣٥ والعيني ٤ : ٥٦٧ والمخصص ١١ : ٢٠٠ .

(٣) ديوان الفرزدق ٢ : ٢٧ .

(٤) قريع الشول: فحل القطيع.

« حبجاً وغدة » الغدّة: من أدواء الإبل، والحَبَج: أن تأكل الإبل النباتَ فتنتفخ بطونها حتى تموت. وقال الزبير بن بكّار[1]: لما ورد نعْيُ مصعب بن الزبير على أهل مكة صعد عبد الله بن الزبير المنبر فقال: الحمد لله الذي له الخلق والأمر يؤتي الملكَ من يشاء وينزع الملكَ ممن يشاء، ويُعزّ من يشاء ويذل من يشاء؛ ألا وإنه لم يُذْلِلِ الله تعالى من كان الحقُّ معه ولو كان فرداً، ولم يُعْزِزْ من كان الشيطانُ وليَّه وحِزْبَهُ ولو كان الأنامُ كلُّهم معه، ألا وإنه أتانا خبرٌ من العراق أحزننا وأفرحنا، أتانا قتلُ المصعب بن الزبير رحمه الله، فأما الذي أحزننا فإنّ لفراقِ الحميم لذعةً يجدُهَا حميمهُ عند المصيبة ثم يرعوي من بعدها ذوو العزم إلى جميل الصبر وكَرَم العزاء، وأما الذي أفرحنا فإن القتلَ كان له شهادةً، وإنّ الله عزّ وجل جعل ذلك لنا وله خيرةً. ألا وإن أهل العراق أهلَ الغدر والنفاق أسلموه وباعوه بأقلِّ الثمن، فإن يُقْتَلْ فإنّا والله ما نموتُ حَبجاً كما يموتُ بنو أبي العاص، وما نموت إلا قتلاً قعصاً بالرّماح وموتاً تحت ظلال السيوف، ألا وإنّما الدُّنيا عاريةٌ من الملك الأعلى الذي لا يزولُ ملكه ولا يبيد، فإن تُقْبِلْ عليَّ الدنيا لا آخذها أخْذَ الأَشِرِ البَطِرِ، وإنْ تُدْبِرْ عنّي لا أبكِ عليها كالخرف المُهْتَر.

قال أبو بكر: « فقرع مراحي » المراح: موضع الإبل الذي تراح إليه، يعني أن إبله ماتت وتلفت وبقي مراحها أقرع، والعرب تقول قد قرع مراحُ الرجل إذا ذهب ماله، قال الشاعر[2]:

---

(١) خطبة عبد الله هذه وردت في الأغاني ١٩: ٦٣ وأنساب الأشراف ٥: ٣٤٧ وتاريخ الطبري ٢: ٨١٨ والموفقيات: ٥٣٩ ـ ٥٤١ وعيون الأخبار ٢: ٢٤٠ والكامل ١: ٢٩٩ ـ ٣٠٠ والتذكرة الحمدونية ٢ رقم: ١١٦٧ ولباب الآداب: ٣٤٧ وشرح النهج ٣: ٢٦٢، ٢٩٨، ٢٠: ١٣٨ ومنها قطعة في العقد ١: ١٠١.

(٢) هو عروة بن أذينة، إذ ورد البيت الأول منسوباً له في اللسان والتاج (قرع) ولم يورد جامع ديوانه: ٣١٤ سوى البيت الأول من هذه الأبيات؛ وورد البيت في اللسان (أدا) دون نسبة.

إذا آداكَ مالُك فانتهبه لجاديهِ وإن قَرِعَ المُراحُ[1]
فإن أعيا عليك فلم تجده فنبتُ الأرضَ والماءُ القَراحُ
فإن الفقرَ إلفُ فناءِ قومٍ وإن آسَوْكَ والموتُ الرواح

« وفنت وضاحي » معناه: فنيت دراهمي، فَنَتْ بلغة طيء، يقولون في فني فَنَى وفي رضي رَضَى وفي بقي بَقَى، قال الشاعر:

لعمرك ما أخشى التصعلك ما بقَى على الأرض قيسيٌّ يسوقُ الأباعرا

واللاواء والشصاصاء: الشدةُ وكَلَبُ الزمان.

قال القاضي: الذي ذكره أبو بكرٍ في فَنَى ورضى وبقى أنه لغة طيء هو على ما ذكر، وقد ذكرنا من هذه اللغة وحكايتها صدراً في ما مضى من مجالس كتابنا هذا، وقد تتداخلُ لغاتُ العرب ويأخذُ بعضهم من لغة بعض، قال زهير[2]:

تربَّع صارةً حتى إذا ما فَنَى الدُّحْلانُ عنه والأضاءُ

يريد فَنِيَ.

[إسماعيل بن صالح يغني الرشيد]

حدّثنا محمد بن يحيى الصوليّ قال حدّثنا أحمد بن محمد الطالقاني قال حدّثني فضل اليزيديّ عن محمد بن إسماعيل بن صبيحٍ قال[3]: قال الرشيد للفضل بن يحيى وهو بالرقة: قد قدم إسماعيل بن صالح بن علي وهو

---

(١) في اللسان والتاج: فامتهنه، ويروى فيه أيضاً: صفر المراح؛ وآداه ماله: كثر عليه فغلبه.
(٢) ديوان زهير: ٦٥.
(٣) القصة والشعر في تهذيب ابن عساكر ٣: ٢٤ ـ ٢٥ (دار المسيرة) وبغية الطلب ٣: ٨٢.

صديقك، وأريد أن أراه، فقال له: إن أخاه عبد الملك في حبسك، وقد نهاه أن يجيئك، قال الرشيد: فإني أتعلَّلُ حتى يجيئني عائداً، فتعلَّلَ، فقال الفضل لإسماعيل: ألا تعودُ أميرَ المؤمنين؟ قال: بلى، فجاءه عائداً، فأجلسه ثم دعا بالغداء فأكل، وأكل إسماعيل بين يديه، فقال له الرشيد: كأني قد نشطتُ برؤيتك إلى شُرْب قَدَح، فشرب وسقاه، ثم أمر فأُخْرِجَ جوارٍ يغنين وضُرِبَتْ ستارة وأمر بِسَقْيِهِ، فلما شرب أخذ الرشيد العودَ من يد جاريةٍ ووضعه في حجر إسماعيل، وجعل في عنق العودِ سبحةً فيها عشر دُرَّات اشتراها بثلاثين ألف دينار وقال: غنّني يا إسماعيل وكفِّرْ عن يمينك بثمن هذه السبحة فاندفع يُغني بشعر الوليد بن يزيد[1] في غالية أخت عمر بن عبد العزيز وكانت تحته[2]، وهي التي ينسب إليها سوق غالية بدمشق:

فأقسمُ ما أَدْنَيْتُ كفّي لريبةٍ ولا حَمَلَتْني نحو فاحشةٍ رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دلَّني رأيي عليها ولا عقلي
وأعلم أني لم تُصِبْني مصيبةٌ من الدهر إلّا قد أصابتْ فتىً قبلي

فسمع الرشيد أحسنَ غناءٍ من أحسنِ صوتٍ، فقال: الرمحَ يا غلام، فجيء بالرمح، فعقد له لواءً على إمارة مصر، قال إسماعيل: فوليتها ستَّ سنين، أوسعتهم عدلاً وانصرفت بخمسمائة ألف دينارٍ، قال: وبلغتْ عبدَ الملك أخاه ولايته فقال: غنّى والله الخبيث لهم، ليس هو لصالح بابنٍ.

[إذا قصَّر من يؤاكل المأمون]

حدّثنا محمد بن الحسن بن زياد المقري قال أخبرنا عبد الله بن محمود قال حدثنا يحيى بن أكثم قال: كان المأمون إذا قصَّر بعضُ مَنْ يأكلُ معه أمر

---

(١) ديوان الوليد: ١٠٦ (عن تهذيب ابن عساكر) وهو في بغية الطلب أيضاً.
(٢) م: تحبه.

بإقامتِهِ عن المائدة ولقد رأيتُهُ يوماً وقد أمر أن يُقامَ بابنه العبّاس عن المائدة لتقصيرٍ كان منه، وقال: إذا قصّرت احتشم غيرك لتقصيرك. فقال العباس: لم أُقصِّر ولكني وجدتُ علةً، قال: هلاّ ذكرتها قبل جلوسك على الطعام، فإمّا احتملناك على التقصير وإمّا أعفيناك من الأكل معنا.

[أعرابية تمثل نموذجاً للصبر]

حدّثنا عبد الباقي بن قانعٍ قال حدّثنا محمد بن زكرياء قال حدّثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب قال حدّثنا الأصمعيّ قال: خرجتُ أنا وصديقٌ لي إلى البادية فضللنا الطريق، فإذا نحن بخيمةٍ عن يمين الطريق، فقصدنا نحوها فسلَّمنا، فإذا امرأة تردُّ علينا السلام، ثم قالت: ما أنتم؟ فقلنا: قومٌ ضالُّونَ رأيناكم فأنسنا بكم، فقالت: يا هؤلاء وَلُّوا وجوهَكُمْ عني حتى أقضيَ من حقكم ما أنتم له أهل، ففعلنا، فألقت لنا مِسْحاً فقالت: اجلسوا عليه إلى أن يأتي ابني، ثم جعلتْ ترفعُ طَرَفَ الخيمة وتردُّها إلى أن رفعتها فقالت: أسأل الله بركةَ المقبل، أما البعيرُ فبعيرُ ابني وأما الراكبُ فليس بابني، فوقف الراكبُ عليها فقال: يا أُمَّ عقيل، عظَّم الله أَجْرَكِ في عقيل، قالت: ويحكَ مات ابني؟ قال: نعم، قالت: وما سببُ موته؟ قال: ازدحمتْ عليه الإبل فرمَتْ به في البئر، فقالت: انزل فاقضِ ذمامَ القوم، ودفعت إليه كبشاً فذبحه وأصلحه وقرَّب إلينا الطعام، فجعلنا نأكل ونتعجب من صبرها، فلما فرغنا خَرَجَتْ إلينا وقد تكورت فقالت: يا هؤلاء، هل فيكم أحدٌ يُحْسِنُ من كتاب الله تعالى شيئاً؟ قلت: نعم أنا، قالت: اقرأ عليَّ آياتٍ من كتاب الله عزّ وجل أتعزّى بها، قلت: يقول الله تعالى وجل جلاله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة : ١٥٥ ـ ١٥٧) قالت: آللهِ إنها لفي كتاب الله عز وجل هكذا؟ فقلت: آللهِ إنها لفي كتاب الله تعالى هكذا. قالت:

السلامُ عليكم، ثم صفَّت قدميها وصلّتْ ركعتين[1] ثم قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله تعالى أحتسبُ عقيلاً، تقول ذلك ثلاثاً، اللهم إني فعلتُ ما أمرتني فأَنجزْ لي ما وعدتني.

[لأي علة خلق الله الذباب]

حدّثنا محمد بن مخلد بن حفص العطار قال حدّثنا محمد بن الحسن بن محمد بن ميمون قال حدّثني وزيرة[2] بن محمد بمصر قال حدّثني معمر بن شبيب بن شيبة قال[3]: سمعتُ المأمون يقول لمحمد بن إدريس: يا محمد لأَيِّ علةٍ خَلَقَ الله تعالى الذباب؟ فسكت ثم قال: مذلةً للملوك، فضحك المأمون ثم قال له: يا محمد رأيتَ الذبابةَ وقد سقطت على خدّي؟ قال: نعم ولقد سألتَ عنها وما عندي فيها جواب، فأخذني من ذلك الزَّمَع، فلما رأيتُ الذبابةَ قد سَقَطَتْ منك بموضع لا ينالُهُ مَنْ معه عشرة آلاف سيف وعشرة آلاف رمح انفتح لي فيها الجواب، فقال: لله درُّكَ يا محمد.

[ذباب وذبان]

قال القاضي: قيل في هذا الخبر « الذبابة » على لغةٍ حكيت ضعيفة، يقال فيها ذبابة في التوحيد وذباب في الجمع، مثل رُقاقة ورقاق، وثمامة وثمام، وجُزارة وجزار فما أشبه هذا مما سبق جمعه واحده وكانت الهاء فارقةً بين واحده وجمعه، فأما اللغة الفصيحة[4] في العربية الفاشية عند أهل اللغة فهو أن الذباب واحد. قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ

(١) م س: ركعات.
(٢) مناقب الشافعي: وبره (وفي أحد أصوله: وريزه) وفي م: وزير.
(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ١: ١٥٦ - ١٥٧ ورويت الحكاية في ربيع الأبرار ٤: ٤٦٠ بين أبي الهذيل العلاف والمأمون.
(٤) س: الصحيحة.

يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا لَهُ وإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ (الحج: ٧٣) ويجمعُ الذبابُ في القلة أذِبّة، وفي الكثرة ذِبّان، مثل غراب وأغربة وغِربان.

[المأمون يمتحن محمد بن العباس]

حدّثنا ابن مخلد قال حدّثنا محمد بن الحسن، قال حدّثنا وزيرة، قال حدّثنا معمر بن شبيب، قال سمعتُ المأمون يقول: قد امتحنتُ محمد بن العباس[1] في كلِّ شيءٍ فوجدتُهُ كاملاً، وقد بقيتْ خَصْلَةٌ وهو أن أسقيه من النبيذ ما يغلبُ على الرجل الجيّدِ الشربِ، قال فحدثني ثابت الخادم وقد دعا به فأعطاه رطلاً فقال: اشربْ يا محمد، قال: يا أميرَ المؤمنين ما شربته قطّ، قال: عزمت عليك لتشربنَّ، فشربه، ثم والى عليه بالأرطال حتى سقاه عشرين رطلاً، فما تغيَّر ولا زال عن حُجّة.

[قوة طبع ووثاقة بنية]

قال القاضي: وهذا ممن لم يَعتدْ شُرْبَهُ ولم يأنَسْ به مزاجه وطباعه أبلغُ في الأعجوبة وأدلُّ على اعتدال التركيب وقوة الطبع[2] ووثاقة البنية، والله أعلم بصحّة هذه الحكاية وثبوتها من جهة الرواية.

[محمد بن الحسن والشافعي]

حدّثنا محمد بن أحمد بن الحسن الصوّاف قال حدّثني أحمد بن أبي الصلت الحماني قال، سمعت أبا عبيدٍ يقول: رأيتُ الشافعيَّ عند محمد بن الحسن وقد دفع إليه خمسين ديناراً، وقد كان دفع إليه قبل هذا خمسين درهماً

---

(١) م: محمد بن إدريس (ولعله أصوب لأن الحديث بعده عن محمد بن إدريس الشافعي) وفي الحاشية: العباس.

(٢) م س: الطبيعة.

وقال: إن اشتهيتَ العلمَ فالزم، ثم دفع إليه هذه الدنانير ولزمه الشافعي؛ قال أبو عبيد: فسمعت الشافعي يقول: كتبت عن محمد بن الحسن وقرَ بعير؛ وسمعته يقول لمحمد بن الحسن وقد دفع إليه الدنانير بعد الخمسين درهماً وقال له: لا تحتشم، فقال: ما أنت عندي في موضع أحتشمك. وجرى ذكر الشراب فقال الشافعي: الحمد لله لو علمت أن الماءَ البارد يضرُّ مروءتي في ديني لما شربتُ إلا الماءَ الحارَّ حتى ألقى الله تعالى، ولو كنت عندي ممن أحتشمك ما قبلتُ بِرَّك.

المجلس الخامس والستون

[معنى النعم الظاهرة والباطنة]

أخبرنا المعافى قال حدّثنا أحمد بن حمدان بن عبد العزيز الختلي، قال حدّثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة العبسيّ، قال حدّثنا إبراهيم بن محمدٍ بن ميمون، قال حدّثنا عمرو بن هاشم أبو مالك الجنبي[1] قال حدّثنا جويبر عن الضحاك عن ابن عباس[2] أنه سئل عن هذه الآية: ﴿وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: ٢٠) قال ابن عبّاس: هذه مما سألتُ عنه رسولَ الله ﷺ قلت: يا رسول الله ما هذه النّعمةُ؟ فقال: أمّا ما ظَهر فالإسلام وما سوَّاه من خَلْقِكَ وما أسبغ عليك من رزقه، وأما ما بَطَنَ فما ستر عليك من مساوئ عملك، يا ابن عباس إن الله عزّ وجلّ يقول: ثلاث جعلتهنّ للمؤمن: صلاة المؤمنين عليه من بعد موته، وجعلت له ثلث مالِهِ يكفّر عنه من خطاياه، وسترتُ مساوئ عملِهِ أن أفضَحَهُ بشيءٍ منها ولو أبديها لنبذه أهله فمن سواهم.

---

(١) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٨: ١١١.

(٢) الدر المنثور للسيوطي ٥: ١٦٧ وذكر أن ذلك مما أخرجه ابن مردويه والبيهقي والديلمي وابن النجار عن ابن عباس.

[آراء في تفسير الآية]

قال القاضي: جاء هذا الخبر بتلاوة هذه الآية وتأويلها ووردت بتلاوتها فيه على قراءة من قرأ: ﴿وأَسْبَغَ عليكُمْ نِعْمَةً﴾ بلفظ التوحيد وهي قراءة كثيرٍ من المكيين والكوفيين، وقد قرأها كثير من المدنيين والشاميين والبصريين ﴿وأسبغ عليكُمْ نِعَمَهُ﴾ على لفظ الجمع وهما قراءتان مشهورتان قد استفاض نقلهما، وقرأت الأئمة بهما وراثةً عن النبيِّ ﷺ، ومعناهما يرجع إلى معنىً واحدٍ لأن قائلاً لو قال: ما يتقلب فيه فلانٌ من المال والولد والصحَّةِ والأَمْنِ وأنواع الخير وجميل الستر نعمة أسداها الله تعالى إليه، أو قال هذه نعمٌ من الله تعالى تفضَّل بها عليه، لكان القولان صحيحين، وكذلك تقارُبُ المعنى في قراءة من قرأ: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ (الروم: ٥٠) ومن قرأ: ﴿أثر رحمة الله﴾ وقراءة من قرأ: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ (البقرة: ٨١) و ﴿خطيئاته﴾ وقد قيل إن معنى قوله خطيئته في هذا الموضع الشرك، وقيل بل كبائرُ ذنوبه التي مات ولم يَتُبْ منها. وروي عن عبد الله بن كثير أنه قال في معنى قوله تعالى: ﴿وأَسْبَغَ عليكُمْ نِعْمَةً﴾ هي شهادة أن لا إله إلا الله في ما زعموا[1]، وقيل بل هو عامٌّ شاملٌ للنعم؛ ومثل هذا في القرآن كثير. وقيل إنَّ هذا مما ينبئ الواحدُ منه عن جملة جنسِهِ، كقولهم: هلكت[2] الشاةُ والبعير، وكثر الدرهمُ والدينار في أيدي الناس، وقال الله تعالى ذكره: ﴿وَالعَصْرِ. إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ (العصر: ١، ٢) أراد الجنسَ دون اختصاصِ إنسانٍ واحدٍ، ألا ترى أنه استثنى منه جمعاً فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (العصر: ٣)[3] وهذا باب مستقصىً في ما رسمناه من علوم القرآن.

---

(١) قارن بتفسير السيوطي ٥: ١٦٧.

(٢) س: هلك.

(٣) ترد في غير سورة، انظر ص: ٢٤ والانشقاق: ٢٥ والتين: ٦ و (الشعراء: ٢٢٧).

[وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان]

حدّثنا محمد بن الحسن بن دريدٍ قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال، قال أبو بكرٍ رضي الله عنه ليزيدَ بن أبي سفيان وقد بعثه إلى الشام[1]: ابدأ بالصلاةِ إذا حَلَّ لكَ وقتها ولا تَشَاغَلْ عنها بغيرها، فإن الامام تقتدي به رعيّتُهُ وتعملُ بعمله في نفسه، وإذا وعظتَ فأوجز، ولا تكثر الكلام فإنّ كثرةَ الكلام تنسي بعضَه بعضاً، وإنما يغني منه ما وُعِيَ عنك. وإذا استشَرْتَ فاصدقِ الحديثَ تُصْدَقِ المشورة، ولا تدَّخِرَنَّ عن المشير شيئاً فتكونَ إنما تؤتى من نفسك، ولا تلجَّنَّ في عقوبةٍ فإن أدناها وجيعٌ، ولا تُسْرِعَنَّ إليها وأنت مكتفٍ بغيرها، ولا تَكْشِفِ الناسَ عن أسرارهم، واستغنِ بعلانيتهم ولا تَجَسَّسْ في عسكرك فتفضحه، ولا تُغْفِلْهُ فتفسدَهُ، ولا تقاتِلنَّ بمجروح فإن بعضَهُ ليس معه، واستشلِ الناسَ بالدنيا فإن ذا النيّةِ تكفيك نيته، ومن أعطيتَهُ شيئاً بشيءٍ فَفِ له، ولا تتخذنَّ حَشَماً تضعُ عنهم ما تحمله على غيرهم فإن ذلك يُضْغِنُ الناسَ عليك ويستحلّونَ به معصيتك.

قال القاضي: رضي الله عن أبي بكر فقد أبلغَ في وصيته، وبالغ في نصيحته، ومن حفظ عنه ما علمه، واحتذى ما أشار به ورسمه، كان سالكاً محجةَ الرشاد، في المعيشةِ والمعاد، ونسأل الله التوفيق للسداد وحسنِ الاستعداد.

[عمرو بن معدي كرب الأكول الشجاع يغلبه ربيعة بن مكدم]

حدّثنا محمد بن مزيد الخزاعي قال حدّثنا الزبير بن بكار، قال حدّثني

---

(١) ورد جانب من هذه الوصية في عيون الأخبار ١: ١٠٨ ـ ١٠٩ فأما صاحب العقد ١: ١٢٩ فإن ما أورده منهـا جعله موجهاً من أبي بكر إلى خالد بن الوليد وكذلك هـو في نهاية الأرب ٦: ١٦٨.

عمر بن أبي بكرٍ المؤملي[1] عن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمَّار بن ياسر قال[2]: دخل عمرو بن معد يكرب الزبيدي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنده الربيع بن زيادٍ وشريك بن الأعور الحارثيان فسلَّم عليه وقال: يا أمير المؤمنين دخلتُ على خالك[3] أبي سليمان ـ يعني خالد بن الوليد ـ فأتى بثورٍ وقوسٍ وكعبٍ فأطعمنيه، فقال عمر: إنّ في ذلك لشبعةً، قال: يا أمير المؤمنين لك أو لي؟ قال: بل لي ولك، قال: كلّا يا أمير المؤمنين، فلقد رأيتني آكل الجذعة حتى ألقيها عظماً عظماً وأشرب التبن من اللبن[4] (قال ابن أبي الأزهر: التبن هو القدح العظيم، والثور: الأقط، والكعب القطعة من التمر) رثيئةً وصريفاً.

قال القاضي: وليس في كتابي عن ابن أبي الأزهر، تفسيرُ القوس، وهو القطعةُ من السمن[4]، وقيل إن هذه الأسماءَ الثلاثة هي البقية والفضلة من الأنواع التي وصفنا.

قال: فنظر عمر إلى الربيع بن زياد كالمتعجب من قوله، فقال له الربيع: يا أمير المؤمنين إنه لكذلك، وإنّ الخيل لتتقي ذُراه إذا كان بين الصفين وانتعلت الخيلُ الدماءَ؛ على أنه قد نقض الإلّ (قال ابن أبي الأزهر: الإلّ هو العهد) وقطع أواصرنا (قال ابن أبي الأزهر: الأواصر الأصول) قال عمرو: يا أميرَ المؤمنين جاورْتُ هذا الحيَّ من بني الحارث بن كعب عشرين

---

(١) م: الموصلي.

(٢) الخبر في الموفقيات: ٤٧٩ ـ ٤٨٤ وبإيجاز في الأغاني ١٦: ٣٩ والسمط: ٢: ٩١ والبصائر ٨ رقم: ٥٤٣ وورد بعضه بإيجاز شديد في لطف التدبير: ١٠٢ وقارن بأمالي القالي ٢: ٣٠٢.

(٣) م: خالد.

(٤) عكس في اللسان فجعل الكعب: قدر صبة من اللبن والسمن؛ والقوس: ما يبقى من التمر في أصل الجلة. والرثيئة: اللبن الحامض يحلب عليه فيختر، والصريف: اللبن ساعة يصرف عن الضرع.

سنةً فَمَشْوا إليَّ الضّراءَ ودبُّوا إليَّ الخَمَر.

(قال القاضي: الضّراء: ما واراك من شجرةٍ، والخمر: ما واراك من شيءٍ، قال زهير[1]

فمهلاً آلَ عبد الله عَدُّوا مَخازيَ لا يُدَبُّ لها الضِّراءُ

وقال آخر[2]:

ألا يا زيدُ والضحاكُ سيرا فقد جاوَزْتُما خَمَرَ الطريقِ)

فلما بَدَتْ لي ضِبابُ صدورهم وحَسَكُ قلوبهم أَوْجَرْتُهُمْ أمرًّ من نقيع الحنظل. فقال شريك بن الأعور: يا أمير المؤمنين إنّ هذا ما أعجزنا لما أخذته أنيابنا وكَلَمَتْهُ أظفارنا، فقال عمرو: إليك يا ابن الأعور فإني لا أُغْمَزُ غَمْزَ التين ولا يُقَعْقَعُ لي بالشنان؛ فلما خشي عمرُ أن يتفاقمَ الأمرُ بينهم ويخرجوا إلى ما هو أعظم من هذا قال: إيهاً عنكم الآن، وأقبل على عمروٍ فقال: يا أبا ثور لقد حَدَّثْتَ عن نفسك بمأكلٍ ومَشْرب، ولقد لقيتَ الناسَ في الجاهلية والإسلام فأخبرني هل صَدَفْتَ عن فارسٍ قطّ؟قال: يا أمير المؤمنين، قد كنتُ أكره الكذبَ في الجاهلية وأنا مشركٌ فكيف إذ هداني الله تعالى للإسلام؟ لقد قلتُ ذات يومٍ لخيل من بني ذهل[3]: هل لكم في الغارة؟ قالوا: على مَنْ؟ قلتُ: على بني البكاء، قالوا: مُغَارٌ بعيد على شِدَّة كَلَبٍ وقلة سَلَب، قلت: فعلى من؟ قالوا: على هذا الحيِّ من كنانة فإنه بلغنا أن رجالهم خُلُوف. فخرجتُ في خيل حتى انتهيتُ إلى وادٍ من أوديتهم فَدُفِعْتُ إلى قومٍ سَراةٍ؛ قال له عمر: وما أدراك أنهم سَراة؟ قال: انتهيتُ إلى قبابٍ عظيمةٍ من

---

(١) ديوان زهير: ٨٤ وآل عبد الله من كلب، وعدوا: اصرفوا عن أنفسكم، دبّ الضراء: ختل، يقول: فهذه أمور لا تخفى.

(٢) ابن يعيش ١: ١٢٩ وذكره في الجليس الصالح ١: ٣٩٩.

(٣) الموفقيات، بني أسد؛ الأغاني: بني زبيد.

أدمٍ، وقدورٍ متأقةٍ مثفاةٍ وإبلٍ وغنمٍ، فقال عمر: هذا لعمري علامةُ السَّرْوِ، قال عمرو: فانتهينا إلى أعظمها قبّةً فأكشفُها عن جاريةٍ مثل المهاة، فلما رأتني ضربت يدها على صدرها وبكتْ، فقلتُ: ما يبكيك؟ قالت: ما أبكي على نفسي ولا على المال، فقلت: على أيِّ شيءٍ تبكين؟ قالت: على جوارٍ أترابٍ لي قد أَلِفْتُهُنَّ وهنَّ في هذا الوادي، قال: فهبطتُ الوادي على فرسي فإذا أنا برجلٍ قاعدٍ يخصفُ نَعْلَه، وإلى جانبه سيفٌ موضوع، فلما رأيته علمتُ أن الجارية قد خدعتني وماكرتني، فلما رآني الرجلُ قام غيرَ مكترث، ثم علا رابيةً، فلما نظر إلى قبابِ قومه مطروحةً[1] حَمَلَ عليَّ وهو يقول:

قد علمت إذ منحتني فاها ولحفتني بُكْرَةً رِدَاها
أني سأحمي اليومَ مِنْ حماها يا ليتَ شعري ما الذي دهاها

فقلت مجيباً له:

عمروٌ على طولِ السُّرَى دهاها بالخيلِ يزجيها على وجاها
حتّى إذا حلَّ بها احتواها

ثم حملتُ عليه وأنا أقول:

أنا ابنُ عبد الله محمود الشِّيَمْ مؤتَمَنُ الغيبِ وفيٌّ بالذِّمَمْ
من خيرِ من يمشي بساقٍ وقدم

قال: فحمل عليَّ وهو يقول:

أنا ابن ذي الاقيالِ أقيالِ البهم من يلقني يودِ كما أودَتْ إرمْ

---

(١) م: مطرحة.

أتركه لحماً على ظهر وضم

قال: واختلفنا ضربتين، فأضربه أحـذرَ من العقعق، ويضربني أثقفَ من الهرّ، فوقع سيفه في قَرَبوسِ سرجي فقطعه، وعضَّ كاثبـة الفرس[1]، فـوثبتُ على رجليَّ قائماً وقلت: يا هذا ما كان يلقاني من العرب إلا ثلاثة: الحارث بن ظالم لسنّه والتجـربة، وعـامر بن الـطفيل للشـرف والنجدة، وربيعـة بن مكدّم للحيـاء والبأس، فمن أنت ثكلتـك أُمّـك؟ قـال: بـل من أنت ثكلتـك أمـك؟ قلت: أنا عمرو بن معدي كرب الـزبيديُّ، قـال: وأنا ربيعـة بن مكدّم، قلت: اخْترْ منّي إحدى ثلاث خصال: إمـا أن نتضاربَ بسيفينا حتى يموت الأعجـز؛ وإمـا أن نصطرع فـأينا صـرع صاحبـه قتله، وإما المسـالمة، قـال: ذاك إليكَ فاختر، قلت: إنَّ بقـومك إليـك حاجـةً وبقومي إليَّ حـاجة، والمسـالمةُ أولى وخير للجميع. ثم أخذتُ بيده فأتيت به أصحابي وقلت لهم: خلُّوا ما بأيديكم قالوا: يا أبا ثور غنيمةٌ باردة بأيدينا تأمرنا أن نتركهـا؟! فقلتُ لهم: لو رأيتم مـا رأيتُ لخلَّيتم وزدتم، خلُّوا وسلونـي عن فرسي ما فعل؛ قال: فتركنا ما بأيـدينا وانصرفنا راجعين.

[معنى الغنيمة الباردة]

قال القاضي: في قوله: «غنيمة باردة» وجهـان: أحدهمـا أنها الغنيمـةُ التي لم ينـل غانَمهـا حَرُّ السـلاح وحازوهـا سالمين ظـاهـرين مـوفـورين غيـر مكلومين، وقد يكونُ البردُ في هذا القول بمعنى الطمأنينة والـراحة كمـا يقال: اللهم أذِقْنَا بَرْدَ عفوك، ومنه بَرْدُ اليقين بمعنى الطمأنينة والسكون، ويقولون بَرَد الميّتُ أي سكن. والوجه الثاني أن الغنيمة الباردة هي المستقرة الحاصلة والمحوزة الثابتة من قولهم: ما بَرَدَ بيدي من هذا شيء، أي ما حصل ولا ثبت، كما قال الراجز:

---

(١) كاثبة الفرس: مجتمع كتفي الفرس قدام السرج.

اليومَ يومٌ باردٌ سَمومُهْ   من عجزَ اليومَ فلا تلوُمُهْ

أي ثابتٌ سَمُومه. وقد أنشدنا محمد بن القاسم الأنباري:

عافتِ الشربَ في الشتاءِ فقلنا   بَـرِّدِيهِ تصادفيه سخينا

على وجهين: برّديه أي احبسيه وأقرِّيه لينكسرَ بَرْدُهُ، والآخر بل رِدِيهِ من الوِرد، فأدغم اللامَ في الراء، وهذا كثيرٌ في كلام العرب، والإظهار هاهنا قليلٌ في السماع ضعيفٌ في القياس، وان كان بعضهم قد أظهر، وقد روي عن حفص بن سليمان الأسديّ عن عاصم بن أبي النَّجود ﴿بَلْ رَانَ﴾ (المطففين : ١٤) بالاظهار.

[نصيحة وصيف وتردد ابن بلبل]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثني يعقوب بن بنان المنقري قال حدّثنا أبو العبّاس ابن الفرات، وقد جرى ذكر إسماعيل بن بلبل وأيامه، فقال: كنتُ يوماً بين يديه وقد ورد عليه خبرُ الناصر ودخولُهُ قرماسين[1]، فرأيته قد أطال الفكرَ ثم قال لأحمد الحاجب: وجِّهْ إلى أبي علي وصيف وإلى موسى ابن أخت مفلح، فلم نلبث أن حضرا ثم قال: وجِّهْ إلى عبد الله بن الفتح، فقال له وصيف: أريدُ أن أقولَ شيئاً قبل أن توجّه إلى عبد الله بن الفتح، فقال: قل، فكأنّه كَرِهَ أن يقولَ بسبب مَنْ حضر المجلس، فقال أبو الصقر: نحتاج أن نخلو، ولم يكن بالحضرة إلا أربعة أنا خامسهم: أحمد بن محمد بن خالد أخو أبي صخرة، وما شاء الله الذي كان يكتبُ للطائي وإسماعيل بن ثابت الزغل، وابن فراس وقد كان استكتبه للعبدي، فقمنا، فقال: مكانَكَ يا أحمد، فجلستُ ناحيةً وبين يديّ أعمالٌ أنظر فيها، وقال

---

(١) س: قرميسين.

لوصيف: قل، فقال له: إن كنت تُـوَجِّه إلى عبـد الله بن الفتح تشـاوره في أمرٍ وَرَدَ عليك وتظنُّ أنه لك مثلُ مَنْ حضر فلا تظنَّ ذاك، فإن عبدَ الله كـان بمصر يقولُ: ليس لي صلاةٌ ما دمتُ مع ابن طـولون لأنَّ النـاصر ليس بـراضٍ عنه، وهو الآن إنما هو معك على أنَّ الناصر يستنصِحُـكَ ويرضَى بك فيما ولَّاكَ من أمـره، فإن وقف على تـدبيرٍ تُـدَبِّرُه على غيـر ما يـوافقُ النـاصـرَ رأى أنّ دَمَـك حـلال، فأفكـر أبو الصقـر ساعـةً وقامـوا معه فـدخلوا مجلساً وأسبلتِ السُّتـور دونهم، ومعهم خادم لأبي الصقر أسود يقال له صندل حسن الفكر؛ فلما قـدم الناصرُ ونكب إسماعيلَ وتخلَّصنا من النكبة واستخلفني أبو القاسم عبيد الله بن سليمان كان الخادم يجيئني كثيراً، فسألته عما جرى في تلك الخلوة فقال لي: لا تلدُ النساءُ مثلَ وصيف الخادم، ولا يُرَى في الدول مثلُهُ، قال مولاي لهما - يعني وصيفاً وموسى -: قد قرب هـذا الرجـلُ ولم يبقَ في بيوتِ الأمـوال شيءٌ ولا والله ما ورائي ما أرضيه به، ونحن في عدَّةٍ عظيمةٍ قد أنفقتُ الأموالَ عليها لأدفعَ بها عن نفسي، وقـد أفكرتُ في أن أوجِّـهَ وأقطعَ جسـرَ النهروان وأوجِّـه بأكثر الجيش وأجيء بأمير المؤمنين من المـدائن وأمنعه من الـدخول، وأجيِّش الجيوشَ إليه مع أحمد بن الحسن المادرائي، فقال لـه موسى: الـرأيُ لسيدنـا ونحن بين يديه في كلٍّ ما أنهضنـا إليه، فقـال لوصيفٍ: مـا تقول يـا أبا علي؟ فقال: أرى لك رأياً لا يخلصُ لكَ غيره، أرى أن تأخـذَ ابنه وتـأخذَ معـك من الجيش من تعلمُ أنـه لكَ نـاصحٌ، وتقيِّـد من تتّهمه، وتخـرج في الجملة التي تثقُ بها حتى توافي المـدائن، فتأخـذَ المعتمد وأولادَهُ وتخلفني بـواسط وتصير أنت إلى البصرة، والخليفة وأولاده معـك، ويكون أبـو العباس ومن قـد قيدتـه معـك، فـإنّ أهـلَ البصـرة إذا رأوا الخليفـةَ حـارب دونـك رجـالهم وخَـولهم وصبيانهم ونساؤهم، ويكون مالُ الأهـوازِ وواسط والبصرة في يـديك، وتحـدر معك الشذاءات والحرَّاقات والزلَّالات والطيَّارات، وتكاتبُ عمرو بن الليث فإنه عدوّه، فإن كُفِيتَ أمـره بهذه العلة التي يقـال إنه فيهـا رجعتَ إلى بغداد وأنتَ

أعزُّ الناس، وإن عـاش كنتَ مع أميـر المؤمنين وإمام المسلمين لم تخلع ولم تُحْـدِثْ في أمره حـادثةً تـزيلُ إمـامته، ومعـك وليُّ عهدٍ مقـدّمٌ على أخيه ولم تخرجْ من طاعةٍ، فالناس كلهم معك[١]، وقاتلناه أشدَّ قتال، ولعنتَهُ على المنابر، وكان ابنه في يديك وأنت مستظهرٌ به وبابنه الآخر، وأولادُكَ وحاشيتُكَ معـك. وإذا نظر الأولياءُ إلى جودك وبخله واستنقاذك خليفـةً مظلومـاً وقيامِـكَ بنصرتـه ناصَحوكَ وبذلوا مجهـودَهم لك، وإن خـالفتَ هذا فـأنت والله مأخـوذٌ مقتولٌ، وأنت أعلم. فقال له: القولُ ما قلتَ، وهذا هو التدبير، وأنـا آخذ[٢] في هـذا وأعمـلُ به، وخـرجا من عنـده. فبلغ وصيفاً أنّ مـولاي عـرضَ دوابَّـه وبغـالَـهُ لاستقبالِ الناصر، وأنه أنفَذَ كتاباً إلى أبي بكر ابن أختـه، وكان مـع الناصـر، ليعـرضه على النـاصر ليجـدَ له مَـوْضعاً في استقبـاله، وورد الكتـابُ بدخـولِ الناصر حُلْوان، فجاءه وصيفٌ فقال: ما عزم سيدنا الوزير؟ قد كاد ما جرى أن يفوت، فقال: الليلةَ أنظر في هذا، فقـال: فإلى أن تنـظرَ أتقدمُ أنـا إلى واسط لأكونَ هناك إلى أن توافي، فقال: ويحك، الرجلُ قد كتب إلى ابنِ أختي أنـه لـم يبقَ فيه من الروح ما يدخلُ بغداد، فما معنى الانزعاجِ وتنبيهِ الأوليـاءِ على المطالبة بالشخوص؟ فقـال: والله إن دخل النـاصرُ بغـداد في تابـوتٍ ليخرجنَّ المحبـوسَ من غير أمـرك، وليجتمعنَّ الناسُ كلُّهم لـه، ولينقلبنَّ عنك كـلُّ من اصطنعتَهُ، فإن كنتَ لا تطيعني فيما أَشَرْتُ به فدعني حتى أكبسَ الحسنيَّ كأني قد عاصيتك، وآخذَ المحبوسَ معي، وآخذَ الخليفةَ من المدائن معي كـأنه عن غير أمرك، فإنه يتهيـأ لك إن وقعت[٣] على شيءٍ يخـالفُ محبتك أن تتخلَّصَ حتى تلحقَ بي أو تستتر إلى أن تجدَ الفرصةَ بالتخلّص، فقال له: إلى أن يقفل ذاك من حلوان ربما ينجلي الأمر، فقال له: أمّـا أنا فمـا أُقيم ساعـةَ أخرج من عندك وأنا بواسطٍ إلى أن يأتيني أمركَ إن بقي لكَ أمر، وودَّعُهُ وخرج، فخلا به

---

(١) يبدو أن هنا نقصاً.

(٢) م: أجد.

(٣) س م: وقفت.

المـادرائي وأشار عليـه بمثل هـذا فلم يفعله، ودخل النـاصر، وكـانت الكائنـة والجلاء الذي لم يُرَ مثله.

[رأي معاوية في ما يستحسن من الشعر]

حدّثنا محمد بن القاسم الأنباري قال حـدّثنا أحمـد بن يحيى قال حـدّثنا عمر بـن شبة عن أشياخه قال[1]: قال معاوية بن أبي سفيـان لعبد الـرحمن بن الحكم: أراك تعجبُ بالشعر، فإن فعلت فإياك والنسيبَ بالنسـاء فإنـك تعرٌ بـه الشريفةَ وترمي به العفيفة وتقرُّ على نفسـك بالفضيحـة، وإياك والهجـاءَ فإنـك تُحْنِقُ بـه كريمـاً وتستثير بـه لئيماً، وإيـاكَ والمدح فـإنه كسبُ الـوَقَاح وطُعْمَـةُ السّؤال، ولكن افخـر بمفاخـرِ قومـك، وقلْ من الأمثـال مـا تـزيّنُ بـه نفسَـكَ وشعرك وتودَّدْ به إلى غيرك.

ويقال[2] الشعر أدْنَى مروءةِ السريِّ وأفضلُ مروءةِ الدنيّ.

[نصيب الشاعر ورأيه في شعراء عصره]

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن عـرفة الأزدي قـال حدّثنـا أحمد بن يحيى، قال: حدّثنا الزبيـر، قال: حـدّثنا محمد بن أحمد عن محمـد بن عبد الله عن معـاذٍ صاحب الهـروي قال[3]: دخلتُ مسجدَ الكوفـة فرأيتُ رجـلاً لم أرَ قطُّ

---

(١) العقد ٥: ٢٨١ ومجالس ثعلب: ٤٧٩ وأنساب الأشراف ٤/أ: ٢٢ والـطبري: ٢: ٢١٣ وابن الأثيـر ٤: ٨ والمحـاسن والمسـاوئ: ٣٦٢ وربيـع الأبـرار ٣٧٩ ب والبصـائـر ٧ رقم: ٣٢٠ (الطبعة الثانية).

(٢) الشعر أدنى مروءة السريّ.. الخ: نسب لزياد في البصـائر ٢: ١٦٢ وانـظر البيان والتبيين ١: ٢٤١ ومحاضرات الراغب: ١: ٨٠ ومجالس العلماء: ٤١١ وربيع الأبرار ٤: ٢٥٣.

(٣) الأغاني ١: ٣٣٤ ـ ٣٣٥ وقارن بذيل أمالي القالي: ٢٢٠ (حين يسـأل نصيب لم لا يهجو من حرمه) وكذلك البصائر ٩ رقم: ٢٥١ والكامل ٢: ١٥٩ ومحاضرات الـراغب ١: ٣٩٣ وربيع الأبرار ٢: ٦٣٧ ولقاح الخواطر: ٦٦ ب.

أنقى ثياباً منه ولا أشدَّ سواداً، فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا نصيب، فقلت: أخبرني عنك وعن أصحابك، فقال: جميلٌ إمامنا، وعمرُ أوصفنا لربَّاتِ الحجال، وكُثَيِّرٌ أبكانا على الأطلال والدمن، وقد قلتُ ما سمعتَ، قلتُ: فإن الناس يزعمون أنك لا تُحْسِنُ أن تهجو، قال: فأقرُّوا لي أني أُحْسِنُ المديح؟ قلت: نعم، قال: أفترى لا أُحْسِنُ أن أجعل مكانَ عافاك الله أخزاك الله؟ قلت: بلى، قال: ولكني رأيتُ الناس رجلين: رجلاً لم أسأله فلا ينبغي أن أهجوه فأظلمه، ورجلاً سألته فمنعني فكانت نفسي أحقَّ بالهجاء إذ سَوَّلَتْ لي أن أطلبَ منه.

[شاعر يسترفد مكدياً]

حدّثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدّثنا الغلابيّ قال: قدم أحمد أو إبراهيم بن الحسن بن سهل البصرةَ وقد وليَ شيئاً من أعمالها فنزل طاحية[1]، فمضى إليه بعضُ شعراءِ البصرةِ فامتدحه، فوقّع إليه:

شاعرٌ يطلب رفداً ... من أخي شعرٍ مكدّي
إنَّ ذا أعجبُ أمرٍ ... خاض فيه الناسُ بعدي
أنا في أخذ ثيابِ النـ ... ـاس مذ كنتُ أُسَدِّي
جلبَ الريح إلى الريـ ... ـح الذي يطلبُ رفدي

قال: فأردتُ هجاءه فلم أفعلْ، فلقيني يوماً فقال لي: يا هذا مازحناك فجددتَ في هجرنا، ثم قال لغلامه: لا تفارقه، فمضى بي معه فأقمتُ عنده يومي ووهب لي خمسمائة درهمٍ وقال: لا تقطعني، فكنتُ أمضي إليه، فلما أراد الخروجَ من البصرة أمر لي بجميع ما بقّاه في الدار[2] مما لم يحمله

(١) يريد حيّ بني طاحية.
(٢) م س: داره.

معه، فبعته بمائة دينار، قال أبو عبد الله: لا أدري مَنْ حدثني بهذا الجمَّاز أو الحمدوي أو غيرهما.

[ضروب من القبح]

حدّثنا محمد بن الحسن بن زيادٍ قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب، قال حدثنا أبو العالية، قال سمعت المأمونَ يقول: ما أقبح اللجاجة بالسلطان[1]، وأقبح والله من ذلك الضجرُ من القضاة قبل التفهّم، وأقبح منه سخافة الفقهاء بالدين، وأقبح منه البخلُ بالأغنياء والمزاحُ بالشيوخ والكسلُ بالشباب والجبنُ بالمقاتل.

[لا تُغْرِقْ في شتمنا]

حدّثنا أحمد بن جعفر قال حدّثنا جعفر بن محمد بن شاكر قال حدّثنا ابن إسحاق بن إسماعيل الطالقاني قال حدّثنا سفيان بن عيينة قال: كان بين عمر بن ذرّ وبين رجلٍ يقال له ابنُ عيّاش شحناء، وكان يبلغ عمر بن ذرٍ أن ابنَ عيّاشٍ يتكلّم فيه، قال: فخرج عمر ذات يوم فلقي ابن عياش فوقف معه، فقال له: لا تُغْرِقْ في شتمنا ودْعْ للصلح موضعاً فإنا لا نكافئ أحداً عصى الله تعالى فينا بأكثر من أن نطيعَ الله تعالى فيه.

[لا تدعُ على أخيك]

حدّثنا ابن المنادي قال حدّثنا جعفر الصائغ أيضاً قال حدّثنا الحسن بن بشر، قال حدّثنا إسماعيل بن عياش عن عبد العزيز بن عبيد الله قال: سمع مسلم بن يسار رجلاً يدعو على أخٍ له من أجل أنه ظلمه، فقال له مسلم: يا

---

(١) ب م: للسلطان.

أخي لا تدعُ على أخيك ولا تقطعْ رحِمَهُ ، وكِلْهُ إلى الله فإن خطيئتــه أشدُّ له طلباً من أعدى عدوّ له .

[كبش من افريقية]

حدّثنا[1] عبيـد الله بن مسلم العبدي قـال حدّثنـا الغلابيّ ، قـال حدّثنـا إبراهيم بن حبيب القاضي الغـلابيّ قال : رأيت في دارِ محمـد بن زبيدة كبشـاً قُدِمَ به من إفريقية أسودَ فيه حَلَقٌ مكتوب ببياض : « لا إلـه إلا الله » وفي الشقِّ الآخر « محمد رسول الله ﷺ » .

[انتقل من جوار ابن طاهر]

حدّثنا أحمد بن أبي سهلٍ بن عاصم الحلواني ، قال حـدّثنا أبـو الحسن علي بن هـارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور قـال[2] : كان أبي نـازلاً في جوار عبيد الله بن عبد الله بن طاهـر فانتقـل عنه إلى دارٍ ابتـاعها بنهـر المهدي وهي دار إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، فكتب إليه عبيد الله مستوحشاً :

يـا من تحـوَّل عنَّـا وهـو يـألفنـا ... بعدتَ جداً فلأيـاً صرتَ تلقانـا
فـاعلمْ بـأنـك إذ بـدَّلْتَ جيـرتنـا ... بُـدِّلْتَ داراً ومـا بُـدّلتَ إخـوانـا

فأجابه هارون بن علي :

بعـدتُ عنكمْ بداري دون خـالصتي ... ومحضُ ودِّي وعهـدي كالـذي كانـا
ومـا تبـدلتُ مـذ فـارقتُ قـربكُم ... إلا هـمـومـاً أعـانيهـا وأحـزانـا
وهـل يُسَـرُّ بسكَنى داره أحـدٌ ... ولـيس أحبـابُـهُ لـلدارِ جيـرانـا

---

(١) س : أخبرنا .
(٢) تاريخ بغداد : ١٠ : ٣٤٢ (نقلاً عن المعافى بن زكريا) .

[غزل لهارون الرشيد]

حدّثنا عمر بن أحمد بن علي المروزي الجوهري إملاءً من حفظه سنة اثنتين وعشرين(١) وثلاثمائة قال(٢): أخبرني أبو العباس أحمد النيسابوري أنَّ هذه الأبياتَ كتبها هارون الرشيد إلى جاريةٍ له كان يحبّها وكانت تبغضه:

إنَّ التي عذَّبتْ نفسي بما قَدَرَتْ كلَّ العذابِ فما أبقتْ ولا تركتْ
مازَحْتُها فبكتْ واستعبرت جزعاً عنّي فلما رأتني باكياً ضحكت
فعدتُ أضحكُ مسروراً بضحكتها حتى إذا ما رأتني ضاحكاً فبكت
تبغي خلافي كما خبَّتْ براكبها يوماً قَلُوصٌ فلما حثَّها بَـرَكَتْ

[أو لعلّـه لابن إياس]

حدّثنا جعفر بن محمد بن نصير الخواص، قال حدّثنا أبو العباس ابن مسروق، قال حدّثني محمد بن أحمد أبو الحسن المدائني، قال حدّثني(٣) عبد الله بن يحيى بن فرقد مولى المهديّ قال: اشترى محمد بن إياس جاريةً مغنية فهويهـا وكان مستهتراً بحبِّها وعشقها فأعرضتْ بوجهها عنه يوماً، فلقيني وهو كئيبٌ حزينٌ، فقلت: ما شأنك؟ فأنشأ يقول:

أليس من عجبٍ بل زادني عجباً مملوكةٌ مَلَكَتْ من بعد ما مُلِكَتْ
هيَ التي عـذَّبتني في مودَّتهـا كلُّ العذاب فما أبقتْ ولا تركت

[أو لشاعر آخر]

أنشدنا يعقوب بن محمد بن صالح الكريزي قال أنشدنا عبد الجليل بن الحسن لذؤيب:

(١) س: اثنتي عشرة.
(٢) نقلها السراج ٢ : ٢٠٨ عن الجليس الصالح.
(٣) م س: حدّثنـا.

هي التي عـذَّبتني في مودَّتهـا   كلَّ العذاب فما أَبقت ولا تركتْ
عاتبتها فبكتْ واستعبـرت أسفاً   عنّي فلما رأتني باكياً ضحكت
فَظَلْتُ أضحك مسروراً لضحكتها   فاستعبرتْ إذ رأتني ضاحكاً فبكت
تبغي خلافي كما خَبَّتْ براكبها   يوماً قَلُوصٌ فلما حثها بـركت
كـأنها درةٌ قـد كنتُ أذخـرهـا   ليـوم عسرٍ فلمـا رُمْتُها هَلَكَتْ

المجلس السادس والستون

[يذهب إلى دمشق ليسمع حديثاً من أبي الدرداء]

أخبرنا[1] القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا قراءة عليه قال حدّثنا الحسين بن إسماعيل المحامليّ، قال حدّثنا محمود بن خداش، قال حدّثنا محمد بن يزيد الواسطي، قال حدّثنا عاصم بن رجاء بن حَيْوَة عن قيس بن كثير قال[2]: قدم رجلٌ من المدينة إلى أبي الدرداء وهو بدمشق، فقال: ما أقدمك يا أخي؟ قال: حديثٌ بلغني أنك تُحَدِّثُ به عن رسول الله ﷺ[3]، قال: أما جئتَ لحاجةٍ؟ قال: لا، قال: ما قدمتَ لتجارةٍ؟ قال: ما جئتُ إلا في طلب هذا الحديث، قال: فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: مَنْ سلك طريقاً يبتغي به علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنّة، وإن الملائكة لتضعُ

(١) في ب د قبل هذا سند طويل يدل على أن هذا الحديث رواه الإمام تاج الدين بهاء الإسلام أبو سعيد ويكنى أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي الحسن مسعود المسعودي عن أبي العز أحمد بن عبيد الله بن كادش العكبري فيما أجازه له، عن الجازري عن القاضي المعافى.

(٢) أورده أحمد في مسنده ٥: ١٩٦.

(٣) س: عليه وعلى آله.

أجنحتها إرضاءً لطالب العلم، وإنّ العالم ليستغفرُ له من في السمٰوات ومن في الأرض حتى الحيتانُ في الماءِ، وإنّ فضلَ العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإنَّ العلماءَ وَرَثَةُ الأنبياءِ وإنَّ الأنبياء لم يُوْرِثوا ديناراً ولا درهماً وإنما أورثوا العلم، فمن أخذه فقد أخذ بحظٍّ وافرٍ.

قال القاضي: هذا خبرٌ قد كتبناه عن عددٍ من الشيوخ، وروينا في معناه عن النبيّ ﷺ وأئمةِ العلماءِ من السلف والخلف. واستقصاءُ القولِ في شَرَف العلم وفضله، وارتفاعِ منزلته، وعلوِّ شأنِ اقتباسه وحمله، وجلالةِ القائمين بروايته ونقله، ممَّا يصعبُ ويبعدُ ويُتْعِبُ المتعاطي له ولا يتيسر، ونحن نأتي بالشيء بعد الشيء في المجلس بعد المجلس فيسهل مورده، ويعظُمُ على الناظر فيه الانتفاعُ به، وبالله نستعين فإنه خير معين.

[الخليل يرى أن الرجال أربعة]

حدّثنا محمد بن الحسن بن دريدٍ قال أخبرنا أبو معمر عن أبيه قال حدّثنا النضر بن شُميل قال، سمعتُ الخليلَ بن أحمد يقول(١): الرجالُ أربعة: رجلٌ يدري ولا يدري أنه يدري فذاك غافلٌ فنبّهوه، ورجلٌ لا يدري ويدري أنه لا يدري فذاك جاهلٌ فعلِّموه، ورجلٌ يدري ويدري أنه يدري فذاك عاقلٌ فاتّبعوه، ورجلٌ لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذاك مائق فاحذروه. وأنشدت في بعض ما يشتمل بعضُ الحكاية عليه:

ما زلتُ في تيهِ الظلامِ أجري حتى دَرَيْتُ أنني لا أدري

[بين الطاهري وبعض أهل الأدب]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبيّ، قال حدّثنا أبو الحسن علي بن

---

(١) عيون الأخبار ٢: ١٢٦ (ببعض اختلاف) ونور القبس: ٦١.

عصمة الأُواني الشهراباني الشاعر قال حدّثني بعض المشايخ من أهل الأدب قال: كنتُ مقيماً بالريِّ فدعاني ذاتَ يومٍ محمد بن علي الطاهري، فلما استوى مجلسي عنده قال لي: قد خطرتْ ببالي أشياءُ أنا سائلك عنها فقل فيها بما حضرك، قلت: يسأل الأمير وأسمع، قال: ما أطيبُ الطعام؟ قلتُ: طعامٌ لقي جوعاً ومطعمٌ وافقَ شهوة، قال: فما ألذّ الشراب؟ قلت: شَرْبَةُ ماءٍ باردٍ تبرِّدُ غليلك أو كأسُ راحٍ تعاطيها خليلك، قال: فما أمتعُ الغناءِ؟ قلت: أوتارٌ أربعة، وجاريةٌ متربعةٌ، غناؤها مصيب، وضربها عجيب، قال: فما أذكي الطيب؟ قلت: ريح بدن تحبّهُ، أو ولدٍ تَرُبُّه، قال: فما أشهى النساءِ؟ قلت: التي تخرجُ من عندها كارهاً، وترجع إليها والهاً، قال: فما أفرهُ الخيل؟ قلت: الأَسْوَقُ الأَعْنَقُ الذي إذا طَلَبَ لم يُسْبَقْ، وإذا طُلِبَ لم يلحق، إذا صهل أطربك، وإذا رأيته أعجبك، قال: أحسنت، يا غلام أعطِه مائة دينار قلت: أعزَّ الله الأمير وأين تقع مني مائةُ دينار؟ فقال لقد زدتَ نفسَكَ مائةَ دينار قلت: أولستَ كذا؟ قال الأميرُ قال: لا، ولكني أحقّق ظنَّك، يا غلام أعطه مائتي دينار.

[إهانة الحجاج لأنس وما نجم عنها]

حدّثني محمد بن القاسم الأنباري قال حدّثني أبي قال حدّثنا أحمد بن عبيدٍ قال حدّثنا هشام بن محمد بن السائب الكلبيّ عن عَوانة بن الحكم الكلبي قال(١): دخل أنس بن مالك على الحجاج بن يوسف، فلما وقف بين يديه سلَّم عليه فقال إيهاً إيهاً يا أُنيسُ، يومٌ لكَ مع علي، ويومٌ لك مع ابن الزبير، ويومٌ لك مع ابن الأشعث، والله لأستأصلنك كما تُستأصلُ الشأْفَةُ،

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٣: ١٥١؛ وما أورده المعافى في هذا الموضع نقله ابن عساكر مع تعليقات القاضي في ترجمة الحجاج من التهذيب ٤: ٧٦ - ٧٧ وانظر بغية الطلب ٤: ١٢ فإن النقل فيه عن المعافى وقارن بالموفقيات: ٣٢٨ - ٣٣١ والبيان والتبيين ١: ٣٨٥ والعقد ٥: ٣٦.

ولأقلعنَّكَ كما تُقْلَعُ الصمغة، فقال أنس: إيّايَ يعني الأمير أصلحه الله؟ فقال: إيّاكَ سكَّ اللهُ سَمْعَكَ، قال أنس: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله لولا الصبيةُ الصغارُ ما بَالَيْـتُ أيَّ قتلةٍ قُتِلْتُ ولا أيَّ ميتةٍ متّ. ثم خرج من عند الحجاج فكتب إلى عبد الملك بن مروان يخبره بذلك، فلما قرأ عبد الملك كتابَ أنس استشاط غضباً وصفّق عجباً، وتعاظمه ذلك من الحجاج. وكان كتاب أنس بن مالك إلى عبد الملك بن مروان: بسم الله الرحمن الرحيم إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من أنس بن مالك، أما بعد، فإنّ الحجاج قال لي هُجْراً، وأسمعني نُكْراً، ولم أكُنْ لذلك أهلاً، فخذ لي على يديه فإني أمُتُّ بخدمتي رسولَ الله ﷺ وصحبتي إياه، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. فبعث عبد الملك إلى إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر، وكان مصادقاً للحجاج، فقال له: دونك كتابيَّ هذين فخذهما واركبْ البريدَ إلى العراق، فابدأ بأنس بن مالك صاحب رسول الله ﷺ فادفعْ كتابه إليه وأبلغه مني السلام وقل له: يا أبا حمزة قد كتبتُ إلى الحجاج الملعون كتاباً إذا قرأه كان أطوعَ لك من أَمَتِكَ. وكان كتابُ عبد الملك إلى أنس بن مالك: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، أمّا بعد فقد قرأتُ كتابك وفهمتُ ما ذكرتَ من شكاتِك للحجاج، وما سلَّطْتُهُ عليكَ ولا أمرتُهُ بالإساءةِ إليك، فإن عاد لمثلها فاكتبْ إليَّ بذلك أُنزلْ به عقوبتي، وتحسنْ لك معونتي، والسلام، فلما قرأ أنس بن مالك كتابه وأخبر برسالته قال: جزى الله أمير المؤمنين عنّي خيراً وعافاه وكافأه عنّي بالجنة، فهذا كان ظنّي به والرجاءُ منه. فقال إسمـاعيل بن عبد الله لأنس: يا أبا حمزة إن الحجاج عاملُ أمير المؤمنين وليس بك عنه غنىً ولا بأهل بيتك، ولو جُعِلَ لك في جامعةٍ ثم دُفع إليك لقدر أن يضرَّ وينفع، فقارِبْهُ ودارِهِ، فقال أنس: أفعلُ إن شاء الله. ثم خرج إسماعيل من عنده فدخل على الحجاج، فلما رآه الحجاج قال: مرحباً برجلٍ أحبُّهُ وكنتُ أُحبُّ لقاءَه، فقال

له إسماعيل: وأنا والله كنت أحبّ لقاءك في غير ما أتيتُكَ به، قال: وما أتيتني به؟ قال: فارقتُ أميرَ المؤمنين وهو أشدُّ الناسِ عليكَ غضباً ومنك بُعْداً، قال: فاستوى الحجاج جالساً مرعوباً فرمى إليه إسماعيل بالطومار، فجعل الحجاج ينظر فيه مرة ويعرق وينظر إلى إسماعيل أُخرى، فلما نفضه قال: قُم بنا إلى أبي حمزة نعتذر إليه ونترضاه، فقال له إسماعيل: لا تعجل، قال: كيف لا أعجل وقد أتيتني بآبدةٍ؟! وكان في الطومار: إلى الحجاج بن يوسف: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى الحجاج بن يوسف: أما بعد، فإنك عبدٌ طَمَتْ بك الأمور فسموتَ فيها وعدوتَ طَوْرَكَ، وجاوزتَ قَدْرَكَ، وركبت داهية إدّاً، وأردتَ أن تبورنى[1]، فإن سوَّغتكها مضيتَ قُدُماً، وإن لم أسوغكها رجعتَ القهقرى، فلعنك الله عبداً أخفشَ العينين[2] منقوصَ الجاعرتين، أَنسيتَ مكاسبَ آبائك بالطائف وَحَفْرَهم الآبارَ ونقلَهم الصخورَ على ظهورهم في المناهل يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب؟! والله لأغمزنَّك غَمْزَ الليثِ الثعلبَ والصقرِ الأرنبَ، وَثَبْتَ على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بين أظهرنا فلم تقبل له إحسانه ولم تَجاوَزْ له إساءته، جرأةً منك على الربِّ عز وجل، واستخفافاً منك بالعهد، والله لو أن اليهود والنصارى رأت رجلاً خدم عُزَيْرَ بن عُزْرَة وعيسى بن مريم لعظَّمَتْهُ وشرَّفَتْهُ وأكْرَمَتْهُ، فكيف وهذا أنس بن مالك خادمُ رسول الله ﷺ خدمه ثماني سنين يُطْلِعُهُ على سِرِّه ويشاوره في أمره، ثم هو مع هذا بقيةٌ من بقايا أصحابه، فإذا قرأت كتابي هذا فكنْ أطوعَ له من خُفِّهِ ونعله، وإلا أتاك منّي سهمٌ مُثكِلٌ بحتفٍ قاضٍ و﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ٦٧).

---

(١) يبور: يختبر؛ وفي م: تبوغني.

(٢) م: الجنبين.

[تفسير بعض المفردات]

قال القاضي: قول الحجاج: « سكَّ الله سمعك » يقال: استَكَّتِ الأذنان واصطكتِ الركبتان. وقوله للحجاج: « يا ابنَ المستفرمة بعجم الزبيب » كانت المرأة تستعمل عجم الزبيب لتضيّق قُبُلها في ما ذكر بعضُ أهلِ العلم وهو حَبُّهُ، والنوى كلّه يقال له عَجَم واحدته عَجَمة، قال الأعشى[1]:

مقادَكَ بالخيلِ أرضَ العدوِّ وَجُذْعَانها كلقيطِ العَجَمْ

قيل: صارت من صلابتها مثل النّوى. وقال أبو عبيدة: عُجم عجماً أي ليك لأنه نوى الفم فهو أصلب ليس بنوى خلّ ولا نبيذٍ فهو أصلب وأملس، وإنما أراد صلابتها وضمَرها، ولقيط أراد ملقوط مثل جريح ومجروح، ويروى كلفيظ العجم أي ملفوظ ملقىً.

[بين دعبل والمطلب الخزاعي]

حدّثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدّثني عون بن محمد قال لما هجا دعبلٌ المطلبَ بن عبد الله بن مالك الخزاعيّ فقال[2]:

اضرب ندى طلحة الطلحات متئداً ببخلِ مطّلبٍ فينا وكنْ حكما
تخرجْ خزاعةَ من لؤمٍ ومن كرمٍ فلا تعدّ لها لؤماً ولا كرما

ويروى تُسْلِمْ خزاعةَ. فدعاه بعد ذلك المطلب، فلما دخل إليه قال: والله لأقتلنَّك لهجائك لي، فقال له: فأشْبعني إذن ولا تقتلني جائعاً، فقال:

---

(١) ديوان الأعشى: ٣٠.

(٢) الأغاني ٢٠: ١٠٧، ١١٧ وزهر الآداب: ١٠٧٧ وتهذيب ابن عساكر ٥: ٢٤٤ (عن الجليس الصالح) وديوان دعبل: ١٨٣.

قبّحك الله هذا أهجى من الأوّل، ثم وصله فحلف أنه يمدحه ما عاش، فقال فيه[1]:

سألتُ الندى لا عدمتُ الندى وقد كان منا زماناً غَرَبْ
فقلتُ له طال عهدُ اللقاءِ فهل غبتَ بالله أم لم تغب
فقال بلى لم أزلْ غائباً ولكن قدمتُ مع المطَّلب

قال القاضي: في هذا الخبر ما دلَّ على دهاءِ دعبل ولُطْفِ حيلته وأنبأ عن ذكاء المطلب ودقَّةِ فطنته. وقد روي مثل هذا عن معن بن زائدة وأُتي بجماعةٍ قد عاثوا في عمله فأمر بقتلهم، فقال له أحدهم: أعيذك بالله أن تقتلنا عطاشاً فأمَرَ بإحضار ماءٍ يسقونهم، فأُحضر، فلما شربوا قال: أيها الأمير لا تقتلْ أضيافك، فقال: أولى لك، وأمر بتخليتهم.

حدّثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدّثنا عون قال: أنشدني دعبل لنفسه يرثي المطلب[2]:

ماتَ الثلاثةُ لما مات مُطَّلِبُ مات الحياءُ ومات الرغبُ والرَّهَبُ
لله أربعةٌ قد ضمَّها كفنٌ أضحى يُعَزَّى بها الإسلام والعربُ
يا يومَ مطّلب أصحبتَ أعيننا دمعاً يدومُ لها ما دامتِ الحقبُ
هذي خدودُ بني قحطان قد لصقت بالتُّربِ منذ استوى من فوقك التربُ

[جمع فعلة]

قال القاضي: قول دعبل في شعره في الخبر المتقدم: « اضرب ندى طلحة الطلحات » أسكنَ اللام في قوله الطلحات للضرورة وحقّها التحريك،

---

(١) بغية الطلب ٥: ٣٣٦ وتهذيب ابن عساكر ٥: ٢٤٤. وديوان دعبل: ٦٦.
(٢) بغية الطلب ٥: ٣٣٦ وتهذيب ابن عساكر ٥: ٢٤٤ وديوان دعبل: ٢٨١.

والعرب تقول طلحةُ الطَّلَحات، وحمزة وحَمَزات، وتَمْرة وتَمَرات، وجمرة وجمرات، ومثله الركعات والسَّجَدات بفتح عين الفعل من فَعَلات في الأسماء من هذا الباب، ما لم تكنِ العين واواً أو ياءً أو ألفاً. وقد أسكن الراجز العين من الاسم في الباب الذي وصفت فقال(١):

علَّ صروفِ الدهر أو دُولاَتِها تُديلنا اللَّمةَ من لمَّاتها

فتستريحَ النفسُ من زَفْراتها

هكذا روي «علَّ صروفِ» بالجرِّ وله علَّةٌ مختلفٌ فيها، فمن الناس من زعم أن إحدى لامي علَّ التي في معنى لعلَّ حذفت وأن اللام التي في الظرف هي اللام الخافضة ففتحها لغة، وأكثر أهل العلم ينكرون هذا التأويل ويذهبون إلى أن خفضَ ما يلي لعلّ لغةٌ من لغات العرب.

وما كان من الأسماء في هذا الباب عينه مدغمةً في لامه لتجانسهما مثل حبّةٍ وحبّات وعمّة وعمّات فإنه ساكنٌ، وكذلك الألف مثل دارةٍ ودارات، وتارة وتاراتٍ، وبابةٍ وباباتٍ، لأن الألف لا تكون إلا ساكنةً، ومتى ما ريم تحريكها انقلبت عن جنسها إلى الهمزة. فأما الواو والياء كجوزةٍ ولوزةٍ وعورةٍ وغيبةٍ وبيضةٍ ورَيْطةٍ، فالمستفيض من لغة العرب فيه الإسكان للتخفيف ولئلا يلزمَ القلبُ فيه الواو والياء لتحركهماوانفتاح ما قبلهما ويقع الالتباس، فتكون عارة في عورة بمنزلة دارةٍ، وهذيل بن مدركة يحركون فيقولون عَوَرات وبَيضات. قال الله تعالى ذكره: ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ (النور: ٥٨) فهذه القراءةُ السائرة بنقل العامّة والخاصة، وقد قرأ بعضهم عَوَرَات بالتحريك، وهذه قراءةٌ شاذة. وأما فَعْلات إذا كانت نعتاً فبابها التسكينُ تخفيفاً مثل: ضخمةٍ وضخمات، وعبلةٍ وعَبْلاتٍ، وكما شذَّ في الأسماءِ قول الراجز

(١) الخصائص ١: ٣١٦ وابن يعيش ٥: ٢٩ والعيني ٤: ٣٩٦.

« زَفْراتها » على ما قدمنا ذكره، فقد شذَّ في القياس واطَّرد في الاستعمال قولهم: رَبْعات في جَمْع رجل رَبْعة وامرأةٍ رَبْعةٍ. وقد زعم جماعةٌ من النحاة أن مما شَذّ أيضاً في هذا الموضع قولهم شاة لَجْبة وشياهٌ لجبات، وهي القليلةُ اللبن. وأرى أنه قيل على التفاؤ ل بالغزر كما قيل للعطشان ناهل، وللضرير بصير، وللديغ سليم، في قول كثير منهم. ألا ترى الى قول الشاعر:

فـي جحفـلٍ لَجِـبِ

وقد حكي شاة لَجَبة بالفتح، وحكى الكسائيُّ عن العرب فيما روي عنه لُجبة ولَجبة، فعلى هذين الوجهين يكون لجبات جارياً على أصله وقياسه وغير خارج عن بابه. وأما قولهم لقبيلة من قريش العبلات فإنه تقرَّر في أصلـه اسماً وخرج أن يكون صفةً ونعتاً. قال الشاعر في لغة هذيل التي قدَّمنا ذكرها[1]:

أبـو بَيَضـاتٍ رائـحٌ متـأوِّبٌ رفيقٌ بِمَسْحِ المنكبينِ سَبوحُ

وقد اختلف أهل العلم بالعربية في عِلَّة تحريك عين فَعَلات بحيث وصفنا وَفَعْلَة منه ساكنة العين، فقال أكثرهم: فُعِلَ هذا لِيُفَرَّقُ بين الأسماءِ في هذا الباب وبين النعوت، وكانت الأسماءُ لخفَّتها أحملَ للحركة والنعوتُ أولى بالتسكين لثقلها وأنها تأتي ثانيةً بعد الأسماء. وقال بعضهم: فعلات في هذا الباب فيها تاءان في الأصل والتقدير، وإحداهما هاء تنقلب في الـوقف تاءً كقولك جفنة وكان التقدير في جمعها جفنتات لأنَّ التاءَ الأُولى لازمةٌ في الواحدة والتاء الثانية أتت للجمع، فاكتفي بإحداهما وجُعِلَتْ حركةُ العين عوضاً مما حذف، وكانت الأسماء أحقَّ بهذا لسعتها وخفتها، ولم يؤتَ بها في النعت للتخفيف. وقد حكي امرأة صَعْدة، كأنها صعدة توصَفُ بالطول تشبيهاً بالقناة،

---

(١) البيت في المحتسب ١: ٥٨ والخصائص ٣: ١٨٤ والخزانة ٣: ٤٢٩ والعيني ٤: ٥١٧ وابن يعيش ٥: ٣٠.

يقال في يد فلانٍ صَعْدَةٌ يمانية، كما قال الشاعر:

فـي كفّــه صعـدةٌ يمانِيةٌ   فيهـا سنـانٌ كشُعْلَـةِ القَبَـسِ

يعني وهجاً ومثله(1):

صَعْـدةٌ قد ثبتتْ في حـائرٍ   أينمـا الـريـحُ تُمَيِّلْهـا تَمِـلْ

فأسكن هاهنا المشبّه والمشبّه به وهو النعت والاسم في الواحد، وقالوا: نسوةٌ صَعداتٌ فأسكنوا لأنه نعت، وكأنهن صَعَداتٌ فحركوا لأنه اسم.

قال القاضي: وهذا باب تتصل به أبوابٌ تشاركه في أصوله ولها أحكام وعلل، وفيها لغاتٌ تتشعب وتتفرع، وهي مرسومة على حدودها مقرونة بعللها في أولى المواضع بها.

[حكمة للحسـن]

حـدّثنا إسمـاعيـل بن يـونس بن أبي اليسـع أبـو إسحـاق، قـال حـدّثنـا يحيى بن جعفـر بن عبـد الله بن أبي طـالب، قـال حـدّثنـا محمـد بن إبـراهيم الشامي، قال حدّثنا الوليد بن مسلم وضمرة بن ربيعة عن أحمـد بن أبي حُميدٍ عن الحسن قال: ما عرف الخيرَ من لم يتّبعه، ولا عرف الشـرَّ من لم يَجْتنبه، ومـا أيقنَ عبدٌ بـالجنّةِ والنـارِ حقَّ يقينهما إلا رؤ ي ذلـك في عمله، فانـظر مـا تحبُّ أن يكونَ معك غداً فقدِّمْهُ اليوم.

[خسف بدركلتي ونجا أبو زبيبة]

حدّثنا محمد بن أحمد بن أسد الهروي، قال حدّثنا ابن أبي سعد الوراق

---

(1) سيبويه ١: ٤٥٨ (ونسبه الأعلم لحسان بن ضرار) والخزانة ١: ٤٥٧، ٣: ٦٤٠، ٦٤٢ (لكعب بن جعيل) وابن يعيش ٩: ١٠ والعيني ٤: ٢٣٤، ٥٧١ وأمالي ابن الشجري١: ٣٣٣، ٣٤٧.

قال: كان رجلٌ يقال له أبو زبيبة متعبداً يجيء إلى مدينةٍ من مدائن[1] اليمن يقال لها دركلتي قال: فيقف عليهم فينشد هذه الأبيات:

غـرَّ جـهـولاً أَمَـلُـهْ يـمـوتُ مَـنْ جـا أَجَـلُهْ
فـمـا بـقـاء آخـرٍ قـد مـات عـنـه أوَّلُـهْ

قال فكان هذا دأبَهُ،وكان أهلُ القريةملحينَ في المعاصي فَخُسِفَ بهم، فمرَّ بها رجلٌ فلقيه آخر فقال: ما فعلتْ دركلتي؟ قال: خُسِفَ بها، قال: فأبو زبيبة؟ قال: سَلِمَ.

[المشي إلى الصين أهون من تلك الخطوة]

حدّثنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك الشيباني، قال حدّثنا محمد بن القاسم، قال حدّثنا الأصمعيّ قال: نظر الأحنف إلى سيفٍ مع رجلٍ من بني تميم فقال له: إن فيه لَقِصراً وإنه لجيّد، فقال صاحبُ السيف: يا أبا بحر إنها تطيله خطوة، كما قال الشاعر[2]:

نَصِلُ السيوفَ إذا قَصُرْنَ بخطونا قدماً ونلحقُها إذا لم تَلْحَقِ

قال الأحنف: يا ابنَ أخي، المشيُ والله إلى الصين أهونُ من تلك الخطوة.

[لا بدَّ من إنصاف الشعراء]

حدّثنا أبو النضر العقيلي، قال حدّثنا عسل بن ذكوان، قال حدّثنا

---

(١) س: مدن.

(٢) هو كعب بن مالك، وبيته هذا في الكامل ١: ١٤١ والبيان والتبيين ٣: ٢٦ وعيون الأخبار ٢: ١٩٣ والشعر والشعراء: ١٨٠ وأمالي القالي ٣: ٣٠ وزهر الآداب: ٧٦٦، ١٠٨٧ وتهذيب ابن عساكر ٤: ١٣٢ والتذكرة الحمدونية ٢ رقم: ١٠٢٧ وديوان كعب: ٢٤٥ (وفي حاشيتي التذكرة والديوان تخريجات أخرى كثيرة).

الزيادي قال[1]: كان الخليل بن أحمد صديقاً لجعفر بن سليمان الهاشمي، فجاء يوماً ليدخل عليه فوجد على بابه شعراء قد أنشدوه وقُبِلَتْ أشعارهم وتأخَّرَتْ جوائزهم، فشكوا ذلك إليه وسألوه إذكاره، فدخل إليه فأنشده:

لا تقبلنَّ الشعرَ ثم تعقّه فتنامَ والشعراءُ غيرُ نيامِ
واعلم بأنهمُ إذا لم يُنْصَفُوا حكموا لأنفسهم على الحكّام
وجنايةُ الجاني عليهم تنقضي وعقابُهُمْ يَبْقَى على الأيام

قال القاضي: وقد روينا هذه الأبياتَ منسوبةً إلى ابن الرومي[2] في ما روي لنا من شعره، والله أعلم بحقيقة الأمر في ذلك.

[بين الحسن بن علي وزياد]

حدّثنا أحمد بن الحسن بن الكلبي قال حدّثنا محمد بن زكرياء قال حدّثنا عبد الله بن الضحاك قال حدّثنا هشام بن محمد عن أبيه قال[3]: كان سعيد بن سرحٍ مولى حبيب بن عبد شمس شيعةً لعلي بن أبي طالب عليه السلام، فلما قدم زيادُ الكوفةَ والياً عليها أخافه وطلبه زياد، فأتى الحسنَ بن علي، فوثب زيادٌ على أخيه وولده وامرأته فأخذهم وحبسهم وأخذ ماله وهدم داره، فكتب الحسن إلى زياد: من الحسن بن علي إلى زياد أما بعد فإنك عمدتَ إلى رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم فهدمتَ دارَهُ وأخَذْتَ ماله وعياله فحبستهم، فإذا أتاك كتابي هذا فابنِ له داره واردُدْ عليه عياله وماله، فإني قد أَجَرْتُهُ فشفّعْني فيه. فكتب إليه زياد: من زياد بن أبي سفيان

(١) نور القبس: ٦٧ (وجعله حديثاً لسليمان بن حبيب).

(٢) نسبت له في شرح المختار: ٢٦٢ وديوانه ٦: ٢٣٩٢.

(٣) قارن بما أورده البلاذري (المحمودي): ٥٢ - ٥٣ وابن أبي الحديد في شرح النهج ١٦: ١٨ وأقرب الصور إلى ماورد هنا موجود في تهذيب ابن عساكر ٥: ٤٢١ - ٤٢٢ (فهو عن المعافى بن زكريا) ويشبهه ما ورد في شرح النهج ١٦: ١٩٤ - ١٩٥.

إلى الحسن بن فاطمة: أما بعد فقد أتاني كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلي، وأنت طالبُ حاجةٍ، وأنا سلطانٌ وأنت سوقة، كتبتَ إليَّ في فاسقٍ لا يؤويه إلا مثله، وشرٌّ من ذلك تولّيه أباك وإياك، وقد علمتُ أنك قد آويته إقامةً منكَ على سوء الرّأي ورضىً منك بذلك، وايم الله لا تسبقني به، ولو كان بين جلدك ولحمك وإن نلتُ بعضك غير رفيقٍ بكَ ولا مُرْعٍ عليك، فإنّ أحبَّ لحمٍ إليَّ آكله للحمُ الذي أنت منه، فأسْلِمْهُ بجريرته إلى من هو أولى به منك، فإن عفوتُ عنه لم أكنْ شفَّعْتُكَ فيه، وإن قتلته لم أقْتُلْهُ إلا لحبّه إياك.

فلما قرأ الحسن عليه السلام الكتاب تبسَّم وكتب إلى معاوية يذكر له حالَ ابن سرح وكتابَهُ إلى زياد فيه وإجابة زيادٍ إياه، ولفَّ كتابه في كتابه وبعث به إلى معاوية. وكتب الحسن إلى زياد: من الحسن بن فاطمة عليهما السلام إلى زياد بن سمية: الولدُ للفراشِ وللعاهرِ الحجر. فلمَّا وصل كتابُ الحسن إلى معاوية وقرأ معاوية الكتابَ ضاقتْ به الشامُ، وكتب إلى زيادٍ: أما بعد فإن الحسنَ بن علي بعث بكتابك إليَّ جوابَ كتابه إليك في ابن سرح، فأكثرتُ التعجُّبَ منك، وعلمتُ أنّ لك رأيين: أحدهما من أبي سفيان والآخر من سمية، فأما الذي من أبي سفيان فحلمٌ وحزم. وأما رأيكَ من سميّةَ فما يكونُ رأي مثلها؟! ومن ذلك كتابُكَ إلى الحسن تشتم أباه وتعرِّضُ له بالفسق، ولعمري لأنت أَوْلَى بالفسقِ من الحسن، ولأبوك إذ كنت تُنْسَبُ إلى عُبَيدٍ أولى بالفسقِ من أبيه، وإن الحسن بدأ بنفسه ارتفاعاً عليك وإنّ ذلك لم يضعك. وأما تركُكَ تشفيعَهُ فيما شَفَعَ فيه إليك فحظٌّ دفعتَهُ عن نفسك إلى من هو أولى به منك، فإذا قدم عليك كتابي هذا فخلِّ ما في يديك لسعيد بن سرح، وابنِ له داره، ولا تَعْرِضْ له، واردُدْ عليه ماله، فقد كتبت إلى الحسن أن يخيّر صاحبه إن شاء أقام عنده، وإن شاء رجع إلى بلده، وليس لك عليه سلطانٌ بيدٍ ولا لسانٍ. وأما كتابك إلى الحسن باسمه ولا تنسبه إلى أبيه فإن الحسن ويلك ممن لا يُرْمَى به الرَّجَوَان، أفإلى أُمِّه وَكَلْتَهُ لا أُمَّ لك، هي فاطمة بنتُ رسول

الله ﷺ وتلك أفخرُ له إن كنتَ تعقل؛ وكتب في أسفل الكتاب:

تــداركَ مـا ضَيَّعْتَ من بعــد جُــرْأةٍ وأنــت أريبٌ بــالأُمــور خــبــيــرُ
أمــا حسنٌ بــابن الــذي كــان قبله إذا ســار سار المــوتُ حيث يسير
وهــل يـلدُ الـرئـبــالُ إلا نــظيــره فــذا حَسَــنٌ شِــبْــهُ لــه ونــظير

(قال القاضي: الرئبال ولد الأسد).

ولكنّه لـو يُـوزَنُ الحلم والحجى بــرأيٍ لقــالــوا فــاعلمنَّ ثبيــر

قال الغلابيّ: قرأت هذا الخبر على ابن عائشة فقال: كتب إليـه معاويـة حين وصل إليه كتابُ الحسن في أول الكتاب الشعرَ والكلامَ بعده.

[تعليقات لغوية ونحوية]

قال القاضي(١): قـول معاويـة: « من لا يُرْمَى بـه الرّجـوان » يعني تثنية الرجا وهو الجانب والناحية وجمعه أرجاء، قـال الله عز وجـلّ: ﴿وَالمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ (الحـاقة: ١٧) والعـربُ تقول: فـلان لا يُرْمَى بـه الرجـوان أي لا يُسْتَهانُ به وتستضعف منزلته فيطرَّح به ويُرْمَى به، كما قال الشاعر(٢):

فــلا يُــرْمَى بيَ الــرجــوان اني أقــلّ القــوم مَنْ يُغْني مكــانـي

وأما قـولـه: « تداركَ مـا ضيعت » فإنـه حرَّك الكـاف في الأمر لأنـه أراد النون الخفيفة، كما قال الشاعر(٣):

اضـربَ عنـكَ الهمـومَ طـارقَهـا ضَـرْبَكَ بـالسيف قَوْنَسَ الفَـرَسِ

أراد: اضربنْ؛ والله تعالى الموفق للصواب.

---

(١) نقل ابن عساكر هذا التعليق عن المعافى، انظر تهذيب ابن عساكر ٥: ٤٢٣.
(٢) البيت أيضاً في اللسان (رجا). (٣) قد مرَّ البيت وتخريجه .ص: ٥٩.

المجلس السابع والستون

[معالجة محارب بن دثار لشهود الزور]

أخبرنا المعافى قال حدّثنا نصر بن بيزويه المعروف بابن أبي منصور الشيرازي في شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وثلاثمائة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم شاذان قال حدّثنا سعد بن الصلت قال حدّثني هارون بن الجهم أبو الجهم القرشي عن عبد الملك بن عمير القبطي قال[1]: كنت عند محارب بن دثار الذهلي وهو في قضائه حتى تقدم إليه رجلان، فادَّعى أحدهما قِبَلَ الآخر حقاً فأنكره، فقال: ألكَ بينة؟ قال: نعم فلان. فقال له الرجلُ المدَّعى قبله: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله لئن شهد عليَّ ليشهدنَّ بزورٍ، ولئن سألني عنه لأزكّينّه، فلما جاء الشاهد قال محارب بن دثار: حدّثني عبد الله بن عمر قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: إنّ الطير يومَ القيامة لتضرب بمناقيرها وتقذفُ ما في حواصلها وتحرّك أذنابها من هولِ يومِ القيامة، وما يكلّم شاهدُ الزور ولا تقارّ قدماه على الأرض حتى يُقْذَفَ به في النار. ثم قال للرَّجل: بمَ تشهد؟

(١) في هذا الخبر والذي يليه قارن بما جاء في أخبار القضاة ٣: ٣٤.

قال: كنتُ شهدتُ على شهادةٍ وقد نسيتها، أرجع فأتذكرها، فرجع ولم يَشْهَدْ عليه بشيء.

حدّثنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن شاذان أبو الحسين[1] البزاز قال حدّثنا أبو بكرٍ[2] سليمان بن داود بن كثير الكندي قال حدّثنا أبو الحسن بن أبي العنبس عن الحسن اللؤلؤي عن أبي حنيفة قال: شهد رجلٌ على رجلٍ عند محارب بن دثار، وكان محارب متكئاً، فقال المشهود عليه: والله الذي تقومُ السماءُ والأرض بأمره ما شهدَ عليَّ إلا بزورٍ، وما علمتُ إلا خيراً إلَّا هذه الشهادة، وإنما ذلك لحقد له عليّ، فاستوى محاربٌ جالساً ثم قال: يا هذا سمعتُ ابن عمر يقول، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: يأتي على الناس يومٌ تشيب فيه الولدان، وتضعُ الحواملُ ما في بطونها، وتضعُ الطير ما في حواصلها، وتضرب بأذنابها ولا ذَنْبَ عليها، فإن كنت شهدت على حقٍّ فأَقِمْ على شهادتك، وإن كنتَ شهدتَ على باطلٍ فاتّقِ الله تعالى وغطِّ رأسك، واخرجْ من هذا الباب، فغطَّى الرجلُ رأسه وخرج من الباب.

[فظاعة شهادة الزور]

قال القاضي: الأمر في عظيم جُرْمِ شاهدِ الزورِ وجسيم إثمه وفظيع ما تحمَّلَه وقبيح ما ارتكبه واقتحمه واحتقبه وأقدم عليه، وما ورد من توعد الله جلَّ جلاله إياه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ يطول شرحه ويُتْعِبُ جمعه، ومن بليغ ما ورد فيه هذا الخبر الذي رويناه؛ وقد روي عن النبيّ ﷺ أنه قال[3]: شاهدُ الزورِ لا تزولُ قدماه حتى يُؤْمَرَ به إلى النار. وروي عنه أيضاً أنه

---

(١) س: أبو الحسن.

(٢) م س: أبو محمد.

(٣) في ابن ماجه (أحكام: ٣٢) ٢: ٧٩٤ لن تزول قدما شاهد الزور حتى يوجب الله له النار.

قال[1]: عدلتْ شهادةُ الزورِ الشركَ. وقال الله جلّ وعزّ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الحج: ٣٠) وقال تعالى جَدّه: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (النحل: ١٠٥) وروي عن ابن عباس أنه قال في قوله جلَّ ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ (الأعراف: ١٥٢) هي والله لكل مُفْتَرٍ كذباً إلى يوم القيامة. وقد اختلف أهل العلم فيما ينبغي أن يعمل بشاهد الزور: فذهب بعضهم إلى تعزيره وتأديبه، ورأى آخرون إظهار أمره والنداءَ عليه والتنكيلَ به وشهرَهُ[2] وتحذيرَ الناسِ منه وإسقاطَ شهادته إلى أن يتوب وتظهرَ توبته وتحسُنَ إنابتُهُ أو تأتي عليه منيته، ونسأل الله توفيقَهُ وعصمته، وأن يجعلنا ممن يؤثر دينه على دنياه، ورضى ربه على هواه، وأن لا يجعلنا ممن يبيع حظَّه من ولاية الله تعالى بشيءٍ من حطام الدنيا وزينتها، ولا يشري صالح ما بينه وبين ربّه بمنازلِ الدنيا ومراتبها، إنه سميعُ الدعاءِ لطيف لما يشاء.

[اضربني ضرباً تقوى عليه]

حدّثنا محمد بن الحسن بن دريدٍ قال أخبرنا أبو حاتم، قال[3] ضرب رجلٌ من خدم[4] السلطان رجلاً فأوجعه، فقال له: أصلحك الله، اضربني ضرباً تقوى عليه فإن القصاصَ أمامك.

[كيف تم استخلاف عمر بن عبد العزيز]

حدّثنا أحمد بن يحيى بن المولى قال حدّثنا أبو بكر بن أبي خيثمة قال

---

(١) هو من حديث خريم بن فاتك في ابن ماجه (نفسه) وورد كثيراً في مسند أحمد.

(٢) ب م: وشهرته.

(٣) مرَّ فيما تقدم ص: ٣٧.

(٤) بهامش م: أصحاب.

حدّثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطي قال حدّثنا محمد بن المبارك الصوري قال حدّثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن حسّان الكناني قال[1]: لما مرض سليمان بن عبد الملك المرض الذي توفي فيه، وكان مرضه بدابق، ومعه رجاء بن حيوة، فقال لرجاء بن حيوة: يا رجاء مَنْ لهذا الأمر من بعدي؟ أستخلفُ ابني؟ قال: ابنك غائب[2]، قال: فالآخر؟ قال: ذاك صغير، قال: فمْن ترى، قال: أرى أن تستخلفَ عمر بن عبد العزيز. قال: أتخوَّف بني عبد الملك، أنْ لا يَرْضَوْا، قال: فَوَلِّ عمر بن عبد العزيز ومن بعده يزيد بن عبد الملك، وتكتب كتاباً وتختم عليه وتدعوهم إلى بيعته مختوماً عليها، قال: لقد رأيتَ، إيتني بقرطاس، قال: فدعا بقرطاسٍ فكتب فيه العهدَ لعمر بن عبد العزيز ومن بعده يزيد بن عبد الملك ثم ختمه ودفعه إلى رجاء، قال: اخرجْ إلى الناس فَمُرْهُمْ فليبايعوا على ما في هذا الكتاب مختوماً، قال: فخرج إليهم رجاء فجمعهم وقال: إن أمير المؤمنين يأمركم أن تبايعوا لمن في هذا الكتاب من بعده، قالوا: ومن فيه؟ قال: مختومٌ لا تُخْبَرُونَ بمن فيه حتى يموت، قالوا: لا نبايعُ حتى نعلمَ مَنْ فيه، قال: فرجع رجاء إلى سليمان، قال: انطلق إلى أصحاب الشُّرَطِ والحَرَسِ ونادِ الصلاةُ جامعة، وَمُرِ الناس فليجتمعوا، وَمُرْهُمْ بالبيعة على ما في هذا الكتاب، فمن أبى أن يبايعَ منهم فاضربْ عنقَهُ، قال: ففعل، فبايعوا على ما فيه، قال رجاء: فلما خرجوا خرجتُ إلى منزلي فبينا أنا أسير في الطريق إذ سمعتُ جلبةَ موكبٍ، فالتفتُّ فإذا هشام، فقال لي: يا رجاء قد علمتَ موقعك منّا وإن أمير المؤمنين قد صنع شيئاً لا أدري ما هو، وأنا أتخوَّف أن يكونَ قد أزالها عني، فإن يكنْ

---

(١) قارن بما جاء في طبقات ابن سعد ٥: ٣٣٥ ـ ٣٤٠ وبعضه أيضاً في تهذيب ابن عساكر ٥: ٢٠٦.

(٢) يعني ابنه داود، وكان غائباً في غزو قسطنطينية ولذلك قال له رجاء: «وأنت لا تدري أحيٌّ هو أو ميت».

عدلها عني فأعلمني ما دام في الأمير نَفَس حتى أنظر في هذا الأمر قبل أن يموت، قال قلت: سبحان الله يستكتمني أميرُ المؤمنين أمراً أطلعك عليه؟ لا يكون ذلك أبداً، فأدارني وألاصني فأبيتُ عليه، قال: فانصرف. فبينا أنا أسير إذ سمعتُ جلبةً خلفي، فإذا عمر بن عبد العزيز فقال لي: يا رجاء إنه قد وقع في نفسي أمرٌ كبيرٌ من هذا الرجل، أتخوَّفُ أن يكونَ قد جلعها إليّ، ولستُ أقومُ بهذا الشأن فأعلمني ما دام في الأمير نَفَسٌ لعلّي أتخلَّص منه ما دام حياً، قلت: سبحانَ الله يستكتمني أمير المؤمنين أمراً أطلعك عليه؟، فأدارني وألاصني فأبيتُ عليه، قال رجاء وثَقُلَ سليمان، وحُجِبَ الناسُ عنه حتى مات، فلما مات أجلستُهُ وأسندته وهيّأته وخرجت إلى الناس فقالوا: كيف أصبح أمير المؤمنين؟ فقلت: إنّ أمير المؤمنين قد أصبح ساكناً، وقد أحبَّ أنْ تُسَلِّموا عليه وتبايعوا على ما في هذا الكتاب، والكتابُ بين يديه، قال: فأذنتُ للناس فدخلوا وأنا قائم عنده، فلما دنوا قلتُ: إن أميركم يأمركم بالوقوف، ثم أخذتُ الكتاب من عنده، ثم تقدمت إليهم فقلت: إنّ أمير المؤمنين يأمركم أن تبايعوا على ما في هذا الكتاب، قال: فبايعوا وبسطوا أيديهم، فلما بايعتهم على ما في الكتاب أجمعين وفرغتُ من بيعتهم قلتُ لهم: آجركم الله في أمير المؤمنين قالوا: فمن فافتح الكتاب، فإذا فيه العهد لعمر بن عبد العزيز، فلما نظرت بنو عبد الملك تغيرتْ وجوههم، فلما قرأوا من بعده يزيد بن عبد الملك كأنهم تراجعوا، فقالوا: أين عمر بن عبد العزيز؟ فطلبوه فلم يوجد في القوم، قال: فنظروا فإذا هو في مؤخّر المسجد، قال: فأتوه فسلَّموا عليه بالخلافة فَعُقِرَ فلم يستطع النهوضَ حتى أخذوا بضبعيه فرقوا[1] به المنبر، فلم يقدر على الصعود حتى أصعدوه، فجلس طويلاً لا يتكلم، فلما رآهم رجاء جلوساً قال: ألا تقومون إلى أمير المؤمنين فتبايعوه؟ قال: فنهض القوم إليه فبايعوه رجلاً رجلاً، قال فمدَّ يده إليهم، قال: فصعد إليه هشام فلما مدَّ يده

---

(١) م س: فقدموا.

إليه قال ـ يقول هشام ـ إنـا لله وإنا إليـه راجعون، فقـال عمر: نعم إنـا لله وإنا إليه راجعون حين صار يلي هذا الأمر أنا وأنت. قـال: ثم قام عمـر فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيهـا الناس إني لستُ بقـاضٍ ولكني منفّذ، ولستُ بمبتـدع ولكني مُتّبع، وإن حولكم من الأمصار والمدن فإن هم أطاعـوا كما أطعتم فـأنا وليُّكم، وإن هم نقمـوا فلستُ لكم بـوالٍ. ثم نـزل يمشي فـأتـاه صـاحبُ المراكب فقال: ما هذا؟ قال: مركب الخليفة، قال: لا حاجةَ لي فيـه، إيتوني بدابتي، فأتوه بدابته فركبها ثم خرج يسير وخرجوا معه، فمالوا إلى طريق، قال: إلى أين؟ قالوا: إلى البيت الذي يهيأ للخليفة، قال: لا حاجة لي فيه، انطلقوا بي إلى منزلي، قال رجاء: فأَتى منزله فنزل عن دابته، ثم دعا بدواةٍ وقـرطاسٍ وجعل يكتب بيده إلى العمّال في الأمصار ويملُّ على نفسه، قال رجاء: فلقـد كنتُ أظنّ أنْ سيضعف فلما رأيتُ صنيعه في الكتـاب علمتُ أنه سيقـوى بهذا ونحوه.

[هل تجوز الشهادة على الكتاب المختوم]

قال القاضي رحمه الله: قد اختلف أهل العلم في الشهادة على الكتاب المختوم كالذي جرى في هذه القصة، وكالرجل يكتبُ وصيته في صحيفة ويختمُ عليها ويُشهدُ قوماً على نفسه أنها وصيته مِنْ غير أن يقرأوها عليه أو يقرأها عليهم ويعاينوا كَتْبَه إياها، وما أشبه هذا مما يشهد المرء فيه على نفسه وإن لم يقرأه الشاهد أو لم يُقْرَأ عليه، فأجاز ذلك وأمضاه وأنفذَ الحكمَ فيه جمهورُ أهلِ الحجاز، وروي عن سالم بن عبد الله، وذهب إلى هذا مالك بن أنس ومحمد بن سلمـة المخزومي، وأجاز ذلك مكحول ونمير بن أوس وزرعة بن إبراهيم والأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز في من وافقهم من فقهاء أهل الشام، وحكى نحو ذلك خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه وقضاة جنده، وهو قولُ الليثِ بن سعد في من وافقه من فقهاء أهل مصر والمغرب،

وهو قول[1] فقهاء أهل البصرةِ وقضاتهم، وروي عن قتادة وعن سوّار بن عبد الله وعبيد الله بن الحسن ومعاذ بن معاذ العنبريين في من سلك سبيلهم، وأخذ بهذا عددٌ من متأخّري أصحاب الحديث منهم أبو عبيد وإسحاق بن راهويه. وأبى ذلك جماعةٌ من فقهاء أهل العراق منهم إبراهيم وحماد والحسن، وهو مذهب الشافعي وأبي ثور، وهو قول شيخنا أبي جعفر رحمة الله عليه، وكان بعض أصحاب الشافعيّ بالعراق يذهب إلى القول الأوّل لعللٍ ذَكَرَ أنّه حاجَّ بعضَ مخالفيه فيها.

قال القاضي: وإلى القول الذي قدَّمْتُ حكايتَهُ عن أهل الحجاز والشام ومصر والمغرب والبصرة أذهبُ، ولكلِّ ذي قولٍ من هذين القولين عِلَلٌ يعتلُّ بها لقوله، ويحتجُّ بها على خصمه، وليس هذا الموضع مما يحتمل إحضارها[2]، وهي مشروحة مستقصاة في ما رسمناه من كلامنا في كتب الفقه ومسائله. وقوله: «ألاصني» قريب من معنى قوله أدارني وهو ليُّه وفَتْلُهُ.

[أشرف من حرب بن أمية من أكفأ عليه إناءه]

حدّثنا الحسن بن أحمد الكلبي قال حدّثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدّثنا العباس بن بكارٍ قال حدّثنا أبو بكر الهذلي وعبيد الله بن محمد الغساني عن الشعبي قال[3]: دخل عبد الله بن جعفر بن أبي طالب على معاوية وعنده يزيد ابنه، فجعل يزيد يعرِّض بعبد الله في كلامه وينسبه إلى الإسراف في غير مرضاة الله، فقال عبد الله ليزيد: إني لأرفعُ نفسي عن جوابك، ولو صاحبُ

---

(١) م س: مذهب.

(٢) م س: إحصاءها.

(٣) نقله ابن عساكر في تاريخ دمشق (عبد الله بن جابر- عبد الله بن زيد): ٣٦- ٣٩ وفيه تعليقات القاضي وانظر تهذيب ابن عساكر ٧: ٣٣١ وشرح النهج ١٥: ٢٢٩- ٢٣١.

السريرِ يكلّمني لأجبته؛ قال معاوية: كأنك تظنُّ أنك أشرفُ منه قال: إي والله، ومنك ومن أبيك وجدّك، فقال معاوية: ما كنتُ أحسب أن أحداً في عصر حَرْبِ بن أمية يزعم أنه أشرفُ من حرب بن أُميّة، قال عبد الله: بلى والله يا معاوية، إنّ أشرفَ من حرب بن أمية من أكفأ عليه إناءَهُ وأجاره بردائِهِ، قال: صدقت يا أبا جعفر، سَلْ حاجتك فقضى حوائجه وخرج.

قال الشعبيُّ: ومعنى قول عبد الله لمعاوية إنَّ أشرفَ من حَرْب من أكفأ عليه إناءه وأجاره بردائه، لأن حرب بن أميّة كان إذا كان في سَفَرٍ فعرضت له ثنيَّة أو عقبة تنحنح فلم يجترئْ أحد أن يرقاها حتى يجوزَ حرب بن أُمية، وكان في سَفَرٍ فعرضتْ له ثنية فتنحنحَ، فوقف الناس ليجوزَ، فجاء غلامٌ من بني تميمٍ فقال: ومن حَرْبٌ؟ ثم تقدمه، فنظر إليه حربٌ وتهدَّده وقال: سَيُمكنني الله تعالى منك إذا دخلتَ مكة. فضربَ الدهرُ من ضربه، ثم إنَّ التميمي بَدَتْ له حاجةٌ بمكة فسأل عن أعز أهل مكة فقيل له عبد المطلب بن هاشم، فقال: أردتُ دونَ عبد المطلب، فقيل له: الزبير بن عبد المطلب، فقدم إلى مكة فأتى بابَ الزبير بن عبد المطلب، فقرعَ عليه بابه، فخرج إليه الزبير فقال ما أنت؟ إن كنت مستجيراً أجرناك، وإن كنتَ طالبَ قِرىً قريناك، فأنشأ التميميُّ يقول:

لاقيتُ حرباً بالثنيَّة مقبلاً ... والصبحُ أبلجُ ضوءُهُ للساري
قِفْ لا تصاعدْ واكتنى ليروعني ... ودعا بدعوةِ معلنٍ وشعار
فتركتُهُ خلفي وسرتُ أمامَهُ ... وكذاك كنتُ أكون في الأسفار
فمضى يهدّدني الوعيدَ ببلدةٍ ... فيها الزبيرُ كمثل ليثٍ ضار
فتركته كالكلبِ ينبحُ وحدَهُ ... وأتيتُ قَرْمَ مكارمٍ وفخارِ
قرْماً هِزَبراً يُسْتَجارُ بقربه ... رحبَ المباءة مُكْرِماً للجار
وحلفتُ بالبيت العتيق وركنِهِ ... وبزمزمٍ والحِجْرِ ذي الأستار
إن الزبير لمانعي بمهنَّدٍ ... عَضْبِ المهزّة صارمٍ بتّار

فقال له الزبير: قد أجرتـك، وأنا ابن عبد المطلب، فسر أمامي فإنّا معشرَ بني عبد المطلب إذا أجرنا رجلاً لم نتقدَّمْهُ، فمضى بين يديه والزبيـر فـي أثره، فلقيه حربٌ فقال: التميميُّ وربِّ الكعبة، ثم شدَّ عليه، ثم اخترط سيفه الزبيرُ ونادى في إخوته، ومضى حرب يشتدّ والزبير في أثره حتى صار إلى دار عبد المطلب، فلقيه عبد المطلب خارجاً من الدار فقال: مهيم يا حرب، قال: ابنك، قال: ادخل الدار، فدخل فأكفأ عليه جفنةَ هاشمٍ التي كان يهشم فيها الثريد، وتلاحق بنو عبد المطلب بعضهم على أثر بعض فلم يجترئوا أن يدخلوا دارَ أبيهم، فاحتبَوْا بحمائل سيوفهم وجلسوا على الباب، فخرج إليهم عبد المطلب، فلما نظر إليهم سرَّه ما رأى منهم، فقال: يا بنيّ أصبحتم أُسودَ العرب. ثم دخل إلى حرب فقال له: قُمْ فاخرج، فقال يا أبا الحارث هربتُ من واحدٍ وأخرج إلى عشرة؟ فقال: خذ ردائي هذا فالبسه فإنهم إذا رأوا ردائي عليك لم يهيجوك. فلبس رداءه وخرج فرفعوا رؤوسهم فلما نظروا إلى الرداء عليه نكسوا رؤوسهم، ومضى حرب، فهو قوله إن أشرفَ من حَرْب، من أكفأ عليه إناءه وأجاره بردائه.

[حذف القول وإضماره]

قال القاضي رحمه الله: قول التميميٍّ جارِ الزبير في أول بيته الثاني من كلمته «قِفْ لا تصاعد» بعد قوله في آخر بيته الأول: «والصبحُ أبلجُ ضوءُه للساري» معناه: فقال قف، فأضمر القول. وحذفُ القول وإضمارُهُ كثيرٌ في كلام العرب، قال الله جل ثناؤه: ﴿وَالمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَـابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ (الرعد: ٢٣، ٢٤) المعنى يقولون: سلامٌ عليكم؛ وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (الزمر: ٣) وهو كثير في القرآن وسائر العربية ومن ذلك قول الشاعر:

مـا للجفـانِ تخـطّانـي كـأنهمُ لم يُلْفَ حَوْلَ ذُرَى بيتي مساكينُ

أراد كأنهم يقولون، وقال آخر(١):

وقـائلةٍ ما بـالُ لونِـكَ شاحبـاً كـأنّك يحميـكَ الطعـامَ طبيبُ
تتـابُعُ أحـداثٍ تخـرَّمْنَ مُنَّتي وأَبْلَيْنَ جسمي فـالفؤادُ كئيـبُ

فأضمر القول. وفي هذا الخبر: « أكفأ عليه الاناء » أي الجفنة والفصيحُ السائر في كلام العرب: كفأت الاناء، فأما أكفأت فإنما يقال في بعض عيوب الشعر، يقال: أكفأ الشاعر يكفئ إكفاءً. وبين أهلِ العلم بالقوافي خلافٌ في ماهيته، وهو مبيَّـنٌ في موضعه.

[حلف الفضـول]

حدّثنا محمد بن مخلد العطار قال حدّثنا عبد الله بن شبيب بن خالد قال حدّثني أبو بكر بن شيبة قال حدّثني عمر بن أبي بكر العدوي، قال حدّثني عثمان ابن الضحاك عن أبيه عن عبدالله بن عروة قال: سمعت جدّي حكيم بن حزام يقول(٢): انصرفت قريش من الفجار ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة، وكان الفجارُ في شوّال(٣)، وكان حلف الفضول أكرمَ حلفٍ كان قطّ وأعظمه شرفاً، وكان أوَّلَ من تكلم فيه ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب، وذاك أنَّ الرجلَ من العرب وغيرها من العجم، ممّن كان يقدم مكة بتجارته ربما ظلموا ثمنها، وكان آخر من ظُلِمَ رجلٌ من زبيد من مذحج، وقدم بسلعةٍ له فباعها من العاص بن وائل

---

(١) البيتان من قصيدة كعب بن سعد الغنوي التي يرثي فيها أخاه أبا المغوار، انظر أمالي القالي ٢: ١٤٨ والأصمعيات: ٩٨ والحماسة البصرية ١: ٢٣٢ (وفي الحاشية تخريج كثير) ونسبت في الأصمعيات لعزيقة بن مسافع العبسي؛ وليس فيها حذف لفعل القول كما ذكر المعافى بل ورد بيت بين البيتين وهو:

فقلت ولم أعيَ الجواب ولم ألح وللدهـر في صمّ السـلام نصيب
تتابع أحداث.........

(٢) الروض الانف ٢: ٧٠ ـ ٧٣ والأغاني ١٧: ٢١٠، ٢١١ ـ ٢١٢، ٢٢٠ ـ ٢٢١ وشرح النهج ١٥: ٢٢٤ ـ ٢٢٦.

(٣) في الروض أن الفجار كان في شعبان وحلف الفضول في ذي القعدة.

السهميّ، وكان شريفاً عظيمَ القدرِ فظلمه ثمنها، فناشده الزبيديُّ في حقه فأبى عليه، فأتى الزبيديُّ الأحلافَ: عبدَ الدار ومخزوماً وجمحَ وسهماً وعديّ بن كعب[1] فأبوا أن يعينوه على العاص بن وائل وزبروه، فلما رأى ذلك الزبيديّ أوفى على أبي قُبَيْسٍ عند طلوع الشمس وقريشٌ في أنديتها حول الكعبة فنادى بأعلى صوته:

يا آلَ فهرٍ لمظلومٍ بضاعتُهُ ... ببطن مكة نائي الدارِ والنفرِ
ومحرمٍ أشعثٍ لم يقضِ عُمْرَتَهُ ... يا للرجالِ وبين الحجر والحجر
هل مُخْفِرٌ من بني سَهْمٍ بخُفْرتِهِ ... فَعادلٌ أم ضَلالٌ ما لمعتمر[2]
إن الحرام لمن تمَّتْ حرامتُهُ ... ولا حَرَامَ لثوب الفاجِرِ الغُدَر

فقال الزبير بن عبد المطلب: ما لهذا مترك؛ فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة وأسد بن عبد العزى في دار عبد الله بن جُدْعَان، فصنع لهم طعاماً وتحالفوا في ذي القعدة، في شهرٍ حرام، وتعاهدوا وتعاقدوا بالله القائم ليكونُنَّ يداً واحدةً مع المظلوم على الظالم حتى يُرَدَّ إليه حقُّه، ما بلَّ بحرٌ صوفةً، وما رسا ثبيرٌ وحراءُ مكانهما. فسمَّت قريش ذلك الحلف حلفَ الفضول، وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر، ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا سلعةَ الزبيديّ منه فدفعوها إليه؛ قال ابن مخلد: بعضُ هذا الحديث لم أفهمه من ابن شبيب وثبّتني فيه بعضُ أصحابنا.

[يا للكهول وللشبان]

قال القاضي رحمه الله: قوله في البيت الثاني «يا للرجال» بفتح اللام وهي التي يسميها النحويون لام الاستغاثة، يقال يا لَلْقوم لِلْماء فتفتح لام

---

(١) وردت أسماء القبائل على الرفع في ب م.
(٢) م: يا لمعتمر.

المدعوّ وتكسر اللامُ في الماء لأنه المَدعوّ إليه، كما قال الشاعر[1]:

يـا لَلرجال لِيـوم الأَربعاءِ أمـا ينفكُّ يُحْدِثُ لي بعد النهَى طربا

وإذا قالوا: يا لَلْعربِ وَلِلْموالي فُتِحَت اللامُ الأولى وكسرت الثانية لأن الأولى فتحت لتفيد معنى الاستغاثة ثم كُسِرَتِ الثانية لما علم أنها معطوفة عليها، كما قال الشاعر[2]:

يبكيك ناءٍ بعيدُ الدار مغتـربٌ يـا للكهـولِ وَلِلْشبـانِ لِلْعَجَب

وذهب بعضهم إلى أنّ الأصل في يا لَبَكْرٍ ويا لَتَمِيم: يا آل بكر ويا آل تميم، وترك الهمز فيه تخفيفاً، وممن كان يرى هذا الرياشي، وأول أبيات التميمي في هذا الخبر مما للرياشي فيه متعلق، وذلك قوله «يا آل فهر»، وللبصريين والكوفيين من النحويين في الاحتجاج لقولهم والمحاجّةِ لمن خالف ما عليه جمهورهم كلامٌ واستشهادٌ بالقياسِ، وأتى فيه من الشعر ما تطول حكايته، وله موضع هو أولى به.

[الرسول يشهد حلف الفضول]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدّثنا أبو جعفر أحمد بن عبيد قال حدّثني أبو مصعب قال حدّثني أبو السائب عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال[3]: دخلتُ على أبي العباس فما سألني عن شيء إلاَّ عن المسح على الخفّين وعن حلف الفضول، فأعلمته أنَّ المسح جائزٌ، وأنَّ هاشماً وزهرةَ

(١) البيت في أشعار الهذليين: ٩١٠ والمقتضب للمبرد ٤: ٢٥٦.
(٢) المقتضب ٤: ٢٥٦ وخزانة الأدب ١: ٢٩٦ والعيني ٤: ٢٥٧.
(٣) كان قدوم ربيعة بن أبي عبد الرحمن المعروف بربيعة الرأي على أبي العباس السفاح وهو بالانبار ليوليه القضاء، وأمر له بجائزة فلم يقبلها، وكانت وفاته بالمدينة سنة ١٣٦ (تاريخ بغداد ٨: ٤٢٠ - ٤٢٧).

وتيماً كانوا أصحاب حلف الفضول، وأنّ النبي ﷺ قال[1]: شهدتُ حلفاً في دار عبد الله بن جدعان بين هاشم وزهرة وتيم، وأنا فيهم، ولو دُعِيتُ به لأجبت، وما أُريدُ أن أخيس به ولي حُمْرَ النّعَم، وكان تحالفهم على الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن لا يَدَعوا لأحدٍ عند أحد فضلاً إلا أخذوه وبذلك سُمِّي حلف الفضول.

قال القاضي رحمه الله: وقد اختلف في السبب الذي من أجله سُمِّي هذا الحلفُ حلفَ الفضول، ففي الأوّل أنه سُمِّي بهذا لقولهم لقد دخل هؤلاء في فَضْلٍ من الأمر[2]، وفي الخبر الثاني لما قالوا في حلفهم إنهم لا يدعون لأحدٍ عند أحد فضلاً إلا أخذوه

[رمي بسهام السحر]

حدّثنا أحمد[3] بن أبي سهل بن عاصم أبو بكر الحلواني قال أبو بكر ختن المبرّد قال: لقيني الأسباطيُّ على الجسر وقد أخذ إسماعيل بن بلبل دورَ أهل الخلد فقال لي:

بغى وللبغي سهامٌ تنتظرْ أنفذُ في الأكبادِ من وَخْزِ الإبَرْ
سهامُ أيدي القانتين في السحر

قال فما مَضَتْ الأيام حتى كان من أمر إسماعيل ما كان.

---

(١) الأغاني ١٧: ٢١٥، والروض الأنف ٢: ٧١.
(٢) م: الأمور.
(٣) ب: محمد.

[أصحاب الحديث يؤذون ابن عياش]

حدّثنا محمد بن القاسم الأنباري قال حدّثنا عبد الله بن خَلَف قال حدّثنا محمد بن زكرياء وليس بالغلابيّ قال حدّثني سليمان بن محمد بن عبد الرحمن العرزمي[1] قال[2]: كنت عند أبي بكر بن عياش فجاءه أصحاب الحديث فآذوه، فبعث إلى صاحب الربع فجاءه فقال له: حاجتك يا أبا بكر، قال: أقم هؤلاء عني قال: وما حالهم؟ قال: أصحابُ الحديث، قد آذوني وأضجروني، قال: ارفقْ بهم يا أبا بكر فقد قصدوك ولهم حقّ، فغضب وقال: انظروا إلى هذا البتيارك[3]!! ثم قال: أتدرون ما البتيارك؟ قالوا: لا، قال: كانت امرأة بالكوفة لها زوجٌ قد عسر عليه المعاش، فقالت له: لو خرجتَ فضربتَ في البلاد وطلبتَ من فضل الله تعالى، فخرج إلى الشام فكسب ثلاثمائة درهم، فاشترى بها ناقةً سمينةً فارهةً، فركبها وسار عليها، فأضجرته فحلفَ بطلاق امرأته ليبيعنَّها يومَ يقدم الكوفة بدرهم، فقالت له امرأته: ما جئتَ به؟ قال: أصبت ثلاثمائة درهم فاشتريت هذه الناقة فأضجرتني، فحلفت بطلاقك ثلاثاً أن أبيعها أولَ يومٍ أقدمُ الكوفة بدرهم، فقالت: أنا أحتال لك فعلَّقَتْ في عنق الناقةِ سِنّوراً وقالت: أدخلها السوق فنادِ من يشتري السنَّور بثلاثمائة درهم والناقةَ بدرهم، ولا أُفرِّق بينهما، قال: ففعل، فجاء أعرابي فجعل يدور حول الناقة ويقول: ما أسمنك ما أفرهك ما أرخصك لولا هذا البتيارك.

---

(١) س: العردي.

(٢) وردت قصة الجمل والسنور موجزة في الأذكياء: ١٠٩ وأخبار الظراف: ١٥٠ والأسد والغواص: ١٥٨؛ وهي من القصص التي انتقلت إلى الأدب الأوروبي، فوردت في كتاب القصص السباعي، لمرغريت النافارية.
وقد شهر عن أبي بكر ابن عياش أنه كان عسيراً في التحديث، انظر شرف أصحاب الحديث للخطيب: ١٣٧.

(٣) ب: التينازك.

[زلة العاقل وزلة الجاهل]

حدّثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم القزاز قال حدّثنا نصر بن أحمد قال قال الخليل بن أحمد: زَلَّةُ العاقلِ يُضْرَبُ بها الطبل، وزلَّة الجاهلِ تخفَى في الجهل.

[ابن المنجم يستدين من بختيشوع فيعاتبه المتوكل]

حدّثنا أبو النضر العقيليّ قال حدّثنا أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى المنجم، قال حدّثني أبي قال: خرجنا مع المتوكل إلى دمشق فلحقتنا ضيقةٌ بسبب المؤن والنفقات التي كانت تلزمنا، قال: فبعثت إلى بختيشوع وكان لي صديقاً أسأله أن يُقْرِضني عشرين ألف درهم، قال: فأقرضنيها، فلما كان بعد يوم أو يومين دخلتُ مع الجلساء إلى المتوكل، فلما جلسنا بين يديه قال: يا علي لك عندي ذنبٌ وهو عظيم، قلت: يا سيدي فما هو، فإني لا أعرف لي ذنباً ولا جناية؟ قال: بلى، أضقتَ فاستقرضت من بختيشوع عشرين ألف درهم، أفلا أعلمتني؟ قال قلت: يا أمير المؤمنين[1] صلاتُ أمير المؤمنين عندي متواترة وأنزالُهُ[2] عليَّ دارّة، واستحييتُ مع ما قد أنعم الله علينا به من هذا التفضل أن أسأله شيئاً، قال: وَلِمَ؟ إياك أن تستحيي من مسألتي والطلب مني وأن تعاودَ مثل ما كان منك، ثم قال: مائة ألف درهم بغير صروف، فأحضرت عشر بدر فقال: خذها واتَّسِعْ بها.

[تحوّل أبي العتاهية من الغزل إلى الزهد]

حدّثنا المظفر بن يحيى بن أحمد الشرابي قال حدّثنا حسن بن عليل

---

(١) س: يا مولاي.

(٢) س: وأرزاقه، وفي م: وأرزاقه وأنزاله.

الغنوي[1] قال حدّثنا أبو مالك اليمامي محمد بن موسى بن يحيى بن يزيد النجار، قال حدّثني داود بن يحيى بن عيسى بن النجار بن زياد بن النجار، قال: صحبتُ أبا العتاهية في طريق مكة فترافقنا فأنشدته يوماً بيتاً فضحك، والشعر[2]:

اخلعْ عذارك فيما تستلذُّ به ... واجسر فإنَّ أخا اللذاتِ مَنْ جسرا

واحفظ خليلك لا تغدِرْ به أبداً ... لا بارك الله في من خان أو غدرا

والشعر لأبي العتاهية، فقال لي: يا داود هل معك من شعري في عتبةَ شيء؟ قلت: نعم، قال: أرنيه، قال: فأخرجته فنظر إليه فجعل يلوي رأسه، فلما مرَّ هذا البيت:

فالليلُ أطولُ من يومِ الحساب على ... عَين الشجيِّ إذا ما نومُهُ نَفَرا

قال: فجعل يحرّكُ رأسه ويقول: يا أبا العتاهية ليس لك والله علمٌ بيوم الحساب، قال ثم قال: عليَّ بنارٍ، فأخذ الكتب فأحرقها وقال لي: عليكَ بما هو خيرٌ من هذا، فأخرج كتاباً فيه مكتوب:

ألا هل مُنيبٌ إلى ربِّه ... فيستغفر اللّهَ من ذنبِهِ

على أنَّ في بعض أحواله ... حوادثَ يخبرن عن قلبه

فلم أرَ كالميْتِ في أهله ... يُحَبُّ ويُهْرَبُ من قربه

يحبُّ مُحِبُّوه إبعادَهُ ... وهم مُجمعون على حُبِّه

وقال لي: اكتب فكتبت، وأملى عليّ[3]:

---

(١) ب: العنبري.

(٢) لأبي العتاهية أبيات في زهر الآداب: ٣٢٨ ورد فيها البيت الثالث هنا؛ كما أن عجز الأول في شرح المختار: ٤٧ وانظر ديوانه: ٥٤٢، ٥٤٣.

(٣) ديوان أبي العتاهية: ٤٠٤.

لا تكذبنَّ فإنني لك ناصحٌ لا تكذبنَّهْ
واعمل لنفْسك ما استطعتَ فإنَّها نارٌ وجَنَّه
واعلم بأنك في زمانِ مُشبَّهاتٍ هنَّ هنَّه
صار التواضع بدعةً فيه وصار الكِبر سُنَّهْ

المجلس الثامن والستون

[طوبى لمن رآني وآمن بي . .]

أخبرنا المعافى قال حدّثنا أحمد بن محمد بن إسماعيل الأدميّ قال حدّثنا فضل يعني ابن سهل، قال حدّثنا موسى بن داود قال حدّثنا ابن لهيعةَ عن دراجٍ عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدْري قال، قال رجل[1]: يا رسولَ الله طوبي لمن رآك وآمنَ بك، فقال: طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني، فقال رجل: يا رسول الله فما طوبى؟ قال: شجرةٌ في الجنة مسيرة مائة سنةٍ، ثيابُ أهلِ الجنة تخرجُ من أكمامها.

قال القاضي: قد وردت الأخبار من طُرُقٍ شتى بأنَّ طوبَى شجرةٌ في الجنة، وقال أهل العربية طوبى فُعْلَى من الطيب وأصلها طُيْبَي بالياء فَقُلِبَتْ واواً لانضمام الطاء، ومثل هذا الكُوسى من الكَيْس.

[هذا وأبيك الشرف]

حدّثنا محمد بن الحسن بن دريدٍ قال حدّثنا أبو حاتم عن العتبي عن أبيه

---

(١) الحديث في مسند أحمد ٣: ٧١.

قال(١): ابتنى معاوية بالأبطح مجلساً فجلس عليه ومعه ابنة قرظة، فإذا هو بجماعة على رحالٍ لهم، وإذا شابٌّ منهم قد رفع عقيرته يغني:

مَنْ يساجلني يساجلْ ماجداً أخضرَ الجلدةِ في بيتِ العَرَبْ

قال: من هذا؟ قالوا: عبد الله بن جعفر، قال: خَلُّوا له الطريقَ فليذهبْ. ثم إذا هو بجماعة فيهم غلامٌ يغني(٢):

بينما يذكرنني أبصرنني عند قِيْدِ الميلِ يسعى بي الأغرْ
قلن تعرفنَ الفتى قلن نَعَمْ قد عرفناهُ وهل يخفَى القمر

قال: من هذا؟ قالوا: عمر بن أبي ربيعة، قال: خلوا له الطريق فليذهب. قال: ثم إذا هو بجماعة وإذا رجل منهم يسأل فقال: رميتُ قبل أن أحلّق، وحلَّقتُ قبل أن أرمي، لأشياءَ أشكلت عليهم من مناسك الحج، فقال: من هذا؟ قالوا: عبد الله بن عمر، فالتفت إلى بنت قرظة فقال: هذا وأبيكِ الشرفُ، هذا والله شرفُ الدنيا وشرف الآخرة.

[تعليقات وفوائد]

قال القاضي: وقد روي من طريق آخر أنه قال: هذا والله الشرفُ لا ما نحن فيه، وروي أنه قال: كاد العلماءُ يكونون أرباباً(٣). والشعر المتقدم في

(١) أورد ابن عساكر هذا الخبر في تاريخ دمشق (عبد الله بن عمران ـ عبد الله بن قيس): ١١٦ ـ ١١٧ والسند مختلف عما ورد هنا؛ ونقله السراج في مصارع العشاق ٢: ٢٢٧ وانظر البيت في أمالي القالي ٢: ٦٥ واللسان (سجل).

(٢) ديوان عمر بن أبي ربيعة: ١٧٤.

(٣) ينسب هذا القول إلى غير واحد، في المصادر الأدبية، وقد ورد في نثر الدر (٥: ١٩) منسوباً للأحنف، وانظر التذكرة الحمدونية ٢ رقم: ١٩٠، ١٨٠ وفاضل المبرد: ١.

هذا الخبر: المشهور منه أنه للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهبٍ وروايته المعروفة(1):

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدةِ في بيت العربْ
من يساجلْني يساجلْ ماجداً يملأ الدَّلوَ الى عَقْدِ الكَرَبْ

وقد ذكر أن الفرزدق قال، لما أُنْشِدَ هذا البيت: ما يساجلك إلا مَنْ عَضَّ بهن أمّهِ. وأما تعظيم معاوية شأن عبد الله بن عمر من أجل العلم فقد أحسن القول فيه وأنصف، ومنزلةُ العلماء في المسلمين وفقههم في الدين أعلى وأظهر وأبين وأشهر من أن يُحتاج فيها إلى إطناب وإطالةٍ وإسهاب.

[شعر لمجنون بني جعدة]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال أنشدنا هارون بن محمدٍ قال أنشدنا الزبير لمجنون بني جعدة:

يا حبذا راكبٌ كنّا نُسَرُّ به يُهدي لنا من أراك الموسم القُضُبا
قالت لجارتها يوماً تساجلها لما تعرَّتْ وألقتْ عندها السَّلَبا
ناشدتكِ الله الاّ قلتِ صادقةً أصادفَت صفةُ المجنون أم كَذَبا

قال فقلت: تراه سرقه من قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي(2)؟:

ولقد قالتْ لجاراتٍ لها وتعرَّتْ ذاتَ يوم تبتردْ
أكما ينعتني تُبْصرنني عَمْرَكُنَّ اللّهَ أم لا يقتصد
فتضاحكنَ وقد قُلْنَ لها حَسَنٌ في كلِّ عَين من تود

---

(1) البيت الأول في اللسان (خضر) والحيوان ٣: ٢٤٨ والكامل للمبرد ١: ٢٥٣ والبيتان في معجم المرزباني: ١٧٨.
(2) ديوان عمر بن أبي ربيعة: ١٠١.

حسداً منهن قد حملنه[1] وقديماً كان في الناسِ الحسد

[أبو العتاهية يسرق معنى لبشار]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدّثنا أبو العباس بن الفضل الربعي قال حدّثني أبو غسان رفيع بن سلمة قال حدّثني محمد بن الحجاج قال قال بشار لأبي العتاهية أنشدني، فأنشده[2]:

كم من صديقٍ لي أسا رِقُهُ البكاءَ من الحياءِ
فإذا تفطَّن لامني فأقولُ ما بي من بكاءِ
لكن ذهبت لأرتدي فطرفتُ عيني بالرداء

قال بشار: ما أشعرك ويحك، لولا أنك سرقتني، قال: وما قلتَ يا أبا معاذ؟ قال قلت[3]:

وقالوا قد بكيتَ فقلتُ كلاًّ وقد يبكي من الجزع الجليدُ
ولكن قد أصاب سوادَ عيني عُوَيدُ قذىً له طَرَفٌ حديد
فقالوا ما لدمعهما سواء أكلتا مقلتيك أصابَ عودُ

[معنى الطرب]

قال القاضي: بين هذه الأبيات في الخبرين من التناسب[4] والتقارب في معانيهما ما يمكن أن يكون بعضُ من أنشأهما أخذ من صاحبه، وجائز أن

---

(١) س والديوان: حسداً حملنه من أجلها.
(٢) الأغاني ٤ : ٣٠ وديوان أبي العتاهية: ٤٧٥ (عن بغية الطلب) ومصارع العشاق ٢ : ١٢٠ .
(٣) الأغاني ٤ : ٣٠ وأدب الكتاب للصولي: ٤٤، ٤٥ وديوان بشار (جمع العلوي): ٧٣ (وفيه تخريج).
(٤) ب: التياسر.

يكون الاتفاق فيهما وقع من غير شعورٍ، من كلٍّ ناظمٍ من الشاعرين بما نظمه غيره. وقد روي لنا بيت بشارٍ المتقدم في أبياته هذه من طريق آخر وعجزه « وهل يبكي من الطَّرَبِ الجليدُ » والطربُ هو استطارةٌ تلحق الرجلَ عند غَلَبَةِ السرور أو الحزن عليه، وهو مما تغلط فيه العامّة وتذهبُ فيه عن وجه الصواب، فيظنّون أنه يقال في الفرح خاصةً دون الغمّ، والأمر فيه بخلاف ما يتوهمون، وقد زعم بعضُ أصحابِ[1] اللغةِ أنه من الأضداد، وأنكر ذلك كثيرٌ منهم، فقال لنا ابن الأنباري: هو عندي خفّةٌ تلحقُ الرجلَ عند الشيء يَسُرُّهُ أو يَحْزُنُهُ، وقد قال الأعشى[2]:

فهاجتْ شوقَ محزونٍ طَروبٍ فأسبلَ دمعَهُ فيها سِجَاما

وقال لبيد[3]:

وأراني طَرِباً في إثْرهم طَرَبَ الوالِهِ أو كالمُخْتَبَلْ

ومما يدلُّ على ما وصفنا في الطرب قولُ الكميت بن زيدٍ[4]:

طربتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطربُ ولا لعباً مني وذو الشيبِ يَلْعَبُ

ثم قال في هذه الكلمة:

ولكن إلى أهلِ الفضائلِ والنهى وخير بني حواءَ والخيرُ يُطْلَبُ
بني هاشم آلِ النبي ورهطِهِ بهمْ ولهمْ أرضى مراراً وأغضبُ

---

(١) س م: أهل.
(٢) ديوان الأعشى: ١٣٤.
(٣) وهم القاضي هنا، فالبيت ليس للبيد، وإنما هو للنابغة الجعدي كما في اللسان (طرب) وديوانه: ٩٣.
(٤) هاشميات الكميت: ٢٧، ٢٨، ٢٩.

ومعلومٌ أن الطرب إلى بني هاشم الذي عناه الكميت إنما هو ارتياحه إليهم وما يستفزُّه ويزدهيه ويستخفُّهُ من غَلَبَةِ الموالاة لهم والإخلاصِ في مودتهم، وتوخّي القربة إلى الله تعالى بمسالمة من سالمهم ومحاربة من حاربهم، وهذا هو الحقُّ الواجبُ في الدين واللازمُ للمسلمين.

[الفضيل وصلاح الإمام]

حدّثنا أبي رضي الله عنه قال حدّثنا إدريس بن عبد الكريم قال سمعت مزدويه يقول، سمعت الفضيل يقول[1]: لو أن لي دعوةً مستجابة لجعلتها للإمام، فإن صلاحَهُ صلاحُ العباد والبلادِ. فقام إليه ابنُ المبارك فقبَّل وجهه وقال: يا معلمَ الخير من يُحْسِنُ هذا غيرك؟

قال القاضي: ولعمري إنّ في صلاح الإمام أعظمَ صلاحٍ للمسلمين في دينهم ودنياهم، وإنَّ دعاءهم له بذلك من أحسن ما يأتونه، ولهم فيه من وفورِ الحظِّ في اتّساق معايشهم واستقامة متصرَّفاتهم ما لا يخيلُ على من كان له قلبٌ ذكي ولبٌّ رضيٌّ. وقد أصاب الفضيل في قوله، وأحسن ابنُ المبارك في فعله، ونحن نسأل الله تعالى أن يرزقنا معدلةَ أئمتنا وإحسانَهُمْ، ويعطفَ علينا قلوبَهُمْ، ويمدّهم بأَيْدِهِ، ويشدَّ سلطانَهُمْ بكيده، ويوفقنا لطاعتهم وتأدية حقوقهم، وإخلاص النصيحة لهم، ومظاهرة أوليائهم، وجهاد أعدائهم.

[عقبة بن سلم والشعراء]

حدّثنا محمد بن القاسم الأنباري قال حدّثني محمد بن المرزبان قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال، قال أحمد بن بدر، حدّثنا الأصمعي قال[2]:

---

(١) المصباح المضيء ١: ١٤٩.

(٢) في إعطاء عقبة لبشار عشرة آلاف درهم انظر الأغاني ٣: ١٨٩؛ وأما البيتان الرائيان اللذان =

مدح بشار عقبة بن سلمٍ فأعطاه عشرة آلاف درهمٍ، ومدحه مروان بن أبي حفصة بالقصيدة التي يقول فيها[1]:

يـا واحدَ العـربِ الـذي ... ما في الأنـام لـه نـظيـرُ
لـو كـان مـثـلك واحـدٌ ... ما كـان في الـدنيا فقيـر

ودخل أبو الشمقمق يوماً على عقبة بن سلمٍ، وهو جالس بين بشار ومروان، فاستأذنه في الإنشاد فأذن له فأنشده[2]:

يا عقبَ يا عقبَ وقيتَ الرَّدَى ... يا قاتلَ البخلِ ومُحيي الندى
إن أبـا عـمـرةَ قـد زارنـي ... فشقَّ سـربـالي وقـدَّ الـردا[3]
فـالطمـه يا عقبَ لنا لـطمـةً ... إذا رآني فـي طـريـق عـدا

قال: بم ألطمه؟ قال: بخمسمائة درهمٍ قال: أنا أبو المِلَدّ، ربحتُ عليك أربعة آلاف وخمسمائة درهم، ثم قال: أعطوا شميمقاً خمسمائة درهم واحملوه على بقرة. قال الأصمعي: عقبة بن سلم يكنى أبا المِلَدّ، وهو الذي يقول له بشار:

اسلم وَحُيِّيتَ أبا الملدِّ[4]

[توجيهات نحوية]

قال القاضي: قول مروان بن أبي حفصة: « لو كان مثلك واحد » يجوز

= نسبا هنا إلى مروان فقد وردا لبشار في الأغاني ٣: ١٧٢

(١) لم يرد البيتان في ما جمع من شعره.
(٢) لم ترد الأبيات في ما جمع من شعر أبي الشمقمق.
(٣) أبو عمرة كناية عن الجوع.
(٤) ديوان بشار (عاشور) ٢: ٢٣٥.

فيه مثلُك ومِثْلَكَ بالرفع وبالنصب على الحال لأن صفة النكرة إذا قدمت عليها نصبت على الحال كما قال الشاعر(١):

لخـولـةَ مـوحشـاً طلـلَ يـلوحُ كـأنـه خَـلَـلُ

وقال آخر:

والشرُّ منتشراً يأتيكَ عن عُرُضٍ والصالحاتُ عليهـا مغلقاً بـابُ

والعلة في نَصْبِ النكرة إذا قُدِّمَتْ أنّ النعتَ لا يكون قبل المنعوت والحالُ مفعول فيها، وتقدُّم المفعولِ وتأخره سائغان، وقد يكون النصب بأن يجعل خبراً لكان.

[صور شعرية محورها البرق]

حدّثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدّثنا عون بن محمد الكندي قال: وعدني سليمان بن وهب وهو يزرُ للمهدي أن يوقّع لي بإيعاز ضيعةِ أبي فأبطأ في ذلك، فقلت له: قد تأخرتْ حاجتي، فأنت والله كما قال ابن المولى(٢):

وإذا تبـاعُ كـريمـةٌ أو تُشْتَـرى فَسِـواكَ بائعهـا وأنت المشتري
وإذا تخيَّلَ من سحابِـكَ لامعٌ سَبَقَتْ مخـايِلُهُ يَـدَ المستمـطر

فجذب الدواة وقال: ما أَخْلَبَ بَرْقُكَ ولا كَذَبَتْ مَخِيلَتُكَ، ووقَّع لي بما أردت.

---

(١) نسبه سيبويه (١: ٢٧٦) لكثير، وقد أدرجته في ديوانه (٥٠٦) وخرجته هنالك، ويمكن أن يضاف إلى المصادر المذكورة ثمة: معاني الفراء١: ١٦٧ والحماسة (شرح التبريزي) ٤: ٩٨، واعراب ثلاثين سورة: ٢٣١ واللسان (وحش) وورد صدر البيت في شرح المرزوقي على الحماسة: ١٦٦٤، ١٧٦٠، ١٨٢٥.

(٢) الشعر في الأغاني ١٠: ١٤٥ (دون نسبة).

قال الصولي: أنشدتُ المبرّدَ يوماً قولَ بشار[1]:

أبرقتْ لي حتى إذا قلتُ جادَتْ ... أقْشَعَتْ عن سحائبٍ تشفترّ[2]
تركتني وما أؤمِّلُ منها ... كالمرجّي حَلوبةً[3] ما تَدِرُّ

فأنشدني:

كأنَّكَ مُزْنَةٌ بَرَقَتْ بليلٍ ... لحيرانٍ[4] يضيءَ له سناها
فلم تمطرْ عليه وجاوَزَتْهُ ... وقد أرسى المنى لما رآها

فسألته عن أرسى فقال: أثبتت المنى في قلبه، أما قرأت ﴿وَالجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ (النازعات: ٣٢).

قال القاضي: قولُ بشار: «أبرقت لي» لغة قد أثبتها قوم ومنها قول الكميت[5]:

أرعدْ وأبرقْ يا يزيـ ... ـد فما وعيدُك لي بضائِرْ

وكان الأصمعي ينكر هذا ويردُّه ولا يعرفُ إلّا رَعَدَ وبَرَقَ.

[يعوّض على معاونيه بسخاء بالغ]

حدّثني أبو النضر العقيلي قال حدّثنا يعقوب بن بنان الكاتب قال، قال لي أبو العباس ابن الفرات، حدّثني كاتب إبراهيم بن سيما قال: لما صرنا إلى

---

(١) شرح المختار: ١٦٧ وديوانه (العلوي): ١٠٣.
(٢) الديوان: جهامة تستمر، وتشفتر: تتفرّق.
(٣) الديوان: سحابة.
(٤) م ب: لحرّان.
(٥) أمالي القالي ١: ٩٦ والجمهرة ٢: ٦٢ والصحاح (رعد)، وشرح المختار: ١٦٨ ومجالس العلماء: ٤١ وشعر الكميت: ٢٢٥.

البصرة لمحاربة الناجم بها وقعتِ النارُ في عسكرنا فأحرقتْ كلَّ ما كان لإبراهيم من مضرب وغيره، قال: فانصرفنا إلى سُرَّ من رأى وعملنا حسابَ نفقاتِ عسكرنا، ففضل في أيدينا من المال الذي تسبَّب لنا أربعة وثمانون ألف دينار، قال فقال لي إبراهيم: صِرْ إلى أبي القاسم عبيد الله بن سليمان وأعلمه ما نالنا في مضاربنا وآلتنا، وَسَلْهُ أن يهبَ لنا من هذا المال الذي فضل قِبَلَنا ما نرمُّ به حالنا، فلعله يصفحُ لنا عن خمسة آلاف دينار نصرفها في نفقتنا، قال: فصرتُ إليه فوجدته مستخلياً مستلقياً على مُصلاّه، فسألني عن إبراهيم وحدثني ساعةً، ثم قال لي: ما جاء بك في هذا الوقت؟ فأديتُ إليه ما قال إبراهيم فقال: وكم بقيَ قبلك من المال؟ قلت: أربعة وثمانون ألف دينار، قال: فأدخلها في حسابكم، وقل له يأخذها بارك الله له فيها قال: ففعلت ذلك وأخذنا المال كلَّه، وإنما كان تقديرنا أن يترك لنا منه خمسة آلاف دينار.

[الرسول كان يحب أن يرى عنترة]

حدّثنا يزداد بن عبد الرحمن بن يزداد المروزي الكاتب قال حدّثنا أبو موسى عيسى بن إسماعيل البصري المعروف بتينة، قال وسمعت ابن عائشة يقول: أُنشد النبيُّ ﷺ لعنترة:

ولقد أبيتُ على الطَّوَى وأظلُّهُ حتى أصيبَ به كريمَ المـأكل

قال: فقال النبي ﷺ: ما أحدٌ من فرسانِ العرب كنت أحبُّ أن أراه ما خلا عنترة.

[عبسيّ شديد التعصب لعنترة]

حدّثنا يزداد بن عبد الرحمن، قال حدّثنا أبو موسى، قال حدّثنا القحذميّ عن عمه عن ابن دأب قال: جاءني أعرابي من عبس ما رأيتُ قطُّ أشدَّ عصبيةً منه، فقال: يا أبـا الوليد ما شيءٌ بلغني عنك؟ قال قلت: وما هو؟

قال: بلغني أنك تقول إنَّ عنترةَ فُقِئَتْ عينُهُ قبل أن يموتَ، قال قلت: نعم، قال: ومن فقأها؟ قال قلت: غلام من بني قبال، قال: عندك في ذلك شاهد؟ قلت: نعم، قال: فأنشدنيه، فأنشدته:

غزا ثم آب العبدُ خائب جده ... إلى ضخمةِ الأذنين والكفِّ شَهْبَرَهْ
فبات إليها كاسراً شقَّ عينه ... فقالت له من عار عينَكَ عنتره
فقال لها لا ضيرَ إن مُلِمَّةً ... ألمتْ وإنَّ الدهر يقلبُ أعصره
وإنَّ غلاماً من قبالٍ أصابها ... وما كان عن كفِّ القباليّ اهدره

قال فقال لي: أمعك غير هذا؟ قال قلت: نعم.

أما بنو عبس فإنَّ دعيَّهم ... ولَّتْ فوارسُهُ وأَفلتَ أَعورا
سمع التذامرَ والتواصي بينهم ... لا يفلتنَّ العبد عنتر عنترا

قال فقال لي: يا أبا الوليد قد صحَّ هذا عندك؟ قال قلت: قد حدثتك الحديثَ وأنشدتك الشعر، قال: والله ما تفقت عينه في قبره، كيف تزعم أنها تفقت قبل موته؟!

[تعليق على ما جاء في الخبرين السابقين]

قال القاضي: قد روينا عن النبيّ ﷺ في غير هذا الطريق في ذكر عنترة محبَّته رؤيةَ عنترة وأنه قال: لو أدركته نفعته؛ وقول الشاعر «إلى ضخمة الأُذنين والكفِّ شهبرة» الشهبرة: العجوز المولية، ويقال «شهورة» وينشد في هذا:

أمّ الحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْوَرَهْ

وجاء في بعض الأخبار أن النبيّ ﷺ قال لزيد بن حارثة لا تتزوج

خمساً، فذكر فيهن الشهبرة. ويقال أيضاً عجوزٌ شهربة وأنشدوا في هذا[1]:

أمُّ الحُلَيْسِ لعجوزٌ شَهْرَبَـهْ   تَرْضَى من اللحم بعظم الرَّقَبَهْ

وقوله: «وما كان عن كف القبالي أهدره» يقال أُهدر دمَ فلان إذا طُلَّ ولم يثأر به وأُسقط القصاصُ والعَقْل عنه. وقول الشاعر في الشعر الثاني: «لا يفلتنَّ العبد عنتر عنتراً» فيه إغراء به، كأنه قال عليك عنترة أو اقتل عنترة، كما تقول: الطريقَ الطريقَ فأضمرَ الفعلَ، ومثله قولك لمن رأيته يضربُ رجلاً أو يتهيّأ لضربه: رأْسَهُ؛ وهذا بابٌ واسعٌ معروف في العربية يُضْمَرُ الفعلُ فيه اكتفاءً بما حضر أو ظهر من الأحوال والأشياء الدالة على العامل المنويّ والمتروك. وأما قول العبسيّ «تفقَّت عينه» فإنه ترك الهمز في هذه الكلمة وهو أصل فيها، قال الشاعر[2]:

تفقأ فـوقــه قَلَعُ السـواري   وَجُنَّ الخازباز به جنونـا[3]

وقد يترك الهمز كثيراً وخاصةً في الشعر كقول الشاعر:

وكنت أبــا ستَّةٍ كــالبـدور   أُفْقي بهمْ أعينَ الحـاسدينـا

[بيت شريف في امرأة خفرة]

حدّثنا عبد الله بن منصور الحارثي، قال حدّثنا محمد بن زكرياء

---

(١) هو لرؤبة أو لعنترة بن عروس، انظر ابن يعيش ٣: ١٣٠، ٧: ٥٧ والخزانة ٤: ٣٢٨، ٣٤٠ والعيني ١: ٥٣٤، ٢: ١٥١.

(٢) هو ابن أحمر كما جاء في سيبويه ٢: ٥٢ والحيوان ٣: ١٠٩، ٦: ١٨٥ والخزانة ٣: ١٠٩ وابن يعيش ٤: ١٢١ وشعره المجموع: ١٥٩.

(٣) فوقه: يعني فوق ذلك المكان؛ تفقأ: تشقق، قلع السواري: السحاب الضخام؛ الخازباز: صوت الذباب وبه يسمّى.

الغلابي، قال حدّثنا مهديُّ بن سابقٍ، قال حدّثني الهيثم بن عديّ قال[1]: كنا جلوساً عند صالح بن حسان فقال: أنشدوا بيتاً شريفاً في امرأةٍ خفرة، قلنا قول حاتم الطائي[2]:

يضيءُ لها البيتُ الظليمُ خَصَاصُهُ إذا هيَ يوماً حاولتْ أن تَبَسَّما

فقال: أريد أحسنَ من هذا البيت. قلنا قولُ الأعشى[3]:

كأنّ مشيتها من بيت جارتها مَرُّ السَّحابةِ لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

قال: أريد أحسن من هذا. قلنا بيت ذي الرمّة[4]:

تنوءُ بأولاها فلأياً قيامُها وتمشي الهوينا من قريب فَتُبْهَرُ

قال: أريد أحسن من هذا. قلنا: ما عندنا شيء، قال بيت أبي قيس ابن الأسلت:

ويكرمنها جاراتُها فيزرنها وتعتلُّ عن إتيانِهِنّ فتعذَرُ[5]

[أحسن بيت في وصف الثريا]

ثم قال: أتدرون أحسنَ بيتٍ وصفت به الثريا؟ قلنا بيت ابن الزّبير[6]:

---

(١) ورد جانب من هذا المجلس في المصون: ٢٦ ـ ٢٨، وقد نقله كله ابن عساكر (بيت شريف في امرأة خفرة وأحسن ما قيل في الثريا مع تعليقات المعافى في تاريخه) انظر تهذيب ابن عساكر ٦: ٤٥٨ ـ ٤٦٠ وقد عكس الترتيب، ولديه زيادة لم ترد في المخطوطات أضفتها إلى النص لأنه يصرح بالنقل عن المعافى.

(٢) ديوان شعر حاتم: ٢٣٤ (وفيه التخريج: ٣٦٠ وما بعدها).

(٣) ديوان الأعشى: ٤٢.

(٤) ديوان ذي الرمة: ٦٢٤.

(٥) الخزانة ٣: ٣٧٧ والعقد ٤: ٢٦٦ وديوان المعاني ١: ٢٤٣ وعيون الأخبار ٣: ٢٥ وشعره: ٧١ (وفيه مزيد من تخريج).

(٦) البيت في تشبيهات ابن أبي عون: ٩ وعيون الأخبار ٢: ١٨٦ وشعر ابن الزبير: ٦١.

وقد لاح في الجو الثريّا كأنّه   به رايةٌ بيضـاءُ تخفقُ للطعنِ

فقال: أريد أحسن من هذا، قلنا: بيت امرئ القيس[1]:

إذا ما الثريا في السماءِ تعرَّضَتْ   تعرُّضَ أثناءِ الوشاحِ المفصَّـلِ

قال: أريد أحسنَ من هذا، قلنا: بيت ابن الطثرية[2]:

إذا ما الثريا في السماءِ كأنّها   جمانٌ وهى من سلكه فتسَرَّعا

قال: أريد أحسنَ من هذا؛ [قلنـا قول ذي الرمّة:

وردت اعتسـافاً والثـريا كـأنهـا   على قمة الرأس ابن ماء محلق
يـدف على آثـارهـا دبـرانهـا   فلا هو مسبوق ولا هو يلحق
بعشرين من صغرى النجوم كأنها   وإياه في الجرباء لو كان ينطق
قـلاص حـداهـا راكب متعمم   هجائن قد كادت عليه تفـرق

قال: أريد أحسن من هذا]؛ قلنا: ما عندنا شيء، قال بيت أبي قيس ابن الأسلت[3]:

وقد لاح في الجوِّ الثريا لمن رأى   كعنقـودِ مُـلَّاحيـةٍ حين نَـوَّرا

[تعليقات للقاضي على ما تقدم]

قال القاضي: قول حاتم: « البيت الظليم » أراد: المظلم، ومُفْعِل قد ينصرف إلى فعيل، ومن ذلك عذابٌ أليم أي مؤلم، قال الله تبارك وتعالى:

---

(١) ديوان امرئ القيس: ١٤.
(٢) لم يرد في المجموع من شعره على هذا النحو، لأن قافيته « فتبددا » (انظر ص: ٣١ والتخريج) أما روايته « فتسرعا » فقد جاءت في الأغاني ١٧: ٧٧ ومعاهد التنصيص٢: ٢٨.
(٣) الخزانة ٣: ٣٧٨ والمصون: ٢٨ واللسان والتاج (ملح) وشعر أبي قيس: ٧٣.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (يونس: ٤) ومن هذا قول الشاعر:

ونرفعُ من صُدورٍ شَمَرْدَلاتٍ يصكُّ وجوهَها وهَجٌ أليم

ومنه سميع بمعنى مُسْمع، قال الشاعر(١):

أمن ريحانةَ الداعي السميعُ يؤرّقني وأصحابي هجوعُ

أرادالمسمع. وقد يقال سميع بمعنى سامع، ويأتي على فعيل للمبالغة مثل راحم ورحيم، وحافظ وحفيظ، وعالم وعليم، وقادر وقدير، وناصر ونصير، في نظائر لهذا كثيرة جداً. وقول ذي الرّمة « فلأياً قيامها » أي بطيء؛ وقال زهير(٢):

وقفتُ بها من بعد عشرين حجَّةً فلأياً عرفتُ الدارَ بعد توهُّمِ

وقول أبي قيسٍ: « ويكرمنها جاراتها » هكذا روي لنا على لغة من يأتي بعلامة الجمع مع تقدّم الفعل وفراغه من الضمير، كما قال الشاعر(٣):

ولكن ديافيٌّ أبوهُ وأُمُّهُ بحورانَ يعصرنَ السليطَ أقاربُهْ(٤)

الأفصح « ويكرمها » وقد مضى في بعض ما تقدم من مجالسنا هذه قولٌ لنا في هذا المعنى وتفريق بين علامة التثنية والجمع في العلاقة(٥)، وبين

---

(١) هو عمرو بن معديكرب انظر يوانه: ١٣٦ (وفيه تخريج).

(٢) شرح ديوان زهير: ٧.

(٣) البيت للفرزدق، انظر ديوانه ١: ٤٦ وسيبويه ١: ٣٢٦ والخصائص ٢: ١٩٤ وأمالي ابن الشجري ١: ١٣٣. وابن يعيش ٣: ٨٩، ٧: ٧ والخزانة ٢: ٣٨٦ وعبث الوليد: ٨٥ وشروح السقط ٢: ٥٤٩.

(٤) الديافي: المنسوب إلى دياف، وهو موضع بالجزيرة، السليط: الزيت.

(٥) م س: العلامة.

علامة التأنيث، ويستغنى به عن إعادته في هذا الموضع. وقول أبي قيس بن الأسلت «كعنقود ملاّحية» روي لنا في هذا الخبر «ملاحية» بتشديد اللام، ولغة العرب الفصيحةُ السائرة مُلاحِيَةٌ يقولون عِنَبٌ مُلاحِيّ، ورواة الحديث والأخبار الذين لا علم لهم بكلام العرب يغلطون في هذا كثيراً وفي ما أشبهه، وأرى أنَّ الذي أوقعهم في هذا أنهم لما رأوا هذا البيت رأوا ظهورَ الزحاف فيه إذا روي مخففاً على الوجه الصحيح وسلامته من ذلك إذا شدد، ثم لم يعلموا جوازَ الزحاف واطّراده وظهورَ استعماله وأن أكثر الشعر مزاحَفٌ، وما لا زحافَ فيه قليلٌ نزر جداً؛ وهذا البيت من الطويل الثاني والزحافُ فيه ذهاب ياء مفاعيلن وردّه إلى مفاعلن، ويسمى هذا النوع من الزحاف قبضاً لذهاب خامس حروف الجزء، ويسمّى الجزء الذي لحقه هذا الزحاف مقبوضاً، وقد يسقطون نون مفاعيلن على معاقبة القبض فيه وهو ذهاب الياء ولا يجتمعان في السقوط، ويسمى هذا الزحاف الكفّ لذهاب السابع من حروف جزئه، ويسمى الجزء مكفوفاً.

المجلس التاسع والستون

[حديث في الخطيئة]

أخبرنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكرياء، قال حدّثنا أبو مروان القاضي عبد الملك بن محمد المديني بمدينة الرسول ﷺ، قال حدّثنا أبو بشر الأنصاري، قال حدّثنا أحمد بن يحيى، قال حدّثنا يزيد بن مهران الأسدي، قال حدّثنا أبو بكر ابن عيّاش عن مغيرة بن زيادٍ عن عديّ بن عدي عن العُرْسِ، وهو ابن عميرة، قال قال رسول الله ﷺ[1] : إذا عُمِلَتِ الخطيئةُ في أرضٍ فمن أنكرها كان كمن غاب عنها، ومن رضيها كان كَمَنْ شهدها.

[تعليق الجريري على الحديث]

قال القاضي: قد ثبت بدليلِ العقل والسَّمع أن الراضي بفعل المحسن شريكٌ في إحسانه، والراضي بفعل المسيء شريكٌ في إساءته، من جهة

---

(١) أورده أبو داود في مسنده ٢ : ٤٣٨ يرويه محمد بن العلاء عن أبي بكر بن عياش (وساق باقي السند) والعرس (بضم العين) بن عميرة الكندي له صحبة (تهذيب التهذيب ٧: ١٧٥) وعدي بن عدي هو ابن أخيه. ومغيرة بن زياد البجلي توفي سنة ١٥٢ (تهذيب التهذيب ١٠ : ٢٥٨).

المدح والذم، والأجر والاثم. وقد ذمَّ الله تعالى في كتابه من كان من اليهود في عصر نبيه ﷺ باضافته قَتْلَ أنبيائهم إليهم، وان كان المباشر لذلك مَنْ تقدَّمَ من آبائهم لرضاهم به وموافقتهم إياهم في دينونتهم بما ضلُّوا فيه وكفروا بفعله وعصوا بارتكابه.

[حسن سياسة ملك]

حدّثنا محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن المدائني قال[1]: بلغ بعضَ ملوكِ الطوائفِ حُسْنُ سياسةِ ملكٍ، قال: فكتب إليه يسأله أن يفيده علم الذي بلغ به ذلك، فكتب إليه: لم أهزل في أمر ولا نهي، ولا وعدٍ ولا وعيدٍ، واستكفيتُ أهلَ الكفاية، وأَثَبْتُ على الغناءِ لا على الهوى، وأودعتُ القلوبَ هيبةً لم يشنها مَقْتٌ، ووداً لم يَشُبْهُ كذب، وعممتُ بالقوتِ ومنعتُ الفضل.

[قول لبعض الحكماء]

حدّثنا أبو النضر العقيلي قال حدّثني أبو الحسن بن راهويه الكاتب قال: بلغني أن بعض الحكماءِ قال: إن الله تبارك وتعالى جعل خزائن نعمته عرضةً لمؤمليه، وجعل مفاتيحها صدقَ نيّةٍ راجيه.

[دفتر لابن دريد]

قال القاضي رحمه الله: أخبرني بعض أصحابنا أنه قرأ على دفترٍ لابن دريدٍ بخطّه: حسبي مَنْ خزائنُ عطاياه مفتوحةٌ لمؤمّليه، وَمَنْ جعل مفاتيحها

(١) نثر الدر ٤: ٨٤، ٧: ٣٤ (رقم: ٤٥) وعيون الأخبار ١: ١٠ والعقد ١: ٢٤ وبهجة المجالس ١: ٣٣٧ ومنتخب صوان الحكمة: ٣١٩ ولباب الآداب: ٣٧، ٥١ ـ ٥٢ والتذكرة الحمدونية ١: ٤٠٠ وتسهيل النظر: ٧٩ ـ ٨٠ ونهاية الأرب ٦: ٤٤ والأسد والغواص: ١٩٧ والجوهر النفيس: ٣٥ ب وغرر الخصائص: ١٠١.

صحّة الطمع فيه. قال: وقرأت على هذا الدفتر أيضاً:

أُفَوِّضُ ما تضيقُ به الصدورُ   إلى من لا تغالبه الأُمورُ

[محاورة بين ابن عباس ومعاوية]

حدّثنا محمد بن مزيد الخزاعي قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمدٍ الكلبي عن أبيه قال: لم يكنْ أحدٌ من بني هاشم أكثر غشياناً لمعاوية من عبد الله بن عباس، فوفد إليه مرّةً وعنده وفودُ العرب فأقعده على يمينه ثم أقبل عليه فقال: نشدتك الله يا ابن عبّاسٍ أن لو وليتمونا أتيتم إلينا ما أتينا إليكم من الترحيب والتقريب وعطائكم الجزيل وإكرامكم عن القليل، وصبرتم على ما صبرنا عليه منكم؟ إني لا آتي إليكم معروفاً إلّا صغرتموه: أعطيكم العطيّةَ فيها قضاءُ حقوقكم فتأخُذونها متكارهين عليها، تقولون: قد نقص حقّنا وليس هذا تأميلنا، فأيّ أملٍ بعد ألفِ ألفٍ أُعطيها الرجلَ منكم ثم أكون أسرَّ بإعطائها منه بأخذها؟ والله لقد انخدعتُ لكم في مالي، وذللتُ لكم في عرضي، أرى انخداعي تكرّماً، وذلّي حلماً، ولو وليتمونا رضينا منكم بالإنصاف ثم لا نسألكم أموالكم، لعلمنا بحالنا وحالكم، ويكون أبغضَ الأموال إلينا أحبُّها إليكم لأن أبغضها إلينا أحبها إليكم، قل يا ابن عباسٍ. فقال ابن عباس: لو ولينا منكم مثلَ الذي وليتم منا اخترنا المواساةَ ثم لم يَعش الحيُّ بشتم الميت، ولم ننبش الميّتَ بعداوة الحيّ، ولأعطينا كلَّ ذي حق حقه. فأما إعطاؤكم الرجلَ منا ألف ألف فلستمْ بأجودَ منا أكفّاً، ولا أسخى منا أنفساً، ولا أصونَ لأعراضِ المروءة وأهداف الكرم؛ ونحن والله أعطى في الحق منكم على الباطل، وأعطى على التقوى منكم على الهوى. فأما رضاكم منا بالكفاف فلو رضيتُمْ به منا لم نرضَ لأنفسنا بذلك والكفاف رضى مَنْ لا حقَّ له، فلو رضيتم به منا اليوم ما قتلتمونا عليه أمس، فلا تستعجلونا حتى تسألونا، ولا تلفظونا حتى تذوقونا. فقال الفضل بن

العباس بن عتبة بن أبي لهب:

وقال ابنُ حربٍ قولةً أمويةً ... يريدُ بما قد قال تفتيشَ هاشِمِ
أجبْ يا ابن عباس تراكم لو آنكمْ ... ملكتم رقابَ الأقربين الأكارم
أتيتم إلينـا مـا أتينـا إليـكُم ... من الكفِّ عنكم واجتباءِ الدراهم
فقـال ابن عباس مقـالاً أمضَّه ... ولم يك عن ردِّ الجوابِ بنائم
نعم لو وليناكُمْ عـدلنا عليكمُ ... ولم تشتكوا منا انتهاك المحارم
ولم نعتمد للحيِّ والميْتِ غُمَّةً ... تحدثها الـركبانُ أهـلَ المواسم
ولم نعطكمْ إلاّ الحقوقَ التي لكم ... وليس الذي يعطي الحقوقَ بظالم
وما ألفُ ألفٍ تستميلُ ابنَ جعفرٍ ... بها يا ابنَ حربٍ عند حزِّ الحلاقم
فأصبح يرمي مَنْ رماكم ببغضه ... عدوُّ المعادي سـالماً للمسـالم
فأعظمْ بما أعطاك من نُصْح جَيْبِه ... ومن أمْنِ غيبٍ ليس فيه بنادم

[رسالة من خالد القسري إلى أبان البجلي]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدّثنا أبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح قال حدّثنا محمد بن عمران عن أبيه قال: كتب خالد بن عبد الله القسري إلى أبان بن الوليد البجليّ وكان قد ولاه المبارك: أما بعد فإن بالرعية من الحاجة إلى ولاتها مثلَ الذي بالولاة من الحاجة إلى رعيتها، وإنما هم من الوالي بمنزلة جسده من رأسه، وهو منهم بمنزلة رأسه من جسده فأحْسِنْ إلى رعيتك بالرفق بهم، وإلى نفسك بالاحسان إليها، ولا يكونون هم إلى صلاحهم أسرعَ منك إليه، ولا عن فسادهم أدفعَ منك عنه، ولا يحملك فضلُ القدرة على شدَّةِ السطوة بمن قلَّ ذنبه ورجوتَ مراجعته، ولا تطلب منهم إلا مثلَ الذي تبذلُ لهم، واتّقِ الله تعالى في العدل عليهم والاحسان إليهم، فإنَّ

الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. اصرم فيما علمت، واكتب إلينا فيما جهلت يأْتِكَ أمرُنا في ذلك إن شاء الله، والسلام.

[أبو الأسود يوصي حارثة أن يستغل ولايته]

حدّثنا محمد بن القاسم الأنباري، قال حدّثني محمد بن المرزبان قال حدّثني المغيرة بن محمد المهلبي قال حدّثني العتبي قال(1): كان حارثة بن بدر الغداني صديقاً لزياد بن أبيه وكان أبو الأسود الدؤلي مؤاخياً لحارثة بن بدرٍ، فَقَلَّدَ زياد حارثةَ بن بدر سُرَّق، فكتب إليه أبو الأسود:

أَحارِ بنَ بدرٍ قد وليتَ إمارةً فكنْ جُرَذاً فيها تعقُّ وتسرق
وباهِ تميماً بالغنى إن للغنى لساناً به المرء الهَيُوبَةُ ينطق
ولا تحقرن يا حار شيئاً أصَبْتَهُ فحظُّكَ من ملك العراقين سُرَّق
فإني رأيتُ الناسَ إما مُكَذِّبٌ يقولُ بما يهوى وإما مصدّق
يقولون أقوالاً بظنٍّ وشبهةٍ فإنْ قيل هاتوا حَقِّقُوا لم يحققوا

فكتب إليه حارثةُ بن بدرٍ: لم يِعمَ علينا الرأي يا أبا الأسود، وختم كتابه بهذا الشعر:

جزاك مليك الناس خير جزائِهِ فقد قلتَ معروفاً وأوصيتَ كافيا
أمرتَ بحزمٍ لو أمرتَ بغيره لألفيتني فيه لأَمْرِكَ عاصيا
ستلقى امرءاً يصفيكَ بالودِّ مِثْلَهُ ويوليك حفظَ الغيب إن كنتَ نائيا

(1) انظر الأغاني ٢٣: ٤٧٥ وتهذيب ابن عساكر ٣: ٤٣٤ (عن الجليس الصالح ونقل تعليق المعافى) وشعر أبي الأسود في الحيوان ٣: ١١٦، ٥: ٢٥٥ (لأنس بن أبي إياس) وهو له في عيون الأخبار ١: ٥٨ ولأبي الأسود في معجم البلدان (سرق) وشرح النهج ١٦: ١٦٦ وديوان أبي الأسود: ١٤٠ - ١٤١ وجواب حارثة له في نور القبس: ٢٠ ومعجم البلدان وأمالي المرتضى ١: ٣٨٥ وزهر الآداب: ٩١٦ وشعراء أمويون (القسم الثاني): ٣٦٦.

وأقربُ ما عندي المواساةُ مُسْمحاً   إذا لم يجد قوم صديقاً مكافيا(١)

[تفسير الترخيم وشرح السماحة]

قال القاضي: رخم أبـو الأسود حـارثة في شعـره، فحذف الهـاء والثاء، وبعض النحويين لا يجيز هذا، ويقول يا حارثَ في ترخيم حارثة فتحذف الهاء خاصة فيقول: أحارثُ وأحارثَ على لغتين للعرب فيه، أفصحهما إقرارُ حركـةِ الحرف في الترخيم على ما كانت عليه، وهو الوجهُ المختـار، والأخرى ضمّـه على حكم النداء المفرد والقضاء على ما بقي بعد حذف الطرف للترخيم بـأنه اسم قد قام بنفسه وكفى من غيره، ولا نجيز هذا الترخيم على هذين الـوجهين إلا في تـرخيم حارث، وقـد احتـج بشعـر أبي الأسـود وغيـره في إجـازة هـذا التـرخيم من أجازه. وقـوله: «وأقـرب ما عنـدي المواسـاة مسمحاً» يقـال من السماحة والسماح، سمح فلانٌ بماله ومعروفه وسامح وتسمَّح وتسامح، ويقال أسمح فلان فهو مُسمح إذا انقاد وأصحَب ولان جانبـه وقارب غيـر مستصعب، قال تميم بن أبي بن مقبل العجلاني(٢):

هل القلبُ عن دهماءَ سالٍ فمسمحُ   فتـاركُـهُ منهـا الخيـالُ المبـرّحُ

[رواية أخرى عن تولية حارثة ووصية أبي الأسود]

حدّثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدّثنا محمد بن عبد الرحمن التيمي عن أبيه قال حدثنا خالد بن سعيدٍ عن أبيه قال: لما ولَّى زيادٌ حارثةَ بن بدرٍ الغداني سُرَّق خرج معه المشيّعون، فقال له أبو الأسود الدؤلي مُسيرًّاً إليه: «أحارِ بنَ

---

(١) س: إذا لم تجد يوماً صديقك وافياً؛ الديوان: صديقاً مواسيا.

(٢) ديوان تميم: ٤٨.

بدرٍ » وذكر الشعرَ وجوابَ حارثة عنه، والألفاظُ فيه وفي خبر ابن الأنباريّ متقاربةُ المعاني، وفي هذا الخبر زيادة بيت يلي قولِ أبي الأسود:

يقولون أقوالاً بظنٍّ وشبهةٍ.

وهو:

ولا تعجـزنْ فـالعجـزُ أوطـأُ مـركبٍ وما كلُّ مَنْ يدعى إلى الرزقِ يُرْزَقُ[1]

[سماه معروفاً وكناه أبا الحسن]

حدّثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدّثنا الغلابي قال حدّثنا ابن عائشـة قال: سمَّى رجل ولداً له معروفاً وكنَّاه بأبي الحسن، فلما شبَّ قال له: يا بني إنما سمَّيْتُكَ معروفاً وكنَّيْتُكَ بأبي الحسن لأحبِّبَ إليـك ما سميتـك به وكنَّيتـك به. قال الصولي: فحدثتُ بهذا الحديث وكيعاً فقال لي: يقال إن قائل هذا أبو معروف الكرخي لمعروف.

[نبذة عن معروف الكرخي]

قال القاضي: المعروفُ من كنية معروفٍ الكرخي أبـو محـفوظٍ، واسم أبيـه الفيرزان، وكـان من المعروفين بـالصَّلاح في دينـه مشهوراً بـالاجتهاد في العبادة والورع والزهادة، فكان الناس في زمانه وبعد مضيِّه لسبيله يتحدَّثون أنه مستجـابُ الدَّعْـوَةِ، وله أخبـار مستحسنة جمعهـا الناس تشتمـل على أخلاقـه وسيرته، وقـد رُوِيَتْ لنا عنـه أخبارٌ مُسْنَـدة وموقـوفةٌ. وحـدثت عن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل أنه قال، قلت لأبي: هل كـان مع معـروف الكرخي شيءٌ من العلم؟ فقـال لي: يـا بنيّ كـان معـه رأس العلم، خشيــة الله تبـارك وتعالى.

---

(١) أورده أبو الفرج أيضاً في الأغاني وبعده البيت الثاني الوارد هنا، أعني « وبـاه تميماً بالغنى.. البيت ».

قـال القاضي: ولعمـري إنَّ خشيةَ الله تعـالى وتقواه رأسُ العلم. وإنمـا يكتسب العلم ليؤدِّي إلى خشية الله تعالى ومراقبته، والسَّعْي إلى ما يعود بثوابه والأمنِ من عقابه، وقد قال مجاهد: إنمـا الفقيه مَنْ يخشى الله عـز وجلّ لأنـه قال عز ذكره: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فـاطر: ٢٨) وقـد كان نبينـا ﷺ أعلمَ النـاس بـربـه، وأفقَهَهُمْ في دينـه، وأخشـاهم لـه، وأحفـظهم لحـدوده. وقـد جـاء في الأثـر: إن رأس الحكمـة خشيـة الله تعـالى وان حبَّ الدنيـا رأسُ كلِّ خطيئة. نسألُ الله الكـريمَ إصلاحَنـا له حتى نؤثـر رضاه على هوانا، ولا نشتغل عن الاستعداد لمعادنا إليـه بغرور دنيـانا، إنـه سميع الـدعاء لطيفٌ لما يشاء.

[حمدويه صاحب الزنادقة والطويل الزنديق]

حدّثنا محمد بن عبد الواحد أبو عمر الزاهد قال أخبرني أبو بكرٍ الملطي قال أخبرني من رأى حمدويه[١] الزنديق التائب، تائب الزنادقة، قال: فأخبرني أن الخليفة رأى في منامه كأنَّ الكعبةَ قد مالت، وكأنـه أقامهـا هو وآخـر يعرف صـورته إذا رآه في اليقـظة، فاستـوت الكعبـة، قـال: فـطلبـوني فقيـل لي يـا حمدويه ما نشكُّ فيك أنك أنت صاحبُ الخليفة، قـال: فأدخلت عليـه فقال: نعم هذا هو، قال: فخلع عليَّ وحملنيَ، ثم أمر صاحب الشرطة أنْ يقبل مني كلَّ شيء أقولـه، وقال لـه: مُرْ أصحـابَ الأرباع والأعـوان بالـطاعةِ لـه، قال: نعم، ثم قـال لي انظرْ كـلَّ زنـديق فـارفعـه إليّ، قـال: وأمـر لي بسجنٍ حتى أحبسَ فيه الزنـادقة، (فقـال لي ابن مسروق الصـوفي: هي التي يقال لهـا دار مفلح) قال حمدويـه: فالتقـطتُ منهم جماعـةً، فمن أقرَّ وتـاب خلَّاهُ السلطان ومن جحد حبسه، قال: فمررتُ ذاتَ يومٍ على مسجد الطويل وهـو يقول في

---

(١) حمدويه صاحب الزنادقة اسمه محمد بن عيسى من أهل ميسان خلف في مهمته عمر الكلواذي سنته ١٦٨، وفي تلك السنة قتل المهدي الزنادقة ببغداد (الطبري ٣: ٥٢٢).

أذانه: أشهد أنَّ محمداً رسول الله، قال حمدويه: فقلتُ زنديق والله الذي لا إله إلا هو، قال: فبعثتُ إلى صاحب الربع فركب، فقلت: اقبض على ذا، فرفعه إلى السلطان، قال: وكان مقرئاً قد علَّم أُلوفاً من الناس، قال: فتسامع أهلُ الكرخ، قال: فاجتمعوا وهم ثلاثون ألفاً فدخلوا على السلطان الأعظم فقالوا له: ليس حمدويه نبياً ولا صحابياً ولا تابعياً حتى يُصَدَّقَ في كلِّ شيءٍ يقولُهُ، ونحن وجوه الرعيَّة نحلفُ للسلطان بالله الذي لا إله إلا هو لقد أبطلَ حمدويه، قال: وابتدأ قوم فحلفوا بالطلاق وأيمانِ البيعة أن حمدويه كَذَبَ على أستاذنا، قال: وخرجوا وقد وعدهم أنْ يتوقَّف في قتله ثلاثةَ أيام، فإن خرج حمدويه بعذرٍ بيّنٍ قتل حمدويه وخلّى المقري، قال: فخلا بي من بعد ما خرج الناس فقال لي: يا حمدويه، قد بلغك الخبرُ ورأيتَ الأُمَّةَ قد أقبلتْ إليَّ وزعموا أنه أستاذهم وقد حلفوا بالطلاق، وقد أجَّلْتُهُ ثلاثة أيام فإذا كان اليومُ الرابعُ فإمّا قَتَلْتُهُ وإما أقتلك، فقلت: قد رضيتُ بالله ربّاً وبمحمدٍ ﷺ نبياً وقد رضيتُ بالله كافياً ومعيناً وأنا أقمتُ معك الكعبةَ لا هم، قال: وخرجت فأخذني المقيمُ المقعدُ ولا أجد أحداً إلا وهو يُثْني عليه بالصيام والقيام والأذان والإمامة، قال: فدخلت في اليوم الثالث إلىٰ سجني، قال: وكان من الزنادقةِ في حبسي غلامٌ عاقل نظيف، قال فقال لي: ما لي أراك مهتماً؟ قال قلت: دعني ليس هذه الساعةُ من ساعاتك، قال: لعلَّ فَرَجَكَ عندي، قال قلت له: ويحك الطويل المقرئ، قال قلْ لي: وقعت عليه، قال قلتُ: ويحكَ فَرِّجْ عنِّي، قال فقال لي: ففرِّجْ عنّي حتى أفرّجَ عنك، قال فقلت: وما صدقتُ عليك فيه؟ قال فقال لي: والله ما كذبتَ عليَّ ولا على غيري، قال قلت: تُبْ حتى أُخَلّيك، قال فقال لي: قد تبتُ، قال فقلت: فحدثني بحديث هذا الرجل[1] وأنا أُخرجك معي الساعةَ[2] من الحبس لأني مطاعٌ عند السلطان، قال فقال لي:

(١) س: هذا الطويل.

(٢) س: الساعة معي.

هذا أستاذي الكبير في الزندقة، وليس في الدنيا زنديقٌ داعيةٌ إلا من قِبَلِ هذا الـذي يقال لـه الطويـل، قال قلت: صـدقتَ، ولكنَّ السلطانَ لا يجعلك أنت حجـةً على رجل لـه ثلاثـون ألف ناصـر، قال فقـال لي: اعرضْ عليـه ثـلاثـةَ أشياء، فإنك لو قَطَّعتَ الزنديقَ ما فعلها، قال قلت: ما هي؟ قال: في إصبعـه خاتم يختم بها، عليه مكتوب: « أنا زنديق » فـإذا وافى خاتمُـهُ بعضَ الزنـادقة قضى حاجةَ الرجل ولو كان فيها فَقْدُهُ وتلفُـهُ، قال قلت: فـإن خرج منهـا؟ قال فقال لي: ادفعْ إليه ديكاً نبطياً قلطيـاً أصفرَ المنقـارِ دقيقَ الساقين أبـحَّ الصوت حتى يذبحه، قال قلت: فإن خـرجَ منها؟ قـال: بقيت واحدةٌ لا يفعلهـا زنديقٌ أبداً، فإن فعلها فقد سلم وهلكتَ أنت، وإن لم يفعلهـا ـ وليس يفعلها أبـداً ـ فقـد نجوتَ أنت وهلك هــو، واعلمْ أني قـد آمنت بـالله وصـدَّقْتُ النبيَّ والمرسلين، وآمنت بكلِّ كتاب نزل وكـلِّ نبيٍّ مرسـل، وأن محمداً ﷺ خـاتم النبيين وقائد الغـرّ المحجَّلين إلى جنَّاتِ النعيم، من صـدَّقه نجـا، ومن كذّبـه هلك؛ قال حمدويه: فأخذتُ يده وأخـرجته حتى أديتـه إلى منزلـه، ووهبت له دنـانير وقلت لـه: أنا آتيـك بالخبـر في غدٍ إن شـاء الله تعالى فهـاتِ العـلامـةَ الثـالثةَ، قـال: فأخـرج إليَّ من جيبه خـرقةَ حـريرٍ فيهـا صـورة سَمِجَـةٌ جـدّاً: حاجباها غليظان وأنفهـا مُفَلْطَحٌ وفمها كـأنه مشـافر، قـال لي: قُلْ له فليبـزق على هذه الصورة، قال حمدويـه فقلت: وما هـذه الصورة؟ قـال: هذه صـورة مـاني، قال حمـدويه: فبتُّ بليلةٍ كليلةِ الحبلى إذا أخـذهـا الـطلق، قـال: ثم غدوتُ إلى السلطان، قال: فجلس على سريره ـ سرير الخـلافة ـ قـال: وغدا الكرخيّون فـامتلأ الصحنُ، ثم قلت: يـا سيدي إن رأيتَ أن تحضـرَ خَصمي، قال: فقويَ قلبُ السلطان لقـوّةِ كلامي، قـال فقال: الـطويلَ الـطويلَ، قـال: فـأُتي بـه، قـال: فتشـرَّف النـاسُ، وحَضَـرتِ القضـاة والعـدولُ والمحـدّثـون والفقهاءُ، قال فقال لي الطويل: هات ما عندكَ يا كذّاب، قال قلت: خاتمك، قـال: هذا خـاتمي، قال فقلت لبعض العـدول: اقرأ مـا عليه، فقـرأ ذلك أنـا

زنـديق، قـال فقـال الـطويـل: يـا أميـر المؤمنين هـذا العــدل أبكم ممّن هـذا الكـذّاب، واعلم أن لي صديقـاً في ذلك الجـانب يُكْنى أبا زيـد فنقشتُ على خاتمي أبا زيد ثِقْ وجعلتها علامةً بيني وبينه لقضاءِ حوائجي، وهو بـاقٍ، قال: فنظر إليَّ الخليفة فقلت: عـلامةٌ أخـرى يا أميـر المؤمنين، فأخـرجتُ الديـك وقلتْ: فليذبَحْ هذا، قال فقال الخليفة له: اذبح هذا، قال فقـال له الـطويل: والله يـا أمير المؤمنين مـا ذبحتُ شيئاً قطّ بيـدي، وما أمتنـعُ من ذبحـه إلّا من ارتعـاشٍ[١] في يدي، قـال فنظر إليّ الخليفـة وقـال: يمكن مـا قـال، فهـات غيرها، قال: فأخرجتُ الصورةَ قال فقلت له يا أمير المؤمنين: مُرْهُ فليبزقْ على هذه الصورة، قال فقال له: ابصق على هذه الصورة، قـال فقال: هاتها، قال: فدفعتها إليه، قال فقال: بأبي هذه الصورة، وأمّي هذه الصـورة، ثم قبَّلها وسجد لها ووضعَها على عينيه وبكى، قال حمـدويه: فلو طـار إنسان فَرَحاً لطرت أنا تلك الساعة، قال فدعا الخليفةُ بصاحب[٢] الشرطة فقال: خذه واضربْ عنقه في باب الطاق في رَحْبَةِ الجسر، قال: وقام السلطانُ، وانصـرف القومُ والعامة تصيح بهم: رحم الله معاوية، رحم الله معاوية.

حدّثنا أبو عمرو قال أخبرني أبو بكر الملطي قال أخبرني أبـو عبد الله بن أبي عوف البزوري[٣] قال أخبرني رويم المقـري قال: كنتُ ذاتَ يـوم سَلَّمْتُ من صلاتي وقعدتُ لآخذَ على بعض غلماني، قال: فجاءتني جاريتي فقالت: يا مولاي إن أردت أن تنظر إلى الطويل المقري فـإن الناس قـد انجفلوا وقالـوا إنـه تضرب عنقـه الساعـةَ في بـاب الـطاق في رَحْبَـة الجسـر لأنـه قـد صحَّتْ زندقته، قـال فقلت لغلامي: أسـرج الحمارَ، قـال: فركبت، قـال: فلما رآني

(١) س: إلا لارتعاش.

(٢) س: صاحب.

(٣) س: البزودي.

الناس قالوا لصاحب الشرطة هذا أستاذ القراء، قال: فأوسعوا لي قال: فجئت فرأيتُ رأسه قد شُدَّ وقد مَدَّ رقبته، قال فقلت للسيّاف: اصبر لي حبّة حتى أكلمه، قال فصاح به السلطان: اقضِ حاجةَ الشيخ، قال: فتقدَّمْتُ إلى الطويل فقلتُ: يا طويل، إنما كان بلغنا عنك أنك تشتمُ أبا بكرٍ وعمر رضي الله عنهما فخرجتَ زنديقاً؟! قال فقال لي: يا مُبَلْغَم أيّ شيء كان بيني وبين أبي بكر وعمر؟ إنما أردت صاحبهما وإني لم أجدْ من يعينني على صاحبهما، قال فقلت للسيَّاف: اضرب رقبةَ[1] عدوٍّ الله وعدوّ رسوله ﷺ، قال فرمى برأسه وانصرفتُ وكبَّر الناسُ.

[فصل في تاريخ الزندقة]

قال القاضي رحمه الله: قد كانت الزندقةُ فَشَتْ في عهد المهديّ، وانتشر الدائنون بها، فوفقه الله تعالى للفحص عن أهلها والسعي في مَحْوِها وتعفية آثارها، وعُني بالنظر في هذا، وقتل جماعةً منهم وأسلم آخرون خوفاً من الفناء[2] وآخرون لمّا أقيمت حُجَّةُ الإسلام ووضحت أعلامه لهم، ونصب للتنقير عنهم والجدّ في طلبهم حمدويه الذي ذكرناه في هذا الخبر. وكان منهم ذوو عددٍ يحامون عن جهالتهم ويذبّون عن ضلالتهم، وجرت بين بعض من بقي منهم مناظراتٌ وبين بعض متكلمي أهل الإسلام بحضرة الرشيد والمأمون وكان في من يجادل منهم يزدان بخت ويزدا نفروخ وغيرهما، ولهم أخبار عدة، ولعلنا نأتي بما يتفق خروجه لنا من أخبارهم وأخبار ماني اللعين صاحبهم الضالّ المضل لهم.

[بعض أخبار الخناقين]

ومن عجيب ما بلغنا من أخبارهم ما حدثناه الحسين بن القاسم الكوكبي

---

(١) س: عنق. (٢) س: القتل.

قال حدّثني أبو العباس الهروي أحمد بن محمد قال أخبرني سهل بن صالح الأصبهاني الكاتب قال: أخذ النخشبيُّ بالبصرةِ رجلًا يخنقُ الناسَ ولا يسلبهم ثيابهم فقال له: ويلك ولم تفعل هذا؟ إذا كنتَ لا ترغبُ في ثياب الرجل وماله فلم تقتله؟ فقال له: ويلك أما أولُ ذلك فإني أُلحق المخلوقَ بالخالق، والثانية[1] أن هذه الأرواح محتبسة[2] في هذه الأجساد[3] فأخلِصّها تلحق بالهيولى والصفا، قال: فلم لا تخلّصُ نفسك أنت؟ قال: أخلّصُ مائةَ نفسٍ أحبّ إليَّ من أن أخلّص نفساً واحدة، على أن نفسي لا بدَّ لها من مخلّص، ونفسي نفسٌ طاهرة وأنفسُ هؤلاء قذرة، وأيضاً يخفُّ عنا السَّفِلُ ولا يزاحمونا في الأمور، ويطيب الهواء وتتسع الديار وينقطع الغبار. وبعد فكلُّ من كان من أهل الخير ألحقتُهُ بالخير الذي له في الآخرة، وأيضاً إن كان الإنسان في هذه الدنيا[4] في ضيق أرحتُهُ منه، وان كان فاسدَ الكيموس أرحته، وإن كان سفلةً أرحتُ الكرام من معاشرته، فأمر بضرب عنقه.

قال القاضي رحمه الله: في هذا الخبر «السَّفِلُ» «وَسَفِلة» على كلام العامة، والصواب: فلان من السَّفِلة.

[أبو شاكر الديصاني]

وقد حكي لنا عن أبي شاكر الديصاني - والديصانية ضرب من الثَّنوية - أنه اشترى كارةَ دقيقٍ وحملها على رأس رجل شيخ، فلما صار إلى داره سألَ الحمَّال عن سِنِّه ورأى ضعفَ جسمه، فأخبره بسنٍّ عاليةٍ، وسأله عن عياله

---

(١) م س: والثاني.
(٢) س: محبسة.
(٣) س: الأجسام.
(٤) س: الدار.

ومعيشته فذكـر له سـوءَ حالـه وكثرةَ عيـاله، فقـال: لقد رحمتُـكَ ورققتُ لك، وأريدُ أن أذبحك وأميط الشقاءَ عنك، فـأضجعه فـذبحه. ونحن نعـوذ بالله من الخذلان ونسأله أن يوفّقنـا لما وفق لـه أولياءَهُ من أهـل الايمان. وقـد كان من المهديّ ما يجازيه الله تعالى بحسن نيته فيه ويجزلُ مَثُوبته عليه.

المجلس السبعون

[سفيان يدلّس في الحديث]

أخبرنا المعافى حدّثنا محمد بن مخلدٍ بن حفص العطار قال حدّثنا عبد الله بن عمر بن حبيبٍ أبو رفاعة قال حدّثنا إبراهيم بن بشار الرمادي قال حدّثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد قال: كان النبي ﷺ لا يبيّت مالاً ولا يقيّله. قال رجل يا أبا محمدٍ سماعاً من عمرو؟ قال: ابن جريج عن عمرو بن دينار قال: سماعاً من ابن جريج؟ قال: ويحك لِمَ تفسده؟ قال: سماعاً من ابن جريج؛ قال: أبو عاصم النبيل عن ابن جريج، قال: سماعاً من أبي عاصم؟ قال: ويحك لم أفسدته؟ قال: سماعاً من أبي عاصم؟ قال: حدَّثنيه علي بن المديني عن أبي عاصم.

وحدّثنا الليث بن محمد بن الليث المروزي قال: سمعت ابن ناجية يقول سمعت عبد الله بن هاشم يقول حدّثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، قلت له: سماعاً من عمرو بن دينار؟ قال: ويحك لا تفسده، حتى كرَّرْتُ عليه ثلاثَ مرات، قال: حدّثني ابن جريج عن عمرو بن دينار.

قال القاضي رحمه الله: وهذا مما دلَّسه سفيان بن عيينة. وقد ذكرنا في بعض ما تقدَّم من مجالسنا هذه بعضَ ما وقع إلينا فيه من الأخبار تدليسٌ،

وذكرنا أنّ خبر المدلّسِ مقبولٌ غيرُ مردودٍ إذا كان عدلاً ولم يكن في ما يخبر به ما يوجِبُ توهينه، وأنَّ الشافعيَّ ومَنْ وافقه كانوا لا يرون خبرَ المدلّس حُجَّةً إلا أنّ يقول حدّثنا أو أخبرنا أو سمعت؛ وقد حدثنا الليث بن محمد بن الليث المروزي قال سمعت عبد الرزاق بن محمد المعدّل الفارسي قال سمعت محمد بن عيسى بن زيد الطرسوسي يقول، سمعتُ أبا حفص الفلاس يقول، سمعت ابن عيينة يقول: نخطئ ونصحّفُ وندلِّسُ ولا نكذب.

[أبو النشناش النهشلي]

حدّثنا محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: كان أبو النشناش النهشلي من ولد مخربة بن أبير بن نهشل - وأم أبي جهل والحارث ابني هشام أسماءُ بنت مخربة - وكان أبو النشناش يُصيبُ الطريقَ، فطُلِبَ فخاف وأنشأ يقول[1]:

وسائلةٍ أين ارتحالي وسائلٍ ... ومَنْ يسأل الصعلوكَ أين مذاهبُهْ
ودويّةٍ تيهاءَ يُخْشَى بها الردى ... سرت بأبي النشناش فيها ركائبه
ليدرك ثأراً أو ليكسبَ مغنماً ... جزيلاً وهذا الدهر جمٌّ عجائبه
إذا المرءُ لم يَسْرَحْ سواماً ولم يُرِحْ ... سواماً ولم تعطفْ عليه أقاربه
فللموتُ خيرٌ للفتى من قُعودِهِ ... عديماً ومن مولىً تدبُّ عقاربه
ولم أر مثلَ الفقر ضاجَعَهُ الفتى ... ولا كسوادِ الليل أخفقَ صاحبه
فمتْ معدماً أو عشْ كريماً فإنني ... أرى الموتَ لا ينجو من الموتِ هاربه
ودعْ عنك مولى السوءِ والدهرَ إنه ... ستكفيه أيامٌ له[2] ونوائبه

---

(١) شعر أبي النشناش في الحماسة (شرح التبريزي) ١: ١٦٦ والأصمعيات: ١١٨ وانظر عيون الأخبار ١: ١٣٧ وتاج العروس (نشنش) والحماسة البصرية ١: ١١٢ والأغاني ١٢: ١٦٨.

(٢) ويروى: ستكفيكه أيامه (وهو أدق).

وتلقى عدواً مرَّة فيردُّهُ   إليك وتلقاهُ وقد لانَ جانبه

فأُنْشِدَ عبد الملك هذه القصيدة فلما سمع قوله: « ولا كسواد الليل أخفقَ صاحبه » قال: لصٌّ وربِّ الكعبة، وأمر بطلبه فَطُلِبَ فأَعْجَزَ.

[شرح لبعض ما جاء في الأبيات]

قال القاضي رحمه الله: **قوله** «يَسْرَح سواماً » يعني الغدوّ بالماشية إلى المسرح إلى الرعي. « ولم يرح » يعني الرواح(٢) إذا أراحت من المرعى قال الله تعالى وذكر إنعامَهُ على خلقه بما سخَّره لهم من الأنعام ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (النحل: ٦) وقوله: « فإنني أرى الموتَ لا ينجو من الموتِ هاربه » فأتى بالموت ثانياً بالاظهار في الموضع الذي بابه الاضمار لتقدّم اسمه ظاهراً، لإقامة وزنِ الشعرِ، ولو أتى به في منثورِ الكلام لكان أظهر، ونحو هذا أن تقول: فإنني أرى الموتَ لا ينجو منه هاربه، وقد أتى مثلُ هذا كثير في الشعر، من ذلك قولُ الشاعر(١):

لا أرى الموتَ يسبقُ الموتَ شيءٌ   نَغَّصَ الموتُ ذا الغنى والفقيرا

وقال آخر:

إذا الوحشُ ضمَّ الوحشَ في ظُلُلاَتها   سواقطُ من حرٍّ وقد كان أظهرا

وقد قال الله تعالى ذكره: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ (آل عمران: ١٠٩) وقال جل ثناؤه: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (النور: ٤٢) فحمله قوم على أنه جاء على هذا لأن الاظهارَ فيه والاضمارَ واحد، وليس الأمر على ما ذهبوا إليه،

---

(١) هو عدي بن زيد (أو ابنه سوادة) انظر سيبويه ١ : ٣٠ والخصائص ٣ : ٥٣ وأمالي ابن الشجري ١ : ٢٤٣، ٢٨٨ والخزانة ١ : ١٨٣، ٢ : ٥٣٤، ٤ : ٥٥٢.

وإنما أتى الاظهار هاهنا لتعظيم القصة، ولما في إعادة ذِكْرِ الموتِ بالاسم الظاهر من التخويف والحضّ على الاعتبار والمراعاة والإذكار، وقد قال الله جل وعز في موضع آخر: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾ (هود: ١٢٣) فأعاد على الاسم الظاهر اسماً مضمراً على أصل الباب وظاهره؛ ومن قال لقيت زيداً فأكرمتُ زيداً لم يقل لقيتُ زيداً فأكرمت أبا عبد الله، وهي كنية زيد، لأنه مشكل لا دلالة له فيه تنفي اللبسَ عنه.

[المعرفة تنفع عند الكلب العقور]

حدّثنا يزداد بن عبد الرحمن بن يزداد المروزي الكاتب قال حدّثنا أبو موسى عيسى بن إسماعيل البصريّ المعروف بتينة قال حدّثني التوزي عن سفيان بن عيينة قال: عرض المغيرةُ بن شعبة الجند بالكوفة فوجدهم أربعة آلاف، فمرَّ به شابٌّ من الجند فقال: يا غلام زدْ هذا في عطائه كذا وكذا، قال: فقام شابٌّ كان إلى جانبه فقال: أصلحك الله هذا ابنُ عمّي لحّاً ليس له عليّ فضيلةٌ في نَسَبٍ ولا نجدةٍ فألحقني به، قال: لا، قال فَمُرْ مَنْ يحطُّ من عطائي ليظن من حضر أن بك عليَّ موجدة، قال: لا، إن أبا هذا كانت بيني وبينه مودَّةٌ وكان صديقاً لي وإنَّ المعرفة تنفعُ عند الجمل الصؤول والكلب العقور فكيف بالرجل ذي المروءة والحسب؟

[الربيع بن خثيم وصديقه العابد]

حدّثنا علي بن محمد بن الجهم أبو طالب الكاتب قال حدّثنا أحمد بن يحيى السوسي قال حدّثنا علي بن عاصم عن أبي الأصبغ قال: كان رجلٌ من هَمْدانَ في الكوفة يذكر بعبادةٍ، فلزم بيته وترك الناسَ، وكان لا يخرج من بيته إلا لصلاةٍ مكتوبة أو حَقٍّ يلزمه لا يجدُ منه بُدّاً، وكان صديقاً للربيع بن خثيم، والذي بينهما حسن، لا يأتيان أحداً إلاّ أحدهما لصاحبه، قال: وكان الهمدانيُّ لا ينامُ من الليل إلا قليلاً، فنام ساعته التي كان ينام فيها، فأتاه

آت في منامه فمغثه مغثاً شديداً وقال له: إيتِ الربيعَ بن خثيم فقل له: إنّكَ من أهل النار، ثم تنحّى عنه فانتبه الهمداني فتعاظمه ذلك وقال: الربيع بن خثيم؟! قال: فلم يأته وأبطأ عنه، قال ثم أتاه في الليلة الأخرى وهو نائم فمغثه مغثاً شديداً فقال: ألم أقل لك أن تأتي الربيع بن خثيم تقول له إنك من أهل النار؟ لئن لم تَفْعَلْ لأفعلنَّ بك ولأفعلنّ، ثم تنحى عنه فانتبه الهمداني وقد تعاظمه ذلك، وقال: الربيع بن خثيم؟! قال: فلم يأته وأبطأ عن الربيع قال: فلما كانت الليلة الثالثة أتاه فمغثه مغثاً شديداً فقال: لئن لم تفعل لأفعلنَّ بك ولأفعلنّ، وتنحى عنه فانتبه الهمدانيّ وقد تعاظمه ذلك، فلما أصبح ورأى الربيع بن خثيم أنه قد أبطأ عنه أتاه فدخل عليه فسلَّم عليه فرآه متثاقلاً عنه، فقال: يا أخي مالك؟ قال: خير، قال: مالك؟ أخبرني، فأخبره ما لقي منه تلك الليالي الثلاث وبما أمره، قال الربيع: إنا لله وإنا إليه راجعون، يا أخي، إنما هذا الشيطان، فأعيذك بالله ونفسي من الشيطان، وتَفَلَ الربيعُ عن يساره ثلاثَ تَفَلاتٍ وتعوَّذَ بالله من الشيطان، ثم رجع إلى منزله، فلما كانت الليلة المقبلة قام الهمداني في ساعته التي كان ينام فيها وقد قويَ بعضَ القوّة مما سمع من الربيع، فإذا هو قد أتاه آتٍ في منامه بيده ساجورُ كلبٍ أسود، في وَجْهِ الكلبِ ثلاثُ جراحاتٍ، قال له: أتدري من أنا؟ قال: لا، قال: فهل تدري من هذا الكلب؟ قال: لا، قال: هذا الشيطان الذي دخل بينك وبين أخيك الربيع بن خثيم، وقد وُكِلْتُ بكما وبهذا إلى أن تموتا لا ينفلت من هذا الساجور، تدري ما هذه الجراحات التي بوجه الكلب؟ قال: لا، قال هي بزقات الربيع بن خثيم عن يساره، قال: فانتبه الهمداني، فلما أصبح غدا على الربيع فأخبره بما رأى فحمد الله وقال: قد أخبرتك أنه من عَمَلِ الشيطان.

[معنى المغث]

قال القاضي رحمه الله: قوله فمغثه مغثاً شديداً أي ناله بمكروه من الجذب والعصر وما أشبهه، ويقال بين القوم مَغْثٌ إذا كان بينهم شرٌّ ومكروهٌ

من الأمر، قال حسان بن ثابت في صفة الخمر[1]:

نُـوَلِّـيهـا الـمـلامـةَ إن أَلَـمَّـتْ إذا مـا كـان مَـغْـثٌ أو لـحـاءُ

[يحب علياً لثلاث]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدّثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور قال حدّثنا العتبي عن أبيه عن أبي بكر الدمشقي[2] أن معاوية بن أبي سفيان قال لخالد بن المعمر السدوسي: إنك لتحبُّ علياً حبّاً مفرطاً، قال: أحبُّه والله لحلمه إذا غضب، وعدله إذا حكم، ووفائه إذا وعد.

قال القاضي رحمه الله: هكذا كان أمير المؤمنين عليه السلام، ولقد فاز من أحبَّه واهتدى من اقتدى به وسلك سبيله.

[سليمان يقرّع يزيد بن أبي مسلم]

حدّثنا محمد بن القاسم الأنباري قال حدّثني أبي قال أخبرني أحمد بن الحارث قال قال المدائني[3]: دخل يزيد بن أبي مسلمٍ كاتبُ الحجاج على سليمان بن عبد الملك، وكان مصفراً، فقال له سليمان: على رجل أجرَّكَ رَسَنَكَ وسلَّطك على المسلمين لعنةُ الله، فقال: يا أمير المؤمنين، رأيتني والأمرُ عني مُدْبِرٌ ولو رأيتني والأمر عليَّ مقبلٌ لاستعظمتَ مني ما استصغرتَ اليوم، قال: فأين الحجاج؟ قال: يجيء يومَ القيامة بين أبيك وأخيك فاجعله حيث شئتَ.

[المأمون يغرم يحيى بن خاقان]

حدّثنا أبو النضر العقيلي قال حدّثني يعقوب بن بنان قال قال أبو العباس

---

(١) انظر الجليس الصالح ٢: ٤٢١.

(٢) العقد ٢: ٢٨٢ والبصائر ٦ رقم: ٦٦٩.

(٣) الخبر في البيان والتبيين ١: ٣٩٥.

ابن الفـرات حدّثني دينـار بن يزيـد بن عبد الله قـال حـدّثني أبي عن يحيى بن خاقان قال: كنتُ كاتبَ الحسن بن سهـل، فقدم المـأمونُ مـدينةَ السـلام فقال لي: يـا يحيى خلوتَ بالسَّـواد ولعبتَ في أموالي واحتجنتهـا واقتـطعتهـا، قـال فقلت: يا أمير المؤمنين إنما أنا كاتبٌ لرجلٍ، والمناظرةُ في الأموالِ والأعمال مـع صـاحبي لا معي، قـال: ما أطلبُ غيـرك، ولا أعرفُ سـواك، فَصَـالِحْنِي على مائة ألف ألف، قال: فضحكتُ، فقال: يا يحيى أجدٌّ وتهزل؟، قلتُ: يا أمير المؤمنين إنما ضحكتُ تعجبـاً، وبالله مـا أملكُ إلاّ سبعمائـة ألف درهم، فكيف أصـالحك على مـائـة ألف ألف؟ قـال دع عنـك وأعطـني خمسين ألف ألف، قال: فما زلت أجـاذبه ويجـاذبني إلى أن بلغ إلى اثني عشر ألف ألف، فلما بلغ إليها قـال: نُفيتُ من الرشيـد إن نَقَصْتُكَ شيئـاً منها، فقلتُ: السمعُ والطاعة، قـال: أقِمْ لي ضميناً إن لم تفِ طـالبتُهُ بهـا، قلت: صاحبي يـا أمير المـؤمنين يضمنني، قـال: أتراني إن دافعتَ بـالاداء أُطالبُ الحسنَ بن سهـل بما عليك؟ هذا ما لا يكون، قال فقلت: عبـد الله بن طاهـر، فقال: عبـد الله سبيلُهُ سبيلُ صاحبك، قلت: فحميد، قال: وهذه سبيله، فقلت: ففرجٌ مولاكَ يا أمير المؤمنين، قال: مليٌّ والله وفيٌّ ثقة، ثم التفت إلى فرج فقال: أتضمنُـهُ يا فرج؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، فقال: إني والله أحرجه بالإلحاح عليه في المـطالبة حتى يهـربَ أو يستتر ثم آخـذك بالمـال فتؤديه لأنـك مليٌّ به، فقـال فـرج: صـاحبي ثقـةٌ وهـو لا يخفـرني إن شـاء الله. قــال يحيى: فكتبتُ إلى الحسن بن سهل وعبدالله بن طاهر وحميد ودينار بن عبدالله وغسان ورجال المـأمون أسـألهم إعانتي في هـذا المـال، قـال: فحملوه إليّ كلَّه عن آخـره، حمـل كلُّ إنسـان منهم على قدره، قـال يحيى: وكتبتُ رقعة إلى المـأمـون[1] أعرّفه أنَّ المالَ قد حضر وأسأله أنْ يأمرَ بقبضه. قال: فأحضـرني، فلما وقعت

(١) م س: إلى المأمون رقعة.

عينه عليّ قال لي: يا خائن الحمدُ لله الذي بيَّنَ خيانتك وأظهر لي كذبك، ألم تذكر أنك لا تملك إلا سبعمائة ألف درهم، فكيف تهيأ لك أن حملت في عشرة أيام اثني عشر ألف ألف(1)؟ قال قلت: حملتها يا أمير المؤمنين من هذه الجريدة، ودفعتُ إليه الجريدة بأسماءِ مَنْ حَمَلَ المالَ ومبلغِ ما حمل كلُّ واحدٍ منهم، قال: فقرأ الجريدةَ ثم أطرق مليّاً ورفع رأسه فقال: لا يكون أصْحابنا أجودَ منّا بهذا المال، قد وهبناه لك وأبرأنا ضمينَك، قال يحيى: فانصرفتُ ورددتُ المالَ إلى أصْحابه فأبوا أن يقبلوه وقالوا: قد وهبناه لك فاصنع به ما أحببت، قال فحلفتُ أن لا أقبلَ منه درهماً واحداً، وقلت لهم: أخذتُهُ في وقتِ حاجتي إليه، ورددتُهُ عند استغنائي عنه، وقَبولي إياه في هذا الوقتِ ضَرْبٌ من التغنم، فرددتُهُ عليهم.

[في «قدر» وجهان]

قال القاضي رحمه الله: « حَمَلَ كلُّ إنسان منهم على قَدره » يجوز أن يكون فيه إسكانُ الدال وفتحها، وهما لغتان يرجعان إلى معنىً واحد، وقد قرأت القرأة ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى المُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى المُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ (البقرة: ٢٣٦) بالتحريك والإسكان وقد أنشد أهلُ العلم بالعربية هذا البيت:

وما صَبَّ رجلي في حديدِ مجاشعٍ مع القَدْرِ إلا حاجةٌ لي أريدها

بمعنى(2) مع القَدَر.

[أبو حرملة الحجام راوية للشعر]

حدّثنا عبد الله بن منصور الحارثي قال حدّثنا محمد بن أحمد بن

---

(1) زاد في س: درهم.
(2) س: يعني.

محمد بن ميمون الكاتب قال حدّثني جدي أبـو الفضل ميمـون بن هارون قال: أراد سليمـان بن وهب أن يـأخـذ من شَعْرِهِ في وقتٍ من الأوقـات، فـطلب أبـا حرملة فلم يجده، ووجـد غلام أبي حـرملة، فأخـذ من شعره، فقبـل أنْ يفرغ جاء أبو حرملة فقال له سليمان: قم يا غلام، أَعْطِ القوسَ باريها، فقال لـه أبو حرملة: تعرفُ يا سيّدي أوّلَ هذا البيت قال: ما أعرف فيه غير هذا، فقال أبـو حرملة أنشد ابن الأعرابي:

يـا باريَ القـوسِ بريـاً ليس يُحْكِمُهُ   لا تُفْسِدِ القوسَ أَعْطِ القـوسَ باريهـا

حـدّثنا عبـد الله بن محمود الكـاتب قال حـدّثنا أبـو علي أسبـاط خليفـة محمـد بن يحيى قـال، قال لي أبـو حرملة: حـذفت عبيد الله بن سليمـان فلمـا فرغتُ قال: أعْطِ القوس باريها، فقلت: أتعرف صَـدْرَ هذا البيت؟ قـال: لا، فأنشدته إياه، فضرب يده إلى الدواة وكتبه، وهو[1]:

يـا باريَ القـوسِ بريـاً ليس يحكمه   أَفْسَـدْتَ قوسـك أعْطِ القوسَ بـاريها

[تعليقات نحوية ولغوية]

قال القاضي في الـرواية الأولى: « تعـرف » من غير حـرف استفهام في الكـلام أو في ما عـطف به عليهـا، وهذا عنـد بعض المحققين من النحـاة[2] خطأ، وقد أجازه كثيرٌ منهم، وأنشدوا فيه أبياتاً منهـا قول عمـر بن عبيد الله بن أبي ربيعة سامحه الله[3]:

---

(١) البيت في البصائر ١: رقم ١٠ وفصل المقال: ٣٩٩ وجمهرة العسكري ١: ٧٦ والميـداني ١: ٣١٣ والشريشي ١: ٢٤٠.

(٢) س: النحويين.

(٣) ديوان عمر: ٦٠.

ثم قــالــوا تحبهــا قــلتُ بهــراً عــددَ الـرَّمْـلِ والحصَى والتـرابِ

وقالوأراد: أتحبها، وأنكر هذا مَنْ قدَّمنا الحكـايةَ عنـه، وقال: هـو خبر وليس باستفهام وغير جائـز الاشراك بين الخبـر والاستخبار، لمـا فيه من فسـاد الكـلام في القياس، ودخـول الاشكال والالتبـاس، وقـد عـاب كثيـرٌ من أهـل المعرفة بـالعربيـة على امـرىء القيس إتيـانه بمثـل هذا في بيت من شعره يقول فيه:

أصـاح تـرى بَـرْقـاً أريـك وميضَـهُ كلمـعِ اليـدينِ في حبيّ مُكَلَّلِ(١)

فقال: ترى والمعنى أترى؛ فأما قوله(٢):

تــروحُ مـن الـحـيِّ أم تـبـتـكـرْ ومــاذا يــضــرُّكَ لـو تــنــتــظرْ

فإنه جائز لأن قـوله: « أم تبتكـر » قد دلَّ على المعنى، ومثله كثيـر، من ذلك قولُ الشاعر(٣):

لعمــركَ مــا أدري وإن كنتُ داريــاً بـسبــعٍ رمـينَ الـجمــر أم بـثـمـانِ

وأمـا قول الشـاعر في البيت الـذي أنشـده أبـو حـرملة: « أعط القـوس بـاريها » فـإنه أنشـدوناه « بـاريها » بتسكين اليـاء التي هي مدة، وهي الـروايـة الجارية على ألسنة خاصَّـة الناسِ وعـامّتهم، وحقيقةُ الاعـراب فيها هـاهنا أن تنصب في الفعل، وقد تسكّن في الشعر تخفيفاً كما قال الراجز(٤):

---

(١) ديوان امـرىء القيس: ٢٤.

(٢) انظر الجليس الصالح ١: ٥٠٥.

(٣) هـو عمر بن أبي ربيعـة، انظر ديـوانه: ٣٩٩ والجليس الصـالـح ١: ٥٠٦ وسيبـويـه ١: ٤٨٥ والمحتسب ١: ٥٠ والخزانة ٤: ٤٤٩ وعبث الوليد: ٥٣.

(٤) هو رؤبة، والشطر في ملحقات ديـوانه: ١٧٩ وبعـده: « أيدي جـوار يتعاطين الـورق »، وانظر الخصـائص ١: ٣٠٦، ٢: ٢٩١ والمحتسب ١: ١٢٦، ٢٨٩ والأمـالي الشجـريـة ١: ١٠٥ والخزانة ٣: ٥٢٩ وقد مرَّ في الجليس الصالح ٢: ٢٦٨.

كأن أيديهن بالقاعِ القَرَقْ

وقال الأعشى(١) :

فتىً لو يباري الشمسَ أَلقتْ قناعَها ... أو القمرَ الساري لأَلقَى المقالدا

وربما أسكنوها وحذفوها في النصب كما قال الشاعر(٢) :

فلو أنَّ واشٍ باليمامة بيتُهُ ... وداري بأعلى حضرموتَ اهتدى ليا

فإذا روي هذا البيت على هذا كان من البسيط الثاني وبيته في العروض(٣) :

قد أَشهدُ الغارةَ الشعواءَ تحملني ... جرداءُ معروقةُ اللحيينِ سُرْحُوبُ

عروضه فعلن وضربه فعل، وعروضه في مصرعه فعلن إلحاقاً له بضربه؛ وإن رواه راوٍ على أصله في تحقيق الإعراب فتح الياء فقال باريهَا وكان إذاً من الضرب الأول من البسيط، وبيته في العروض(٤) :

يا حارِ لا أُرْمَيَنْ منكمْ بداهيةٍ ... لم يلقها سوقةٌ قبلي ولا ملكُ

وإذا روي هكذا استقام إعرابه ووزنُهُ، واستوى عروضه وضربه فكانا معاً فعلن في إطلاقه وتصريفه، إذ ليس بينهما في المطلق اختلافٌ في الزيادة والنقصان فيغير العروض ليلحقَ الضرب به.

---

(١) ديوان الأعشى: ٤٩ والمصون: ٢٣.

(٢) هو المجنون، وبيته في الخزانة ٤ : ٣٩٥ وابن يعيش ٦ : ٥١ وديوانه: ٢٩٤.

(٣) هو لامرئ القيس في ديوانه: ٢٢٥ واللسان (عرق) وعروض ابن جني: ٣٦ والقسطاس المستقيم: ١١٦.

(٤) البيت لزهير في ديوانه: ١٨٠ وعروض ابن جني: ٣٥، ٤١، والقسطاس المستقيم: ١١٥.

[قولة لابن مسمع تضمنت معناها أبيات للبحتري]

حدّثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدّثنا الغلابي قال حدّثنا ابن عائشة قال قال مالك بن مسمع للأحنف(١): يا أبا بحرٍ ما أنتفعُ بالشاهد إذا غبتَ، ولا أفتقد غائباً إذا شهدت.

قال القاضي: لكأن البحتريّ ألمَّ بهذا المعنى(٢):

رحلتَ فلم نَفْرَحْ بأوبةِ آيبٍ … وأُبْتَ فلم نجزع لغيبةِ غائب
قدمتَ فأقدمتَ النهى عمل الرضى … إلى كلِّ غضبان على الدهر عاتب
فعادت بك الأيام زُهراً كأنما … جلا الدهر منها عن خدود الكواعب

[خطبة للمنصور في يوم عرفة]

حدّثنا محمد بن العباس العسكري قال حدّثني أحمد بن يونس بن زهير ابن المسيب قال حدّثت عن إسماعيل الفهري قال: سمعت المنصورَ في يوم عرفة، على منبر عرفة يقول في خطبته(٣): أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسومُكُمْ بتوفيقه ورشده(٤)، وخازنه على فيئه بمشيئته أقسمه بارادته وأعطيه بإذنه، وقد جعلني الله تعالى عليه قفلاً إذا شاء أن يفتحني لاعطائكم وقَسْم أرزاقكم يسَّر لي، وإذا شاءَ أن يقفلني عليه أقفلني، فارغبوا إلى الله تعالى أيها الناس وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم به في كتابه إذ يقول: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً﴾ (المائدة: ٣) أن يوفّقني للصواب

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٧: ١٦ ونقل أيضاً أبيات البحتري.

(٢) ديوان البحتري: ٩١.

(٣) خطبة المنصور في عيون الأخبار ٢: ٢٥١ ونثر الدر ٣: ٨٧ (ط).

(٤) نثر: وتسديده.

ويسدّدني للرشاد، ويلهمني الرأفة بكم والاحسان إليكم، ويفتحني لاعطائكم وقَسْم أرزاقكم بالعدل عليكم فإنه سميع مجيب.

[جعفر بن محمد يعلم نصر بن كثير والثوري ما يقولونه في الحج]

حدّثنا محمد بن جعفر بن أحمد بن يزيد الطبري قال حدّثنا أبو أحمد جعفر بن محمد الجوهري قال حدّثنا عبيد بن إسحاق العطار قال حدّثنا نصر بن كثير قال: دخلت على جعفر بن محمد عليهما السلام أنا وسفيان الثوري منذ ستين سنة أو سبعين سنة فقلت له: إني أريد البيتَ الحرام فعلّمني شيئاً أدعو به، قال: إذا بلغتَ البيتَ الحرام فضع يدَكَ على حائطِ البيت ثم قُلْ: يا سابقَ الفَوْت، ويا سامع الصوت، ويا كاسيَ العظام لحماً بعد الموت، ثم ادع بعده بما شئت؛ فقال له سفيان شيئاً لم أفهمه، فقال عليه السلام: يا سفيان أو يا أبا عبد الله، إذا جاءك ما تحبُّ فأكثر من الحمد لله وإذا جاءكَ ما تكرهُ فأكثر من قول لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله وإذا استبطأتَ الرزقَ فأكثر من الاستغفار.

[دعاء جعفر يردده الجريري ويكتبه الطبري]

قال القاضي: كنت منذ سنين كثيرة دعوتُ الله عز وجل وقلت يا سابق الفَوْتِ، وقلتُ في وقتٍ آخر: يا سابق كلّ فَوْتٍ، وكان عندي أنه شيء خطر لي ولم أكن ذاكراً لهذه الرواية ولا عالماً بها في الوقت، فاستحسنت هذه الدعوة ثم وجدتها عندي في ما سمعتُهُ وكتبته ورويته. وحكى لي بعض بني الفرات عن رجلٍ منهم، أو من غيرهم، أنه كان بحضرة أبي جعفر الطبري رحمه الله قبل موته وتوفي بعد ساعة أو أقلَّ منها، فذكر له هذا الدعاء عن جعفر بن محمد عليهما السلام فاستدعى محبرةً وصحيفةً فكتبها، فقيل له أفي هذه الحال؟ فقال: ينبغي للإنسان أن لا يدَعَ اقتباسَ العلمِ حتى يموت.

المجلس الحادي والسبعون

[حيونا نحييكم]

أخبرنا المعافى حدّثنا أحمد بن عبد الله صاحب أبي صخرة قال حدّثنا مصعب بن عبد الله يعني الواسطي قال حدّثنا خالد بن مخلد قال حدّثنا يزيد بن عبد الملك قال أخبرني يزيد بن خُصَيفة عن أبيه عن السائب بن يزيد قال(١): لقي النبي ﷺ جواري يتغنين يقلن: «حيُّونا نحييكم» فوقف النبي ﷺ بهن ثم دعاهنَّ فقال: لا تقلنَ هكذا، قلن: حيَّانا الله وحيَّاكم، فقال رجلٌ: يا رسولَ الله تُرَخِّصُ للناس في هذا؟ قال: نعم، إنه نكاحٌ لا سفاح، أشيدوا بالنكاح.

[أي غناء فيه رخصة]

قال القاضي: وقد ذكرنا في غير موضع من كتبنا غناء النَّصْبِ وما جاء

(١) قد ورد عن الرسول أنه قال حين أهديت فتاة أنصارية إلى زوجها: إن الأنصار قوم فيهم غزل فلو بعثتم معها من يقول: أتيناكم أتيناكم، فحيونا نحييكم (ابن ماجه ١ : ٦١٣) وأنه كان يكره نكاح السر حتى يضرب بدف ويقال: أتيناكم أتيناكم، فحيونا نحييكم (مسند أحمد ٤ : ٧٨) فأما حديث السائب على هذا الوجه الذي أورده القاضي فلم أجده.

فيه من الرُّخْصة عن النبيّ ﷺ وعن الأئمة بعده من الصحابة رضوان الله عليهم وحظر ما فيه ترجيعٌ وتمطيط، وأن ذلك منهيٌّ عنه في تلاوة القرآن وغيرها، وذكرنا ما أمر به النبيّ ﷺ من الضرب في النكاح بالدفّ، وأنه قال: أعلنوا النكاحَ واضربوا عليه بالدف. ورخّص في هذا في عُرُساتِ المسلمين ومواطنِ مسارِّهم، وأنه في النكاح سنّةٌ لا ينبغي تركها. وقوله: «أشيدوا بالنكاح» معناه أظهروه وأعلنوه. وقد ذهب مالك في من وافقه من أهل المدينة إلى أن نكاح السرِّ باطل؛ وحضرني بعد إثباتي هذا الخبر خبرُ إسماعيل بن جامع مع الرشيد فرأيت أن أرسمه هاهنا إذ هو مما يستحسنه ويصغي إلى استماعه ذوو الفضل من الأدباء، وينشط للوقوف عليه أولو الحجى من الرؤساء.

[خبر ابن جامع في مجلس الرشيد]

حدّثنا أبو النضر العقيلي قال حدّثنا يعقوب بن نُعَيم الكاتب، قال حدّثني محمد بن ضَوْء[١] التيميّ قال سمعتُ إسماعيل بن جامع السهمي يقول[٢]: ضمَّني الدهر ضماً شديداً بمكة، فانتقلتُ منها بعيالي إلى المدينة، فأصبحتُ يوماً لا أملك إلا ثلاثةَ دراهم، فخرجت وهي في كمي، فإذا بجاريةٍ حُمَيراءَ على رقبتها جَرَّةٌ تريد الركيَّ، تمشي بين يديَّ وتترنم بصوتٍ شجيٍّ تقول فيه:

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا فقالوا لنا ما أَقْصَرَ الليل عندنا
وذلك أنَّ النوم يَغْشَى عيونهم سراعاً وما يَغْشَى لنا النومُ أعينا
إذا ما دنا الليلُ المضرُّ بذي الهوى جَزِعْنَا وهم يستبشرون إذا دنا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثلَ ما نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

---

(١) الأغاني: ضوين.

(٢) الأغاني ٦: ٢٩٢ - ٢٩٩ وأورد السراج ٢: ٢٣٤ الحكاية موجزة وذكر أنه أوردها قبل ذلك في أثناء كتابه (ولم أجدها فيه).

فوالله ما دار لي منـــه حرفٌ واحـــدٌ فقلـــت لهـــا: يا جارية ما أدري أوجهك أحسن أم صوتك أم جرمك، فإن شئت أعدتيه عليَّ، فقالت: حباً وكرامة، ثم أسندتْ ظهرها إلى جدارٍ كان بالقرب منها ورفعت إحدى رجليها فوضعتها على ركبتها وحطَّت الجرَّة فَوضعتها على ساقها واندفعت تغني بأحسن صوتٍ، فوالله ما دار لي منه حرفٌ واحدٌ، فقلت لها: لقد أحسنتِ وتفضَّلْتِ فلو شئت أعدْتيه مرةً أُخرى، فقطَّبت وكلَحت وقالت: ما أعجبَ هذا، أحدكم يجيءُ إلى الجارية عليها ضريبةٌ فيقول لها: أعيدي مرةً بعد أُخرى، فضربتُ يدي إلى الثلاثة الدراهم فدفعتها إليها وقلت لها: أقيمي بهذا وجهك اليوم إلى أن نلتقي، فأخذتها شبه المتكرهة ثم قالت: الآن تريدُ أنْ تأخذَ عني صوتاً أحسبك تأخذ عليه ألفَ دينارٍ، وألفَ دينارٍ وألفَ دينارٍ، ثم انبعثت تغني وأعملتُ فكري في غنائها فدار لي الصوتُ وفهمته، وانصرفتُ به مسروراً إلى منزلي أُرَدِّدُهُ على نفسي حتى خفَّ على لساني، ثم أقبلتُ أريد بغداد، فأنزلني المكاري على باب المحوَّل، فدخلت لا أدري أين أتوجَّه ولا مَنْ أقصد، وانتهى بي الناس إلى الجسر، فعبرتُ في مَنْ عبر حتى انتهوا بي إلى شارع الميدان عند دار الفضل بن الربيع، فرأيت هناك مسجداً مرتفعاً فقلتُ: هذا مسجدُ قوم سَراةٍ، وحضَرتِ المغربُ فصعدتُ المسجد فما لبثت أن جاء المؤذن فأذَّنَ وأقام وصلَّيت، وانصرف الناسُ وأقمتُ مكاني إلى أن رجع المؤذن فأذَّن وأقام، وصليتُ مع الناس على تعبٍ وجوع، وانصرف الناس وبقي رجلٌ يصلّي مليّاً وخلفه جماعةٌ من الخدم والفحولة ينتظرونه، فلما فرغ من صلاته انصرف إليَّ ببدنه كلِّه فقال: أحسبك غريباً، قلت: أجل، قال: متى كنتَ بهذه المدينة؟ قلت: آنفاً دخلتها، وليس لي بها معرفة، وليست صناعتي من الصنائع التي يُمَتُّ بها إلى أهل الخير، قال: وما صناعتك؟ قلت: الغناء، فوثب مبادراً ووكل بي رجلاً، فقلت للموكل بي: من هذا؟ قال: أوما تعرفه؟ هذا سلام الأبرش [قال: وإذا رسول قد جاء في طلبي]

ثم مشينا حتى انتهى بي إلى قصرٍ من قصور الخلافة وجعل يجاوز بي مقصورةً بعد مقصورةٍ إلى أن دخلنا مقصورةً في آخر الدهليز، فدعا لي بالطعام، فأُتيتُ بمائدةٍ عليها من كلِّ شيء، فأقبلتُ على أكلي حتى تراجعتْ إليّ نفسي، وسمعت ركضاً في الدهليز، فإذا إنسان يقول: أين الرجل، أين الرجل؟ فقيل: هاهوذا، فقال يدعى له بغسول وطيب وخلعةٍ، فَغُلِّفْتُ وخُلِعَ عليَّ وأخذ الرجلُ بيدي فحملني على دابةٍ وأتى بي منزلَ الخليفة فاستدللتُ على ذلك بالحرس والتكبير والنيران، فما زال يدخلني من دار إلى دار إلى أن دخلتُ إلى دارٍ قَوْراءَ وإذا فيها أسرَّة مضافٌ بعضها إلى بعض، فلما انتهيتُ إلى الأسرَّة أمرني بالصعود فصعدت، وإذا رجلٌ جالسٌ على يمينه ثلاث جوارٍ في حجورهنّ العيدان، وإذا في حِجْرِ الرجلِ عودٌ فسلَّمت فرَحَّبَ بي وأمرني بالجلوس فجلست، وإذا مجالسُ خاليةٌ قد كان فيها قومٌ فقاموا عنها، فما لبثت أن خرج خادمٌ من وراءِ الستر فقال للرجل: تَغَنَّهْ، فاندفع يغني بصوتٍ لي يقول فيه(١):

لم تمشِ ميلاً ولم تركبْ على جَمَلٍ ولم ترَ الشمسَ إلا دونها الكللُ
تمشي الهوينا كأن الشوك يحبسها مَشْيَ اليعافير في جيئاتها الوجل

فوالله ما أحسن الغناءَ، ولقد غنَّى بغير إصابةٍ وأوتارٍ متنافرة ودساتين مختلفةٍ، ثم عاد ذلك الخادم إلى الجارية التي تلي الرجلَ فقال لها: تغنَّيْ فانبعثت تغني بصوت لي كانت فيه أحسنَ حالاً من الرجل تقول فيه(٢):

يا دارُ أضحتْ خلاءً لا أنيسَ بها إلا الظباءُ وإلا الناشطُ الفَرِدُ

---

(١) ذكر أبو الفرج صاحب الأغاني (٦: ٣٠٠) أن الشعر للأعشى من قصيدته: ودع هريرة... وليس هو فيها، وقد ورد الأول في ملحقات ديوانه (رقم: ١٨٣) والثاني في التعليقات (ص: ٢٢٩).

(٢) لم ينسبهما الأصفهاني لشاعر بعينه.

أين الذين إذا ما زرتهم جذلوا وطار عن قلبيَ التَّشْوَاقُ والكَمَدُ

ثم عاد الخادم إلى الجارية الثانية فقال لها: تَغَنَّيْ فانبعثت تغني بصوت حكم الوادي تقول فيه(١):

فوالله ما أدري أيغلبني الهوى إذا جدَّ وشكُ البينِ أم أنا غالِبُهْ
فإن أستطعْ أغلبْ وإن يغلبِ الهوى ففي دون ما لاقيتُ يُغْلَبُ صاحبه

ثم عاد الخادم إلى الجارية الثالثة فقال لها: تَغَنَّيْ فغنت بصوت لحنين تقول فيه(٢):

مـررنـا على قيسيـةٍ عـامـريّـةٍ لها بَشَرٌ صـافي الأديم هجانِ
فقالت وألقتْ جانبَ السّجفِ دونها من آيَّـةِ حيٍّ أو مَنِ الرجلان
فقلت لهـا أما تميمٌ فـأسـرتي هُـديتِ وأما صـاحبـي فيمانـي
رفيقان ضمَّ السفر بيني وبينـه وقـد يلتقي الشتَّى فيـأتلفـان

قال فعاد الخادم إلى الرجل فقال له: تغنَّهْ، فغنَّى بصوتٍ لي شبَّه فيه، والشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناءُ للغريض يقول فيه(٣):

أمسى بأسماءَ هذا القلبُ معمودا إذا أقـولُ صحا يعتـادُهُ عيـدا
كأنّ أحورَ من غزلانِ شيهمةٍ(٤) أعارها شَبَهـاً خدَّيْـهِ(٥) والجيدا
قامتْ تراءى وقد جدَّ الرحيلُ بنا لتنكأ القرحَ من قلبٍ قد اصطيدا

---

(١) في الأغاني (٦: ٣٠٢) ان الشعر لابن ميادة، وانظر شعر ابن ميادة: ٢١.
(٢) وردت الأبيات في جذوة المقتبس: ١٧٣ ـ ١٧٤ (بغية الملتمس رقم: ٦٠٢) والذخيرة ٤: ١٢٥ ومعجم الأدباء ٧: ١٤٧ (باختلافات في الرواية).
(٣) ديوان عمر: ١٠٠.
(٤) الديوان والأغاني: غزلان ذي بقر.
(٥) الديوان: أهدى لها شبه العينين، الأغاني: اعارها شبه العينين.

بمشرقٍ كشعاع الشمس بهجتُهُ[١] ومسبكِـرٍّ على لبـاتها سـودا

ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تليه فقال لها: تغنَّيْ، فغنت بصوتٍ لحكم الوادي يقول فيه[٢]:

تعيَّرنا أنّـا قليلٌ عـديدُنَـا فقلتُ لهـا إنَّ الكـرامَ قليــلُ
ومـا ضرَّنـا أنا قليـلٌ وجارنـا عـزيـزٌ وجـارُ الأكثـرين ذليـلُ
وإنّا لقومٌ ما نرى القتلَ سُبَّةً إذا كـرهتـه[٣] عـامرٌ وسلـول
يقرِّبُ حبُّ الموتِ آجالَنا لنـا وتكـرهـه آجـالـهم فـتـطـول

وتغنَّت الجارية الثانية عند قول الخادم لها تغني:

وَدِدْتُكَ لما كـان وُدُّكَ خالصـاً وأعرضتُ لما صار[٤] نهباً مقسما
ولن يلبثَ الحوضُ الوثيقُ[٥] بناؤه إذا كثـر الـورَّادُ أن يتهـدَّما

وتغنَّت الثالثةُ بشعر الخنساء بنت عمرو بن الحارث في أخيها صخر[٦]:

ومـا كرَّ إلا كـان أولَ طاعنٍ ولا أبْصَرَتْهُ العينُ إلا اقشعرَّتِ
فيدرك ثأراً ثم لم يخطه الغنى فمثلُ أخي يوماً به العينُ قَرَّتِ
وإن طلبـوا وِتْراً بـدا بِتِراتـهم ويضربهم شزراً[٧] إذا الخيلُ وَلَّتِ

---

(١) الديوان: بازغة.
(٢) الشعر للسموأل بن عادياء، انظر الحماسة (شرح التبريزي) ١: ٤٥ والمرزوقي ١: ١١٠ والزهرة ٢: ١٧١ وديوان السموأل (صادر): ٢٠ وتنسب أحياناً لعبد الملك الحارثي ولعبد الرحمن القيني.
(٣) س والأغاني: إذا ما رأته.
(٤) س والأغاني: صرت.
(٥) الأغاني: الجديد.
(٦) أنيس الجلساء: ٨ - ٩.
(٧) ب: ويصبر يحميهم.

فلستُ أُرَزّا بعـــده بــرزيــةٍ   فــأذكــرَهُ إلا سَـلَتْ وتـجـلَّتِ

وكان غناءُ الرجل في الدَّوْرِ الثالث [١]:

لحا الله صعلوكاً يبيتُ وهمُّـهُ   من الدهر أن يَلْقَى لَبُوساً ومطعما
ينامُ الضحى حتى إذا نومُهُ استوى   تنبَّــهَ مَسْلُوبَ الفؤادِ مُــوَرَّمــا
ولكنَّ صعلوكــاً يســاور همَّــهُ   ويمشي على الهيجاءِ ليثاً مصمّما
فـذلك إن يلقَ المنيـة تَلْقَهُ[٢]   كريماً وإنْ يستغنِ يوماً فـربما

وكان غناءُ الجاريةِ في الدور الثالث بشعر لحاتم يقول فيه[٣]:

إذا كنتَ رباً للقَلوصِ فلا تدعْ[٤]   رفيقَكَ يمشي خلفَها غيرَ راكبِ
أنخهـا فـأرْدِفْـهُ فـإن حملتكمـا   فذاك وإن كان العقابُ فعاقب

وكان غناء الجارية الثانية في الدور بشعر عمرو بن معدي كرب[٥]:

ألم ترَ لما ضمَّني البلدُ القفرُ   سمعتُ نداءً يصدعُ القلبَ يا عمرو
أغثنـا فـإنــا معشـرٌ مــذحجيـةٌ   نزار على وَفْرٍ وليس لنـا وفر

وكان غناء الثالثة بشعرٍ لعمر بن أبي ربيعة والغناء فيه للغريض[٦]:

فلمـا تلاقينـا وسلَّمتُ أشـرقت   وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تتقنعا
تبـالهن بـالعـرفـانِ لمــا رأينني   وقلن امرؤٌ باغٍ أكَـلَّ وأوضعا

---

(١) ديوان حاتم: ٢٣٩ ـ ٢٤٠.
(٢) الأغاني: الكريهة يلقها.
(٣) ديوان حاتم: ٢٠٥.
(٤) د والأغاني: يكن.
(٥) ديوانه: ١٠٨.
(٦) ديوان عمر: ٢٢٨.

فلما تواضعنا[١] الأحاديثَ قلن لي أخِفْتَ علينـا أن نُغرَّ ونُخْـدَعا

قال فقلت في نفسي: أيَّ شيء أنتظر؟ يجيء الخادمُ الساعةَ يطالبني بمثل ما طالب به أصحابي، فقلت للرجل: بأبي أنت خذ العودَ إليك وشدَّ وتر كذا وارفع الطبقة وغيّر وتر كذا وحطَّ دستان كذا، فعلم ما أريد فوزنه، فلم ألبث أن خرج الخادم فقال لي تغنَّه، عافاك الله، فانبعثتُ أغني بصوت الرجل الأوَّل على غير ما غنَّى به فإذا بنحوٍ من خمسين أو ستين خادماً يحضرون حتى استندوا إلى الأسرّة ثم قالوا: ويحك لمن هذا الغناء؟ قلت: لي، فانصرفوا عني بتلك السرعة، فخرج إليَّ الخادم فقال: كذبتَ هذا الغناءُ لابن جامع، فسكتُّ، ودار الدورُ فلما انتهى إليّ خرج الخادم فقال تغنَّهْ، فقلت للجارية التي تلي الرجل: خذي العود فانبعثتُ أغنّي صوتها، فخـرجتِ الجماعةُ من الخدم فقالوا: ويحك لمن هذا؟ فقلت: لي، فمضوا ورجع الخادم فقال لي: كذبتَ، هذا لابن جامع. فأمسكتُ عنه ودار الدور، فلما بلغ إليَّ خرج الخادمُ فقال: تَغَنَّهْ، فقلت في نفسي، وقد شربت وقويت مُنَّتي: ما أنتظر؟ فاندفعتُ أغنّي بصوتٍ لا يُعْرَفُ إلاَّ بي[٢]:

عــوجي عليَّ فسلّمي جَبْـرُ فيم الـوقـوفُ وأنتم سَفْـرُ
مــا نلتقي إلا ثـلاثَ منىً حتى يُفَــرِّقَ بيننـا الـنَّفْـر

قال: فتزلزلـت والله عليهـم الـدار، وخـرج الخـادم فقـال: ويحـك، لمن هذا؟ فقلت: لي، قال: فرجعوا فقالوا: هذا لابن جامع، فقلت: أنا إسماعيل ابن جامع، قال: فما شعرتُ إلا وأمير المؤمنين وجعفر بن يحيى قد أقبلا من وراء الستر، فلما صعدا السرير وثبتُ على قدميّ، فابتدأني أميرُ المؤمنين

(١) الديوان والأغاني: تنازعن.
(٢) الشعر للعرجي، انظر ديوانه: ٤٢، ٤٣.

فقال: أَبنُ جامع؟ فقلت: ابن جامع جعلني الله فداكَ يا أمير المؤمنين، قال: ويحك متى كنتَ في هذه المدينة؟ قلت: آنفاً دخلتها في الوقت الذي علم بي أمير المؤمنين قال: اجلس ويحك يا ابنَ جامع، وجلس أمير المؤمنين وجعفر بن يحيى في بعض تلك المجالس الفرّغ وقال لي: يا ابنَ جامع، أبشرْ وابسط أملك، فدعوتُ له دعواتٍ ثم قال: غنِّ يا ابنَ جامع، قال: فخطر بقلبي صوتُ الجارية المدينية، فقلتُ للرجل: أصلحْ عودك وارفَعْ طبقته، قال: فعلم ما أريد فوزن العودَ وزناً، وتعهدته حتى استقامتِ الأوتار وأخذت الدساتينُ مواضعها، وانبعثتُ أغنّي بصوتِ الجارية الحميراء، فنظر أمير المؤمنين إلى جعفر بن يحيى فقال له: أسمعتَ كذا قط؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين ما سمعتُ ولا خرق سمعي مثلُهُ قط، ولا ظننتُ أنّ الله عز وجل خلق على وجه الأرض مثلَ ما أسمع، قال فرفع الرشيدُ رأسه إلى خادم بالقرب منه فقال له: كيسٌ فيه ألف دينارٍ قال: فمضى الخادمُ فلم يلبثْ أن عاد بكيسٍ فيه ألفُ دينارٍ، فصيّرْتُهُ تحت فخذي ودعوتُ لأمير المؤمنين، فقال لي: يا ابن جامع ردَّ على أمير المؤمنين هذا الصوتَ، فرددته وتزيدت في غنائي وأعانني على ذلك استواءُ الأوتار، قال: فنظر جعفر إلى أمير المؤمنين فقال: يا سيدي أما تسمعه كيف يتزايد[1] في الغناء؟ هذا خلاف الذي سمعنا أولاً، على أن الأمر فيه واحد، قال: فرفع الرشيد رأسه إلى الخادم فقال: كيسٌ فيه ألف دينار، فمضى الخادم وجاء بكيسٍ فيه ألف دينار فرمى به إليّ فصيّرته تحت فخذي، ثم قال لي أمير المؤمنين: تغنَّ ما حضرك، فأقبلتُ أقصدُ إلى الصوت بعدَ الصوت مما كان يبلغني أنه يشتري عليه[2] الجواري فأغنيه، فلم أزلْ أفعلُ ذلك إلى أن عَسْعَسَ الليلُ، فقال: يا إسماعيل قد

---

(١) ب: تزايد.

(٢) س: يتشهى على.

أتعبناك في هذه الليلة لسروري بغنائك، فتعيد عليَّ الصوتَ الذي تغنيتَ به أولاً ـ يعني صوت الجارية ـ فغنيته[1] إياه، فرفع رأسه إلى الخادم فقال: كيسٌ فيه ألف دينار، وذكرت قول الجارية: إني أحسبك تأخذُ عليه ألفَ دينارٍ وألفَ دينـار وألفَ دينارٍ، فكان مني شِبْهُ التبسم، ولحظني من بين الشمع فقال لي: مِمَّ تبسمتَ؟ قال: فجثوتُ على ركبتيَّ ثم قلت: يا أمير المؤمنين الصدقُ منجاةٌ، فقال لي بانتهار: قل، فحدثته حديثَ الجارية فقال: صَدَقْتَ قد يكونُ هذا وأعجبُ منه؛ ثم قال لي: انصرف مودِّعاً، فقمتُ لا أدري إلى أين انفذ ذلك الوقت، فما هو إلا أن نزلتُ من الأسرَّة حتى وثب إليَّ غفيران من الفراشين، فأخذ أحدهما بيدي اليمنى والآخر باليسرى ومضيا بي لا أدري أين يتوجهان بي، حتى وقفا بي على باب داري هذه، فإذا أمير المؤمنين قد أمر سلّاماً فابتاع لي هذه الدارَ وحوَّلَ أهلها، وَحُشِيَتْ بالفرش والوصائف والوصفاء والطعام والشراب، ودفع إليّ أحدهما إضبارَة مفاتيح وقال لي: ادخل بارك الله لكَ فيها، وهذا مفتاحُ بيت كذا، وهذا مفتاحُ بيتِ مالك، وهذا مفتاح حجرةِ الجواري، وهذا مفتاح بيت فرشك وآنيتك، وأوقفني على ما أردت، فأصبحت وأنا من مياسير أهل بغداد، ودخلتها وأنا أفقرُ أهلها، والحمد لله ربِّ العالمين.

[تعليقات على بعض ما جاء في هذا الخبر]

قال القاضي رحمه الله: قول الشاعر في هذا الخبر «اليعافير» اليعافير جمع يعفور وهي التي يضربُ لونها إلى الحمرة من الوحش، وهي المعفرة، ويقال للتراب أعفر كما قال أبو كبير الهذلي[2]:

---

(١) س: فتغنيته.

(٢) شرح ديوان الهذليين: ١٠٨١ والأمالي الشجرية ١: ١١٧.

يا لهفَ نفسي كان جدّة خالدٍ وبياضُ وجهكَ للترابِ الأعفر

وقال الشاعر(١):

وبلدةٍ ليس بها أَنيس إلا اليعافيرُ وإلا العيس

والعيس: البيض. وقوله في الشعر الذي يليه «وإلا الناشط الفرد» الناشط: الثور الوحشي قال الشاعر(٢):

واستقبلتْ ظعنهم لما احزألَّ بهم مع الضحى ناشطٌ من داعيات دَدِ

وقول عمر بن أبي ربيعة: «وقلن امرؤ باغ أكَلَّ وأوضعا» الباغي هاهنا طالبُ ضالةٍ وناشِدُها؛ أكلَّ يعني أن ركابَهُ كَلَّتْ من سيره عليها وقوله: «أوضعا» يعني أنه أسرع بها قال الله تعالى: ﴿وَلأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ﴾ (التوبة: ٤٧) ومن الإيضاع قول دريد بن الصمة(٣):

يا ليتني فيها جَذَعْ أخبُّ فيها وأضَعْ

الخببُ والايضاعُ ضربان من السير السريع. وقول الرشيد لابن جامع: «أَبن جامع» وجهُ الكلامِ فيه فتح الهمزة، وذلك أن الألف في ابن جامعٍ ألف وصلٍ وإنما جيءَ بها في الخبر لسكون الباء وأنه لا يبدأ(٤) بساكن فإذا دخلت عليها الهمزة للاستفهام سقطت كما قال ابن قيس الرقيات(٥):

---

(١) هو جران العود، انظر سيبويه ١: ١٣٣، ٣٦٥ ومعاني الفراء ١: ٤٧٩ والانصاف: ٢٧١ وابن يعيش ٢: ٨٠، ١١٧، والخزانة ٤: ١٩٧ وديوانه: ٥٣.

(٢) قد مرَّ البيت في ما تقدم.

(٣) سيبويه ١: ٢٩٣ والسيرة ٢: ٤٣٩ وتهذيب ابن عساكر ٣: ٤٠١، ٥: ٢٢٩.

(٤) م س: يبتدأ.

(٥) ديوانه: ١٢١.

فـقــالـت أبــنُ قـيـسٍ ذا وبـعـضُ الشيب يـعجبـهــا

قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (سبأ: ٨) وقال عز ذكره: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ (الصافات: ١٥٣) وقد روي لنا بيت ذي الرمة على وجهين[١]:

أستحدثَ الركبُ من أشياعهم خبراً أم راجعَ القلبَ من أطرابه طَرَبُ

بالوصل والقطع على ما بينا اكتفاء بدلالة قوله: أم راجعَ القلبَ من أطرابه طرب، كما قال امرؤ القيس:

تـروحُ من الحيِّ أم تبتكـر ومــاذا يضـرُّكَ لــو تنتــظـرْ

وقول ابن جامع: «إلى أن عسعس الليل» يقال عسعس الليل إذا أقبل وعسعس إذا ولّى، وقيل هو من الأضداد، وقال الله جلّ ذكره: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ (التكوير: ١٧) قيل فيه القولان اللذان ذكرنا، وقال الشاعر:

عسعس حتى لــو يشـاءُ ادَّنى كان لـه من ضوئه مقتبسْ[٢]

قيل في قوله: «ادَّنى» قولان أحدهما أنه افتعل من الدنوّ، وأصله ادتنا، وقيل بل هو اذدنا وأصله أن يقطع فيقال: لو يشاء اذدنا، ولكنه ترك الهمز في الشعر لإقامة وزنه، وقد جاء مثله في الشعر كقول الطرماح بن حكيم[٣]:

ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا آصبحِ سريعاً وما الإصباح فيك بأصلحِ

---

(١) ديوان ذي الرمة ١: ١٣.

(٢) م ب: مقبس.

(٣) تشبيهات ابن أبي عون: ٢٠٦ والزهرة: ٢٩٠ وديوان المعاني ١: ٣٤٦ والحماسة الشجرية: ٢١٦ واللسان (بمم) (لأنه يروى: أصبح ببمّ في بعض الروايات) وديوانه: ٩٦.

وأصله ألاَ أَصْبِحِ لأنه رباعيّ من أصبح يُصبح، فعلى هذا الوجه أكثر ما روي في هذا البيت، وقد رواه بعضهم ألا أيُّها الليل الذي طال أصبح فأتى به على أصله.

[وفادة جرير على الحجاج]

حدّثنا أبو النضر العقيلي قال أخبرني الزبير قال حدّثني محمد بن أيوب اليربوعي عن أبي الذيّال السلولي قال حدّثني جرير قال(١): وفدت على الحجاج بن يوسف في سفرةٍ تُسَمَّى سفرةَ الأربعين، فأعطاني أربعين راحلةً ورِعاءَهَا وحَشْوَ حقائبها القطائف والأكسية، كسوةً لعيالي، وأوقرها حنطةً ثم خرجتُ فلما شددتُ على راحلتي كُورَهَا وأنا أريدُ المضيَّ جاءني خادم فقال: أجبِ الأمير، فرجعت معه، فدخلت على الحجاج، فإذا هو قاعد على كرسي، وإذا جاريةٌ قائمةٌ تعممه بعمامة فقلت: السلام عليك أيها الأمير فقال: هات قل في هذه، فقلت: بأبي وأمي تمنعني هيبةُ الأمير وإجلالُهُ، وأُفحمتُ فما أدري ما أقول، فقال: بل هات قلْ فيها، فقلت: بأبي وأمي فما اسمها؟ قال: أمامة، فلما قال أمامة فُتِحَ عليَّ فقلت:

ودِّعْ أمامةَ حانَ منكَ رحيلُ ... إن الوَدَاعَ لمن تحبُّ قليلُ
تلك القلوبُ صواديـاً تَيَّمْتهـا ... وأرى الشفاءَ وما إليه سبيلُ

فقال: بل إليه سبيل، خذ بيدها فجبذتها فتعلَّقَتْ بالعمامة وجبذتها حتى رأيتُ عنقَ الحجاج قد صَغَتْ ومالت مما جَبَذتها، وتعلّق بالعمامة، قال: ويخطر ببالي بيتٌ من شعر فقلت:

---

(١) نقل السراج القصة في مصارع العشاق ٢: ١٦٢ ـ ١٦٣ وقارن بالأغاني ٨: ٧٥ ـ ٧٦ (وبين الروايتين فروق شاسعة) وانظر ديوان جرير: ٩١ والزهرة ١: ١٨٨؛ وأم حكيم المذكورة في القصة ولدت لجرير بلالاً ونوحاً؛ (البصائر ٨ رقم: ٧١٣).

إن كـان طبّكُمُ الـدلالُ فـإنـه   حَسَنٌ دلالُـكِ يـا أُميمَ جميـلُ

فقال الحجاج: إنه والله ما بها دلالٌ ولكن بها بُغْضُ وجهكَ وهو أهل ذلك، خُذْهَا بيدها جُرَّهَا، فلما سمعتْ ذلك منه خلَّتِ العمامةَ. وخرجتُ بها فَكَنَّيْتُها أُمَّ حكيم وجعلتها تقومُ على وديّ لي وعمّالي وتعطيهم نفقاتهم بقريةٍ يقال لها الغينة[1] من قرى الوشم حتى نفد الوديّ. قال طلحة: فأخبرني الزبير قال، قال محمد بن أيوب: وسمعت حجناء[2] بن نوح يقول: كانت والله مباركةً.

[شروح وتعليقات]

قال القاضي رحمه الله: قول جرير «جبذتها وأجبذها» بمعنى جذبتها وأجذبها، تقول جبذته أجبذه جبذاً، وجذبته أجذبه جذباً، ومثله تبيَّغَ به الدم وتبغَّى، وما أيطبه وما أطيبه، ومثله كثير. وأما «الوديّ» فإنه الفسيل كما قال الشاعر[3]:

نحن بِغَـرْسِ الـوديِّ أعلمُنَـا   منّا بِرَكْبِ الجيـادِ في الغَلَسِ

وقـول جرير: «إن كان طبكم الدلال» يعني الخلق والطبع، كما قال الشاعر[4]:

---

(١) مصارع: الفنة؛ م: القبة.

(٢) ب: حجاج؛ مصارع: حبجياً. م: حجبا.

(٣) البيت في فصل المقال: ٢١١ واللسان (ورى) وقافيته «السلف» وفي شرح شواهد المغني: ٢٨٦ والعيني ٤: ٥٥ ـ ٥٦ وقافيته «السدف».

(٤) هو فروة بن مسيك أو الكميت، انظر سيبويه ١: ٤٧٥، ٢: ٣٠٥ والمقتضب ١: ٥١ والوحشيات: ٢٨ والخصائص ٣: ١٠٨ والمحتسب ١: ٩٢ والخزانة ٢: ١٢١ وقد مرَّ في الجليس الصالح ٢: ٤٤٠.

ومـــا إنْ طِبُّنَـــا جُـبْنٌ ولـكـنْ مـنـــايـــانـــا وطُـعْـمَـةُ آخـــريـنـــا

يجوز فيه طِبُّكم الدلالَ، وطبُّكُم الدلالُ لأنهما معرفتان كما قال الفرزدق[1]:

فقد شَهِدَتْ قيسٌ فما كان نَصْرُها قتيبةَ إلا عضَّها بالأباهم

ويروى فما كان نَصْرَها إلا عضُّها، وقال آخر[2]:

لقد علم الأقوام ما كان داؤُها بثهلانَ إلا الخزيَ ممن يقودُهَا

ويروى داءَها إلّا الخزيُ، وقال آخر[3]:

إن يكن طبُّـك الـدلالَ فهـلّا ذاك في الدهرِ والسنين الخوالي

---

(١) ديوانه ٢: ٣١١ والمقتضب ٤: ٩٠.

(٢) هو الكميت، انظر سيبويه ١: ٢٤، والمحتسب ٢: ١١٦ وابن يعيش ٧: ٩٦.

(٣) هو لعبيد بن الابرص، انظر ديوانه. والعيني ٤: ٤٦١.

المجلس الثاني والسبعون (١)

[وفاة أبي ذر]

حدّثنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكرياء الجريري قال حدّثنا أحمد بن إسحاق بن بهلول قال حدّثنا الحسن بن محمدٍ الزعفراني قال حدّثنا يحيى بن سليم الطائفي قال حدّثني عبد الله بن عثمان بن خثيم عن مجاهد عن إبراهيم بن الأشتر عن أبيه عن أم ذر قالت(٢): لما حضرت أبا ذرٍ الوفاة بكيتُ، فقال: ما يبكيك؟ فقلت: ومالي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الأرض، [ولا يد لي بدفنك] وليس عندي ثوب يسعني كفناً لي ولا لك؟ قال: فلا تبكي وأبشري فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لنفرٍ أنا فيهم: ليموتن منكم رجلٌ بفلاةٍ من الأرضِ يشهده عصابةٌ من المؤمنين، وليس من

---

(١) صدّر هذا المجلس في س بقوله: أخبرنا الشيخ الامام تاج الدين بهاء الاسلام أبو سعيد ويكنى أبا عبد الله أيضاً، محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودي قراءة مني عليه قال أخبرنا الشيخ أبو العز أحمد بن عبيد الله بن كادش العلوي فيما أجازه لي قال حدثنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري . . .

(٢) مسند أحمد ٥: ١٥٥ حتى قوله « والله ما كذبت ولا كذبت » وطبقات ابن سعد ٤: ٢٣٢ ـ ٢٣٥ وأنساب الأشراف ٤/أ: ٥٤٥ وحلية الأولياء ١: ١٧٠ والتذكرة الحمدونية ١: ١٢٩ وصفة الصفوة ١: ٢٤٣ وبعضه في نثر الدر ٢: ٧٧ ـ ٧٨ وربيع الأبرار ٢٤٨ ب ـ ٢٤٩/أ.

أولئك النفر أحد إلا وقد هلك في قريةٍ وجماعة، وأنا الذي أموت بفلاةٍ، والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ، فأبصري إلى الطريق، قالت قلت: أنّى وقد ذهب الحاجّ وانقطع الطريقُ؟ قال: اذهبي فتبصري، قالت: فكنت أذهب إلى كثيبٍ فأتبصَّر عليه وأرجع إليه فأمرضه، فبينا أنا كذلك إذا أنا برجالٍ على رحالهم كأنهم الرخم، فأَلَحْتُ بثوبي، فأقبلوا إليَّ حتى وقفوا عليّ فقالوا: مالك يا أمةَ الله؟ فقلت: امرؤ من المسلمين يموت تكفنونه، قالوا: ومن هو؟ قلت: أبو ذرٍ، قالوا: صاحب رسول الله ﷺ؟ قالت قلت: نعم، قالت: فَفَدَّوْهُ بآبائهم وأمهاتهم وأسرعوا إليه، ودخلوا عليه فرحب بهم وقال: إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم: ليموتنَّ منكم رجلٌ بفلاةٍ من الأرض يشهده عصابةٌ من المسلمين، وليس من أولئك النفر أحدٌ الا وقد هلك في قريةٍ أو جماعة، وأنا الذي أموتُ بالفلاة، أتسمعون؟ إنه لو كان عندي ثوبٌ لي يسعني كفناً لي أو لامرأتي لم أكفَّن إلا في ثوبٍ لي أو لها، أنتم تسمعون؟ إني أنشدكم الله أن يكفنني أحدٌ منكم كان أميراً أو عريفاً أو بريداً أو نقيباً، وليس من القوم أحدٌ إلا وقد قارب بعضَ ما قال إلاّ فتىً من الأنصار، فقال: يا عمّ أنا أكفنك لم أُصِبْ مما ذكرتَ شيئاً، أكفنك في ردائي هذا وفي ثوبين من عيبتي من غَزْل أمي حاكتهما لي، فكفنه الأنصاريّ في النفر الذين شهدوه منهم حُجْرُ بن الأدبر ومالك الأشتر في نَفَرٍ كلُّهم يمانٍ.

[للخبر دلالة على نبوة الرسول]

قال القاضي رحمه الله: في هذا الخبر أكبرُ دليلٍ على نبوَّةِ رسولِ الله ﷺ وثبوتِ رسالته لإخبارِهِ من الغيب بما وُجِدَ على ما وَصَفَهُ، وهذا مما لم يعلمه إلاّ بوحيٍ من الله عزّ وجلّ ألقاه إليه ﷺ، وفيه ما ينبىء عن فَضْلِ النفر الذين وَلُوا أَمْرَهُ،و﴿ ذَلِـكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٥٤).

[يشكو والي السماوة إلى عبد الملك]

حدّثنا محمد بن الحسن بن دريدٍ قال أخبرنا أبو عثمان المازني عن التوّزي عن أبي عبيدة قال: ولّى عبدالملك بن مروان صدقاتِ كلبٍ رجلاً من بني أُمية،وكانت الروم قد نزعَته، وكان أشقر غضاً، فدخل أعرابي جَلِفٌ جافٍ على عبد الملك في جُفَّةِ الناسِ، فلما مثل بين يديه قال يا إنسان إنك مُدَبَّرٌ[1] مربوب، قال: أجل فما تشاء؟ قال: قد احتجبتَ بهذه المدرة ووليتَ خطابنا أصهب غضاً كالقرعوش طمطمانياً أطوماً كأن وجهه جهوةُ قِرْدٍ قد قُشِرَ بَصَرها، وكأن فاه سُرْمُ أتانٍ، قد قاشها عَيْر فهي تَرَمَّزُ، إن كشرتَ بسر، وإنْ خاطبتَ نهر، وإن تألَّفْتَ زبر، فلا الكلام مدفوع، ولا القولُ مسموع، ولا الحقُّ متبوع، ولا الجور مردوع، ولنا ولك مقام فيه يُنَصّ[2] الخصام، وترجُفُ الأقدام، وينتصف المظلوم، ويُنْعَشَ المهضوم؛ ها إنَّ ملكك هناك زائل، وعزَّك حائل، وناصرك خاذل، والحاكم عليك عادل؛ فاكبأنَّ عبد الملك وتضاءلت أقطاره وترادَّتْ عبراته في صدره، ثم قال: لله أبوك، أيّ ظلم نالك منا حتى أجاءك إلى هذا المقال؟ قال: ساعيك في السماوة، نهاره لهو، ومقاله لغو، وغضبه سَطْوٌ، يجمعُ المباقِطَ ويحتجن المشائط ويستنجد العمارط، فأمر عبد الملك بصرف العامل.

[تفسير ألفاظ وردت في الخبر السابق]

قال القاضي رحمه الله: الغضا الغتم، وقال ابن دريدٍ: القرعوش ولد البختية[3] وهو لا ينجبُ ولا ينفع، والطمطاني: الأعجم، والأطوم: الذي لا

---

(١) ب د: مدين.

(٢) ب: يبض.؛ م: مضّ (ولعله الصواب).

(٣) ب: النجيبة؛ (وفي اللسان: القرعوش جمل ذو سنامين، قلت: وهو البختي).

يفهم ولا يُفهم. وإنما أخذ من جلد الأطوم وهي دابّة من دوابّ البحر صلبةُ الجلدِ، وقال قوم: هي السلحفاة.

قال القاضي: في السلحفاة لغتان سُلَحْفَاةٌ وَسُلَحْفِية. وقوله: « جهوة قرد »: يريد دبره وما والاه، وكذلك هو لكلٍّ ذي أربعٍ، وربما استعمل في الناس. وقوله: « قشر بصرها » فالبصر قشر أعلى كلِّ شيء. وقوله: « **قاشها** » أي نزا عليها، و« الترمّز » التحرك، والمشائط: الواحد مشياط وهو الذي يسرع إليه السمن، والمباقط المتفرقة، يقال بقِّطْ هذا أي فَرِّقْهُ، والعمارط الواحد عمروط وهو الذي لا يرى شيئاً إلا اختلسه وهو اللص، والوأي[1]: الوعد، والترمز: التحرك؛ روي عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال: كان رجل من بني تميم خليعاً يقال له عمير بن مالك فمرض فحضر نساء الحيِّ يعدنه، فأطلنَ الجلوس فقال:

لقلَّ غَنَاءً عن عُمَيْرِ بن مالكٍ تَرَمُّزُ أستاهِ النساءِ العوائد

فقمن وقلن: لا شفاه الله. وقوله: « فاكبأنَّ عبد الملك » أي تداخل بعضه في بعض، قال الشاعر[2].

فلم يَكْبَئِنُّوا إذ رأوْني وأَقْبَلَتْ عليَّ وجوهٌ كالسيوف تَهَلَّلُ

وقوله: « تضاءلت أي تصاغرت، والأقطار: النواحي، وقوله: أجاءك أي اضطرك وأصله من المجيء تقول جاء زيد وأجاءه غيره مثل صار وأصار إليه غيره. ومنه ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ (مريم: **٢٣**) كأنّه جاء بها إليه. قال القاضي: وفي تفسير ابن دريد غريبَ هذا الخبر في موضع آخر: المباقط أي المتفرق من الماشية، وهو مما نهى عنه رسول الله ﷺ في كتابه

---

(١) لم ترد في النصّ.

(٢) البيت في اللسان (كبن) دون نسبة.

لأكيدر(١) لا تُعَدّ فاردتكم، ولا تُرَدّ قاصيتكم، والمشائط: واحدتها مشياط وهي الناقة السريعة السمن، يريد أنه يأخذ المشائط في الصدقة، وهذا مما نهي عنه أيضاً من قوله ﷺ(٢): لا تأخذوا حَزَرات أنفسِ الناسِ، يريد خيارَ أموالهم، والعمروط: اللص يقال لَصّ وَلِصّ.

[ابن الزيات يتفجع على دابة أخذها المعتصم]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدّثني أبو علي محرز الكاتب قال حدّثني سهل بن عبد الكريم قال: كان لمحمد بن عبد الملك دابةٌ أشهبُ أحمّ لم يُرَ مثلُهُ في الفراهة والوطاء والحُسْنِ، فذكر المعتصمُ يوماً الدّوابَّ فقال: أشتهي دابّةً في نهاية الوطاء تصلح للسرايا، فقال له أحمد بن خالدٍ خيلويه قد عرفته لك يا أمير المؤمنين على أن لا يعْلَم صاحبه أني ذكرته لك، قال: لك سَتْرُ ذلك، قال: عند كاتبك محمد بن عبد الملك دابّة لم يُرَ مثله، فوجه المعتصم فأخذه من محمد، فقال فيه(٣):

قالوا جزعتَ فقلتُ إنَّ مصيبتي ... جلَّتْ رزيَّتُها وضاق المذهبُ
كيف العزاءُ وقد مضى لسبيله ... عنّا فودّعنا الأحمُّ الأشهب
دبَّ الوشاةُ فباعدوك وربّما ... بَعُدَ الفتى وهو الحميم(٤) الأقرب
لله يومَ غدوتَ عني ظاعناً ... وسُلِبْتُ قُرْبَكَ أيّ عِلْقٍ أُسْلَبُ
نفسي مُقَسَّمَةٌ أقام فريقها ... وغدا لِطِيَّتها فريقٌ يُجْنَبُ

---

(١) انظر معجم البلدان (دومة) وإمتاع الأسماع ١: ٤٦٦ - ٤٦٧ والوثائق السياسية: ٢٤٦ «لا تعدل سارحتكم ولا تُعَدّ فاردتكم».

(٢) قارن بالموطأ: ١٧٩ ومصنف عبد الرزاق ٤: ١٤ وانظر خراج أبي يوسف، الفقرة: ١٣٠/١٠ - ١١.

(٣) ديوان ابن عبد الملك الزيات: ٦ - ٩ ومنها ١٩ بيتاً في ترجمة ابن الزيات في تاريخ ابن عساكر (رقم: ٢٠ دار الكتب).

(٤) م س والديوان: الحبيب.

الآن إذ كملت أداتُـك كُلّهـا ... ودعا العيونَ إليك زيٌّ معجب
واختير من خير[1] الحدائدِ خيرها ... لك خالصاً ومن الحليِّ الأغرب
وغـدوتَ طنَّـان اللجام كـأنمـا ... في كل عضوٍ منك صنجٌ يضرب
وكأن سَرْجَكَ فوق مَتْنِ غمامةٍ ... وكـأنّما تـحتَ الغمـامةِ كـوكـب
ورأى عليَّ بك الصديقُ مهابةً ... وغـدا العـدوُّ وَصَـدْرُهُ يتلهَّبُ
أنسـاك لا بـرحتْ إذاً منسيّـةً ... نفسي ولا زالت بمثلك تُنْكَبُ
أضمرت عنكَ اليأسَ حين رأيتُني ... وقوى حِبَالِكَ من قواي تَقَضَّبُ
ورجعتُ حين رجعتُ منكَ بحسرةٍ ... لله مـا صنـعَ الأصمُّ الأشيب
فـليـعـلمـنْ ألا تـزالَ عـداوةٌ ... مني مـريّضـة وثـأر يـطلـب
يا صاحبيَّ بمثل ذا من أمره ... صحب الفتى في دَهْره من يصحب
إنْ تُسْعـدا فصنيعـةٌ مشكـورةٌ ... أو تخـذلا فَعَـداوةٌ لا تـذهب
عـوجـا نقضّي حـاجةً وتبَّحثـا ... بثَّ الحديث فإنه لك أعجب
لا تشعـرا بكمـا الأصمَّ فـإنـه ... وأبيكما الصَّدْعُ الذي لا يُرأب
لا تشعراه بنا فليس لذي هوىً ... شكـوى الحزازةِ عنـده مُسْتَعْتَبُ

[تفسير ألفاظ]

يعني بالأصمّ: أحمد بن خالد خيلويه.

قال القاضي: الأحمّ يصف عينه بالسواد. وقوله: « لا يرأب » يعني « لا يشعب » ويـقال لما يرقع به القدح أو غيره من الأواني رؤبة، ويقال للذي يصلح الفاسد ويرقع الصدعَ هـو يرأب الثأى. ومن ذلك قول الطرماح ابن حكيم[2]:

---

(١) م س: حر؛ الديوان: سرّ.

(٢) ديوان الطرماح: ٥١٦ واللسان والتاج (عود).

هل المجدُ إلا السّؤْدَدُ المحضُ والتُّقَى   ورأبُ الثأى والصبرُ عند المواطنِ

ومن الثأى قول ذي الرمة[1]:

وفـراءُ غَـرْفِيَّـةٌ أثـأى خـوارزَهـا   مشلشلٌ ضَيَّعَتْهُ بينهـا الكُتَبُ[2]

[المؤلف ينتقد ابن الزيات على موقفه]

قال القاضي: هذا الذي أتى به الخبر في هذه القصة عن محمد بن عبد الملك من خلائقه المستعجبة الكاشفةِ لما كان فيه من الآداب المستخشنة، وما الذي بلغ من قدر دابّةٍ ولو أنه الوجيه ولاحـق، أو العصا دابة قصير بن سعد، حتى يضنَّ بها عن المعتصم، وهو الخليفة المبرز في فضله وسـروه[3] وجوده[4] وشرفه وشرف خلائقه وجميل طرائقه، وقد استكتبه وموَّلَهُ، وشرَّفه وخوَّله، أو ما كان قمناً أن يبتـدئَ بِقَوْدِ الدابةِ إليه عند وقوفه على نزاعه إليها ورغبته فيها ويغتبطَ بقبوله إياها ويرى ذلك من المآثر التي يُغْبَطُ بها ويفتخر بحيازتها، وقد سبق القول السائر بالمثل المتوارث الغابر: أيُّ الرجالِ المهذب.

[أم قيس ترجو ليلى أن تزوره]

حدّثنا محمد بن القاسم الأنبـاري قال حـدّثني محمد بن المـرزبان قـال حدّثنا زكريا بن موسى قال حدّثنا شعيبُ بن السكن عن يونس النحوي قال[5]:

---

(١) ديوان ذي الرمة ١: ١١.

(٢) يصف القربة، وفراء: واسعة، غرفية: دبغت بالغرف، أثأى خوارزها، جعل الخرز فيها تفسد؛ المشلشل: المتصل القطر؛ الكتب: الخُرَز، والمفرد: كتْبَةٌ.

(٣) ب س: وسـروه؛ م: وسدره.

(٤) س: وبجوده.

(٥) نقل السراج هذه الحكاية في مصارع العشاق (١: ١٢٥) برواية ابن المرزبـان عن زكريـا عن شعيب عن يـونس (وفي الـروايتين بعض اختـلافـات) ثم نقلهـا مـرة أخـرى (٢: ١٨١) عن=

لما اختلط عقلُ قيس المجنون وامتنع من الطعام والشراب مضت أُمُّهُ إلى ليلى فقالت لها: يا هذه، قد لحق ابني بسببك ما قد علمتِ فلو صرتِ معي إليه رجوتُ أن يثوبَ لبُّهُ ويرجعَ عقله إذا عاينـكِ، فقالت لها: أما نهاراً فلا أقدرُ على ذلك لأني لا آمن الحيَّ على نفسي، ولكن أمضي معك ليلاً، فلما كان الليل صارتْ إليه فقالت له: يا قيس إنّ أمك تزعمُ أنَّ عقلك زال[1] بسببي، وأن الذي لحقك أنا أصله، ففتح عينيه فنظر إليها وأنشأ يقول:

قالتْ جُنِنْتَ على ذكري فقلتُ لها ... الحبُّ أعظمُ مما بالمجانينِ
الحبُّ ليس يُفيقُ الدهرَ صاحبُهُ ... وإنما يُصْرَعُ المجنونُ في الحينِ

[أعرابي معه نصيحة يدخل على الرشيد]

حدّثنا أبو النضر العقيلي قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال[2]: بينا أنا جالسٌ مع الرشيد على المائدة إذ دخل الحاجبُ فأعلمه أنّ بالباب أعرابياً معه نصيحة، فأمر بإحضاره، فلما دخل أمره بالجلوس على المائدة ففعل، وكان معه صباحة وفصاحة[3]، فلما تمَّ الغداءُ ورُفِعَت الموائد وجاء الغسل[4] غَسَل يده، ثم أمر بالشراب فأُحضر، فقال: يا أمير المؤمنين ما حالتي في اللباس، فاستحسن[5] هارون ذلك من فعله وأمر بثيابٍ حسنةٍ فطرحت عليه، وقال له: يا أعرابي من أين؟ قال: من الكوفة قال: أعربي أم مولى؟ قال: بل عربي، قال: فما الذي قصد بك إلينا وما

= الجليس الصالح (وهي في الصورة الثانية موافقة لما ورد هنا) وانظر الجليس الصالح ٢ : ١٧٨.

(١) م س: ذهب.
(٢) هذه القصة نقلها السراج في مصارع العشاق ٢ : ٢٩٢.
(٣) م س: فصاحة وصباحة.
(٤) مصارع: وجيء بالطست.
(٥) م س ومصارع: فاستملح.

نصيحتك؟ قال: قصد بي إليك قلةُ المال وكثرةُ العيال، وأما نصيحتي فإني علمتُ أني لا أصلُ إليكَ إلا بها، قال: فأخذ إسحاق العودَ فغنَّى صوتاً يشتهيه الرشيد ويطرب عليه وهو:

ليس لي شافع إليـ ـك سوى الدمعِ يَشْفَعُ
عشتَ بعدي ومتّ قبـ ـلك هل فيكَ مطمعُ
قِسَمُ الحبِّ خمسةٌ صار لي منه أربع
فإلى الله أشتكي كبداً لي تَقَطَّع

فقال الرشيد كالمازح: كيف ترى هذا يا أعرابي؟ قال: بئس والله ما غنَّى، فغضب من ذلك هارون وصعب عليه، قال إسحاق: وسقط في يدي، فقال هارون: ويلك يا أعرابيّ، وهل يكون شيءٌ أحسنَ من هذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قولي حيثُ أقول:

لا وحبيك لا أصا فحُ بالدمع مدمعا
من بكى شجوَهُ استرا ح وإن كان مُوجَعا
كبدي في هواك أسـ ـقمُ من أنْ تقطعا
لم تدعْ سَوْرَةُ الهوى للبِلَى فيَّ مطمعا

قال: فاستملح هارون ذلك منه وأمر إسحاق أن يغنيه به شهراً لا يقطعه عنه، وأمر للأعرابي بعشرةِ آلاف درهمٍ وصَرَفَهُ.

[الفضل بن يحيى يودع أصحابه]

حدّثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدّثنا أحمد بن يحيى قال[1]: لما خرج الفضل بن يحيى إلى خراسان ودَّع أصحابه ثم قال:

---

(١) نقل السراج كل ذلك تلو الحكاية السابقة (مصارع العشاق ٢ : ٢٩٣).

لما دنا البينُ بينُ الحيِّ واقتسموا حَبْلَ النّوى فهو في أيديهمُ قِطَعُ

جادت بأدمعها سلمى وأعجلني وَشْكُ الفراقِ فما أبقي[1] ولا أدع

يا قلبُ ويحكَ لا سلمى بذي سَلَمٍ ولا الزمانُ الذي قد مرَّ مُرْتَجَعُ

أكلّما مرَّ ركبٌ لا يلائمهم ولا يبالونَ أن يشتاقَ من فَجَعُوا

عَلَّقتني بهوى فيهم فقد جَعَلَتْ من الفراقِ حصاةُ القلبِ تنصدع

قال القاضي: هذه أبياتٌ حسنة. وقوله: «واقتسموا حبل النوى» من أحسن القول وأظرفه.

[أبيات للمصعب تعجب الرشيد]

حدّثنا يزداد بن عبد الرحمن المروزي قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني أبي قال[2]: كان هارون أمير المؤمنين يستنشدني كثيراً قول أبي عبدالله بن مصعب ويعجبه:

وإني وإنْ قَصَّرْتُ عن غيرِ بِغْضَةٍ مراعٍ لأسبابِ المودَّةِ حافظُ

وما زال يدعوني إلى الصّرمِ ما أرى فآبى وتثنيني عليكَ الحفائظ

وأنتظرُ العُتْبَى وأُغضي على القذى أُلاينُ طوراً مرةً وأُغالظ

وأنتظرُ الإقبالَ بالودِّ منكمُ وأصبر حتى أوْجَعتني المغايظ

وجرَّبتُ ما يُسْلي المحبَّ على الهوى فأقصرتُ والتجريب للمرءِ واعظ

قال القاضي: ولعمري إن هذه الأبيات لمن مُسْتَحْسَنِ الشعر في معناها، وإعجابُ الرشيد بها مما ينبىءُ عن خلوص أدبه وصفاء قريحته.

[أبيات لإبراهيم بن المهدي في جارية كانت تخدمه]

حدّثنا المظفر بن يحيى بن أحمد الشرابي قال حدّثنا أبو العباس

---

(١) مصارع: فما أبكي.

(٢) أمالي القالي ١: ٢٥٤ وفيه الأبيات.

المرثدي قال حدّثنا طلحة بن عبيد الله الطلحي قال أنشدني يعقوب بن عباد الزبيري لإبراهيم بن المهدي، وقد أخْدَمتهُ بعضُ العباسيات في حال استخفائه عندها جاريةً وقالت لها: أنتِ له، فإن مدَّ يده إليك فلا تمتنعي ولم يعلم بهبتها له، وكانت مليحةً، فجمَّشها يوماً بأن قبَّل يدها وقال[1]:

يا غزالاً لي إليه شافعٌ من مقلتيهِ
والذي أكرمتُ خديـ ـه فقَبَّلتُ يديه
بأبي وجهك ما أكـ ـثر حُسَّادي عليه
أنا ضيفٌ وجزاءُ الـ ـضيف إحسانٌ إليه

[بيتان لابن عرفة]

قال القاضي[2]: ومما يضارع بعضَ ما تضمنته هذه الأبياتُ من جهة ما أنشدناه إبراهيم بن محمد بن عرفة لنفسه:

يا دائم الهجر والصدودِ ما فوقَ بلوايَ من مَزيدِ
أصبحتُ عبداً ولستَ ترعى وصيَّةَ الله في العبيد

[بيتان لمحمد بن داود]

وأنشدني أبو النضر العقيلي عن محمد بن داود:

تُرَى مَنْ كَوَى قلبي بنارِ فراقِهِ وصيَّر حظي من مودَّته بُعْدا
تَفَكَّر يوماً فيَّ أو قال مرّةً تركنا له عبداً أسأنا به جدا

(١) الأغاني ١٠: ١٤٣ وتهذيب ابن عساكر ٢: ٢٨٥ ومصارع العشاق ٢: ١٨٦ (عن المعافى) ومن طريق أخرى ٢: ٦٥ ـ ٦٦.
(٢) نقله السراج: ٢: ١٧٧.

[إسماعيل الديلمي اشتهى حلوى]

حدّثنا محمد بن مخلدٍ بن حفص العطار قال حدّثنا حامد بن محمد بن الحكم بن عبد الرحمن أبو محمدٍ قال حدّثنا كردان قال قال لي إسماعيل الديلمي: اشتهيتُ حلوى وأَبْلَغَتْ شهوته إليَّ، فخرجتُ من المسجد بالليل لأَبُولَ فإذا جنبتي الطريق أخاوين حلوى، فنوديت يا إسماعيل هذا الذي اشتهيتَ وإن تَرْكَهُ خيرٌ لك، فتركته؛ قال ابن مخلد: وقد كتبتُ أنا عن كردان وكان يكونُ في قنطرة بني زُرَيق، وقد رأيت إسماعيل الديلمي فكان ما شئت من رجل، رأيتُهُ عند أبي جعفر بن إشكاب.

قال القاضي: إسماعيل الديلمي هذا من خيار المسلمين، والناس يزورون قبره، وقبره وراءَ قبر معروف الكرخي، بينهما قبورٌ يسيرةٌ، وهو بينه وبين المسجد المعروف بمسجد الخضر وقد زرته مراراً. وحدّثني بعض شيوخنا من أهل العلم أنه كان حافظاً للحديث كثيرَ السماع وأنه كان يذاكر بسبعين ألف حديث.

[خوان وأخونة]

قال القاضي: قوله: « أخاوين حلوى » يقال لما يجعل عليه الطعام قبل جعله «خوان» فإذا جعل الطعام عليه فهو مائدة، فإذا رفع الطعام عنه عاد إلى تسميته خواناً. وزعم بعضهم أن المائدة إنما تسمَّى بهذا الاسم إذا خفَّ ما عليها من الطعام لأنها حينئذٍ تميد. وزعم الفراء أنه بمنزلة المُهْدَى يَرْجعُ إذا كان فارغاً إلى اسمه الأوّل فيقال: طبق وقناع ومثله عنده الكأس - تسمَّى كأساً إذا كان فيها الشرابُ، فإذا أخذت منه رجعت إلى اسمها؛ وقال بعض أهل اللغة: الخوان بالكسر كلام العرب، وهو خُوان بالضمِّ باللسان الفارسي. وروي لنا عن الفراء الكسرُ والضمُّ في الخوان من كلام العرب، وجمعه

أخاوين مثل سوار وأساوير ويجمع السوار أيضاً أسورة وأساورة، والهاء في أساورة عوض من الياء في أساوير. وذكر نحو هذا سيبويه في زنديق وزنادقة وفرزان وفرازنة.

وقال الأخفش اسوار وأسورة في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ﴾ (الزخرف: ٥٣) لأنه جمع أسوار وأسورة وقال بعضهم أساورة فجعله جمعاً للأسورة وأراد أساوير، والله أعلم، فجعل الهاء عوضاً من الياء التي في أساوير.

قال القاضي: وقد قال الله جلَّ ذكره: ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ (الإنسان: ٢١) وقال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ (الكهف: ٣١)(١) فأتى الجمع هاهنا على أساور. وحكى ثعلب أن الفراء قال: أسورة جماعة سوار للذي في اليد ـ يضمّ ويكسر ـ بلا ألف وجمعه أسورة، ويجوز أن يكون أساورة جمع أسورة كما قيل في الأسقية أساق، والأُسوار والإسوار الرامي. وقد قيل في سوارِ اليد إنه يجوز فيه إسوار وأُسوار، فيجوز على هذه اللغة أن تكون أساورة جمعه. وقال الفراء في كتابه في المعاني: من قرأ أساورة جعل واحدها أسواراً، ومن قرأ أسورة فواحدها سوار وقد تكون الاساورة جمع أسورة، كما يقال في جمع الأسقية الأساقي، وفي جمع الأكراع الأكارع. وقال بعض من شاهدنا من شيوخنا النحويين: في واحد أساور لغتان: ضم السين وكسرها، وهو على القياس، لأن جمع فعال وفُعال أفعلة، فأما أسوار بمعنى سوار فليس بصحيح في القياس، فإن كانت لغة فهي شاذة، ولا يكون جمعه أسورة لأن أفعالاً لا يجمع على أفعلة وإنما الأسوار على أفعال فارسية معربة، وهو اسم الفارس بالفارسية وليس باسم الرامي كما

---

(١) انظر أيضاً سورة الحج: ٢٣ وفاطر: ٣٣.

زعم الفراء، وجمعه أساوير وأساور بياءٍ وبـلا ياء، وأسـاورة بالهـاء عوضـاً عن الياء. وليست أساورة مثل أساق لأن أساقي لا هاء فيها فهي مثل أساور.

قال القاضي: وهذا القول أشبه القولين عندي بالصواب.

المجلس الثالث والسبعون

[حديث: إن أمتك مفتتنة بعدك]

حدّثنا عبدالله بن سليمان بن الأشعث السجستاني قال حدّثنا كثير بن عبيد قال حدّثنا محمد بن حمير عن مسلمة بن علي عن عمر بن ذر عن أبي قلابة عن أبي مسلم الخولاني عن أبي عبيدة بن الجراح عن عمر بن الخطاب رضي الله[عنه] قال(١): أخذ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله بلحيتي وأنا أعرف الحزن في وجهه فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أتاني جبريل عليه السلام آنفاً فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، قلت: أجل إنا لله وإنا إليه راجعون، فممّ ذاك يا جبريل؟ قال: إن أمتك مفتتنة بعدك بقليل من الدهر غير كثير، فقلت: فتنةُ كفرٍ أو فتنةُ ضلالةٍ؟ قال: كلٌّ سيكون، قلت: من أين ذاك وأنا تاركٌ فيهم كتابَ الله تعالى؟ قال: بكتابِ الله يضلُّون، وأوّلُ ذلك من قِبَلِ أمرائهم وقُرَّائهم، يمنعُ الأمراءُ الحقوقَ ويسأل الناسُ حقوقَهُمْ فلا يُعْطَوْنَها،

---

(١) الحديث في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ٢: ٣٦٨ ـ ٣٦٩ بالسند الوارد هنا، وقال قال يعقوب بن سفيان: محمد بن حمير هذا حمصي ليس بالقوي، وسلمة بن علي دمشقي ضعيف الحديث، وعمر بن ذر هذا غير الهمداني وهو عندي شيخ مجهول، ولا يصحّ هذا الحديث.

فيقتتلون ويَفْتَتِنــون، فيتبـع القــراءُ هـوى الأُمــراءِ فيمـدُّونهم في الغيِّ ثم لا يقصرون، قلت: فبمَ يَسْلَمُ مَنْ سلم منهم؟ قال: بالكفِّ والصبر، إن أُعـطوا الذي لهم أخذوه وإن مُنِعُوهُ تركوه.

[الجريري يستغيث بالله من الظلم والظلمة]

قال القاضي: قد رأينا ما قدَّمَ نبينا ﷺ الإخبار به وشاهدناه وظهر لنا ما أنبأنا به وعايناه ومنعنا الذي لنا فصبرنا، وليت مانعنا حقَّنا والمستبدَّ به اقتصر على ما أتاه ولم يتجاوزه إلى اغتصاب التالد والطريف من أموالنا بالخبط والعسف والتعذيب والعنف، ولم يتخطه إلى تكليفنا ما لا نقدر عليه ولا نصل إليه، فإلى الله المشتكى والملتجا، وهو المستغاث المرتجى، بِعَدْلِهِ نستجيرُ من جور مَنْ غَلَبَنا على أقواتنا فشبع بها وأجاعنا، وحفظ بها نفسه وأضاعنا، فإنه قاصمُ العتاةِ المترفين، وعاصمُ العناة المستضعفين، وما هُوَ بغافلٍ عمَّا يَعْمَل الظالمون. وقد ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَٱصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٨، ١٢٩) اللهم وإنا أصبحنا مستغيثين بك فصبِّرنا على بلائك ووفقنا لشكر آلائك وألهمنا تقواك حتى تكون العاقبة لنا واستنقذنا من عدوك وعدونا إنك رؤوف رحيم جواد كريم. فأما ممالأة قراء السوء أشكالهم من أمزائهم فقد ظللنا منه في أمر عظيم وخطب جسيم،وصار من يعتزي إلى تلاوة القرآن ويُدَّعى له علم شرائع الإيمان ممن ليس عنده مما ينسب إليه إلا ادعاؤه وقد تموّه له بِجَدِّه وامتحان العباد به ما يظن أنه حاصل له وإن كان صفراً منه، ومنهم من قد جعل الزخرفة والغلط والهجر له صفة معرضه الذي يدلس به نفسه، ويوهم الجهال أن وراء ما يظهره ما يضاهي ما اغتروا به، ومنهم من قد اتفق له من بعض المترفين وجهلة المتعلمين قبول له وصبابة

نحوه، واطراح الدين شامل لهذه الفرق المتقدمة المفتتن بها، والله نسأل إدالة أوليائه وإزالة أعدائه.

[الجمانة الكنانية تقع في حبّ حممة]

حدّثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني عمي الحسين بن دريد عن أبيه قال حدّثنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي وعن أبي مسكين عن عبد الرحمن بن مغراء أبي زهير الدوسي قالوا(١): كان حممة بن رافع بن الحارث الدوسي من أجمل العرب وكانت له جمة يقال لها الرطبة كان يغسلها بالماء ثم يعقصها وقد احتقن فيها الماء، فإذا مضى لها يومان حلَّها ثم يعصرها فيملأ جلساءَهُ، فحجَّ على فَرَسٍ له، فنظرت إليه الجمانة الكنانية وهي خناس، وكانت عند رجل من بني كنانة يُقال له ابن الحمارس فوقع بقلبها، فقالت له: من انت؟فوالله ما أدري أوجهك أحسن أم شعرك أم فرسك، ما أنت بالنجديّ الثلب، ولا التهامي الترب، فاصْدُقني، قال: أنا امرؤ من الأزد من دوس، ومنزلي ببروق، قالت: فأنت أحبُّ الناسِ إليَّ، وقد وقعتَ في نفسي فاحملني معك، فأردفَها خلفه ومضى إلى بلده، فلما أوردها أرضه قال: قد علمتُ هربك معي كيف كان؛ والله لا تهربين بعدي إلى رجلٍ أبداً، فقطع عرقوبيها، فولدت له عمرو بن حممة، وكان سيداً، وولد عمرو بن حممة الطفيلَ بن عمرو ذا النور، وفد على رسول الله ﷺ. قالوا: وخرج زوجها ابن الحمارس في طلبها فلم يقدر عليها فرجع وهو يقول:

ألا حيِّ الخناسَ على قِلاَهَا ... وإن شحطتْ وإن بعدت نواها
تبدلت الطبيخ وأرضَ دوسٍ ... بهجمة فارس حمرٍ ذراها
وقد خُبِّرْتُها جاعتْ وذلَّتْ ... وأن الحر من طود شواها

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٧: ٦٣.

وقد خبرتها نحلت ركيّاً وأثواراً مُعَرَّقةً شواها
وقد أنبئتها ولدت غلاماً فلا شبَّ الغلامُ ولا هناها

فلما أنشد عمر بن الخطاب هذا الشعر قال: قد والله شَبَّ الغلامُ وقد هناها.

قال القاضي: قولها: «ما أنت بالنجديّ الثَّلِبِ ولا التهاميّ التَّرِب» من التراب جميعاً، والأثلب من أسماء التراب، يقال: بفيه الأَثلب والإِثلب، وقوله: «لا هناها» من قولهم كُل هنيّاً مريّاً، وأصله الهمز، يُقال: هَنَأني الطعام وقد يترك همزه وتركه في الشعر كثيرٌ لتصحيح الوزن كما قال:

* فارعيْ فزارةُ لا هَنَاكِ المرتعُ *

[ألسنة السمك يقدمها إبراهيم بن المهدي للرشيد]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثنا أحمد بن أبي طاهر قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده قال: استزار إبراهيم بن المهدي الرشيد بالرقة فزاره، وإن الرشيد كان لا يأكل الطعام الحارَّ قبل البارد، وأنه لما وُضِعَت البواردُ على المائدة رأى فيما قرب منه جامَ قريسِ السمك، فاستصغر القطع، فقال لإبراهيم: لِمَ يصغِّرُ طباخُكَ قِطَعَ السمك؟ فقال له: لم يصغر طباخي القطع، وإنما هذه ألسنةُ السمك، فقال: يشبه أن يكونَ في هذا الجام مائة لسان، فقال له مراقب خادم إبراهيم ـ وكان يتولى قَهْرَمَة إبراهيم: فيه يا أمير المؤمنين أكثر من مائة لسان، فاستحلفه على مبلغ ثمن السمك فأخبره أنه ألف درهم، فرفع هارون يده عن الطعام وحلف أن لا يَطْعَمَ شيئاً دون أن يحضر مراقب ألف دينار، فأمر أن يَصَّدَّقَ بها، وقال لإبراهيم: أرجو أن تكون هذه كفارةً لسَرَفك في إنفاقك على جام سمك ألف درهم، ثم أخذ الجام بيده ودفعه إلى بعض خدمه وقال: اخرج به من دار أخي ثم انظر إلى أول سائل

تراه فادفعه إليه، قال إبراهيم: وكان شراء الجام عليَّ مائتين وسبعين ديناراً، فغمزتُ خدمي أن يخرجوا مع الجام فيبتاعونه ممن يدفع إليه، وكأن الرشيد فهم ذلك مني، فهتف بالخادم فقال: إذا دفعت الجام إلى السائل فقل له: يقول لك أمير المؤمنين احذر أن تبيع الجام بأقل من مائتي دينار فإنه خير منها، ففعل خادمه ما أمره به، فوالله ما أمكن خادمي يخلّص الجام إلا بمائتي دينار.

[السرف والإسراف]

قال القاضي: إن طعم اللسان من السمك أشبه الطعوم بطعم لحم الخنزير، وقول الرشيد: « كفارة لسرفك » فإن السَّرَف في كلام العرب التجاوز للشيء، حكي عن العرب مررت بكم فسرفتكم، وقال الشاعر(١):

أعطَوْا هُنَيْدة يحدوها ثمانيةٌ ... ما في عطائهمُ منٌّ ولا سرَفُ

فأما الزيادة في الإنفاق وغيره فهو الإسراف، وهو ضد التقتير، يقال: أسرف يسرف إسرافاً، قال الله تعالى ذكره: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ (الفرقان: ٦٧) وقال: ﴿فَلاَ يُسْرِفْ فِي القَتْلِ﴾ (الاسراء: ٣٣) وقال: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً﴾ (النساء: ٦) وقال: ﴿وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ المُسْرِفِينَ﴾ (الأنعام: ١٤١) وقال: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ (الزمر: ٥٣) وهذا كثير جداً.

[خطبة زياد البتراء]

حدّثنا محمد بن القاسم الأنباري قال حدّثني أبي قال حدّثنا محمد بن أبي يعقوب الدينوري قال حدّثنا عبيد بن محمد الفيريابي قال حدّثنا سفيان بن

---

(١) هو جرير كما في اللسان (هند) وديوانه: ١٧٤ والهنيدة: مائة.

عيينة قال حدّثنا عبد الملك بن عمير قال(١): شهدت زياد بن أبي سفيان وقد صعد المنبر فسلَّم تسليماً خفياً، وانحرف انحرافاً بطياً، وخطب خطبة بتيراء، قال ابن الفيريابي والبتيراء التي لا يصلَّى فيها على النبي ﷺ ثم قال: إن أمير المؤمنين قد قال ما سمعتم، وشهد الشهود بما قد علمتم، وإنما كنتُ امرءاً حفظ الله مني ما ضيَّعَ الناس، ووصل مني ما قطعوا، ألا إنا قد سُسْنا وساسنا السائسون، وجرَّبْنا وجرَّبَنا المجربون، وَوَلِينا ووليَنا الوالون، وإنا وجدنا هذا الأمر لا يصلحه إلا شدة في غير عنف، ولين في غير ضعف، وايم الله إن لي فيكم صرعى فليحذر كلُّ رجلٍ منكم أن يكون من صرعاي، والله لآخذن البريء بالسقيم، والمطيع بالعاصي، والمقبل بالمدبر، حتى تلين لي قناتكم، وحتى يقول القائل منكم: انج سَعْدُ فقد قتل سُعَيد، فربَّ فَرِحٍ بإمارتي لن تنفعه، ورب كارهٍ لها لن تضرَّه. وقد كانت بيني وبين أقوامٍ منكم دِمَنٌ وأحقاد، وقد جعلتُ ذلك خَلْفَ ظهري وتحت قدمي، فلو بلغني عن أحدكم أن البغض لي قَتَله، ما كشفتُ له قناعاً ولا هتكت له ستراً حتى يبدي صفيحته، فإذا أبداها لم أُقِلْهُ عثرته. ألا ولا كذبة أكبر شاهداً عليها من كذبة أميرٍ على منبر، فإذا سمعتموها مني فاغتمزوها فيَّ، وإذا وعدتكم خيراً أو شراً فلم أفِ لكم به فلا طاعةَ لي في رقابكم، ألا وأيّ رجل منكم ممن كان مكتبه خراسان فأجله سنتان، ثم هو أمير نفسه، وأيما رجل منكم كان مكتبه دون خراسان فأجله ستة أشهر، ثم هو أمير نفسه، وأيما امرأة احتاجت فإننا نعطيها عطاء زوجها ثم نقاصّه به، وأيما عقال فقدتموه من مقامي هذا إلى خراسان فأنا له ضامن.

(١) لخطبة زياد «البتراء» صور مختلفة في المصادر انظر الموفقيات: ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٠ والطبري ٢: ٧٤، ٧٥ وعيون الأخبار ١: ٩ والبيان والتبيين ٢: ٦٢ والعقد ٥: ٦ وذيل أمالي القالي: ١٨٥ وتاريخ اليعقوبي ٢: ٢٦٠، ٢٧٣ والكامل ١: ٢٦٨ والبصائر ٢ رقم: ٧٢٩ وبهجة المجالس ١: ٣٣٤ وشرح النهج ٤: ٧٤، ١٦: ٢٠٠ - ٢٠٣ وأنساب الأشراف ١/٤ الفقرات: ٧٤، ٤٨١، ٤٩١، ٥٢٥، ٦٤٩ وقد نقل ابن عساكر الخطبة وبعض تعليقات القاضي المعافى، انظر تهذيب ابن عساكر ٥: ٤١٥ - ٤١٦ (ط. دار المسيرة).

فقام إليه نعيم بن الأهتم المنقري فقال: أشهد لقد أوتيت الحكمةَ وفصلَ الخطاب، فقال: كذبت أيها الرجل، ذاك نبيٌّ الله داود عليه السلام، ،ثم قام إليه الأحنف بن قيس فقال: أيها الرجل، إنما الجوادُ بشده، والسيفُ بحدّه، والمرء بِجِدِّه، وقد بلَّغك جِدُّكَ ما ترى، وإنما الشكر بعد العطاء، والثناء بعد البلاء، ولسنا نُثني عليك حتى نبتليك، فقال: صدقت، ثم قام أبو بلال مرداس بن أُديَّة فقال: أيها الرجل قد سمعتُ قولك: «والله لآخذن البريء بالسقيم والمطيع بالعاصي والمقبل بالمدبر» ولعمري لقد خالفتَ ما حكم الله في كتابه إذ يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الأنعام: ١٦) فقال: إيهاً عنّي، فوالله ما أجدُ السبيلَ إلى ما تريد أنت وأصحابك حتى أخوضَ الباطلَ خوضاً، ثم نزل فقام إليه مرداس بن أُدَيَّة وهو يقول (١):

يا طالبَ الخير مَهْرُ الجورِ معترضٌ   طولُ التهجد أو فتك بجبار
لا كنتُ إن لم أصمْ عن كلِّ غانيةٍ   حتى يكونَ بريقُ الحُورِ إفطاري

فقال له رجل: أصحابك يا أبا بلال شباب، فقال: شباب متكهلون في شبابهم، ثم قال:

إذا ما الليلُ أظلم كابدوه   فيسفر عنهم وهم سجود

فشرى وانجفل الناس معه، وكان قد ضَيَّقَ الكوفة على زياد.

قال القاضي: قد روي لنا هذا الشعر في بعض أخبار الفوائد على غير هذه القافية وهو(٢):

إذا ما الليل أظلم كابدوه   فيسفرُ عنهمُ وهمُ ركوعُ

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٥: ٤١٣ (٤١٦) وديوان شعر الخوارج عنه، ٦٣ - ٦٤ والقافية «مرفوعة» إن لم يأت عبار، بريق الجور إمطار.

(٢) نسب في بعض المصادر لعيسى بن فاتك الخطي، وفي بعضها الآخر لسعيد المرادي، انظر ديوان شعر الخوارج: ٧٠ - ٧١ وفيه تخريج كثير.

أطـار الخـوفُ نـومَهم فقـامـوا   وأهلُ الأمنِ في الدنيا هجوع

[تفسير ما ورد في البتراء رغم تكرر ورودها]

قال القاضي: كتبت هذا الخبر هاهنا وأنا أريد كتب غيره خطأً مني، لأنّي قد رسمته في بعض ما تقدَّم من مجالس هذا الكتاب(١)، وأنا أذكر هاهنا من تفسيره ما يخرج به من كتبه عن أن يكون لاقى عنـاءً بتكرارٍ لا فائدة فيه.

قال القاضي(٢): قول زياد: «إن هذا الأمر لا يصلحه إلا ما ذكره» قد سبق إلى معناه ولفظه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فذكر من يلي شيئاً من أمور المسلمين فقال: يكون قوياً في غير عنف، ليناً في غير ضعف، وفي «ضُعف» لغتان: الضم والفتح، وقد قرأت القَرَأَةُ بهما في القرآن، وزعم بعض علماء اللغة أن وجه الكلام فيه أن يضم حيث يكون إعراب الكلمة فيه غير النصب، ويفتح مع النصب، واستقصاء الكلام في هذا في موضعه من الكتب المؤلفة في علوم القرآن. وقوله: «قد كانت بيني وبين قوم منكم دِمَنٌ وأحقاد» الدمن: الأحقاد واحدها: دمنة، يقال في نفسه دمنة وحسيكة وغمر وسخيمة وضغن وكتيفة، ويجمع كتائف كقول الشاعر(٣):

أخوك الذي لا يملك الحسُّ نَفْسَهُ   وتهتزُّ عند المُحْفظاتِ الكتائفُ

وفيه غلّ، في أسمـاء كثيرة. وقولـه: «انـج سعـد فقـد قُتِـلَ سُعَيد» كان ابنا ضبَّة بن أد خرجا في بغاءِ إبلٍ لهما، فرجع سعد ولم يرجع سعيد، فكان

---

(١) انظر الجزء الثاني: ٣٦٢ - ٣٦٥.
(٢) تهذيب ابن عساكر ٥: ٤١٦.
(٣) هو القطامي كما في ديوانه: ٢٧ وأمالي القالي ١: ١٧٦ والسمط: ٩٠٣ وفصل المقال: ٢١٤ واللسان (كتف).

أبوهما إذا أقبل أحدهما يقول: أسعدٌ أم سُعَيد[1]، فأرسلها مثلاً.

[أخ يعشق زوجة أخيه وهما من بني كنة]

حدّثنا محمد بن مخلد بن حفص العطار قال حدّثنا إبراهيم بن راشد بن سليمان الأدمي قال حدّثنا عبد الله بن عثمان الثقفي قال حدّثنا المفضل بن فضالة مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن محمد بن سيرين عن عبيدة السلماني قال[2]: كان في الجاهلية أخوان من حي يدعون بني كَنّة، أحدهما متزوج والآخر عزب، فقضي أن المتزوج خرج في بعض ما يخرجُ الناسُ فيه، وبقي الآخر مع امرأة أخيه، فخرجت ذاتَ يومٍ حاسرةً فإذا أحسنُ الناسِ وجهاً وأحسنُ الناس ثغراً، فلما علمتْ أن قد رآها ولولتْ وصاحت وقالت بمعصمها فغطت وجهها (قال القاضي: المعصم موضع السوار) فزاده ذلك فتنةً، فحمل الشوق على بدنه حتى لم يبقَ إلا رأسه وعيناه تدوران في رأسه، وقدم الأخ فقال: يا أخي ما الذي أرى بك؟ فاعتلَّ عليه فقال: الشوصة (قال: الشوصة يسميها العرب اللويَّ وذاتَ الجنب) فقال له ابن عم له: لا تكذبنه، ابعث إلى الحارث بن كلدة فإنه من أطبِّ العرب، فجيءَ به فلمس عروقه فإذا ساكنها ساكنٌ وضاربها ضارب، فقال: ما بأخيك إلا العشق، فقال: سبحان الله تقول هذا لرجل ميت، قال: هو ذاك، عندكم شيءٌ من شراب؟ فجيء به ودعا بِمُسْعُطٍ فصبَّ فيه وحلَّ صُرَّةً من صراره فذرَّ فيه ثم سقاه، ثم سقاه الثانية ثم سقاه الثالثة، فانتشى يغني سكراً فقال:

أيها القلب الحزين ما يكونه   تهيج ما تهيج ويذكر

---

(1) المثل في الضبي: ٤٧ وفصل المقال: ٦٧، ٢٠٩ والميداني ١: ٢٢٢ والعسكري ١: ١٥٥، ٣٧٧ والفاخر: ٤٨ والزاهر ٢: ١٩٩.

(2) نقل السراج هذه القصة في مصارع العشاق ٢: ٢٠٨ عن الجليس الصالح، وانظر أخبار النساء لابن القيم: ٢٤ - ٢٥.

ألـمَّـا بي عـلى الأبيـا ت مـن خَيْـفٍ أُزُرْهُـنَّـهْ
غـزالاً مـا رأيتُ الـيـ ـوم في دور بـنـي كـنـه
غـزال أحـور الـعـيـنِ وفـي مـنـطقـه غـنـه

(قال القاضي: البيت الأول من هذه الأبيات مضطرب، وأرى بعض من رواه كسره وأخلَّ بنيانه ونظمه لأنه لم يكن له علمٌ بوزنِ الشعر) فقال الرجل: هذه دور بني كنة[1] فليت شعري من؟ فقال الحارث: ليس فيه مستمتع غير هذا اليوم، ولكن أغدو عليكم من الغد ففعل كفعله بالأمس، فانتشى يغني سكراً واسم امرأة أخيه ريا فقال:

أيـهـا الـجـيـرة اسلمـوا كـيْ تُحَيَّـوْا وتُـكْـرَمـوا
خـرجتْ مـزنـة من الـبحـ ـر ريّـا تـحـمـحـم
هـي مـا كـنـتـي وتـز عـمُ أنـي لـهـا حـمـو

فقال الرجل لمن حضره: أُشهدكم أنها طالق ثلاثاً ليرجع إلى أخي فؤاده، فإن المرأة توجد والأخ لا يوجد، فجاء الناسُ يسعون ويقولون: هنيئاً لك يا أبا فلان، فإن فلاناً قد نزل لك عن فلانة، فقال لمن حضر: أُشهدكم أنها عليَّ مثلُ أمي إن تزوجتها، قال عبد الله بن عثمان، قال المفضل قال ابن سيرين قال عبيدة السلماني: ما أدري أي الرجلين أكرم: الأول أم الآخر.

[خبر الأخوين من بني كنة برواية أُخرى]

قال القاضي: قد روي هذا الخبر من غير هذه الطريق وفي بعض ألفاظه اختلاف، فرأيتُ تكرار جملته لتكملَ الفائدة، ولا يفوت منه شيء، وما يتكرر من اقتصاصه لا ضرر فيه: حدّثنا أبي رضي الله عنه قال، حدّثنا أبو عبد الله

---

(١) م: دور قومنا.

محمد بن أحمد بن سهل الرازي قال حدّثنا سعيد بن يحيى الأموي قال، حدّثني عمي محمد بن سعيد، قال حدّثنا عبد الملك بن عمير قال: كان أخوان من ثقيف من بني كنة بينهما من التبارّ والتحابّ شيءٌ لا يعلمه إلا الله، كلُّ واحدٍ منهما أخوه عند رأسه، وإن الأكبر خرج إلى سفر وله امرأة، فأوصى أخاه بحاجة أهله، فبينا المقيم في دار الظاعن إذ مرَّت امرأةُ أخيه، وكانت من أجمل البشر، تجوزُ من بيتٍ إلى بيت، فرآها فرأى شيئاً مختلفاً، فلما رأته ولولت ووضعت يدها على رأسها ودخلت بيتاً، فوقع حبُّها في قلبه، فجعل يذوب وينحل جسمه وتغير لونه، وقدم أخوه وقال: يا أخي ما لي أراك هكذا؟ وما وجعك؟ قال: ما بي وجع، فدعا الأطباءَ فلم يقع أحدٌ على دائه، حتى أتى الحارث بن كلدة وكان طبيباً فقال: أرى عينين صحيحتين وما أدري ما هذا الوجع، وما أظنه إلا عاشقاً، فقال أخوه: سبحان الله، أسألك عن وجع أخي وأنت تستهزئ بي؟! قال: ما فعلت، وسأسقيه شراباً عندي، فإن كان عاشقاً فسيستبين لكم، فأُتي بشراب فجعل يسقيه قليلاً قليلاً كما يُزَقّ الفرخ، فلما أخذ الشراب منه تهيج فتكلم فقال:

ألـمَّـا بـي عـلى الأبيـا ت بـالـخـيـفِ أزرهـنَّـهْ
غـزالاً مـا رأيتُ اليـ ـومَ فـي دور بـنـي كَـنَّـهْ
أسـيـلُ الـخـدِّ مـربـوبٌ وفـي مَـنْـطِقِـهِ غُـنَّـهْ

فقال: أنت أطبُّ العرب، فمن؟ قال: سأعيد الشراب فلعله يسمي فأعاد له بالشراب فقال:

أيـهـا الجيـرةُ آسلمـوا وآرْبِعُـوا كـي تُـكَـلَّمُـوا
وتـقـضَّـى لـبـانـةٌ وتـحـيّـوا فـتـغـنـمـوا
خـرجتْ مزنـةٌ من البحـ ـر ريَّـا تـحـمـحـم
هـي مـا كَـنَّـتي وتـز عـمُ أني لـهـا حـمـو

قال: فطلق أخوه امرأته، فقال له المريض: عليّ كذا وكذا إن تزوجتها أبداً فماتا ولم يتزوجا.

[مودة ابن المهاجر للعباسيين]

حدّثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدّثنا عمرو بن تركي القاضي أبو الفضل قال حدّثنا الوليد بن هشام القحذميّ قال[1]: لما قتل أبو العباس سليمان بن هشام دخل عليه إبراهيم بن المهاجر البجلي فأنشده:

إن بني العباس إن كنتَ سائلاً   همُ قتلوا مَنْ كان أعتى وأظلما
هم ضربوا رأسَ النفاقِ بسيفهمْ   وهم ملأوا ثوبيه من دمه دما
فمن لم يَدِنْ منّا بحبِّكَ ربَّهُ   فليس يلاقيه إذا مات مسلما

فقال أبو العباس: ما أدلَّ ظاهرَ ابنِ المهاجر على باطنه في ودّنا، إن ذلك ليبين في عينيه أكثر مما يبين في لسانه.

[يسأل شريكاً: الطنبور أطيب أم العود]

حدّثنا الحسن بن علي بن زكريا العدوي قال أخبرنا الحسن بن علي بن راشد قال: جاء رجل إلى شريك بن عبد الله فقال: أيها القاضي أيما أطيبُ الطنبور أم العود؟ فقال: أحسبك بايعتَ يا عدوَّ الله، فحلف أنه لم يبايع، وأنه مستفهم، فقال له: كم على الطنبور من وتر؟ قال: اثنان، قال: وعلى العود؟ قال: أربعة، فقال: فكلما كثر هذا كان أطيب.

[قولة لأبي يوسف يرويها ابن حنبل]

حدّثنا محمد بن الحسن بن زياد قال أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٥: ٢٨٩.

قال حدّثنا أبي قال: سمعت أبا يوسف القاضي يقول: إن للعيون خبايا بالغدوات ما ليس لها بالعشيات، فقلت له: يا أبت، أليس ذكرت أنك لا تروي عن أبي يوسف؟ فقال: هذه حكمة يأخذها العبدُ عن كلٍّ مَنْ وجدها عنده.

المجلس الرابع والسبعون

[حديث: وَجَبَتْ]

حدّثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمرو بن زرارة قال: حدّثنا عيسى يعني ابن يونس عن موسى يعني ابن عبيدة قال: أخبرني إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال[1]: كنا مع النبي ﷺ فأتي بجنازة فأثني عليها خيراً فقال: وجبت، ثم أتي بجنازة فأثني عليها بعض الثناء فقال: وجبت، فقال ناس: ما وجبت؟ فقال: إن الملائكة شهداء الله في السماء وأنتم شهداء الله في الأرض، وما شهدتم عليه من شيء وجب، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ والمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥).

[تعليق للقاضي]

قال القاضي: فما أولى بالمرءِ المؤمن الناصح لنفسه الراجي لربه، الخائف من غضبه أن يتقي الله ويهذب سريرته، ويخلّص من الرياء والفساد

---

(١) المشهور في هذا حديث أنس في البخاري ٢: ١٢١ ومسلم ١: ٢٦٠ والترمذي ٢: ٢٦١ وابن ماجه ١: ٤٧٨ ومسند أحمد ٣: ١٨٦، ٢٤٥ وروي في البخاري والترمذي موقوفاً على عمر.

عمله، حتى يجعل الله تعالى المقة بعد وفاته في قلوب عباده، فيثني مؤمنهم عليه، غير مسفٍّ إلى ثنائهم وتزكيتهم في حياته، فقد قال جل ثناؤه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُم الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ (مريم: ٩٦) ومن فارق الدنيا على الطريقة التي وصفنا أظهر الله حسناته، وأجراها على أفواه عباده، وستر ما خفيَ على الناس من مساوئ عمله، أصحبنا الله وإياكم جميلَ ستره في دنيانا، وبعد قبضه إيانا، إنه جوادٌ كريم رؤوف رحيم.

[صبر أعرابية يفوق صبر الرجال]

حدّثنا محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: كان بحمى ضرية عجوز من بني أبي بكر بن كلاب يتحدث قومها عن سَرْوِهَا وعَقلها، فأخبرني من حضرها وقد مات ابن لها وقد كان واحدها، وقد طالت عِلَّتُهُ فأحسنت تمريضه، فلما فاظ قعدت بفنائها وحضرها قومها فأقبلت على شيخ منهم فقالت: يا فلان أو يا أبا فلان ما أحَقَّ مَنْ أُلْبِسَ العافيةَ وأسبغت عليه النعمة فاعتدلت به الفطرة أن لا يعجزَ عن التوثق لنفسه قبل حلِّ عقدته، والحلول بعقوته، والحيال بينه وبين نفسه، ثم أنشأت تقول:

هـو ابني وأُنسي أجره لي وعـزَّني ... على نفسـه ربٌّ إليـه ولاؤهـا
فإن احتسبْ أوجَرْ وإن أبكه أكنْ ... كباكيةٍ لم يغنِ شيئـاً بكاؤهـا

فقال الشيخ: إنا لم نزل نسمع أنّ الجزعَ إنما هو للنساء فلا يأس رجل في مصيبته، ولقد كَرُمَ صبرك وما أشبهتِ النساء، فأقبلت عليه بوجهها وقالت: إنه ما خُيّرَ امرؤ بين جزع وصبر إلا وجد بينهما نهجين بعيدي التفاوت في حالتيهما، أما الصبر فحسن العلانية محمود العاقبة، وأما الجزع فغير معوِّضٍ عوضاً مع مأثمه، ولو كانا في صورة رجلين لكان الصبر أولاهما بالغلبة بحسن الصورة وكرم الطبيعة في عاجله في الدين وآجله في الثواب، وكفى بما وعد الله فيه لمن ألهمه الله إياه.

[تفسير بعض الألفاظ]

قال القاضي: في هذا الخبر أن هذه المرأة قالت: « والحيال بينه وبين نفسه » ولا يعرف الحيال في هذا الموضع وإنما يقال: حالت الناقة أو الشاة حيالاً إذا لم تلقح وهي حائل. وروي عن النبي ﷺ أنه قال في سبي أوطاس[١]: لا تقربوا حاملاً حتى تضع ولا حائلاً حتى تحيض.

ومن الحيال قول الشاعر[٢]:

قَـرِّبـا مـربـطَ النعـامـة مني لقحـتْ حربُ وائلٍ عن حيال

وقال الفرّاء: ومن كلام العرب: حائلُ حُولٍ، إذا تتابع الحيال عليها ثلاثة أعوام.

وأما الحول بين الشيء وغيره من قول الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ (الأنفال: ٢٤) وقوله: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُما المَوْجُ﴾ (هود: ٤٣) وقوله: ﴿وَحِيْلَ بَيْنَهُمْ وبينَ ما يَشْتَهُونَ﴾ (سبأ: ٥٤) وهذا معنى اللفظة الواردة في هذا الخبر فإنه يقال فيه: حلت بين الرجلين حولاً وحؤولاً.

وقوله: « والحلول بعقوته » يقال: ساحة الدار وباحتها وقاعتها وعقوتها كما قال الشاعر[٣]:

---

(١) يعني سبي هوازن يوم حنين، لأن أوطاس واد في ديار هوازن.
(٢) هو الحارث بن عباد البكري، وكان اعتزل الحرب حتى قتل ابنه بجير، انظر الأغاني ٥: ٤٠.
(٣) البيت من قصيدة يتنازع نسبتها كل من عبيد بن الأبرص وأوس بن حجر (وهي ثابتة في الديوانيـن) وانظر ذيل أمالي القالي: ١٩.

فمن بعقوتِهِ كمن بنجوتِهِ والمستكنُّ كمن يمشي بقرواحِ[1]

[الأحوص يسرق شعر ابن أبي دباكل]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال: حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني عمرو بن أبي بكر المؤملي عن عبد الله بن أبي عبيدة بن عمار بن ياسر قال[2]: خرجت أنا والأحوص الأنصاري مع عبد الله بن حسن للحج، فلما كنا بقديد قلنا لعبد الله بن حسن: لو أرسلت إلى سليمان بن [أبي] دباكل الخزاعي فأنشدنا من شعره، فأرسل إليه فجاءنا فأنشدنا قصيدته:

يا بيتَ خنساءَ الذي أتجنَّبُ ذهب الزمانُ وحبُّها لا يذهبُ
أصبحتُ أمنحكَ الصدودَ وإنني قسماً إليكَ مع الصدود لأجنب
مالي أحن إذا جمالك قُرِّبَتْ وأصدّ عنك وأنت مني أقرب
لله درُّكِ هل لديكِ معوَّلٌ لمتيَّمٍ أم هَل لودك مطلب
فلقد رأيتكِ قبل ذاك وإنني لمتيَّمٌ بهواك لو يتجنب[3]
وأرى السميَّةَ باسمكم فيزيدني شوقاً إليك جنابك المتسبب[4]
وأرى العدوَّ يودّكم فأوده إذ كان ينسب منك أو يَتَنَسَّب[5]
وأُخالقُ الواشين فيك تجملا وهم عليَّ ذوو ضغائن ذُرَّبُ[6]

---

(١) النجوة: المكان المرتفع؛ القرواح: الأرض المستوية؛ يصف المطر وأنه عم المرتفعات والمنخفضات وأصاب من لاذ منه ومن ظهر غير مستكن.

(٢) وردت القصة بالسند نفسه في الأغاني ٢١: ١٠٨ - ١١٢.

(٣) الأغاني: لموكل بهواك أو متقرب.

(٤) أثبت في ب «جنابك» ومعها « سميك » الأغاني: رجاؤك المتنسب.

(٥) الأغاني: أو لا ينسب.

(٦) الأغاني: دؤب.

ثم اتخذتهمُ عليَّ وليجةً		حتى غضبتُ ومثلُ ذلك يُغْضِبُ

وانصرف. فلما كان القابل حجَّ أبو بكر بن عبدالعزيز بن مروان فمرَّ بالمدينة، فدخل عليه الأحوص واستصحبه فأصحبه، فلما خرج الأحوص قال له بعض من عنده: تقدمُ بالأحوصِ الشامَ فتُعَيَّرُ به[1]، فبعث إلى الأحوص فقال له: يا خال إني نظرتُ فيما سألتني من الاستصحاب فكرهتُ أن أهجم بكِ على أمير المؤمنين بلا إذن، ولكني أستأذنه لك فإن أذنَ كتبتُ إليك بالمسير[2] إليَّ؛ فقال الأحوص: لا والله ما بك ما ذكرت، ولكني سُبِعْتُ عندك، ثم خرج. فأرسل إليه عمر بن عبد العزيز بصلةٍ واستوهبه عرض أبي بكر فوهبه له ثم قال[3]:

يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزَّلُ		حذَرَ العدى وبه الفؤادُ موكَّلُ
إني لأمنحك الصدودَ وإنني		قسماً إليك مع الصدودِ لأميل

ثم قال فيها يعرض بأبي بكر بن عبد العزيز[4]:

ووعدتني في حاجتي فصدقتني		ووفيتَ إذ كذبوا الحديثَ وبدَّلوا
حتى إذا رفع[5] الحديثُ مطامعي		يأساً وأخلفني الذين أؤمّل
زايلتُ ما صنعوا إليكَ برحلةٍ		عجلاً وعندك عنهمُ متحول
وأراك تفعلُ ما تقولُ وبعضهم		مَذِقُ اللسانِ يقول ما لا يفعل

---

(١) الأغاني: تقدم بالأحوص الشام وبها من ينافسك من بني أبيك وهو من الأفن والسفه على ما قد علمت فيعيبونك به.

(٢) م س: في المسير.

(٣) أهمل القاضي هنا لبَّ الحكاية وهو ان الأحوص أغار على قصيدة ابن أبي دباكل مغيراً القوافي.

(٤) حذف المؤلف أبياتاً كثيرة من القصيدة في مدح عمر بن عبد العزيز.

(٥) خ بهامش م: رجع.

فقال له عمر بن عبد العزيز: ما أراك أعفيتني مما استعفيتك منه.

[إنه أبو ثابت وابنه أثبت منه]

حدّثنا محمد بن القاسم الأنباري قال: حدّثني أبي قال حدّثني الحسن بن عبد الرحمن الربعي قال: حدّثني أحمد بن عمر بن عمران بن إسماعيل بن عبد العزيز بن أبي ثابت بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال: حدّثني عمي[1] عمر بن عمران قال: انتظرت قريش عمران بن عبد العزيز يوم قدم المهدي المدينة فقالت قريش: لا ندخل حتى يدخل أبو ثابت فدخل أبو ثابت فتكلم، فلما فرغ من كلامه قال الناس: الأمير، يعنون المهدي، وكان ولي عهد، فقال عمران: ابني عمر يتكلم بعدي، قال: فتكلم عمر بن عمران فأبلغ قال: فخرج الحاجب فقال: أنا أشهد أنه أبو ثابت، وابنه أثبتُ منه، قال: فأنشد المهدي هذه القصيدة من قول عمر:

غشيتُ لهندٍ بالعقيق ربوعا ... فأذريتُ في دارِ الحبيبِ دموعا
وليس بها إلا أثافٍ كأنها ... حمائمُ ظلَّتْ في الديارِ وقوعا
فيا سائلي ما الحبُّ صادفتَ عالماً ... بصيراً بما عنه سألتَ سميعا
فإني وجدتُ الحبّ كالنار حَرُّهُ ... وحلواً ومراً بعد ذاك فظيعا
فَمَنْ مُسْرِعٌ يأتي الإمامَ بمنطقي ... ويبلغني منه الجوابَ سريعا
لطفتَ أميرَ المؤمنين لهاشمٍ ... وكنت لها بعد المحول ربيعا
فأديتَ حقَّ الله في برِّ والدٍ ... فلا تك للباقي[2] هُديتَ مضيعا
رُفِعْنَا وأنتم بالحبيب[3] محمدٍ ... وكان على الخلق النبيُّ رفيعا

---

(١) س: حدثني أحمد بن...
(٢) س: للماضي.
(٣) م س: بالنبي.

فأعمامَهُ كنتم وكان ابنَ أختنـا فجاءت به طلقَ اليدين قريعـا
فلن يقبلَ الرحمنُ بـرّاً لوالـدٍ إذا لم يبـرَّ الـوالـدين جميعـا
فقد أمر الـرحمنُ بالبـر فيهما فكنْ فيهما يا ابنَ الكرام مطيعا

قال: فألحق بني زهرة في العطاء ببني هاشم يومئذ.

[أحمد بن حنبل يكتب شعر أبي نواس]

حدّثنا محمد بن العباس بن الوليد قال[1]: سمعت أحمد بن يحيى ثعلب يقول: دخلت على أحمد بن حنبل فرأيت[2] رجلاً تهمّه نفسه لا يحب أن يكثر عليه كأن النيران قد سُعِّرَتْ بين يديه، فما زلتُ أُرْفُقُ به، وتوسَّلْتُ بالشيبانية إليه فقلت: أنا من مواليك يا أبا عبد الله، وذكرت له عبد الله بن الفرج، (قال أبو العباس: وعبد الله بن الفرج[3] هذا من صالحي أهل البلد) فقرم إلى حديثي وانبسط إليّ وقال: في أيِّ شيءٍ نظرتَ؟ فقلت: في علم اللغة والشعر، فقال: مررتُ بالبصرة وجماعةٌ يكتبون الشعر عن رجل، فقيل لي هذا أبو نواس، فتخللتُ الناسَ ورآني، فلما جلستُ أملَّ علينا[4]:

إذا مـا خلوتَ الدهـرَ يومـاً فـلا تَقُـلْ خـلوتُ ولـكـن قـلْ عـليَّ رقـيـبُ
ولا تـحسـبنَّ الله يـغـفـلُ سـاعـةً ولا أن مـا يـخفـى عـليـه يـغـيـب
لهــونــا لعمــر الله حتـى تتـابـعتْ ذنــوبٌ عــلى آثـارهــنَّ ذنــوب
فيــا ليتَ أنَّ الله يغـفــرُ مــا مضـى ويــأذن فــي تــوبــاتــنــا فــنــتــوب

ثم أطرق، فعلمت أنه قد ملَّ، فسلَّمت وانصرفت.

---

(١) القصة والشعر في تهذيب ابن عساكر ٤: ٢٧٨ - ٢٧٩ (نقلاً عن الجليس الصالح).
(٢) ك: فرأيته.
(٣) ابن الفرج: سقطت من س.
(٤) انظر ديوان شعر الخوارج: ٢٦٠ - ٢٦١ ومنها بيتان في أمالي القالي ٢: ٩٤ وتنسب لعددٍ من الشعراء، وقد أفاض في تخريجها الاستاذ محمد جيار المعيبد في حماسة الظرفاء (فلتراجع).

قال محمد بن العباس: فحدث أبي بهذا عبد الله بن المعتز وأنا حاضر أسمع فأنشده الأبيات، فقال لنا عبد الله: هذه الأبيات لأبي نواس من زهدياته.

قال محمد بن العباس: فنظرت فيما حدَّثَنا به الناسُ عن أبي عبد الله هل رأى أبا نواس فوجدت فيما حدثنا عبد الله بطريق خراسان وهو قاضي الناحية قال: سمعت أبي يقول: كنتُ في البصرة في مجلس ابن علية فالتفتُّ فإذا بدعابةٍ وضحك، وإذا بأبي نواس يُكْتَبُ[١] عنه من زهدياته.

قال القاضي: وقد رُوِيَتْ لنا هذه الأبيات عن بعض من تقدمْ أبا نواس من الشعراء، واستشهد ببعضها طائفة من النحويين في موضع[٢] من فصول النحو، وقد ذكرنا من هذا طرفاً في موضع غير هذا فلم أرَ لإعادته في هذا الموضع وجهاً.

[وفادة عبد الله بن جعفر على معاوية]

حدّثنا أحمد بن العباس العسكري قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن صالح التميمي قال: حدّثني عمر بن عبد الوهاب الرياحي قال: حدّثنا عبد الله بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص عن خالد بن سعيد عن سعيد بن عمرو قال[٣]: وفد عبد الله بن جعفر على معاوية بن أبي سفيان فأنزله في داره فقالت له ابنة قرظة امرأته: إن جارَكَ هذا يسمعُ الغناءَ، قال: فإذا كان ذلك فأعلميني فأعلمته فاطلع عليه فإذا جاريةٌ له تغنيه وهي تقول:

---

(١) م س: فكتبت.

(٢) س: بعض.

(٣) نقل ابن عساكر هذا الخبر في تاريخ دمشق (عبد الله بن جابر - عبد الله بن زيد): ٣٣ وانظر تهذيب ابن عساكر ٧: ٣٣٠.

إنك والله لذو مَلَّةٍ يطرفكَ الأدنى عن الأبعد

وهو يقول: يا صدقكاه. قال: ثم قال اسقيني قالت: ما أسقيك؟ قال: ماء وعسلاً، قال: فانصرف معاوية وهو يقول: ما أرى بأساً. فلما كان بعد ذلك قالت له: إن جارك هذا لا يدعنا ننام[1] الليل من قراءة القرآن، قال: هكذا قومي رهبان بالليل ملوك بالنهار.

[ابن المبارك يقسم لاخوانه]

حدّثنا محمد بن داود بن سليمان النيسابوري قال: سمعت الحسن بن سفيان يقول: قال حبّان عن ابن المبارك إنه قسم يوماً لاخوانه ومن حضره من أصحابنا ألف درهم ثم قال:

لا خيرَ في المال وكَنَّازِهِ بل لجوادِ الكفِّ وهّابِهِ
يفعل أحياناً بزوّاره ما يفعلُ الخمرُ بشرابه

قال القاضي: ذكّر ابن المبارك الخمر والمعروفُ تأنيثها، أراد الشراب.

[قول شريح في الجراد]

حدّثنا محمد بن الحسن بن زياد قال: حدّثنا أحمد بن عبد الرحيم قال: أخبرنا وكيع عن الأعمش قال[2]: أخبرنا عامر قال: سئل شريح القاضي عن الجراد قال: قبح الله الجرادة فيها خلقة سبعة جبابرة: رأسها رأس فرس وعنقها عنق ثور وصدرها صدر أسد وجناحها جناح نسر ورجلاها رجلا جمل وذنبها ذنب حية وبطنها بطن عقرب.

---

(١) س: لا ينام.
(٢) انظر تهذيب ابن عساكر ٦: ٣١٤ والدميري ١: ٢١٣.

[أفتنت سعيداً]

حدّثنا محمد بن مخلد قال: حـدّثني أحمد بن محمد بن بكر بن خـالد قال حدثنا أبو العباس داود بن رشيد قال حدّثنا أبو نميلة عن عمرو بن زائدة قال[1]: حدّثتني امرأة من بني أسد قالت: زففنا عروساً في الحيِّ فمررنا بسعيد بن جبير والمغنية تقول:

لئن فتنتني لـهيَ بـالأَمْسِ أفتنـتْ سعيـداً فأضحى قـد قلى كلَّ مسلمِ
وألقى مفـاتيـحَ المسـاجـدِ واشتـرى وصـالَ الغـواني بـالكتـابِ المنمنم

قال ابن مخلد؛ فقال سعيد: كذب.

[التآخي بين صعب بن جثامة وعوف بن مالك]

حـدّثنا أحمـد بن العلاء الحـرمي قال: حـدّثنـا عبـد الله بن شبيب قـال حدّثني ابن عائشة قال حدّثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن صعب بن جثامة وعوف بن مالك كانـا متواخيين فقـال صعب لعوف: أي أخي أينا مات قبل صاحبه فليتراءى له قال: أيكون ذاك؟ قال: نعم، فمات صعب، قال: فرأى عوف فيما يرى النائم كأنه أتاه قال: فقلت: أي أخي ما فَعَـلَ بكم؟ قال: غَفَر لنا بعد المشائب قال: ورأيت لمعة سواد في عنقـه فقلت: أي أخي ما هذا؟ قال: عشرة دنانير استسلفتها من فلان اليهودي فهي في قرني فأعطوها إيـاه، واعلم أي أخي أنه لم يحـدث في أهلي حَدَث بعـدي إلا وقد لحق بي أجـره حتى هرة لنـا ماتت لنـا منذ أيـام، واعلم أن بنتي تمـوت إلى ستـة أيـام فاستوصـوا بها معـروفاً، قـال: فلما استيقـظت قلت إن في هذا لمعلمـاً، فلما

---

(١) البصـائر ٥ رقم: ٣٨٣ وكتـاب الامتـاع والانتفـاع: ٦٦ واللسـان والتـاج (فتن) لأعشى همـدان وديوان العشي: ٣٤٠ والجليس الصالح ١: ١٩٩ والخصائص ٣: ٣١٥ (لابن قيس).

أصبحت أتيت أهله فقالوا: مرحباً مرحباً بعوف أهكذا تصنعون[1] بتركة إخوانكم، لم تقربنا منذ مات صعب، قال: فاعتللت بما يتعلل به الناس، قال: فنظرتُ إلى القرن فأنزلته، وانتثلتُ ما فيه فندرت الصرة التي فيها الدنانير، فبعثت إلى اليهودي فجاء فقلت له: هل كان لك على صعب شيء؟ قال: يرحم الله صعباً كان من خيار أصحاب محمد ﷺ هي له، قلت لتخبرنيّ قال: نعْم، أسلفته عشرة دنانير، فنبذْتُهَا إليه، قال: هي والله بأعيانها قال: قلت هذه واحدة، قال، قلت: فهل حدث فيكم حدث بعد موته؟ قالوا: نعم حدث فينا كذا، قلت: اذكروا، قال: نعم هرّة ماتت لنا منذ أيام، قال: قلت هاتان اثنتان، قال: قلت: أين ابنة أخي؟ قالوا: تلعب، قال: فأتي بها فمسستها فإذا هي محمومة، فقلت: استوصوا بها خيراً، فماتت لستة أيام.

[تفسير ما يتطلب توضيحاً]

قال القاضي: قوله: « بعد المشائب » يتجه فيه وجهان من التأويل أحدهما: أنه من قولهم شاب الشيء إذا خالطه ومازجه فكأنه عنى أنه لقي ـ مع أنه نجا وفاز ـ أموراً فظيعة راعته حين عاينها يومئذ، وهو يوم الفزع الأكبر، نسأل الله العظيم خيره والسلامة فيه، ونعوذ به من شره. والوجه الثاني أنه من الشيب والمشيب، وقد وصفه الله تعالى بأنه يجعل الولدان شيباً.

وأما القرن فإنه الكنانة أو القنديل، فإذا اجتمعت الكنانة والنبل من السلاح فهو قرن كما قال الشاعر:

يا ابن هشام أهلك الناس اللبن　　فكلهم يمشي بسيفٍ وقرن

---

(١) س: تفعلون.

[ما هو إلا شيء جرى على لساني]

حدّثنا محمد بن مزيد البوشنجي قال: حدّثنا الزبير قال حدّثني عمي عن معافى بن نعيم[1]: أنَّ والياً كان على اليمامة ولَّاه بلال بن جرير بعضَ أعماله، فجلس يوماً يحكم والخصوم جلوسٌ إذ تمثل أحدهم:

وابنُ المراغةِ حابسٌ أعيارَهُ مَرْمَى القَصِيَّةِ ما يذقن بلالا

ولا يشعر أنه من ذلك بسبيل، قال فقال: أين هذا الراوية؟ قال: ها أناذا أصلحك الله، قال: ادنُ أنت وخصمك، فدنوا قال: هلمَّ أعدِ البيت، فغمزه إنسان، فقال: أصلحك الله، والله ما هو إلا شيء جرى على لساني وما أردت بذلك مكروهاً، فقال: هو أشهر من ذلك، هلمَّ، فاحتجّا.

[كتابة على قبر]

حدّثنا أبي رضي الله عنه قال، حدّثنا أبوأحمد الختلي قال، حدّثنا عمر يعني ابن محمد بن عبد الحكم النسائي، حدّثني أحمد بن بشير بن سليمان الشيباني قال: سمعت أحمد بن عبد الله الدينوري يقول: قرأت على قبر[2]:

أخٌ طال ما سرَّني ذكرُهُ فقد صِرْتُ أشجى لدى ذكرِهِ
وقد كنت أغدو إلى قصْرِهِ فقد صِرْتُ أغدو إلى قبرِهِ
وقد كنتُ دهري ضنيناً به[3] عن الناس لو مُدّ في عمرِه
وكنتُ إذا جئتُ في حاجةٍ فأمري يجوزُ على أمره
فصار عليٌّ إلى ربّه وكان عليٌّ فتى دهره

(١) تهذيب ابن عساكر ٣: ٣٠٠ وتاريخ دمشق ١٠: ٢٧٨.
(٢) الشعر في أمالي القالي ١: ٢٧٦ وهو منسوب لأبي العتاهية، انظر ديوانه: ١٨١.
(٣) الديوان: وكنت أراني غنياً به.

أتمّ وأكمل ما لم يزل وأنبل من كان في عصره
أَتَتْهُ المنيَّةُ مغتالةً رويداً تخلَّلُ من ستره
فلم تُغْنِ أجنادُهُ حَوْلَهُ ولا المسرعون إلى نصره
أشدّ البرية وجداً به أجدُّ البرية في طمره
فأصبح يُهْدَى إلى منزل تنوَّقَ ناعيه[1] في حفره
تُغَلَّقُ بالترب أبوابُهُ إلى يوم يُؤْذَنُ في حشره
وخلّى القصورَ التي شادها وحلَّ من القبر في قعره
وبُدِّلَ بالعَرْشِ بُسْطَ الثرى وريح ثرى الأرض من عطره
أخو سفرةٍ ماله أوْبَةٌ غريبٌ وإن كان في مصره
فلستُ مُشَيِّعَهُ غادياً[2] أميراً يسير إلى ثغره
ولا متلقٍّ له قافلاً بقتل عدوٍّ ولا أسره
فلا يَبْعَدَنَّ أخي هالكا فكلٌّ سيمضي على إثره

[توجيهات نحوية]

قال القاضي: قوله «ولا متلقٍ له» بالجرّ، وقد عطفه على قوله: «فلست مشيّعهُ» وهو منصوب لأن قوله: «فلست مشيّعه» بمعنى: فلست بمشيّعه، ومن هذا قول زهير[3]:

بدا ليَ أني لست مدركَ ما مضى ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيا

وقد استشهد النحاة في هذا الوجه بقول امرىء القيس[4]:

فظلَّ طهاةُ اللحمِ من بين منضجٍ صفيفَ شواءٍ أو قديرٍ معجلِ

---

(١) م س: عميق تنوق؛ الديوان: سحيق تؤنق.
(٢) الديوان: غازياً.
(٣) ديوان زهير: ٢٨٧.
(٤) ديوان امرىء القيس: ٢٢.

وقالوا: قد عطف على قوله: «صفيف شواء»، وحمل هذا بعضهم على أنه معطوف على قوله: «شواء» وتأول هذا بعضهم على الجوار كما حكي هذا جُحْرُ ضبٍّ خربٍ، وهذا باب يتسع القول فيه، ولنا فيه كلامٌ كثير مشروح في مواضع من كتبنا في القرآن والفقه والنحو.

[شعر لسابق البربري]

حدّثنا عبد الله بن محمد بن جعفر الأزدي قال: حدّثنا أبو بكر بن أبي الدنيا قال حدّثني محمد بن الحسين قال حدّثنا حماد بن الوليد الحنظلي قال: سمعت عمر بن ذر يذكر أنه بلغه عن ميمون بن مهران أنه قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز يوماً وعنده سابق البربري الشاعر فانتهى في شعره إلى هذه الأبيات[1]:

فكم من صحيح بات للموت آمناً ... أتته المنايا بغتةً بعدما هَجَعْ
فلم يستطعْ إذ جاءه الموتُ بغتةً ... فراراً ولا منه بحيلته امتنع
فأصبح تبكيهِ النساءُ مُقَنّعاً ... ولا يسمعُ الداعي وإن صَوْتَهُ رفع
وَقُرِّبَ من لحدٍ فصار مقيلَهُ ... وفارق ما قد كان بالأمس قد جمع
فلا يترك الموت الغنيَّ لماله ... ولا معدماً في المال ذا حاجة يدع

فلم يزل عمر يضطربُ ويبكي حتى غُشِيَ عليه، قال: فقمنا فانصرفنا عنه.

[ولكن تفيض النفس عند امتلائها]

أنشدنا محمد بن يحيى الصولي قال: أنشدنا المبرد[2]:

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٦: ٤١.

(٢) الأبيات لأبي تمام في ديوانه ٤: ٤٤٢ والرابع منها في العقد ٣: ٤٦٣ والبصائر ٥ رقم: ٥٣٢.

ولي حاجة قد راثَ عني نجاحُها | وجودُكَ أجدى وافدٍ في اقتضائها
ومالي شفيعٌ غير نفسك إنني اتـ | كـلت من الدنيا على حسن رائها
عـطاؤك لا يفنى ويستغرقُ المنى | وتبقى وجوهُ الراغبين[1] بمائها
شكوتُ وما الشكوى لنفسيَ عادةٌ | ولكن تفيضُ النفس عند امتلائها

[كن باذلاً للخير]

أنشدنا عمر بن الحسن الشيباني، قال: أنشدنا أبو بكر القرشي قال: أنشدني الحسين بن عبد الرحمن:

إذا ما الليالي أقبلتْ بإساءةٍ | رَجَوْنَا بأنْ تأتي بحُسْنِ صنيعِ
وذلك فعلُ اللّهِ بالناسِ كلّهمْ | فكنْ باذلاً للخير غيرَ مَنُوعِ

(١) خ بهامش م: السائلين.

المجلس الخامس والسبعون

[طير الجنة]

حدّثنا جعفر بن محمد بن عبدويه المروزي البراثي قال حدّثنا الزعفراني قال حدّثنا أبو معاويةَ الضرير قال حدّثنا عبيد الله بن الوليد عن عطية[1] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: إنَّ في الجنةِ طيراً فيه سبعون ألف ريشةٍ فيجيءُ حتى يقعَ على صَحْفَةِ الرجلِ من أهلِ الجنة، فينتفضُ فيخرجُ من تحتِ كلِّ ريشةٍ لونٌ أبيض من الثلج وألينُ من الزبد وأحلى من العسل ليس فيها لونٌ يشبه صاحبه، ثم يطير فيذهب.

[تعليق القاضي على الحديث]

قال القاضي: قد أنبأ هذا الخبر عن عظيم قدرةِ الله تعالى ذكره وجسيم نعمته وعجيب رزقه، وعما أعدَّه لأوليائه في جنّته مما لم تتصوَّرْهُ نفوسهم، ولم تبلغه أمانِيُّهم، فهنيئاً لهم ما أنعم به عليهم ربهم، وإياه نسألُ أن يدخلَنا

---

(١) هو عطية بن سعد العوفي الكوفي أبو الحسن، وعنه يروي عبيد الله بن الوليد الوصافي الكوفي أبو إسماعيل.

جنَّته ولا يحرمنا رحمته، فإنه لا يتعاظَمُهُ خيرٌ يجودُ به، ولا يستصعبُ عليه شرٌّ يصرفه، بيده الخير كُلُّه، وهو على كلِّ شيء قدير.

[إعجاب الأخطل بأبيات للقطامي]

حدّثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي قال: سأل عمرو بن سعيد القرشي الأخطل: أيسرُّكَ أنَّ لك شعراً بشعرك؟ قال: لا والله ما يسرُّني أن لي بمقولي مقولاً من مقاولِ العرب، غير أن رجلاً من قومي قد قال أبياتاً حسدته عليها، وايم الله إنه لمغدفُ القناع، ضيّق الذراع، قليل السماع، قال: ومن هو؟ قال: القطامي، قال: وما هذه الأبيات؟ قال: قوله[1]:

يمشين رهواً فلا الأعجازُ خاذلةٌ ... ولا الصدورُ على الأعجاز تتَّكِلُ
من كلِّ ساميةِ العينين تَحْسَبها ... مجنونةً أو ترى ما لا تَرَى الإبلُ
حتى وَرَدْنَ ركيَّاتِ الغُوَيرِ وقد ... كاد المُلاء من الكتَّان يشتعل
يمشين معترضاتٍ والحصى رَمِضٌ ... والريحُ ساكرةٌ والظلُّ معتدلُ
والعيشُ لا عيشَ إلا ما تقرُّ به ... عيني ولا حالَ إلا سَوْفَ ينتقل
إنْ تصبحي من أبي عثمانَ منجحةً ... فقد يهونُ على المستنجح العمل
والناسُ من يَلْقَ خيراً قائلون له ... ما يشتهي ولأمِّ المخطئ الهَبَل
قد يُدْرِكُ المتأنّي بعضَ حاجته ... وقد يكونُ مع المستعجلِ الزلل

[تعليق للقاضي وتفسيرات]

قال القاضي: لعمري إنّ هذه الأبيات لمن رصين الشعر وبليغه، وكلمةُ القطامي التي هذه الأبياتُ منها من أجود شعره، وأولها:

---

(١) ديوان القطامي: ٢٦.

إنـا مُحَيُّوكَ فـاسلمْ أيهـا الـطللُ وان بَلِيتَ وإنْ طـالتْ بـكَ الـطِوَلُ

ويروى الطِّيَلُ.

وقد ذكر بعضهم أن أجـود ما أتى من أشعـار العرب على هـذه العروض وهذا الرويّ هذه الكلمة وكلمة الأعشى التي أولها:

ودِّعْ هـريـرةَ إن الـركبَ مـرتحـلُ وهـل تـطيقُ وداعـاً أيهـا الـرجـلُ

وقول الأخطل: « إنـه لمغدف القنـاع » المغدف: المغـطّى فكأنـه نسبه إلى الخمـول وقصـوره عن الشـرف وأن يكـون بـارزاً مبـدياً صفحتـه مجـداً وافتخاراً، كما قال سُحَيم بن وَثيل الرياحيّ[1]:

أنـا ابنُ جَـلَا وطـلَّاعُ الثنـايـا متى أضـعِ العمـامـةَ تعـرفـوني

ويقال أغدفت المرأةُ قناعَها كما قال عنترة[2]:

إنْ تُغْـدفي دونـي القـنـاعَ فـإنـني طَبٌّ بـأخـذِ الفـارسِ المستلئـمِ

وأمـا قول القـطامي: « يمشين رهواً » فـإنه أراد أنهن يمشين في سكـونٍ وتؤدة، وقد قيل في قول الله تعالى: ﴿وَٱتْـرُكِ ٱلبَحْرَ رَهْـواً﴾ (الدخـان: ٢٤) أي سـاكناً وقيـل[3] طريقـاً يبساً. وحكي أن بعض العـرب قال في فـالـجٍ من الإبل: رهوٌ بين سنامين. وقال بعضُ أهلِ المعرفـة[4]: لو كـان القطاميّ قـال هذا البيتَ في صفة النساءِ لكان قد أحسن. ومن الرهو قول الشاعر:

كـأنمـا أهـلُ حَجْـرٍ ينظرون متى يـرونني خـارجـاً طيـرٌ ببـاديـدِ

(١) هو البيت الأول من الأصمعية الأولى.

(٢) ديوان عنـترة: ٢٠٥ وشرح السبع الطوال: ٣٣٥.

(٣) م خ د: وحكي.

(٤) هو عبد الملك بن مروان كما في الموشح: ٢٣٣.

طيرٌ رأت بازياً نَضْحُ الدماءِ به وأُمُّه خرجتْ رهواً إلى عيد

وقول عمرو بن كلثوم(١) :

نصبنا مثلَ رهوةَ ذاتَ حدٍّ محافظةً وكنّا السابقينا

ويروى: نصبنا مثل رهوة واد حر.

قيل هي الخيل، وقوله: « والريحُ ساكرةٌ » يعني ساكنةٌ، وإذا كانت ساكنةً فهي فعل الأشياء المفقودة المعدومة، يقال سَكَرَ الشيءُ إذا سكن، وقيل للسكر الذي هو من سكر الأودية والأنهار سكر، لأنه سكن إذا انسدَّ وعدمت سَوْرَته ، ومنه السكر من الشراب وغيره، قيل فيه ذلك لاحتباس ما كان منطلقاً من السكران وصحة رأيه وصواب منطقه، وقيل سَكَرَ الحرُّ إذا سكنت فورته وهدأ احتدامُهُ وشدته، كما قال الراجز(٢) :

جاءَ الشتاء واجثألَّ القبَّرُ(٣)
واستخفتِ الأفعى وكانت تظهرُ
وجعلتْ عينُ الحَرورِ تَسْكَرُ

وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ﴿ لقَالُوا إنّما سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ (الحجر: ١٥) بمعنى سُدَّتْ وصعب النظر بإسكانها عن الحركة التي تُدْرَكُ المبصَرَاتُ بها. وقرأ جمهور القَرأة سُكِّرتْ بالتشديد للتكرار إذ كانت الأبصار جماعة، وقرأ بعضهم سُكِرَتْ بالتخفيف لدلالة هذه القراءة على المعنى، ومثله فُتِّحَتْ أبوابها وَفُتِحَتْ في نظائر لهذا كثيرة، وهي مشروحة فيما تضمنته

(١) شرح السبع الطوال: ٣٩٨.
(٢) الشطران الأول والثالث في اللسان (سكر، جثل).
(٣) اجثأل: اجتمع وتقبض.

الكتب في علومِ القرآن من كلامنا وكلامِ مَنْ تقدَّمنا، وبالتخفيف قرأ ابن كثير في من وافَقَهُ من المكيين. وقوله:

إن تُصْبحي من أبي عثمان منجحةً فقد يهونُ على المستنجحِ العمل

من الكلام الحسن في الإنباء عن أنّ مَنْ أنجح سعيُهُ وأدرك ما أمَّهُ هانَ عليه ما كان أنصبه وعنّاه وأتعبه في قَصْدِ مطلوبه، ومثله قول سابق البربري:

إذا ما نال ذو طَلَبٍ نجاحاً بأمرٍ لم يجدْ أَلَمَ الطلابِ

ونظائر هذا المعنى كثيرة يُتْعِبُ إحصاؤُها وَيُمِلُّ استقصاؤها.

[قصة خيالية عن احتيال معاوية لتطليق زوج ابن عامر ليتزوج هو منها وما نجم عن ذلك]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدّثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدّثنا ابن عائشة، قال الكوكبي وحدّثنا عسل بن ذكوان قال حدّثنا التوزي عن أبي عبيدة، قال الكوكبي وحدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور قال حدّثنا محمد بن سلام قال حدّثني شعيب بن صخر، قال الكوكبي وحدّثنا محمد بن القاسم الضرير قال حدّثنا ابن عائشة عن محمد بن المختار عن أبيه، يزيد بعضهم على حديث بعضٍ، قالوا: كان عند معاوية بن أبي سفيان جماعةُ نفرٍ من سُمَّاره في ذاتِ ليلة، فقال: والله لقد فني مني[1] اللذات من المطاعم والمشارب إلا من صبيٍّ صغيرٍ يلاعبني وأُلاعبه وأضُمُّه إلى صدري، فقال عمرو بن العاص: أفلا أَدُلُّكَ يا أميرَ المؤمنين على امرأةٍ لو تزوَّجْتَها عُدْتَ بها[2] شاباً في سنِّ ابنِ ثلاثين سنة ثم لا تزالُ معها أَنْعَمَ الناسِ عيشاً بقية عمرك؟ قال معاوية: ومن هي؟ (قال محمد بن القاسم أبو العيناء دون

(١) م خ د: ذهبت مني.
(٢) م: بعدها.

الجماعة: هي فاطمة بنت عبد الرحمن بن سهل، وقالت الجماعة دون محمد بن القاسم: هي هند بنت سُهيل بن عمرو، وأحسبه هو الثبت) قال معاوية: أوليستْ تحت عبدِ الله بن عامر بن كريز؟ قال: بلى، قال: فبئس ما عرضتَ به إليَّ، أن تذكرَ زوجةَ رجلٍ من خيارِ قريش، قال عمرو: رأيتك حدثتَ نفسك بشيءٍ فعرضتُ عليك ما عرضت، وقد يتزوجُ الرجلُ المرأةَ ويتزوجها غيره، فقال معاوية: اكتموا هذا الأمر لا تشهروه، فلعمري إن نال أحدٌ حاجَتَهُ بالرفقِ والتأني والحيلة لأنالنَّه منها. ثم دعا معاويةُ خادماً له من أبرِّ خدمه عنده وأخصّهم لديه، فقال له: انطلقْ إلى عبد الله بن عامر فزره، وإذا حضر البابَ فألطفه وأكرمه وأوقعْ في قلبه كثرةَ ذكري له وأني ربّما ذكرتُهُ عند نسائي وحرمي وحيث لا يُذْكَرُ فيه أحدٌ من الرجال، وأن ذلك ليس إلّا لقدره عندي ومنزلته مني، فإذا أوقعتَ ذلك في قلبه[1] فأعلمني، ففعل الخادمُ ما أمره به حتى ظنَّ عبد الله أنه ليس أحدٌ بمنزلته عنده، فقال معاوية للخادم: انطلق الآن شبهَ الناصح والمتحظّي عنده فَمُرْهُ أن يخطبَ إلى أمير المؤمنين ابنته رملة، وشجِّعْه على ذلك، واضمنْ له أنك تخليه من أمير المؤمنين إذا أحب. فتهيأ عبد الله بن عامر لذلك وهيأ له كلامه، فأدخله الخادمُ على معاوية فبرَّه وألطفه وأقبل عليه بوجهه يُحَدِّثه، ودعا بالطعام وألوان الأشربة وأقبل يستطعمه الكلام، فحصر عبد الله وانقطع وانقبض وهابه، فقال معاوية حين رأى حَصَرَهُ وهيبته: إنه لن يمنعك من أمير المؤمنين الخلوة، قل ما أحببتَ وانبسطْ في كلامك وسلْ ما أحببت، فدعا له وأثنى عليه وانصرف يومه ذلك ولم يكلِّمْهُ في شيء، فدعا معاوية خادمه ذلك فأعلمه أن الرجلَ هاب وحصر؛ فاغدُ إليه ومره أن يسأل حاجتَهُ وشجّعْهُ وأعلمه أن أمير المؤمنين قاضٍ حاجته. فمضى الخادم إلى عبد الله فأمره بالعود إلى معاوية ومسألته حاجته فإنه لن يُمْنَعَ ما يريد؛ فغدا

---

(١) م س: فإذا أوقعت في قلبه كثرة ذكري له.

عبـد الله علـى معــاوية فأكرمــه وألطفــه ودعــا له بالطعــام والشــراب، فلما أكلا وشربا قال عبـد الله: جئتك يـا أمير المؤمنين في حـاجةٍ على حُسْن ظنّي بأمير المـؤمنـين ومنزلتي منه، فـإن وافق منه مـا أُحِبُّ فذاك الـذي أبغي، وإن خالفه فأعوذ بالله من سخط أمير المؤمنين ومن موجدته، قال معاوية: تكلم يـا ابنَ أخي بما بدا لك، قال عبد الله: جئتك أخطبُ ابنتك رملة، قال: فنظر إليـه معاوية شِبْهَ المنكرِ عليه المستعظمِ له والمنقبض منه ثم قال: ننظرُ في ذلـك، فقـام ابن عامـر وقد سُقِطَ في يـديه وظنَّ أنـه أغضبه، فلمـا خرج دعـا معاويـةُ خادمَهُ فقال: انطلق الآن فلا تَظْهَرْ ثلاثةَ أيام، فإن ابنَ عامرٍ سيطلبك، ثم الْقَهُ بعـدُ وأعلمه أنـه أحمقُ رجلٍ في قـريش وأقلُّهم عقلاً حيث يخـطبُ إلى أميـر المؤمنين ابنته وعنده امرأةٌ غيرها، إنما يريد الإضـرارَ بها وأنْ يؤذِيَهـا، وتشَدَّدْ بذلك، ومره أن يعودَ ويكتبَ كتاباً يذكر فيه أنه لم يـطلبْ هذا الأمـرَ وهو يـريد أن يضـرَّ بابنـة أمير المؤمنين ويكـون عنده غيـرها، وأنـه يخلّي عن كل امـرأةٍ تعظيماً لحقها، ففعل الخادمُ ذلك ثم لقي ابن عامر فبلغ منه ما أراد، فقـال له ابن عـامر: كيف الحيلةُ لإصـلاح هذا الأمـر؟ قال: تـدخلُ إن شئت أو تكتبُ كتاباً تذكر فيه أنك مطلّق لنسائك إكرامـاً لابنةِ أميـرِ المؤمنين وتعظيمـاً لحقِّها، ففعل ذلك ابن عامر، فلما قرأ معاوية كتابه دعا بعشرةٍ من قـريشٍ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنكم عرفتم حالَ ابنِ عـامر في شـرفه وحسبـه ومكانِـه من أمير المؤمنين وقرابته، وقد خطب إلى أمير المؤمنين ابنته، وقد زوَّجـه على ما ضَمِنَ من تـطليقِ ما عنـده، فقال عبـد الله عند ذلـك: فإن فـاطمـةَ بنت عبـد الرحمن، كما قال أبو العيناء، وقال غيره: فإن هند بنت سهيل بن عمـرو طالقٌ البتةَ، فدعـا له معـاويةُ والقـومُ جميعاً. ثم خـرج عبد الله إلى دارٍ سـوى الدار التي كـانت فيها، ثم أرسـل إليها أن اعتـدّي، فلما أتـاها الـرسول قـالت لـه: ويحك مالك؟ قال: طلَّقَكِ عبد الله، قالت: ما أظنُّه فَعَلَ هـذا وعقلُهُ معه، ثم سألت عن الأمرِ فأُخْبِرَتْ، فدعت قهرمانها فأمرته أنْ يجهّزها، ثم ارتحلت نحو

المدينة وقالت: فرَّقَ معاوية بيني وبين صاحبي ليتزوجني، والله لا يَصِلُ إلى ذلك حتى يصلَ إلى أُمه، وقيل لمعاوية إنها قد شخصت، قال: دَعْهَا فلتذهبَ حيثُ شاءت فلعمري لا تخرجُ من سلطاني إلاّ أن تخرجَ إلى أرض الشرك. فلما انقضتْ عِدَّتها كتب معاويةُ إلى مروان بن الحكم، وهو عاملُهُ على المدينة، يأمره أن يخطبَها عليه، فأرسل إليها بذلك، فأرسلت إليه: إنّ عُدَّتي لم تنقضِ، فقال: نحن أعلم بعدتك، فقالت: فإني لا أخبرك دونَ يوم الجمعة، ثم أرسلت[1] إلى الحسن بن علي عليه السلام: إني أريد أن تأتيني لأمرٍ أستفتيك فيه، فأرسل إليها: إن مثلي لا يأتي النساء للفتيا، فأرسلت إليه: إن لم تأتني أتيتك في مجلسٍ حاسرةً فإن كنت ترضى أن تخرج إليك امرأة من قريش حاسرةً حتى تفتيها فأنت ورأيك، فأعْظَمَ ذلك وخرج حتى أتاها، فأذنت له فدخل وأمسك جواريها بينه وبينها ثوباً، فحمدت الله وصلَّت على النبيِّ ﷺ وقالت: أعندك يا ابنَ رسول الله خير؟ قال الحسن: والله لقد ألجأتني إلى أمرٍ لم يكن من كلامي، من أحقُّ أن يكون عنده الخير مني وأدنى طرفيّ رسول الله وعلي بن أبي طالب صلى الله عليهما، قالت: إنه كان من معاوية في فرقته بيني وبين صاحبي ما أحسبُ أنه قد بلغك، ووالله مالي فيه من حاجة، ولقد اخترتكَ لنفسي، فإن وجدتَ أحداً أحقَّ بي منك فقد رضيتُ بحكمك[2]، أو ما شئت، قال الحسن رضي الله عنه: قد علمتِ ما كان بيني وبين معاوية حتى أصلح الله ذلك، وهذا أمرٌ ما أُحدِّث به نفسي، وما لي يومي هذا فيه من حاجة، قالت: أُذكِّرك الله أن تردَّ عليَّ نفسي بعد إذ بذلتُها لك واخترتك، قال: ما لي إلى ذلك سبيل، فلما رأت تأبّيه عليها قالت لجواريها نَحِّينَ الثوبَ عني، فَنَحَّيْنَ الثوبَ فإذا بمثلِ[3] القمر لأربع عشرة، وكانت من أحسن النساء

(١) خ د: فأرسلت.
(٢) خ د وأصل م: بخاتمك.
(٣) م خ د: مثل.

وأتمهنّ وكان الحسنُ صاحبَ نساء، فلما رأى جمالها، ولم يكن رأى مثلها، أخذت بقلبه، فقال: قد رضيتُ وقبلتُ، فأرسلتْ إلى رجالٍ من قَريش فأشهدتهم أنّها قد جعلت أمرها إلى الحسن بن علي، فحمد الله وأثنى عليه وأشهدهم أنه قد تزوجها على كذا وكذا، وبلغ الخبرُ مروانَ فأرسل إلى الحسن فحبسه، وأرسل إليها فحبسها وأقام عليها الرُّقَباء، وكتب إلى معاويةَ يعلمه أن الحسن وثب فتزوجها بغير علمِ قاضٍ ولا سلطانٍ ولا وليّ، جرْأةً عليك وخلافاً لك، وإني قد أمرتُ بحبسهما إلى أن يأتيني منك رأي، فكتب إليه معاوية: قد فهمتُ ما كتبتَ به في أمر الحسن وأمرها، وقد أجبتك في ذلك بكتاب بعثت به إليك مختوماً، فاجمع إليك ثلاثين رجلاً من قريش، ثم فُضَّ الخاتم بحضرة الحسن وحضرة القوم، ثم اقرأ كتابي واعملْ بما فيه، ففعل ذلك مروان، فإذا فيه: أما بعد فإنك كتبتَ إليَّ تذكر من تزويج الحسن بغير حُكْمِ حاكمٍ ولا عِلْمِ سلطان، وسألتني أن أكتبَ إليك برأيي فيهما ومكانهما، ولعمري ما بلغ من أمر معاوية أن يحرِّمَ شيئاً قد أحلَّه الله أو يحلَّ شيئاً قد حرَّمه[1] الله، والحسنُ إنما ترك أن يُعْلِمَ السلطانَ لمخافته[2] مني، لما سبق من خطبتي المرأةَ قبله، واختارته وآثرته عليَّ، فإذا قرأتَ كتابي هذا فخلِّ عن الحسن، وادفع إليه زوجته، ولا تعرضْ لهما في شيءٍ يؤذيهما، وادفع إلى الحسن من مالي قِبَلَكَ عشرةَ آلاف دينار معونةً له على تزويجه، وادفع إلى زوجته خمسة آلاف دينار، وأحسن جوارهما. فلما قرأ مروان الكتابَ قبل ما أُمِرَ به وأعانهما أيضاً من ماله، ومنع معاويةُ عن ابنِ عامرٍ ابنته وقال: إنما زوجتك على أن أتزوجَ امرأتك وبنتي صغيرةٌ حتى تبلغ، فاستأذن ابن عامرٍ للحج وأتى المدينة فرأى الحسن على بابه فأقبل إليه فسلم، فرحَّبَ

---

(١) م خ د: مما حرَّم.
(٢) م خ د: مخافة.

بـه الحسنُ وأنزلـه، ثم قال ابن عـامر: أبـا محمـد أتـأذنُ في الـدخـولِ على فاطمة ـ بلفظ أبي العيناء ـ والسلام عليها؟ قال: وكرامة، ثم أرسـل إليها هـذا ابنُ عمك عبد الله يريد الدخولَ عليك فأذني لـه، فأذنتْ لـه وجلست وأخَذَتْ زينتها، ثم قام الحسن فدخل عليها فإذا هي تبكي، فقـال الحسن: يا هـذا قد علمتُ مثل هذا، وقد صير الله الأمر إلى ما تـريد، وأنـا طيّب النفسِ بالنـزول عنهْـا والتخلية بينـك وبينهـا غيـر زاهـد فيهـا ولا(١) قـالٍ لهـا، ولكنْ كـراهـةَ مساءتك، قال ابن عامر: لا والله ما لي بذاك من حاجـة، وقالت هي: والله لا أرجـع إليه وقـد طلقني بغير ذنب ولا حَـدَثٍ إلا طمعاً في ابنـة معـاويـة، قـال الحسن: فما بكاؤ كما؟ قالت: ذكرتُ ابنتي حيث نظرتُ إلى وجهه، وكان لعبد الله بن عامر منها ابنة، وكانت عند أخوات عبد الله بالمدينة. ثم كشف عبد الله عن شيءٍ تحت ثوبه فإذا سَفَطان في أحدهما جوهر وفي الآخـر دُرّ، فقال: يـا أبا محمد إن هذا شيءٌ كان لي عندها سألتها عنه وما أطمع أن تردَّهُ عليَّ، ومـا أظنُّ أحداً تسخو نفسه عن مثله، فردَّتْهُ عليَّ، فأقسمتُ عليـك لما أخـذتَ منه حاجتك، قال الحسن: ما لي فيه من حاجةٍ وأنت أحقُّ بمالـك، ولكن حاجتي إليك غير هذا، أُحبُّ أن تسعفني(٢) بها، قال: ما هي؟ قال: ابنتك هي ابنتي وأُحبُّ أن تضمَّها إلى أُمّها، قال: هي لك، فأرسلها إليها من ساعتهـا فَحُمِلَتْ وكلّ ما كان لها من خدم ومالٍ فدفعها إلى الحسن.

قال أبو بكر محمد بن زكرياء: فأخبرنا أبو عثمان عبيـد الله بـن عثمان بن عمر القرشي التيمي قال أخبرني أبي ـ وكـان أبوه قـاضي المنصور ـ قـال: لما طلَّق عبد الله بن عامر بن كريز هند بنت سهيل بن عمرو وله منها ابنة وتزوجهـا الحسن بن علي عليه السلام فلم يدر ما الحيلة لهـا لما كـان في نفسه منهـا،

(١) زاهد فيها ولا: سقط من د خ.

(٢) م خ د: تشفعني.

فبعث الى ابنته ليقبضها فصرفه الحسن بالرجال فكلَّمه وكان من قوله: ما حِجْرُ رجلٍ عندي أشرفُ ولا أفضلُ من حِجْرِ الحسن بن علي عليه السلام، ولكنها امرأة قد بلغتْ وأحبُّ كينونتها عندي والأُنس بها، فلما رأت ذلك هند قالت للحسن: إني والله أعرفُ أنه لا يدعها لأحدٍ إلا لي فتأذن لي أن آتيه؟ قال: نعم لأنكِ المأمونةُ وهو المأمون، وكان قد قبض ابنته إليه، فأرسلت إليه: إني آتيك ليلة كذا وكذا، فأقام لها ابنُ عامر في داره الخارجة وصَفَاء بالشمع وفي قبته[1] التي كان يسكنها من دارته وصائف، وجلس على سرير إلى باب خلفه[2] وقد بسط له، وجاءت فجلست أسفل من سريره، وجاءت ابنتها فاعتنقتها وتباكيا، فقالت هند لابن عامر: إني جئتك في بنتي ولا حجرَ لها خيرٌ من حجري ولا أدبَ أنفعُ لها من أدبي، والله إنَّ أحبَّ ما فيها إليَّ أنها منك، فإن رأيتَ أن تهبها لي وتشفّعني فيها فعلتَ، قال: هي لك، ثم دعا بسبنيّة خزٍّ فملئت خزاً، ودعا من أصناف الثياب بثوبٍ فملأه من كلِّ صنف، ودعا بأربعة آلاف دينار وحُلَلٍ ما يُدرى ما قيمتها ثم ولَّى إلى الباب الذي خلف سريره فقام بين البابين ثم قال: لك ما بين سريري هذا إلى ما دخلتِ فيه من ملكي، فانصرفت بذلك المتاع والمال والرقيق.

قال محمد بن زكريا، قال أبو عثمان وأخبرني أبي قال: كان ابن عامر قد استودع هنداً بنت سهيل بن عمرو أسفاطاً فيها حليٌّ كثير ودرّ وجوهر لم يأمن عليها أحداً غيرَها، وطلقها وهو عند معاوية، وهي بالمدينة، قد انتقلت من منزله وتزوجها الحسن بن علي رضوان الله عليه فأرسل إليها ابن عامر يطلب ما استودعها، فأنكرت الرسولَ أن يكونَ استودعها شيئاً أو له عندها شيء! فلما كثرت الرسلُ فيما بينها وبينه لقي ابن عامر الحسنَ بن علي

---

(١) وفي قبته: سقط من د خ.
(٢) إلى باب خلفه: سقط من د خ.

عليهما السلام، فقال له: كنتُ استودعتُ هنداً وديعةً وقد أرسلتُ إليها فيها، وقد سبق إلى قلبي أن جَحْدَها لمن أرسلتُهُ محبة أن لا يفشو ذلك، وأنها لا تحبُّ دَفْعَهُ إلا إليّ، فإن رأيتَ أن تأذنَ لي عليها فعلتَ، فقال: نعم، فجاء الحسن فأعلمها أنّ ابنَ عامرٍ بالباب، فشدَّتْ عليها ثيابها، فلما دخل ابن عامر غلبته العبرة وبكت الأخرى قبل أن يتكلم أحدهما، فقال الحسن بن علي رضوان الله عليه لما رأى ذلك، إن شئتما كنتُ[1] خيرَ مُحِلّ. فقال ابن عامر: إذاً والله لا نجتمعُ أبداً، فسألها عما وضع عندها فقالت: نعم والله ما كنتُ لأقِرَّ به لأحدٍ أبداً ولا أدفعه إلى سواك أبداً، يا جاريةُ ضعي لي هناك فراشاً، فوضع لها فراش واستقر مجلسها، ثم قالت: ارفعي الفراش الذي كان تحتي فرفع ثم قالت: احفري[2]، فحفرت تحت فراشها فأخرجت تلك الأسفاط بخاتم ابن عامر لم تُحَرَّكْ، فقالت: والله ما رأيتها وما زلت أنقله معي حيث ما كنت مع فراشي، إلى أن ردَّه الله إليك، قال ابن عامر: خذي منه ما أحببتِ، وفتح بعضها ليعطيها فحلفت لا تأخذ منه شيئاً، فقام عبد الله بن عامر وقد قبض متاعه[3].

[غلام يمازح أبا نواس وهو ضجر]

حدّثنا محمد بن القاسم الأنباري قال أخبرني أبو علي بن سعيد الشيباني قال حدّثني هارون بن سفيان مولى بجيلة قال[4]: كنت مع أبي نواس يوماً في بعض طرق بغداد وهو ضَجِرٌ قليلُ النشاط، فجاء غلامٌ حَسَنُ الوجه رائقٌ، فجعل يمازحه ويعبثُ به وأبو نواس لا يلتفتُ إليه، فانصرف الغلام وهو

---

(١) م خ د: كنتما على.
(٢) خ د: كان تحتي واحفري.
(٣) بهامش خ د: ويأتي في آخر ورقة ١٦٩ أنه تزوج بابنة معاوية رضي الله عنه وذكر قصته.
(٤) القصة والشعر في تهذيب ابن عساكر ٤: ٢٦٨ والشعر في ديوان أبي نواس: ٧٣٧ - ٧٣٨.

يقـول: أصبحتَ والله يا أبـا نواس بـارداً، فقال لي أبـو نـواس أمعـك ألـواح؟ قلت، نعم، قال اكتب:

اذهبْ نجـوتَ من الهجاءِ ولـذْعِـهِ وأمـا ولـثغـةِ أحـمـدَ بـن نـجـاح
لـولا فتـورٌ في كـلامـك يُشْتَهى وتـرفقي لـك بعـد واستـمـلاحي
وتكسـرٌ في مقلتيـكَ هـو الـذي عـطف القلوبَ[1] عليك بعـد جماحِ
لعلمـتَ أنـك لا تمـازح شـاعـراً في سـاعـةٍ ليستْ بـحينِ مُـزاحِ

(١) خ بهامش م: الفؤاد.

المجلس السادس والسبعون

[معنى كل يوم هو في شأن]

حدّثنا الحسين بن الحسين بن عبد الرحمن الأنطاكي قال: حدّثنا محمد بن الحسن يعني أبا الحارث الرمليّ قال حدّثنا صفوان بن صالح الدمشقي قال حدّثنا الوزير بن صبيح الثقفي قال حدّثنا يونس بن ميسرة بن حَلْبَس عن أمّ الدرداء عن أبي الدرداء قال، قال رسول الله ﷺ في قول الله عزّ وجل: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ في شَأْنٍ﴾ (الرحمن: ٢٩) من شأنه يغفر ذنباً ويكشف كرباً ويجيب داعياً ويرفع قوماً ويضع آخرين.

قال القاضي: وقد روينا هذا الخبر من طريق آخر وفيه: ويعطي سائلاً. **اللهم فاجعلنا ممن غفرت ذنبه وكشفت كربه، وأجبت دعاءه وأعطيته سؤله ورجاءه، وممن ترفعه بتوفيقك إياه لطاعتك وحسن عبادتك، وأجرنا أن نكون ممن تضعه وتخفض قدره وتحطّ منزلته لتقصيره في تأدية حقك ومخالفته لأمرك، واحلل الضيعة بأعدائك وأعدائنا من العُتَاةِ المسرفين، والطغاة المترفين، والبغاة الجبّارين، والفَجَرَةِ الظالمين، إنك وليُّ المؤمنين ومُهْلِكُ الكَفَرةِ الضالّين.**

[خداش ومذهب الخداشية]

حدّثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا عبد الأول عن ابن أبي

خالد قال: كان خداش صاحب الخداشية[1] يفسد قوماً من أهل الدعوة برأيه، وهو رأي الخرّمية، إباحة المحارم، وكان ممن رأى هذا الرأي مالك بن الهيثم والحريش بن سُلَيم الأعجمي، وكان خداش يقول لهم: لاصومَ ولا صلاةَ ولا حجَّ، ويقول: إنما تأويلُ الصوم أن يُصامَ عن ذكر الإمام ولا يباح باسمه لأحد، والصلاة الدعاء للإمام وذكره وطاعته، والحجّ أن تحجوا الامامَ أي تقصدوه فإنه ليس في الحج إلى الكعبة درك، ولا في تَرْكِ الأكلِ والشربِ للصائم منفعة، ولا في الركوع والسجود طائل، فلا ينبغي أن تمتنعوا مما تُحِبُّون من طعام أو شراب أو جماع أو غير ذلك في كلّ حين، ولا جُنَاحَ عليكم فيه، ويتأول لهم من القرآن قوله عزّ وجل: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾ (المائدة: ٩٣) الآية، وكان خداش نصرانياً بالكوفة ثم أسلم ولحق بخراسان وهو الذي يقول فيه الشاعر:

تفرقتِ الظباءُ على خداشٍ فما يدري خداشٌ ما يصيدُ[2]

قال القاضي رحمه الله: وقد كان المنصور عند خروج مَنْ خَرَج عليه ونهدوا لمحاربته تمثَّلَ بهذا البيت عند إخبار بعضِ المخبرين له عنهم.

[الخرّميـة]

وأما رأي الخرّمية[3] هذا فقد كثر المتدينون به والعاملون عليه من غيرِ

---

(١) الخداشية أصحاب خداش الذي تسميه الراوندية « خادش الدين » يشبهون المسلمية ـ أصحاب أبي مسلم، وهم يزعمون أن الامامة قد انتقلت من محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الى خداش، وهم يقولون ـ كما ذكر القاضي ـ باسقاط الفرائض ويرون ان الجهاد هو سفك دماء مخالفيهم بالخنق والشدخ واعطاء السم. . ويقولون بالتناسخ (راجع في اخبار خداش، تاريخ الطبري ومسائل الامامة: ٣٢ ـ ٣٥).

(٢) الرواية المشهورة: « على خراش » ولا علاقة للبيت بخداش صاحب الخداشية.

(٣) هم احدى الفرق الثلاث التي تشعبت عن الروندية، وسمّوا الخرمدينية وإلى أصلهم رجعت فرقة الحزمية (النوبختي ٤١ ـ ٤٢).

أن يعتقدوه ديناً لهم، لكنهم ركبوا المجونَ والخلاعةَ، وانقادوا لدواعي نفوسهم الأمَّارة بالسوء الخدَّاعة، وانهمكوا في الشهوات الخسيسة، واستثقلوا عبادة الله وطاعته المفضية بهم إلى المراتب النفيسة، والله نسأل التوفيقَ والعصمة.

[الرشيد وأعرابي باقعة]

حدثني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدّثني أبو الفضل الربعي قال حدّثني أبي قال: خرج الرشيد في بعضِ متنزَّهاته فلما أسرع السيرَ في بعض البراري انفرد من الناس على نحوٍ من ميل، فَرُفِعَ له خباءٌ منصوبٌ فأمَّه حتى وقف عليه، فإذا فيه أعرابي جالس، فسلم عليه الرشيد، فردَّ عليه الأعرابي السلام ثم رفع رأسه إليه فقال: من أنت يا حَسَن الوجه؟ فقال له الرشيد: أنا من أبغضِ الناس إلى الناس، قال الأعرابي: أنت إذاً من معد، قال نعم، قال: من أيِّ معدّ؟ قال: من أبغض معدّ ألى معدّ، قال: فأنت إذاً من مضر، قال: نعم، قال: فمن أيّ مضر أنت؟ قال: من أبغض مضر إلى مضر، قال: فأنت إذاً من كنانة، قال: نعم، قال: من أيّ كنانة؟ قال: من أبغضِ كنانة إلى كنانة، قال: فأنت إذاً من قريش، قال: نعم، قال: من أيّ قريش أنت؟ قال: من أبغض قريشٍ إلى قريش، قال: فأنت إذاً من بني هاشم، قال: نعم، قال: فمن أي بني هاشم أنت؟ قال: من أبغض بني هاشم إلى بني هاشم، قال: فأنت إذاً من ولد العباس، قال: نعم، قال: فمن أيّ ولد العباس؟ قال: من أبغض بني العباس إلى بني العباس، قال: فوثب الأعرابي قائماً ثم قال: السلام عليكَ يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ اللهِ وبركاته، وتوافت الجيوش، فقال الرشيد: احملوه، قاتله الله أعرابياً ما أدهاه[1]!!

[هشام بن عبد الملك يعزل إبراهيم المخزومي]

حدّثنا أحمد بن العباس العسكري قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا محمد بن الحسن الأنصاري قال حدّثنا عبد العزيز بن محمد المخزومي

(١) في أصل م: ما أذهنه.

قال[1]: كتب هشام بن عبد الملك إلى إبراهيم بن هشام المخزومي، وكان عامله على الحجاز: أما بعد فإن أمير المؤمنين قد قلَّد ما كان وَلاَّكَ من الحجاز خالد بن عبد الملك، وإن أمير المؤمنين لم يعزلك حتى كنت وإياه كما قال القطامي[2]:

أمورٌ ما يدبّرها حكيم بلى فنهى وهيَّبَ ما استطاعا[3]
ولكن الأديمَ إذا تفرَّى بلىً وتعيّباً غلبَ الصَّناعا

وإني والله ما عزلتك حتى لم يبق من أديمك شيءٌ أتمسك به.

فلما ورد كتابُهُ على إبراهيم تغيَّر وجهُهُ وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أصبحتُ اليومَ والياً، وأنا الساعةَ سوقة، فقام إليه رجل من بني أسد بن خزيمة فقال:

فإن تكن الامارةُ عنكَ راحتْ فإنك للهشام وللوليدِ
وقد مرَّ الذي أصبحتَ فيه على مروان ثم على سعيد

قال: فَسُرِّي عنه وأحسنَ جائزة الأسدي.

قال القاضي: قول هشام «حتى كنت وإياه» عطف وإياه الذي هو النصب على التاء، وهي في موضع رفع، لأنه من باب المفعول معه، كقولهم: ما صنعت وإياك، ومنه قول الشاعر:

فكان وإياها كحرَّان لم يفقْ عن الماءِ إذ لاقاه حتى تعذَّرا[4]

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٢: ٣٠٩ ـ ٣١٠ (نقلاً عن الجليس الصالح ونقل تعليق المعافى أيضاً).
(٢) ديوان القطامي: ٣٤.
(٣) رواية الديوان: لو تدبرها.. إذن لنهى.
(٤) م: تقددا.

[أبو الأسود يريد وليدة]

حدّثنا يزداد بن عبد الرحمن قال قال أبو موسى، يعني تينة، حدّثني القحذمي قال: جاء أبو الأسود الدؤلي إلى بحير بن ريسان الحميري فقال[1]:

بحير بن ريسانَ الذي ساد حميراً ... بأفعاله والدائراتُ تدورُ
وإني لأرجو من بحيرٍ وليدةً ... وذاك على المرءِ الكريم يسير

فقال: يا أبا الأسود سألتنا على قدرك، ولو سألتنا على قدرنا ما رضينا بها لك، قال: إمّا لا فاجعلها رُوقَةً أي تُعْجِبُ مالكها.

[أعرابي ثكل تسعة من أبنائه]

حدّثنا محمد بن القاسم الأنباري قال حدّثنا أبو عمارة المستملي قال حدّثنا قعنب بن محرز قال حدّثنا الأصمعي قال: رأيتُ أعرابياً بمكةَ يصيحُ واويلاه واثكلاه، فقلت له: ما ثُكْلُكَ يا أعرابيّ؟ قال: تسعةٌ من الذكور في تسعةٍ من الشهور كأنهم البدور، قلت: لا إخالك إلا وقد قلتَ في ذلك شعراً، قال: أجل، ثم أنشدني:

ألا يزجرُ الدهرُ عنا المنونا ... يوقّي البنات وَيُفْني البنينا
وكنت أبا تسعةٍ كالبدورِ ... قد فقأوا أعين الحاسدينا
فمروا على حادثاتِ الزمانِ ... كمرِّ الدراهم بالناقدينا
أضرَّ بهم ريبُ هذا المنون ... حتى أبادهُم أجمعينا
وحتى بكاهُم حُسّادُهم ... فقد أقرحوا بالدموع الجفونا
وحسبك من حادث بامرئٍ ... ترى حاسديه له راحمينا

---

(١) وردت القصة والشعر في تهذيب ابن عساكر ٧: ١١٥. ولم يرد الشعر في ديوان أبي الأسود.

[أفتنت سعيداً]

حدّثنا محمد بن مخلد قال حدّثنا أحمد بن محمد بن بكر بن خالد قال حدّثنا أبو العباس داود بن رشيد قال حدّثنا أبو نميلة عن عمرو بن زائدة قال حدثتني امرأة من بني أسد قالت[١]: زففنا عروساً في الحيّ، فمررنا بسعيد بن جبير والمغنية تقول:

لئن فتنتني فهي بالامس أفتنت سعيداً فأضحى قد قلى كلَّ مسلم
وألقى مفاتيح المساجد واشترى وصال الغواني بالكتاب المنمنم

قال ابن مخلد فقال سعيد: كذِب.

[الأصمعي يصحف في شعر الراعي]

حدّثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدّثنا القاسم بن إسماعيل قال حدّثنا أبو ذفافة بن سعيد بن سلم الباهلي قال[٢]: قرأنا على الأصمعي شعر الراعي، فمر في قصيدته « ما بال دَفّك بالفراش مذيلا»[٣]:

وكـأن ريِّضهـا إذا بـاشـرتهـا كـانت مُعَـوَّدَة الـرحيـل ذلـولا

فقلنا له: ما معنى «باشرتها»؟ قال: ركبتها من المباشرة، فحكينا ذلك لأبي عبيدة فقال: صحِّف والله الأصمعيّ، إنما هو « إذا ياسرتها » وهذا كقول الآخر[٤]:

إذا يُوسِرَتْ كانت ذَلولاً أديبـةً وتحسبها إن عُوسِرَتْ لم تؤدَّب

---

(١) الخبر مكرر، انظر ما تقدم ص٢٧٤.

(٢) شرح المرزوقي على الحماسة: ١٢٥٧.

(٣) البيت في ديوانه (فايبرت) ٢١٨ (وناجي وقيسي: ٤٨) ورواية م: وكأن مربضها... كانت مخيسة الدخيل.

(٤) ورد في حماسة ابي تمام بشرح المرزوقي.

قال القاضي: الأمر في هذا لعمري كما قال أبو عبيدة، واستشهاده فيه صحيحٌ على ما وصف.

[الأصمعي لا يأبه لاعتراض ابن الأعرابي]

حدّثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدّثنا الطيّبُ بن محمد الباهلي قال حدّثنا أحمد بن سعيد بن سلم الباهلي قال: قرأنا على الأصمعي شعرَ العجاج، فمرَّ بنا[1]:

من أن تبدلتُ بآد آدا لم يكُ ينآدُ فأمسى انآدا

فقد أراني أصِلُ القُعّادا

قال: ودخل ابن الأعرابيّ فأومأ إلينا: سلوه ما القعاد، فقال: الشيوخ الذين قعدوا عن الغزل كبراً وكذلك هو من النساء، فقال ابن الأعرابي: أما القعاد من الرجال فصحيح، وأما النساءُ فقواعد كما قال الله عزّ وجل: ﴿وَالقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (النور: ٦٠) قال: فوالله ما التفت الأصمعيّ إليه، ثم أنشد للقطامي[2]:

أبصارُهُنَّ إلى الشبّانِ مائلةٌ وقد أراهُنَّ عنّي غيرَ صُدَّادِ

فما الفرق بين صُدّاد وقُعَّاد، فما نطق ابن الأعرابيّ بحرفٍ وقام فخرج.

قال القاضي: الأمر في هذا على ما قال الأصمعي، وقد أغفل ابن الأعرابي إنكاره منه ما أنكره.

---

(١) أمالي الزجاجي: ٣٩ وأخبار الزجاجي: ٧٧ - ٧٨ والمعاني الكبير ٣: ١٢٢٤ والخصائص ٢: ١٧٤ وعبث الوليد: ١٥٩ وديوان العجاج ١: ٢٨٢.

(٢) ديوان القطامي: ٧٩.

[خطبة للحجاج بعد دير الجماجم]

حدّثنا أحمد بن محمد بن سعيد الكلبي قال حدّثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدّثنا محمد، يعني ابن عبيد الله بن عباس، عن عطاء، يعني ابن مصعب، عن عاصم قال(١): خطب الحجاج أهل العراقِ بعد دير الجماجم، فقال: يا أهلَ العراق إن الشيطانَ قد استبطنكم فخالط اللحمَ والدمَ والعصبَ والمسامعَ والأطرافَ، ثم أفضى إلى الأصماخ(٢) والأمخاخ، ثم ارتفع فعشش، ثم باض وفرَّخ، ثم دبَّ ودرج، فحشاكم نفاقاً وشقاقاً، وأشعركم خلافاً، اتخذتموه دليلاً تتبعونه، وقائداً تطيعونه، ومُؤَامراً تشاورونه، فكيف تنفعكم تجربةٌ أو ينفعكم بيان؟ ألستم أصحابي بالأهواز حيث رُمْتُم المكرَ وأجمعتم على الكفر، وظننتم أنّ الله عز وجل يخذل دينَهُ وخلافته، وأنا أرميكم بطرفي وأنتم تتسلّلون لواذاً وتنهزمون سراعاً يوم الزاوية بما كان من فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوصِ وليكم، إذ ولَّيتم كالإبلِ الشاذَّة عن أوطانها النوازع، لا يسأل المرءُ عن أخيه، ولا يلوي الشيخُ على بنيه، حين عضَّكُمْ السلاحُ وتجشمتكم الرماح يوم دير الجماجم، وما يوم دير الجماجم، بها كانت المعاركُ والملاحمُ بِـ:

ضربٍ يزيـلُ الهـامَ عن مقيله   وَيُــذْهِـلُ الخليـلَ عن خليـلـهْ

يا أهل العراقِ: الكفرات بعد الفجرات، والغدرات بعد الخترات، والنزوة بعد النزوات، إنْ بعثناكم إلى ثغوركم غللتم وجبنتم، وإن أمنتم أَرْجَفْتُمْ وإن خفتم نافقتُمْ، لا تتذكرون نعمةً، ولا تشكرونَ معروفاً. هل استخفكم ناكثٌ أو استغواكم غاوٍ أو استفزكم عاصٍ أو استنصركم ظالمٌ أو

---

(١) البيان والتبيين ٢: ١٣٨ وتهذيب ابن عساكر ٤: ٥٨ - ٥٩ (نقلاً عن الجليس الصالح).
(٢) خ بهامش م: الأسماع.

استعضدكم خالع إلا لبَّيتم ثَمَّ دعوته وأجبتم صيحته، ونفرتم إليه خفافاً وثقالاً وفرساناً ورجالاً؟! يا أهلَ العراق: هل شَغَبَ شاغبٌ أو نعب ناعبٌ أو زفر زافر إلا كنتم أتباعَهُ وأنصارَهُ؟! يا أهل العراق: ألم تنفعكم المواعظ؟ ألم تزجركم الوقائع؟ ألم يشدّدِ الله عليكم وطأته ويذقكمْ حرَّ سيفه وأليمَ بأسه ومَثُلاتِهِ؟!

ثم التفت إلى أهل الشام فقال: يا أهلَ الشام، إنما أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه ينفي عنها القَذَر، ويباعد عنها الحجر، ويُكنُّها من المطر، ويحميها من الضِّباب ويحرسها من الذباب. يا أهلَ الشام أنتم الجُنَّةُ والرداءُ، وأنتم المُلَاءةُ والحذاء، أنتم الأولياءُ والأنصار، والشعارُ دون الدثار، بكم يذبُّ عن البَيْضةِ والحَوْزَةِ، وبكم ترمي كتائبَ الأعداء ويهزم من عاند وتولَّى.

[القاضي شريح يتزوج زينب التميمية]

حدّثنا أبو النضر العقيلي قال حدّثنا الغلابي قال حدّثنا عبد الله بن الضحاك قال حدّثنا الهيثم بن عديّ عن الشعبي قال، قال لنا شريح[1]: يا شعبيّ عليكم بنساءِ بني تميم فإنهن النساء، قلنا: وكيف ذلك يا أبا أمية؟ قال: رجعتُ يوماً من جنازةٍ مُظْهِراً فمررت بخباءٍ،فإذا بعجوز معها جاريةٌ رُؤدٌ، فاستسقيتُ فقالت: اللبنُ أعجبُ إليك أم الماءُ أم النبيذ؟قال قلت: اللبنُ أعجبُ إليّ. قالت: يابنية اسقيه لبناً فإني أظنّه غريباً، فسقتني، فلما شربت قلت: من هذه الجارية؟ قالت: هذه بنتي زينب بنت حدير إحدى نساء بني تميم ثم من بني حنظلة ثم من بني طهية، قلت: أتزوجينيها، قالت: نعم إن كنت كفؤنا، قال: فانصرفت إلى منزلي، فامتنعتُ من القائلة، فلما صليتُ الظهرَ وَجَّهْتُ إلى إخواني الثقات: مسروق بن الأجدع والأسود بن يزيد

---

(١) القصة في الموفقيات: ٤٥ (برواية مختلفة) والأغاني ١٧ : ١٥٠ والمستطرف ٢ : ٢٥٠ ونقلها ابن عساكر ومعها تعليقات المعافى عن الجليس الصالح، انظر تهذيب ابن عساكر ٦ : ٣١٥ - ٣١٧.

فصليت العصر ثم رُحْتُ إلى عمِّها وهو في مسجده، فلما رآني تنحَّى لي عن مجلسه، فقلت: أنت أحقّ بمجلسك، ونحن طالبو حاجةٍ، فقال: مرحباً بك يا أبا أمية، ما حاجَتُكَ؟ قلت: إني ذكرت زينبَ بنتَ أخيك، فقال: والله ما بها عنكَ رغبةٌ ولا بكَ عنها مَقْصَرٌ، قال: وتكلمت فزوَّجني ثم انصرفتُ فما وصلتُ إلى منزلي حتى ندمتُ وقلت: ماذا صنعتُ بنفسي، فهممتُ أن أُرسلَ إليها بطلاقها، ثم قلتُ: لا أجمعُ بين حمقتين، ولكني أضمُّها إليَّ، فإن رأيتُ ما أُحبّ حمدتُ الله تعالى، وإن تكنِ الأُخرى طلقتها. فأرسلتُ إليها بِصَداقها وكرامتها، فلما أُهديتْ إليَّ وقام النساءُ عنها قلت: يا هذه إنَّ من السنّة إذا أُهديت المرأةُ إلى زوجها أن تصلي ركعتين خلفه ويسألا الله عز وجل البركة، فقمتُ أصلّي فإذا هي خلفي، فلما فرغت رجعتْ إلى مكانها، ومددتُ يدي فقالت: على رِسْلِكَ، فقلت: إحداهنَّ[1] وربِّ الكعبة، فقالت: الحمد لله وصلى الله على محمد وآله، أما بعد، فإني امرأة غريبة، ولا والله ما ركبتُ مركباً هو أصعبُ عليَّ من هذا، وأنت رجلٌ لا أعرف أخلاقك، فخبرني بما تحبُّ آته وبما تكرهُ أزدجر عنه، أقولُ قولي هذا، وأستغفرُ الله لي ولك. قال فقلت: الحمد لله وصلَّى الله على محمد وآله، أما بعد فقد قدمتِ خيرَ مَقْدَمٍ، قدمتِ على أهل دارٍ زوجُكِ سيدُ رجالهم، وأنت إنْ شاء الله سيدةُ نسائهم، أحبُّ كذا وأكرهُ كذا، قالت: فحدثني عن أختانك، أتحبُّ أن يزوروك؟ قال قلت: إنّي رجلٌ قاضٍ وأكره أن يُملُّوني، وأكره أن ينقطعوا عني، قال: فأقمتُ معها سنةً أنا كلَّ يومٍ أشدُّ سروراً منّي باليوم الذي مضى، فرجعتُ يوماً من مجلس القضاءِ فإذا عجوزٌ تأمرُ وتنهى في منزلي، فقلت: من هذه يا زينب؟ قالت: هذه خَتَنتك، هذه أمي، قلت: كيف حالُكِ يا هذه؟ قالت: كيف حالك يا أبا أمية، وكيف رأيتَ أهلك؟ قال قلت: كلّ

(١) الأغاني: إحدى الدواهي.

الخير، قالت: إن المرأة لا تكونُ أسوأ خُلُقاً منها في حالتين: إذا ولدتْ غلاماً وإذا حَظِيَتْ عند زوجها، فإن رابك من أهلك رَيْبٌ فالسوطَ السوطَ، قلتُ: أشهدُ أنها ابنتك، قد كفيتني الرياضةَ وأحسنتِ الأدب. فكانت تجيئني في كلِّ حولٍ مرةً فتوصي بهذه الوصية ثم تنصرف، فأقمتُ معها عشرين سنة ما غضبتُ عليها يوماً ولا ليلةً، إلّا يوماً ـ وكنتُ لها ظالماً ـ وذلك أني ركعتُ ركعتي الفجر وأبصرتُ عقرباً فعجلتُ عن قتلها فكفأتُ عليها الإناءَ وبادرتُ إلى الصلاة وقلت: يا زينب إياك والاناء، فعجلتْ إليه فحركته فضربتَهـا العقربُ، فلو رأيتني يا شعبيُّ وأنا أمصُّ إصبعيهـا وأقرأُ عليهما المعوذتين، وكان لي جارٌ يقال له قيس بن جرير[1] لا يزال يقرع مُرَيْئَتَهُ[2]، فعند ذلك أقول:

رأيتُ رجالاً يضربون نساءَهُمْ فَشَلَّتْ يميني يومَ أضربُ زينبا

وأنا الذي أقول:

إذا زينبٌ زارها أهلُها حشدتُ وأكرمتُ زوّارها
وإن هي زارتهمُ زُرْتُهَا وإن لم تكنْ لي هوىً دارها

يا شعبي، فعليك بنساءِ بني تميم فإنهن النساء.

[شروح وتعليقات على خبر شريح]

قال القاضي: قد روينا خبر شريح في نكاحه زينب من غير طريق، عثرنا على هذا منها فأثبتناه، وهو كافٍ من غيره. وفي بعض ما رويناه، بيت يلي قوله:

رأيت رجالاً يضربون نساءَهم فَشَلَّت يميني يومَ أضربُ زينبا

---

(١) الأغاني: ميسرة بن عرير (غدير).

(٢) تهذيب: يضرب زوجته؛ م: يفزع مريته.

وهو:

وزينبُ شمسٌ والنساءُ كواكبٌ ... إذا طَلَعَتْ لم تُبْقِ منهنَّ كوكبا

قال القاضي: وقد أغار شريحٌ في هذا البيت على قول النابغة في مدح النعمان بن المنذر:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ... ترى كلَّ مَلْكٍ دونها يتذبذب
فإنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... إذا طلعتْ لم يَبْدُ منهنَّ كوكبُ

قال القاضي: قوله في الخبر «جارية رؤد» يريد وصفها بأنَّها في اقتبال شبابها كما قال الشاعر(1):

خُمْصانةٌ قلقٌ موشّحها ... رؤد الشباب غَلَا بها عُظْمُ

وقوله: «أُهديتْ إلى زوجها» فيه لغتان: هُدَيتِ العروسُ إلى زوجها هِداءً وأُهديت إهداءً، وَطَرْحُ الألف أكثر، فكأنّه من الهداية لا من الهديّة، وهو أشبه وأليق بالمعنى، ومن الهداء قول زهير(2):

فإن تكن النساءُ مخبآتٍ ... فحقٌّ لكلِّ مُحْصَنَةٍ هِداءُ

وأما قول زينب لشريح «هذه ختنتك» فقد تكلم في هذا قومٌ من الفقهاء واللغويين، وحاجة الفقهاء إلى معرفة ذلك بينة، إذ قد يوصي المرء لأصهار فلان وأختانه؛ وقد يحلف لا يكلم اصهار فلان وأختانه، فقال قوم: يكون الأختانُ من قبل الرجل والأصهارُ من قبل المرأة. وذهب قوم في هذا إلى التداخل والاشتراك وهذا أصحُّ المذهبين عندي، وقد قال أمير المؤمنين

---

(1) هو الحارث بن خالد المخزومي، انظر شعره: ٩٠. واللسان (غلا).
(2) ديوان زهير: ٧٤.

علي بن أبي طالب عليه السلام.

محمد النبيُّ أخي وصهري أحبُّ الناسِ كلّهم إليّا

والنبي ﷺ أبو زوجته؛ ويدلك على هذا قولهم: قد أصهر فلان إلى فلان، وبين القوم مصاهرةٌ وَصِهْرٌ، فجرى هذا مجرى النسب والمناسبة في إجرائهما على الطرفين والعبارة بهما عن الجهتين، وقد قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً﴾ (الفرقان: ٥٤) وقد جاء عن أهل التأويل في قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وحَفَدةً﴾ (النحل: ٧٢) أقوال: قال بعضهم: هم الأصهار، وقال بعضهم: هم الأختان، وظاهر هذا العمل على اختلاف المعنيين بحسب ما ذهب إليه من قدَّمنا الحكايةَ عنه، وقد قال: وجائز أن يكونَ عبَّر باللفظين عن معنى واحد، وقد قال بعضهم: الحَفَدةُ الخدم، قال الشاعر(١):

حَفَدَ الولائدُ حولهنَّ وأسلمتْ بأكفهنَّ أزمةَ الأجمالِ

وقال رؤبة يخاطب أباه(٢):

إن بنيكَ لكرامٌ نَجَدَهْ ولو دعوتَ لأتوك حَفَدَهْ

أي سراعاً إلى معاونتك واتباع أمرك، ومن هذا قولهم: وإليك نسعى ونَحْفِدُ أي نجدّ في عبادتك ونسعى في طاعتك(٣).

---

(١) البيت في اللسان (حفد) نقلاً عن الأزهري.

(٢) لم يرد في ديوانه (مجموع أشعار العرب) وورد في تهذيب ابن عساكر ٥: ٣٣٨ (كما ورد في القصة نفسها).

(٣) إلى هنا ينتهي النقل عند ابن عساكر.

المجلس السابع والسبعون

[خطبة عمر في الجابية واستجابته لدعوة قسطنطين]

حدّثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم بن إسحاق بن الحارث أبو النضر العقيلي قال حدّثنا أبو إسحاق طلحة بن عبد الله بن محمد الطلحي النديم قال حدّثنا أبو بكر أحمد بن معاوية بن بكر الباهلي قال: سمعت أبا عبيد الله محمد بن سليمان بن عطاء بن قيس يقول حدّثني أبي سليمان بن عطاء عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة بن ربعيّ قال: لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجابيةَ لفرضِ الخراج، وذلك بعد وقعةِ اليرموك، قال: فشهدته دعا بكرسيّ من كراسيّ الكنيسة فقام عليه فقال[1]: إن نبيَّ الله ﷺ قام فينا فقال: أيها الناس أكرموا الناس، إنَّ خياركم أصحابي، ألا ثمّ الذين يلونهم، ألا ثمّ الذين يلونهم، ألا ثمّ يظهرُ الكذبُ ويكثر الحلفُ حتى يحلفَ الرجلُ وان لم يُسْتَحْلَفْ، ويشهد وإن لم يُسْتَشهد، ألا فمن أراد بحبوحةَ الجنة فعليه بالجماعة. يدُ ربِّكم مع الجماعة، ألا وإنَّ الشيطان ذئبُ بني آدم، فهو

---

(١) انظر صورة من خطبة عمر بالجابية في تهذيب ابن عساكر ٦: ٦٢.

مع الواحدِ وهو من الاثنين أبعد، ألا لا يخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ لا تحلُّ له إلا كان الشيطان ثالثهما، ألا ومن ساءته سيئاتُهُ وسرَّتْهُ حسناتُهُ فهو مؤمن. قمتُ فيكم بقدرِ ما قام النبيّ ﷺ فينا.

ثم ارتحل حتى نزل أذرعات، وقد ولَّى على الشام يزيد بن أبي سفيان، فدعا بغدائه، فلما فرغ من الثريد وضعت بين يديه قَصْعةٌ أخرى، فصاح وقال: ما هذا؟ فأرسل يزيدُ إلى معاويةَ، وكان صاحبَ أمْرِهِ، فقال معاوية: ما الذي أنكرتَ يا أمير المؤمنين؟ قال: ما بالي تُوضَعُ بين يديَّ قصعة ثم تُرْفَعُ وتوضَعُ أخرى؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنك هبطت أرضاً كثيرةَ الأطعمة فخفتُ عليك وخامَتَها، فأَشِرْ إلى أيّها شئتَ حتى ألزمكه، فأشار إلى الثريد، فقال قسطنطين لمعاوية: جاد ما خرجت منها.

فلما فرغ من غدائه قام قسطنطين - وهو صاحبُ بُصْرَى - بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين، إن أبا عبيدة قد فرض عليَّ الخراجَ فاكتب لي به، فأنكر عمر ذلك وقال: ما فرضَ عليك؟ قال: فرض عليَّ أربعةَ دراهم وعباءةً على كل جلجلة - يعني الجماجم - فقال عمر رضي الله عنه لأبي عبيدة: ما يقول هذا؟ قال: كَذَبَ، ولكنّي كنتُ صالحتُهُ على ما ذكر ليستمتعَ به المسلمون في شتائهم هذا، ثم تقدُمُ أنتَ فتكونُ الذي يفرضُ عليهم الخراج، فقال له عمر: أبو عبيدة أصدقُ عندنا منك، فقال قسطنطين: صدق أبو عبيدة وكذبت أنا، قال: فويحك، ما أردتَ بمقالتك؟ قال: أردتُ أن أخدعك، ولكن افرضْ عليَّ يا أمير المؤمنين أنت الآن، قال: فجاثاه النبطيُّ مجاثاة الخصم عامَّة النهار، ففرض على الغنيّ ثمانيةً وأربعين درهماً، وعلى الوسط أربعةً وعشرين درهماً، وعلى المفلس المدقع اثني عشر، وشرط عليهم عمر أن يشاطرهم منازلهم وينزل فيها المسلمون، وعلى أن لا يضربوا بناقوسٍ، ولا يرفعوا صليباً إلا في جَوْفِ كنيسة، وعلى أن لا يُحْدثوا إلاّ ما في أيديهم، وعلى أن لا يُقِرُّوا خنزيراً بين أظهر المسلمين، وعلى أن يَقْروا ضيفهم يوماً

وليلة، وعلى أن يحملوا راجلهم من رستاقٍ إلى رستاق، وعلى أن يناصحوهم ولا يغشوهم، وعلى أن لا يمالئوا عليهم عدوّاً، فمن وفى لنا وفينا له ومنعناه مما نمنعُ منه نساءَنا وأبناءَنا، ومن انتهك شيئاً من ذلك استحللنا بذلك سَفْكَ دمه وسباءَ أهله وماله.

فقال له قسطنطين: يا أمير المؤمنين اكتب لي به كتاباً، قال: نعم، ثم ذكر عمر فقال: إني أستثني عليك مَعَرَّة الجيش، فقال النبطيّ: لك ثُنْيَاكَ، وقبَّح الله من أقالك. فلما فرغ قال له قسطنطين: يا أمير المؤمنين، قمْ في الناس فأعلمهم كتابَكَ لي ليتناهَوْا عن ظلمنا والفسادِ علينا، فقام عمر فخطب خطبةَ رسول الله ﷺ، فلما بلغ: «مَنْ يَهْدِهِ الله فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له» قال النبطيّ: إن الله عز وجل لا يُضِلُّ أحداً، فقال عمر رضي الله عنه: ما يقول؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، شيئاً تكلم به، فعاد عمر في الخطبة، ثم أعاد النبطي المقالة، فقال: أخبروني ما يقول، قالوا: إنه يقولُ إنَّ الله لا يُضِلُّ أحداً، فقال عمر: والذي نفسي بيده لئن عدتَ لأضربنَّ الذي فيه عيناك، ومضى عمر في خطبته، فلما فرغ قام قسطنطين فقال: يا أمير المؤمنين، لي إليك حاجةٌ فاقضها لي، فإن لي عليكَ حقاً، قال: وما حقُّكَ علينا؟ قال: إني أولُ من أقرَّ لكَ بالصَّغار، قال: وما حاجتك إن كان لك فيها منفعة فعلنا، قال: تغدى(١) عندي أنت وأصحابك، قال: ويحك إن ذلك يضرك، قال: ولكنها مكرمةٌ وشرفٌ أناله، قال: فانطلقْ حتى نأتيك، فانطلق فهيأ في كنيسة بصرى ونجَّدها وهيأ فيها الأطعمةَ وقبابَ الخبيص وكانوناً عليه المجمر، فلما جاء عمر وأصحابه نزلوا في بعض البيادر، ثم خرج يمشي وتبعه الناسُ والنبطيُّ بين يديه، ثم بدا لعمر فقال: لا يتبعْني أحدٌ، ومضى هو والنبطيّ، فلما أن دخل الكنيسةَ إذا هو بالستور والبُسُطِ وقبابِ الخبيص والمجمر، فقال

---

(١) س: تغد.

عمر للنبطي: ويلك، لو نظر مَنْ خلفي إلى ما هاهنا لفسدتْ عليَّ قلوبهم، اهتكْ ما أرى، قال: يا أمير المؤمنين، إني أحبُّ أن ينظروا إلى نعمة الله عليَّ، قال: إن أردت أن نأكل طعامك فاصنع ما آمرك به[1]، فهتك الستورَ ونزَعَ البسط وأخرج عنه المجمر، ثم قال: اخرج إلى رحالنا فأتنا[2] بأنطاعٍ، فأخذها عمر فبسطها في الكنيسة، ثم عمد إلى ذلك الخبيص وما كان هيأ فعكس بعضه على بعض وقال: أعندكَ شيءٌ آخر؟ قال: نعم عندنا بقلٌ وشواء، قال: إيتني به، فأخذه فخلط الشواءَ بالخبيص بعضَهُ على بعض وجعل يحمل بيديه ويجعله على الأنطاع.

قال طلحة فأخبرنا أحمد بن معاوية قال: فأمليتُ هذا الحديثَ على رجل من أصحاب الحديث فزادني فيه، قال فقال النبطي: يا أميرَ المؤمنين، إن هذا الطعامَ لا يُؤْكَلُ هكذا، قال فقال عمر: ويلٌ لك ولأصحابك إذا جاء مَنْ يُحْسِنُ يأكلُ هذا، ثم قال: ادعُ الناسَ، فجاءوا فَجَثَوْا على رُكبهم وأقبلوا يأكلون، فربما وقعت اللقمةُ من الخبيص في فم الرجل فيقول: إنَّ هذا طعامٌ ما رأيناه، فيقول عمر: ويلك أما تسمع؟ كيف لو رأوا ما رأيتُ؟!

فلما فرغوا قال النبطيُّ لمعاوية: إنَّ الأحبارَ والرهبانَ قد اجتمعوا، وهم يريدون أن ينظروا إلى أمير المؤمنين، وإنما عليه أخلاقٌ وسخة، فهل لك أن تَخْدَعَهُ حتى ينزعها ويلبسَ ثياباً حتى يقضي جمعته، فقال له معاوية: أما أنا فلا أدخلُ في هذا بعدَ إذ نجوتُ منه أمس، فقال له النبطي: يا أمير المؤمنين، ثيابُكَ قد اتّسخت، فإن رأيتَ أن تعطيناها حتى نغسلها ونرمَّها، قال: نعم، فغسل الثياب وتركها في الماء، ثم هيّأ له قميصاً مروياً ورداءً قصبياً، فلما حضرت الجمعة قال له عمر: إيتِني بثيابي، فقال له: يا أمير المؤمنين، ما

---

(١) م: ما نأمرك.

(٢) م س: فأتني.

جفَتْ، ونحن نعيرك ثوبين حتى تقضيَ جمعتك، فقال: أرني، فلما نظر[1] إلى القميص قال: ويحك كأنما رُفِيَ هذا رفواً، اغربهما عنّي وائتني بثيابي، فجاء بها تقطرُ، فجعل يتناولها، وجعل النبطيُّ يأخذُ بطرفِ الثوب وعمر بالطَّرفِ الآخر ويعصُرَها، ثم دعا بكرسيّ من كراسي الكنيسة فقام عليه يخطبُ الناسَ ويمسح ثيابه ويمددها، قال: فسأله أيّ شيءٍ كانت ثيابه؟ قال: غزل كتانٍ. قال: وجاءت الرهبان فقاموا وراء الناس وعليهم البرانسُ تبرقُ بريقاً، ومعهم عصيٌّ فيها تفاحُ الفضة، ومعهم المواكب، فلما نظروا إلى هيئته قالوا: أنتم الرهبان!! لا والله، ولكن هذه الرهبانية، ما أنتم عنده إلّا ملوك.

[مشاطرة السكان بدمشق منازلهم]

قال: ثم ارتحل عمر حتى أتى دمشق فشاطرهم منازلهم وكنائسهم، وجعل يأخذ الحيِّزَ القبليَّ من الكنيسة لمسجد المسلمين لأنها أنظفُ وأطهر، وجعل يأخذُ هو بطرفِ الحبل ويأخذُ النبطيّ بطرفِ الحبلِ حتى شاطرهم منازلهم، قال: فربما أزحف فأخذ الحبلُ منه فأعقبه. ففرغ عمر من دمشقَ وحمصَ وبعث أبا عبيدة إلى قِنَّسرين وحلب ومنبج، ففعل بها كما فعل عمر، ورجع عمر من حمص إلى المدينة.

[عياض بن غنم وصلح الرها]

قال: فلما نزل أبو عبيدة منبج بعث عياضَ بن غَنْم في عشرين فارساً فأتى الرُّها وقد اجتمع بها أهل الجزيرة من الأنباط، فأتاها ابن غنم فوقف عند بابها الشرقيّ على فرس أحمر محذوف، فأخبرنا أحمد بن معاوية عن محمد ابن سليمان بن عطاء، قال حدّثني أبي عن جدي عمن سمع عياضاً وهو

---

(١) س: راء.

يدعوهم إلى الإسلام فأبوا عليه، فعرض عليهم الجزية فأقرُّوا، وقد عرفوا شَرْطَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أهل الشام فقالوا: نعم نُقِرُّ على أن نشترطَ، قال: نعم فاشترطوا ونشترط، فاشترطوا كنائسهم التي في أيديهم على أن يُؤَدوا خراجها وما لجأ إليها من طائر وصَلَمهم التي في كنيستهم (قال محمد بن سليمان بن عطاء: الصلم الخشبة التي يزعمون أنَّ عيسى بن مريم عليه السلام صُلِبَ عليها ـ لم يقل صلبهم ـ) وسور مدينتهم، قال عياض: فإني أشترط أنا أيضاً، فاشترط عليهم أن يشاطرهم منازِلَهم وينزلَ فيها المسلمون، وعلى أن لا يُحْدِثوا كنيسةً إلا ما في أيديهم، وعلى أن لا يرفعوا صليباً ولا يضربوا بناقوسٍ إلاّ في جوف كنيسة، وأن يَقْرُوا ضيفَ المسلمين يوماً وليلة، وعلى أن يَحْملوا راجلَ المسلمين من رستاقٍ إلى رستاق، وعلى أن لا يعمروا خنزيراً بين ظهراني المسلمين، وعلى أن يناصحوا المسلمين ولا يغشوهم ولا يمالئوا عليهم عدواً، ومن وَفَى لنا وَفَينا له ومنعناه مما نمنع منه نساءنا وأبناءنا، ومن انتهك شيئاً من ذلك استحللنا سفكَ دمه وسباء أهله وماله، فقالوا: اكتب بيننا وبينك كتاباً، فتورَّكَ عياضٌ على فرسه، فلما فرغ قالوا: اشهدْ لنا، قال: فكتب «شهد الله وملائكته وكفى بالله شهيداً». ودفع الكتاب إليهم فدخل في شرطهم جميع أهل الجزيرة. وأما الأرض فهي للمسلمين وأنتم عمالهم فيها.

[تعليقات للقاضي]

قال القاضي: قوله: «فمن أراد بحبوحةَ الجنة» يعني فضاءها وسعتها كما قال جرير:

قومي تميمٌ هم القومُ الذين هـمُ ينفـون تغلـبَ عن بحبوحةِ الـدارِ

وفي هذا الخبر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعل أهل الجزية طبقات، ففرض على أغنيائهم مقداراً من الجزية، وعلى المتوسط منهم مقداراً

متوسطاً بين ما فرضه على أعلاهم طبقة وما جعله على أدونهم في الوجد منزلةً، وظهر ذلك من فعله واستفاض في الصحابة فلم يظهر من أحدهم إنكار له ولا مخالفةٌ فيه، ثم تلاه في ذلك أئمةُ أهلِ العلم بالدين في جميع أمصار المسلمين، وبهذا نقول؛ وكان الشافعيّ يرى ألّا يتجاوز في قدر الجزية ديناراً أو عِدْلَهُ، واستقصاء الكلام والحجاجِ في هذا يطول، وهو مرسومٌ في مواضعه من كتبنا في الفقه.

[عمر يُرْحِلُ لنفسه]

حدّثنا أحمد بن إسحاق بن بهلول أبو جعفر الأنباري قال حدّثني أبي قال حدّثنا إسحاق بن عيسى الطباخ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جدّه قال(١): خرجتُ مع عمر إلى الشام، فاستيقظنا ليلةً وقد رحل لنا رواحلنا وهو يرحل لنفسه وهو يقول:

لا يأخذِ الليلُ عليك بالهمْ ... والبسْ له هذا القميصَ واعتمْ
وكنْ شريكَ رافعٍ وأسلمْ ... ثم اخدمِ الأقوامَ حتى تُخْدَمْ

قال فقلت: رحمك الله يا أمير المؤمنين لو أيقظتنا لكفيناك.

قال القاضي: كأنّ أبا تمام سمع هذا فأخذ منه قوله(٢):

فمن خدم الأقوامَ يرجو نوالهم ... فإنيَ لم أخدمْكَ إلا لأُخدما

وقوله:

مؤمله حتى يعود مؤملا(٣)

---

(١) عيون الأخبار ١: ٢٦٤ - ٢٦٥ وتهذيب ابن عساكر ٣: ١٠.
(٢) ديوان أبي تمام (شرح التبريزي) ٣: ٢٤٤.
(٣) ديوانه ٣: ٩٩ وروايته فيه:
وما يلحظ العافي جداك مؤمِّلاً ... سوى لحظة حتى يؤوب مؤمَّلا

[قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر]

وروينا في معنى ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما أتى هذا الخبر به عن بعض السلف أنه قال لابن عمر بن عبد العزيز[1]: ما رأيتُ رجلاً أكرمَ من أبيك، سمرتُ معه ذاتَ ليلةٍ فَخَفَت المصباح، فقام إليه فأصلحه، فقلت له: يا أمير المؤمنين هلّا أمرتَ بإصلاحه، فقال: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعتُ وأنا عمر بن عبد العزيز.

[إنا لا نتخذ الإخوان خَوَلاً]

وروي نحو هذا عن الأبرشِ الكلبيّ وقد قام ليصلحَ المصباح، فقال له صاحبُ المجلس: مَهْ ليس من المروءة أن يستخدمَ الرجلُ ضيفه؛ ويروى أنه قال: إنا لا نتخذ الاخوان خَوَلاً.

[فروة بن مسيك يفد على الرسول]

حدّثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو عثمان قال أخبرنا الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال[2]: كان بين مراد وبين بني الحارث بن كعب قتالٌ في الجاهلية فاستعانت بنو الحارث بِهَمْدانَ على مراد، فَقُتِلَ من هؤلاء ألف ومن هؤلاء ألف، وذلك يوم الرزم، فدخل فروة بن مُسَيك بعد ذلك على النبي ﷺ فقال: أينَ كنتَ عن قومكَ يومَ الرزم؟ فقال فروة: يا رسول الله:

إنْ نَهْزِم فهزّامون قِدْماً ... وان نُهْزَمْ فَغَيْرُ مهزَّمينا
كذاكَ الحربُ صَوْلَتُها سِجَالٌ ... تكرُّ صروفها حيناً فحينا

---

(١) عيون الأخبار: ١: ٢٦٤ والوافي بالوفيات ١٤: ١٠٣.
(٢) قارن بالأغاني ١٥: ١٦٤ والشعر في تهذيب ابن عساكر ٤: ٣٣٧.

فقال النبي ﷺ: ما أردتُ هذا، وإنَّ الذي أُصيب به قومك هو الذي حرضهم على الإسلام.

[أنت الذي يكذّب من يحدث بأنعم الله؟]

حدّثنا أبو طالب الكاتب علي بن محمد بن الجهم قال حدّثنا أبو بكر أحمد بن منصور الزيادي قال حدّثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن زياد بن جبل عن أبي كعب الحارثي، وهو ذو الإداوة، قال: سمعته يقول(1): خرجتُ في طلب إبلٍ لي ضوالّ، فتزودت لبناً في إداوة، قال ثم قلت في نفسي: ما أنصفتُ ربّي فأين الوضوء؟ قال: فهرقتُ اللبنَ وملأتها ماء، فقلت: هذا وضوءٌ وهذا شراب، قال فكنت(2) أبغي إبلي فإذا أردت أن أتوضأ اصطببتُ من الإداوة ماءً فتوضأت، وإذا أردتُ أن أشرب اصطببتُ لبناً فشربته، فمكثت بذلك ثلاثاً فقالت له أسماء النجرانية: يا أبا كعب أحقيناً كان أم حليباً(3)، فقال: إنك لظالمة(4)، كان يعصم من الجوع ويُروي من الظمأ، أما إني حدثتُ بهذا نفراً من قومي منهم علي بن الحارث سيد بني قنان فقال: ما أظنُّ الذي تقول كما تقول، قال قلت: الله أعلم بذلك، قال فرجعتُ إلى منزلي فبتُّ ليلتي تلك، قال: فإذا أنا به صلاةَ الصبح على بابي فخرجتُ إليه، قال فقلت: يرحمك الله لم تَعَنَّيْتَ إليّ؟ ألاَ أرسلتَ إليَّ فآتيك؟ قال: لا، فإني أحقُّ بذلك أن آتيك، ما نمتُ الليلة إلا أتاني آتٍ فقال: أنتَ الذي يُكَذِّبُ من يُحدّث بأنعم الله؟!

---

(1) ورد هذا الخبر في مصنف عبد الرزاق ١١: ٣٥٣ - ٣٥٤.

(2) المصنف: فلبثت.

(3) ب: لبناً.

(4) المصنف: البطالة.

[موقف المتكلمين من الكرامات]

قال القاضي: قد أنكر جماعة من المتكلمين أن يُظْهِرَ الله تعالى من آياته ما يَخْرُجُ عن عاداتِ[1] الناس على مرور الزمان وكرور الأيام إلا لنبيّ، علماً له وشاهداً بصدقه ودليلاً على صحة نبوته، أو في زمان نبي، ونفوا جواز هذا وأن يُؤيَّدَ به أحدٌ من الآدميين ليس بنبيّ وان كان على غاية الصلاح في دينه، والطهارة في نفسه وقوةِ يقينه، وجمهورُ المعتزلةِ من أشدِّ الناسِ دَفْعاً له وتكذيباً لمن حكى شيئاً منه، وقد كان أبو بكر ابن الإخشيد يجيز هذا إذا جرى على يد من ليس بنبي إذا أُيِّدَ به على وَجْهٍ يرجعُ إلى تصديق النبيّ ﷺ والشهادة بصحة رسالته، وأبو بكر من أماثل المعتزلة في علمه وبيانه ونظره وتدينه. ورأيتُ بعضَ من شاهدناه من نظّاري المعتزلة وذوي التدين منهم يجيز إظهار مثلِ ذلك، هذا للصالحين وعلى أيدي الأبرار المخلصين، وفي ذكر ما يحتج به لأهل هذا القول وعليهم وإثبات ما روي فيه من الأخبار المستفيضة المنتشرة[2] وما حكي عمَّن ظهرتْ عدالتُهُ واشتهر علمُهُ وأمانته طولٌ ليس هذا موضعَ استقصائه، وليس هذا الباب مما يدفعه عقل ولا نظر ولا سمع ولا خبر.

وقد كان بعض المتكلمين ورواة الأخبار من المتثبتين[3] يجيزون ظهور هذه الحوائج على أيدي الأنبياء والصالحين من أئمتهم وأئمة الدين بعدهم، ويمنع من ظهورها على من يدَّعي النبوة كاذباً ويتدين ديناً باطلاً، ويذهبون إلى أنّ في تجويز ذلك إفسادَ الأدلةِ والتباسَ الحجّةِ والتسوية بين ذوي الهدى والضلالة والولاية والعداوة، وأجازوا ظهورَ هذه الأشياء على يدِ من يدَّعي

---

(١) خ بهامش م: هيئات.

(٢) م: المبينة.

(٣) ب م: المتقين.

الربوبية على وجه الفتنة وتغليظ الفتنة، كالذي رُوِيَ من أمر الدجال وأنه يتبعه جنّة ونار، وقالوا: ليس في هذا إضلالُ الناس ولا لَبْسٌ في دينهم، لأن الانسانَ مرسومٌ بما لا ينفكُّ منه مما يدلُّ على حدثه وأنه مخلوقٌ كائن بعد أن لم يكن، فأما الدجالُ فإنه مع ما فيه من سمة الحدث التي يشاركُ فيها سائرَ الناس مرميٌّ بالعاهة الظاهرة لأعين الناظرين، النافية للشكِّ في أمره عن قلوبِ العاقلين. وأما النبوة فصدقُ من يدعيها وكذبُ من هو مبطل في ادّعائها، فإن هذين الفريقين مشتركان من جهة الخلقة والصورة والهيئة الانسانية.

المجلس الثامن والسبعون[7]

[حديث الرسول عن فتنة الدجال]

أخبرنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري قال حدّثنا جعفر بن محمد بن الحجاج بن فرقد القطان قال حدّثنا إسماعيل يعني ابن رجاء قال حدّثنا معقل يعني ابن عبيد الله عن ابن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن أسماء قالت: دخل علينا رسولُ الله ﷺ وقد حدَّثَ أصحابه حديثاً غليظاً حتى فاضت أعينُ القوم ينتحبون عن فتنةِ الدجال، ثم قام عنهم فخرج وهم كذلك، فسكبتُ له وضوءاً في الاناءِ فدخل ثم خرج فتوضأ ثم رجع إليهم وهم على تلك الحال، والوضوء يقطرُ منه، فاعتمد على عارضتي الباب ثم قال: مَهْيَم، قالت أسماء: فكنتُ جاريةً ناهداً جَرِيَّةً على مسألته، فقلتُ حين لم يجيبوه: مهيم يا رسول الله، خلعتَ قلوبنا بالأعورِ الدجّال ـ وقد كان حَدَّثَ القومَ في حديثه عن الدجال أنه تنحاز إليه ثمار الأرض وأطعمتها فقلت له: فكيف يا رسول الله يومئذٍ؟ والله إني لأعجنُ عجيني ثـم ما يأني لي حتى إني لأخشى أن يفتنني، تعني الجوع، قال: لا بأس، لا بأس، إنْ خرج وأنا حيٌّ فأنا حجيجُهُ، وإنْ يخرجْ بعدي فالله خليفتي على كلِّ مسلم.

وحدّثني أن مما وصفه به أنه قال: ما أشكل عليكم فيه فإنه أسودُ جَعْدٌ أعورُ مكتوبٌ بين عينيه: كافر، يقرأه كلُّ مسلم كاتب أو غير كاتب.

قال القاضي: وقد روي أن النبي ﷺ ذكر له ما يقال إنه يتبع الدجال من الطعام والشراب ونحوهما، فقال: هو أهونُ على الله من ذلك.

والأخبار الواردة في أمر الدجالِ وظهوره ومهلكه كثيرةٌ جداً، ونسألُ الله أن يعيذنا من فتنته، ويجيرَنا من ضلالته، ويعصِمَنا من فتنة المحيا والممات برحمته.

[إنها حسناء فلا تفرك]

حدّثنا أحمد بن إسحاق ابن بهلول قال حدّثني أبي قال حدّثنا معن بن عيسى قال: سمعت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يطوفُ بالكعبة فإذا أعرابيٌّ طُوالٌ على عنقه مثلُ المهاةِ البيضاء وهو يقول:

عُدْتُ لهذي جَمَلاً ذلولا ... موطَّأً أتَّبع السهولا
أَعْدِلُها بالكفِّ أن تميلا ... أحذرُ أن تسقطَ أو تزولا

أرجو بذاك نائلاً جزيلا

فقال عمر: يا عبدالله، من هذه المرأة التي قد وَهَبْتَ حجَّكَ لها؟ قال: امرأتي، أما والله إنها على ذاك لحمقاءُ مرغامة، أكولٌ قمّامة، لا يبقى لها حامة، ولكنها حسناءُ فلا تفرك وأمُّ عيالٍ[1] فلا تترك، فقال عمر: فشأنَكَ إذاً بها.

---

(١) أصل م: غلمان، وفي الحاشية خ: عيال.

[شروح وتعليقات]

قال القاضي: قوله: «مثل المهاة البيضاء» يعني البقرة الوحشية، ويقال للبلورَة مهاة، وكأنّه قصد بهذا القول البيانَ عن الصّفاء والحسن والضياء. ويقال ما لهذا العيش مهاه أي نورٌ وبهجة، كما قال الشاعر[1]:

وليس لعيشنا هذا مهاه   وليست دارنا الدنيا بدار

يروى مهاة بتاءٍ في الوصل يوقف عليها بالهاء، لأنها للتأنيث، وهي فعلة مثل حصاة ويروى مهاهٌ على أن الهاءَ أصليّةٌ وهي لام الفعل وزنها فعال مثل «سفاه». وقوله: «أعدلها بالكفِّ أن تميلا» قيل معناه: عن أن تميل، والكوفيون يتأولونه بمعنى لئلاّ تميل، وقالوا مثل هذا في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ (الأنبياء: ٣١) أنه بمعنى ألا تميد بكم، وقالوا في قوله عز وجل: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ (النساء: ١٧٦) معناه أن لا تضلّوا. وأنشدوا في هذا قول الشاعر:

رأينا ما يَرَى البُصَراءُ فيها   فآلَيْنَا عليها أنْ تُباعا[2]

أي أنْ لا تباع.

وأنكر البصريون هذا وقالوا: المعنى يبين الله لكم كراهية أن تضلوا وحملوا معنى البيت على نحو هذا الوجه.

وقوله: «إنها لحمقاء مرغامة» إن كانت الرواية هكذا فهو من المراغمة، وهي المشاقّةُ والمخالفة، وإن كان الصحيح من الرواية «مرعامة» بالعين المبهمة فهو من الرعام وهو المخاط. روي عن النبي ﷺ أنه قال:

---

(١) هو عمران بن حطان، انظر ديوان شعر الخوارج ١٧١ وفيه تخريج كثير.

(٢) م: فآلينا لها أن لا تباعا (وليس فيه شاهد).

صلُّوا في مرابضِ الغنم وامسحوا رعامها فإنها من دوابّ الجنة. فإن كانت الرواية هكذا فإنه وصفها بالحُمْقِ، تقول العرب: أحمقُ يمتخطُ بكوعه. ومن قال في الخبر مرغامة ـ بالغين المعجمة ـ فإنه ينبغي أن يقول رَغَامها بفتح الراء. وقوله: «لا تبقى لها حامة» أي طائفةٌ تطوف لإفنائها خُبزَ بيتها. وقوله: «ولكنها حسناء فلا تفرك» زعم أهل العلم باللغة أن العرب تقول: فركت المرأةُ زوجَها تفركه إذا أبغضته، وأنهم يقولون في الرجل إذا أبغض امرأته: قد صَلِفَتْ عنده، ولا يقولون فركها. وقد جاء في هذا الخبر «حسناء فلا تفرك» فإن كان هذا الكلامُ محفوظاً وكان روايةَ مَنْ يضبطُ هذا ويوثَقُ بنقله ومعرفتِهِ فهو صحيحٌ مستعمَلٌ، مُسْقِطٌ لقولِ من زعم أنه مرفوضٌ مهمل، وإن كانت الروايةُ غيرَ ثابتةٍ فما ذكره اللغويون الذين عُنُوا بكلام العرب وميزوا مستعمله من مُهْمَله أولى باتّباعهم والأخذِ بروايتهم وإثباتِ ما أثبتوه ونفي ما نَفَوْهُ وأسقطوه. وقد قيل إن امرأ القيس كان مفركاً أي تبغضه النساء، ويقال امرأة فارك كما قال متمم بن نويرة[1]:

أقـول لهندٍ حين لم أرضَ فِعْلَها أهذا دلالُ العشقِ أم فِعْلُ فاركِ

ويجمع الفارك فوارك، مثل قاعد وقواعد، وطالق وطوالق، وطاهر وطواهر، كما قال ذو الرمة[2]:

إذا الليل عن نَشْزٍ تجلَّى رَمَيْنَهُ بأبصارِ أمثـالِ النساءِ الفوارِكِ[3]

وهذا من الجمع المطرد في العربية سماعاً وقياساً.

---

(١) أمالي القالي ٣: ١٧٨ ومالك ومتمم: ١٢٨.

(٢) ديوانه: ١٧٣٨.

(٣) النشز: المكان المرتفع، والضمير في «رمينه» يعود إلى الإبل، وأبصار النساء الفوارك تنبو عن الأزواج وتطمح إلى غيرهم.

[أسئلة علي لابنه الحسن]

حدّثنا بدر بن الهيثم الحضرمي قال حدّثنا علي بن المنذر الطريقي قال حدّثنا عثمان بن سعيد قال حدّثنا محمد بن عبيد الله أبو رجاء من أهل تستر قال حدّثنا شعبة بن الحجاج الواسطي عن أبي إسحاق الهمداني عن الحارث الأعور أن عليّاً عليه السلام ساءل ابنه الحسن عليه السلام عن أشياء من أمر المروءة، فقال[1]: يا بني ما السداد؟ قال: يا أبة السداد دَفْعُ المنكرِ بالمعروف، قال: فما الشرف؟ قال: اصطناعُ العشيرةِ وحَمْلُ الجريرة، قال: فما المروءة؟ قال: العفافُ وإصلاحُ المرءِ ماله، قال: فما الدقة؟ قال: النظرُ في اليسير وَمَنْعُ الحقير، قال: فما اللؤم؟ قال: إحراز المرء نَفْسَه وبَذْلُهُ عِرْسَهُ من اللؤم، قال: فما السماحة؟ قال: البذل في اليُسْرِ والعسر، قال: فما الشحّ؟ قال: أن ترى ما في يديك شرفاً وما أنفقته تلفاً، قال: فما الإخاء؟ قال: الوفاء في الشدّةِ والرخاء، قال: فما الجبن؟ قال: الجرأة على الصديق والنكولُ عن العدوّ، قال: فما الغنيمة؟ قال الرغبةُ في التقوى والزهادةُ في الدنيا هي الغنيمةُ الباردة، قال: فما الحلم؟ قال: كَظْمُ الغيظِ ومَلْكُ النفس، قال: فما الغنى؟ قال: رضى النفسِ بما قسم الله عز وجل لها وإن قلَّ فإنما الغنى غنى النفس، قال: فما الفقر؟ قال: شَرَهُ النفسُ في كلِّ شيء، قال: فما المنعة؟ قال: شدة الباسِ ومنازعة أشدِّ الناس، قال: فما الذلّ؟ قال الفَزَعُ عند المصدوقة، قال: فما الجرأة؟ قال موافقة الأقران، قال: فما الكلفة؟ قال كلامكَ فيما لا يعنيك، قال: فما المجد؟ قال: أن تعطي في الغُرْم وأن تعفو عن الجرم، قال: فما العقل؟ قال: حفظُ القلب عن كلِّ ما استرعيته، قال: فما الخُرْقُ؟ قال: معاداتك لإمامك ورَفْعُكَ عليه كلامك، قال: فما السناء؟ قال إتيانُ الجميلِ وتركُ القبيح، قال: فما الحزم؟ قال: طولُ الأناةِ والرفق

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٤: ٢٢٠ (نقلاً عن الجليس الصالح ونقل أيضاً تعليق المعافى).

بالولاة والاحتراسُ من الناس بسوء الظنّ هو الحزم، قال: فما السَّرْوُ؟ قال: موافقة الإخوان وحفظ الجيران، قال: فما السفه؟ قال: اتباع الدُّناة ومصاحبةُ الغواة، قال: فما الغفلة؟ قال: تركك المسجدَ وطاعتك المفسد، قال: فما الحرمانُ؟ قال: تركك حظَّكَ وقد عرض عليك، قال: فما السيد؟ قال: السيد الأحمقُ في ماله المتهاونُ في عرضه، يُشْتَمُ فلا يجيب المتحرز[١] بأمر عشيرته هو السيد.

[علي يروي كلمات للرسول]

قال ثم قال علي عليه السلام: يا بني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول[٢]: لا فَقْرَ أشدّ من الجهل، ولا مال أعودُ من العقل، ولا وحشةَ أوحش من العجب، ولا مُظاهرةَ أوثقُ من المشاورة، ولا عقلَ كالتدبير، ولا حَسَبَ كحُسْنِ الخلق، ولا وَرَع كالكفِّ، ولا عبادة كالتفكر، ولا إيمان كالحياء والصبر. وآفة الحديث الكذب، وآفة العلم النسيان، وآفة الحلم السفه، وآفة العبادة الفترة، وآفة الظَّرْفِ الصلف، وآفة الشجاعةِ البغي، وآفة السماحةِ المنّ، وآفةُ الجمالِ الخيلاء، وآفة الحَسَبِ الفخر. يا بنيّ لا تستخفنَّ برجلٍ تراه أبداً، فإن كان أكبر منك فَعُدَّ أنه أبوك، وان كان في مثل عمرك[٣] فهو أخوك، وإن كان أصغرَ منك فاحسبْ أنه ابنك. فهذا ما ساءل علي بن أبي طالب ابنه الحسن عليهما السلام عن أشياء من المروءة وما أجابه الحسن رضي الله عنه.

---

(١) خ بهامش م: المتمرن.

(٢) قارن بما ورد في نثر الدر ١: ١٧١ والبصائر ١: ١٣ والتذكرة الحمدونية ١: ٣٥١ وبعضه ورد في الشهاب: ٢٨ (اللباب: ١٤٨) وبهجة المجالس ١: ٥٢٣ (ونسب لعلي) وهو لعلي أيضاً في نهج البلاغة: ٤٨٨ وانظر العقد ٢: ٢٥٤ والأدب الصغير: ٣٥ وأمثال الماوردي: ٥٥ ب، ١٠٤ ب ومجموعة ورام ١: ٨٤.

(٣) م: وإن كان مثلك.

[تعليق القاضي]

قال القاضي: في هذا الخبر من جوابات الحسن أباه عما ساءله عنه من الحكمة وجزيل الفائدة ما ينتفع به من راعاه وحفظه، ووعاه وعمل به، وأدَّبَ نفسه بالعمل عليه، وهذبها بالرجوع إليه، وتتوفر فائدته بالوقوف عنده. وفيما رواه في أضعافه أمير المؤمنين عن النبي ﷺ ما لا غنى بكل لبيب عليم ومدرهٍ حكيم عن حفظه وتأمله، والمسعود من هُدِيَ لتقبُّله، والمجدود من وُفِّقَ لامتثاله وتَقَبُّلِهِ.

[المغيرة بن حبناء عند طلحة الطلحات]

حدّثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة قال[1]: قدم المغيرةُ بن حَبْنَاء أحد بني مالك بن حنظلة على طلحة الطلحات يطلب صلته، فأخرج إليه حجري ياقوت في درجين فقال: أيما أحبُّ إليكَ عشرة آلاف أو الحجران؟ فقال: ما كنتُ لأختارَ الحجارةَ على الدراهم، فأمر له بعشرة آلاف، ثم قال: أيها الأمير إنَّ نفسي تنازعني إلى أحَدِ الحجرين، فدفعه إليه، فأنشأ يقول:

أرى الناسَ غاضوا ثم فاضوا[2] ولا أرَى ... بني خَلَفٍ إلا رواءَ المواردِ
إذا نفعوا عادوا لمن ينفعونَهُ ... وكائنْ تَرَى من نافعٍ غيرِ عائد

فألقى إليه الحجر الآخر.

[أعرابي قاتل اللصوص ونجا]

حدّثنا يزداد بن عبد الرحمن قال قال أبو موسى - يعني عيسى بن

---

(١) قارن بالأغاني ١٣: ٨٢.
(٢) الأغاني: أرى الناس قد ملوا الفعال.

إسماعيل تينة - حدثني الرياشي أن لصوصاً وقعوا على قوم فيهم أعرابي فسلبوهم ثيابهم، وقاتل الأعرابي حتى نجا، فأنشأ يقول:

سـائـلا سيفـيَ هـل رَوَّيْتُهُ ... حين عزَّ الريُّ من هام اللصوصِ
فـرَّ أصـحـابي وقـاتـلـتـهـمُ ... باذلاً نفسي لهم دون القميصِ
كـاد يـدعـو ويـنـادي[1] بـائـعٌ ... من يفوزُ اليومَ بالثوبِ الرخيصِ

[عمر بن هبيرة يلجأ إلى يزيد بن المهلب ليحمل عنه غرماً]

حدّثنا أبو النضر العقيلي قال حدّثنا أبو إسحاق طلحة بن محمد الطلحي النديم قال حدّثنا أحمد بن معاوية قال، وقال عبد الله بن الكوفي[2]: أغرمَ سليمانُ بن عبد الملك عمرَ بن هبيرة من غَزاته في البحر ألفَ ألفِ درهم، فمشى إلى يزيد بن المهلب وقد ولي العراقَ بعثمان بن حيان المريّ والقعقاع ابن خالد العبسيّ والهذيل بن زفر بن الحارث الكلابيّ وغيرهم من قيس، فلما انتهوا إلى بابِ سُرادِقِ يزيد أُذِنَ لهم الحاجبُ في دخوله، وأعلمهم أنه يغسلُ رأسه، فلما فرغ خرج في سَبنيّة فألقى نفسه على فرشه ثم قال: ما ألَّفَ بينكم؟ فقال عثمان: هذا ابن هبيرة شيخنا وسيدنا، كان الوليدُ حَمَلَ معه مالاً حيث وجهه إلى البحر، فأعطاه جُنْدَهُ، فخرج عليه من غُرْمِهِ ألف ألف درهم، فقلنا: يزيد سيد أهل اليمن ووزيرٌ لسليمان وصاحبُ العراقِ ومن قد تحمَّل أمثالَها عمن ليس مثلنا، ووالله لو وسعتها أموالُ قيسٍ لاحتملناها. ثم تكلم القعقاع فقال: يا ابنَ المهلب هذا خيرٌ ساقه الله إليك، وليس أحدٌ أولى به منك، فافعلْ به كبعضِ فَعَلاتِكَ الأُوَلِ، فلن يصدَّكَ عن قضاءِ هذا الحقِّ

---

(١) خ بهامش م: بثيابي.

(٢) العقد ١: ٣٠٣ - ٣٠٥ والتذكرة الحمدونية ٢ رقم: ٢٠٦ وبعضه في عيون الأخبار ٣: ١٢٤، وقد نقل في أحد أصول وفيات الأعيان ٦: ٢٨٠ - ٢٨٢ عن الجليس الصالح.

ضيقٌ ولا بخل، وقد أتيناك مع ابن هبيرة فيما حمل، فهبْ لنا أموالنا واستر في العرب عورتنا. ثم تكلَّم الهذيلُ بن زفر فقال: يا ابن المهلب، إني لو وجدتُ من الممشى إليك بُدّاً لما مشيتُ اليك، لأن أمـوالك بالعراق، وإنما أتيتنا خائفاً، ثم أقمتَ فينا ضيفاً، ثم تخرجُ من عندنا محروباً. وايم الله لئن تركناك بالشام لنأتينَّكَ بالعراق، وما هاهنا أقربُ في الحظوة وأوجبُ للذمام. ثم تكلم ابن خيثمة فقال: إني لا أقول لك يا ابن المهلب ما قال هؤلاء، أخبرني إن أنت عجزتَ عن احتمال ما على ابن هبيرة فعلى من المعوَّلُ، لا والله ما عند قيس له فكاكٌ، ولا في أموالهم مُتَّسَعٌ، ولا عند الخليفة له فَرَج. ثم تكلم ابن هبيرة فقال: أما أنا فقد قضيتُ حاجتي رُدِدْتُ أم أنْجَحْتُ لأنه ليس لي أمامك متقدَّمٌ ولا خلفك مُتأخَّر، وهذه حاجةٌ كانت في نفسي فقضيتها. فضحك يزيد بن المهلب وقال: إن التعذُّر أخو البخل، ولا أعتذرُ، فاحتكموا، فقال القعقاع: نصف المال، فقال يزيد: قد فعلتُ، أرنا يا غلامُ غداءك، قال: فجيء بالطعام فأنكرنا منه أكثر مما عرفنا، فلما فرغنا أمَرَ بتطييبنا وحملاننا[1] وإجادةِ الكسوة لنا، قال: ثم خرجنا، حتى إذا مررنا قال ابن هبيرة: أخبروني عمَّا بقي من يحمله بعد ابن المهلب؟ لقد صغَّر الله أقداركم وأخطاركم، والله ما يدري يزيدُ ما بين النصفِ والتمام، وما هما عنده إلا سواء، ارجعوا إليه فكلموه في الباقي، قال: وقد كان يزيد ظنَّ بهم أنْ سيرجعون إليه في التمام، فقال للحاجب: إذا عادوا فأدخلهم، فلما عادوا أدخلهم، فقال لهم يزيد: إن ندمتم أقلناكم، وإن استقللتم زدناكم، فقال له ابن هبيرة: يا ابن المهلب، إنَّ البعير إذا أُوقِرَ أثقلته أُذناه وأنا بما بقي مُثْقَلٌ، فقال: قد حملتُها عنكَ، ثم ركب إلى سليمان فقال: يا أميرَ المؤمنين إنك إنما رشَّحتني لتبلغ بي، وإني لا أضيقُ عن شيءٍ اتسع له مالك، وما في أيدينا عوارٍ لك تصطنع بها الناس

---

(١) في أصل م: وحملنا، وفي خ بهامشها: وحملاننا.

وتبتني بها المكارمَ، ولولا مكانُكَ ظلعنا بالصغير. ثم قال: إنه أتاني ابن هبيرة في وجوه أصحابه، فقال له سليمان: أَمْسِكْ أتاك في مالِ الله عنده، خبٌّ ضبٌّ، جموعٌ منوع، خدوعٌ هلوع، هيه فصنعتَ ماذا؟ قال: حملتُها عنه، قال: احملها إذاً إلى بيت مال المسلمين، قال: والله ما حملتها خدعةً وأنا حاملها بالغداة، ثم حملها فلما أخبر سليمان بذلك دعا يزيد فلما رآه ضحك وقال: ذكتْ بك ناري، ووريت بك زنادي، غُرْمُهَا عليَّ وحمدها لك، قد وَفَتْ لي يميني فارجع المال إليك، ففعل.

[حين تأتي حماد عجرد في استرداد غلام آبق]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدّثنا محمد بن القاسم بن خلاد قال أخبرنا عمر بن حماد عجرد ـ وكان حماد يكنى به ـ قال[1]: آخر شعرٍ قاله أبي أنا كنّا بواسط فأبق له غلامٌ فبلغنا أنه بالكوفة، فوجّه أبي في طلبه، فأخبرتُ أنه عند ابن أخي إسحاق بن الصباح الكنديّ، وكان على الكوفة، فلم أصلْ إلى الغلام، فكتبتُ إلى أبي بخبره وقلت[2]: انظر من يثقل على إسحاق فخذ كتابه يشفع لك عنده، قال: فكتب إليَّ:

أَما كتابُكَ يا بنيَّ فإنه ... جَزِعٌ وليس بحازمٍ من يَجْزَعُ
انظرْ وصيَّتِيَ التي أوصيكها ... فاعملْ بها إن كنتَ منّي تسمع
لا تطلبنَّ إلى الأميرِ شفاعةً ... إن الشفاعةَ عنده لا تَنْفَعُ
ولو آن ذلك في الحكومةِ نافعي ... عند الأَمير لكان لي مَنْ يشفع
لكنه وكثيرةٌ آلاؤُهُ ... وسماؤُهُ بالغيثِ ليست تُقْلِعُ
إن كان يطلبُ للصنيعةِ موضعاً ... حسناً فعندي للصنيعة موضع

(١) تهذيب ابن عساكر ٤: ٤٢٨ (عن الجليس الصالح).
(٢) م: فكتبت إليه.

مـا كان إسحـاقُ ليصنعَ بـابنه   في الحُكْمِ إلا مثلَ ما بك يصنع
فإذا قَضى فاقنـعْ فإن قضـاءَهُ   لي إن قَضَى لي أو عليَّ لَمَقْنَعُ

قال الحسين: فأنشدتها في مسجد الكوفة فتلقفها أهل الكوفة فبلغت إسحاق فأرسل إليَّ فقال: يا ابن أخي أنت هاهنا مقيمٌ ولم تعلمني؟ وأمر بالغلام فَرُدَّ عليَّ ووصلني بخمسمائة درهم، فانصرفت إلى أبي فوجدته قد مات.

[أقوال منثورة ومنظومة في المشورة]

حدّثنا محمد بن القاسم الأنباري قال حدّثنا أبي عن أبي جعفر محمد بن عمران قال يقال[1]: توأمُ الرأي خيرٌ من الفذّ ورأي الثلاثة لا يُنْقَض. قال محمد: ويقال نصف عقلك مع أخيك، يعني في المشاورة. قال محمد: ويقال رأيُ الفذّ لا تستغني به الخاصة ولا يصلح للعامة. قال محمد: ويقال ما هلك امرؤ عن مشورةٍ ولا سعد امرؤ باستغناء برأي، وإذا أراد الله أن يهلكَ عبداً أغناه برأيه فكان أول ما يهلكه، قال الله عز وجل: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩) من غير حاجة منه إليهم ولكن لتبقى سنة، وقال الشاعر[2]:

خليليَّ ليس الرأيُ في صَدْرِ واحدٍ   أشيـرا عليَّ اليـوم مـا تـريـانِ

وقال الآخر[3]:

---

(١) د: قال قال ثعلب.

(٢) البيت في معجم الشعراء: ٣٠٠ لعطارد بن قرّان، وانظر أمالي القالي ١: ٤٤، وبهجة المجالس ١: ٤٥٣ (لأعرابي) والمستطرف ١: ٧٣.

(٣) هو بشار بن برد كما في المختار: ١:٢ والبيان والتبيين ٣: ٢٧٠ وأمالي القالي ٢: ٢٨٧ وبهجة المجالس ١: ٤٥١ وديوانه (جمع العلوي).

إذا بلغ الرأيُ المشورةَ فاستعِنْ برأي نصيح أو نصيحة حازمِ
ولا تحسبِ الشورى عليكَ غضاضةً مكان الخوافي نـافـعٌ للقـوادم

[في العجلة والبطء]

وحدّثنا محمد بن القاسم قال حدّثني أبي عن أبي جعفر محمد بن عمران قال يقال: بَيِّتُـوا الرأي يكـشفْ لكم عن محضه. قال ويقال: العجلةُ تسلبُ الوقار. قال ويقال في مَثَلٍ: أسرعْ تبطئْ[1].

[عتبة بن ربيعة يعرض على الرسول أن يكف عن أمره]

حدّثنا أبو بكر ابن الأنباري قال حدّثنا محمد بن يحيى المروزي قال حدّثنا أحمد بـن أيوب قال حدّثنا إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق عن زياد مولى بني هاشم عن محمد بن كعب القرظي قال، قال عتبة بن ربيعة وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ منفردٌ ناحيةً: أُريدُ أن أقومَ إلى محمدٍ فأعرضَ عليه أموراً ليكفَّ عن أمره هذا فأيها شاء أعطيناه إذا رجع لنا عن هذا، فقالوا له: شأنك أبا الوليد، وكان عتبة سيداً حليماً فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابنَ أخي إنك منا بحيث قد علمتَ من السِّطَةِ[2] في النسب والمكان من العشيرة وانك قد أتيت قومك بما لم يأت أحدٌ قومه بمثله: سَفَّهْتَ أحلامنا وكفَّرت آباءنا وعبتَ آلهتنا وفرَّقْتَ كلمتنا، فإن كان هذا لمالٍ تبغيه جمعنا لك أموالنا حتى تكونَ أيسرنا، وإن كنتَ تميلُ إلى الرئاسة رأسناك علينا ولم نقطع أمراً دونك، وإن كان لرئيّ من الجن يعتادُكَ أعذرنا في الجِدِّ

---

(١) ورد في هامش م هنا ما يلي: في نسخة الأصل وجدت بخط شيخنا أبي علي الجازري في أصله يقول: هذا المجلس ليس من الكتاب، وإنما اشتبه عليّ فنسخته، ويتلوه المجلس التاسع والسبعون هاهنا.

(٢) م: البسطة.

والاجتهاد حتى ينصرف عنك فإن الرئيَّ يحمل صاحبه على ما لا يصل معه إلى تركه، ورسول الله ﷺ ساكتٌ يسمع، فلما سكت عتبةُ قال له رسول الله ﷺ: اسمع يا أبا الوليد ما أقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، حمٓ، تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ، بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (فصلت: ١ - ٤) ومضى رسول الله ﷺ وآله في القراءة حتى انتهى إلى السجدة، فسجد وسجد معه المسلمون[١]، وعتبةُ مُصْغٍ يستمع[٢] وقد اعتمد على يديه من وراء ظهره، فلما قطع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القراءةَ قال له: يا أبا الوليد قد سمعتَ الذي قرأتُ عليك فأنت وذاك. فانصرف عتبة إلى قريشٍ في ناديها فقالوا: لقد جاءكم أبو الوليد بغيرِ الوجه الذي مضى به من عندكم. ثم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ فقال: والله لقد سمعتُ من محمدٍ كلاماً ما سمعتُ مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة، فأطيعوني في هذه وأنزلوها بي وخلُّوا محمداً وشأنه واعتزلوه[٣] فوالله ليكوننّ لما سمعتُ من قوله نبأ، فإن أصابته العرب كُفيتموه بأيدي غيركم، وان كان ملكاً أو نبياً كنتم أسعدَ الناسِ به لأن ملكه ملككم وشرفه شرفكم، فقالوا: هيهات، سَحَرك محمد يا أبا الوليد، فقال: هذا رأيي لكم فاصنعوا ما شئتم.

[الرسول يصف القرآن]

حدّثنا محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد وهو ابن سعدان قال حدّثنا الحسين بن محمد عن يزيد بن عطاء وحكيم بن نافع عن إبراهيم الهجريّ عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال، قال رسول الله ﷺ[٤]: إن هذا القرآن

---

(١) وسجد معه المسلمون: سقطت من م.
(٢) في أصل م: يسمع، وما هنا من خ بالحاشية.
(٣) م: واعزلوه.
(٤) الدارمي (فضائل القرآن: ١).

مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم. إن هذا القرآن هو حبل الله، النور المبينُ والشفاءُ النافع، عصمةٌ مَنْ تمسَّكَ به نجا، ولا يعوج فيقوّم ولا يزيغ فيستثبت[1] ولا تنقضي عجائبه ولا يَخْلَقُ عن كثرة الردّ[2]، فاتلوه فإن الله عز وجل يأجركم على تلاوته بكلِّ حرفٍ عَشْرَ حسناتٍ. أما إني لا أقول لكم ألم حرف ولا ألفينّ أحدكم[3] واضعاً إحدى رجليه يدعُ أن يقرأ سورةَ البقرة فإن الشيطان[4] وإن أصفرَ البيوت لجوفٌ صفرٌ من كتاب الله.

[علي غير مرتاح لوقوع الناس في الأحاديث]

حدّثنا محمد بن القاسم الأنباري قال حدّثنا إدريس بن عبد الكريم قال حدّثنا خلف قال حدّثنا منصور بن عطاء، رجل من أصحابنا قال: سمعتُ حمزةَ الزيات يحدِّث عن أبي المختار الطائي عن ابن أخي الحارث عن الحارث قال: دخلتُ المسجدَ فإذا الناسُ قد وقعوا في الأحاديث فأتيتُ علياً عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا ترى الناسَ قد وقعوا في الأحاديث؟ فقال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: إنها ستكونُ فتنةٌ، قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل الذي ليس بالهزل، من تركه من جبّارٍ قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلَّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تشبع منه العلماء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يخلق عن ردّ، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجنّ لمّا سمعته غير أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ (الجن: ١، ٢) من قال به صدق، ومن حكم

---

(١) م: فيستعتب:

(٢) م: عن ردّ.

(٣) م: ألم ولا ألمس أحدكم.

(٤) يبدو أن هنا سقطاً.

به عدل، ومن عمل به أُجر، ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراط مستقيم، أو قال: من اعتصم به هُدِيَ إلى صراط مستقيم، خذها إليك يا أعور.

[من أعطي كل القرآن أو جزءاً منه]

حدّثنا سليمان بن يحيى بن الوليد المقري أبو أيوب الضبيّ قال حدّثنا محمد بن سوار[١] قال حدّثنا عبد الوهاب عن بشر بن نمير عن القاسم مولى خالد بن يزيد عن أبي أمامة الحمصي قال، قال رسول الله ﷺ: من أُعطي ثلث القرآن فقد أُعطي ثلث النبوة، ومن أُعطي ثلثا القرآن فقد أُعطي ثلثا النبوة، ومن أُعطي القرآن كله فقد أُعطي النبوة كلّها غير أنه لا يوحى إليه. ويقال له يوم القيامة اقرأ وارقَ فيقرأ آيةً ويصعد درجة حتى ينجز ما معه من القرآن، ثم يقال له اقبض فيقبض، ثم يقال له اقبض فيقبض، ثم يقال له: أتدري ما في يديك؟ فإذا في يده اليمنى الخلد وفي اليسرى النعيم.

[موعظة علي لكميل بن زياد]

حدّثنا محمد بن أحمد المقدمي وحدّثنا عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن الوراق وحدّثنا ابن عائشة قال حدّثني أبي عن عمه عن كميل، وحدّثني أبي قال حدّثنا أحمد بن عبيد قال حدّثنا المدائني، والألفاظ في الروايتين مختلطة، قالا، قال كميل بن زياد النخعي[٢]: أخذ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبان، فلما أصحر تنفس ثم قال: يا كميل إن هذه القلوب أوعيةٌ فخيرها أوعاها، احفظْ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلّمٌ على سبيل نجاةٍ، وهَمَجٌ رَعَاعٌ أتباع كلِّ ناعق غاوٍ، يميلون مع كلِّ ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق. يا كميلُ العلمُ

---

(١) قال حدّثنا محمد بن سوار: سقطت من م.

(٢) نهج البلاغة: ٤٩٥ - ٤٩٧، وبعضه في عيون الأخبار ٢: ١٢٠.

خيرٌ من المال: العلمُ يحرسك وأنت تحرسُ المال، والعلم يزكو على الإنفاق والمالُ تنقصه النفقة. يا كميل محبَّةُ العالم دِينٌ يدان به، في كسبه العلم لذته في حياته وجميلُ الأحدوثةِ بعد وفاته، ونفقةُ المالِ تزول بزواله، والعلم حاكمٌ والمالُ محكوم عليه. يا كميل مات خُزَّانُ الأَموالِ وهم أحياء، والعلماءُ باقون ما بقيَ الدهر: أعيانهم مفقودة، وأمثالُهم في القلوب موجودة. إن هاهنا لعلماً ـ وأشار إلى صدره ـ لو أصبتُ له حَمَلة. ثم قال: اللهم بلى أصبته لقناً غيرَ مأمون عليه يستعمل آلةَ الدينِ في الدنيا ويستظهرُ بحجج الله على أوليائه وبنعمه على كتابه، أو منقاداً لجملة الحق لا بصيرة له في إحيائه، يقدحُ الزيغُ في قلبه بأولِ عارضٍ من شبهة، اللهم لا ذا ولا ذاك، أو منهوماً باللذاتِ، سلس[1] القيادِ في الشهوات، ومغرماً بالجمع والادخار، وليسا من رعاة الدين، أقرب شبهاً بهما الأنعام السائمة، وكذلك يموتُ العلم بموت حملته. ثم قال اللهم بَلَى، لا تخلو الأرضُ من قائم لله بحجةٍ إما ظاهر مشهور[2] وإما خائف مغمور، لئلا تَبْطُلَ حججُ الله وبيناته فيكم، وأين أولئك؟ أولئك الأقلون عدداً، الأعظمون قدراً، بهم يحفظُ الله حججه حتى يُودِعُوها نظراءَهُمْ ويزرعوها في قلوب أشباههم، هَجَمَ بهم العلمُ على حقيقة الأمر فباشروا رَوْحَ اليقين، واستسهلوا ما استوعر المترفون، وأَنِسُوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأرواحٍ معلّقة بالمحلِّ الأعلى. يا كُمَيل، أولئك خلفاءُ الله في أرضه، الدعاة إلى دينه، هاه وأشوقاً إلى رؤيتهم، أستغفرُ الله لي ولك.

[ما رأيت أقرأ لكتاب الله من علي]

حدّثنا محمد بن الحسين بن زياد[3] قال حدّثنا حسين بن الأسود قال

---

(١) في أصل م: سهل.

(٢) س: منثور.

(٣) م: شهريار.

حدّثنا يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: ما رأيت أحداً أقرأ لكتاب الله من علي بن أبي طالب عليه السلام.

[علي لم يصب من الفيء إلا قارورة]

حدّثنا أحمد بن محمد الأسدي قال حدّثنا عباس بن الفرج الرياشي قال حدّثنا أبو عاصم عن معاذ بن العلاء أخي أبي عمرو بن العلاء عن أبيه عن جده قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: ما أصبت من فيئكم إلا هذه القارورة أهداها إليَّ الدُّهْقان ـ بضم الدال ـ ثم أتى إلى بيت المال فقال خذه وأنشأ يقول[1]:

أفلح من كان له قَوْصرَّة[2] يأكلُ منها كلَّ يومٍ مَرَّة

[نيرزوا كل يوم]

حدّثنا إسماعيل بن الحسين القاضي قال حدّثنا سليمان بن حرب قال حدّثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن السعر التميمي قال[3]: أُهْدِي إلى علي بن أبي طالب فالوذج في جام يوم النوروز فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم

---

(١) اللسان (قصر) والامتاع والمؤانسة ٣: ٧٠.

(٢) القوصرة: وعاء من قصب فيه تمر، وقيل: كنى بها عن المرأة؛ وفي س: طوبى لمن كان له.

(٣) قارن ببهجة المجالس١: ٢٨١ وننقل هنا تعليق أبي العلاء على لفظة «نيروز» فهو الحجة فيما يقول، قال أبو العلاء (عبث الوليد: ١٧٨ ـ ١٧٩) النيروز فارسي معرب، ولم يستعمل إلا في دولة بني العباس (يريد أبو العلاء لم يصبح عيداً رسمياً لدى الدولة) فعند ذلك ذكرته الشعراء، ولم يأت في شعر فصيح، إذ كان نقل من أعياد فارس، والمحدثون يستعملونه على وجهين، منهم من يقول «نيروز» فيجيء به على فيعول، ومنهم من يقول نوروز وهو أقرب إلى الفارسية وأصح فيها وأبعد من الأمثلة العربية لأن فيعولاً في الأسماء العربية كثير... وفوعولاً معدوم في كلام العرب.

النوروز، فقال: نيرزوا كلَّ يوم، بالياء.

[شعر لعبد الله بن زياد الحارثي]

حدّثنا أبو بكر ابن دريد قال أنشدني عمي قال أنشدنا ابن عائشة لعبد الله بن زياد الحارثي(١):

لا يبلغ المجدَ أقوامٌ وإنْ كَرُمُوا حتى يـذلُّوا وان عَـزُّوا لأقوامِ
وَيُشْتَمـوا فترى الألـوانَ مسفـرةً لا عفوَ ذلٍّ ولكنْ عفوُ أحلام
وإن دعا الجارُ لبَّوْا عند دعوته في النـائباتِ بـإسراجٍ وإلجـام
مستلئمين لهم عند الوغى زَجَلٌ كـأنَّ أسيـافَهُمْ أُغـرينَ بـالهـامِ

[شعر لأعرابي]

أخبرنا أبو بكر قال أخبرنا أبو حاتم عن العتبي قال سمعت أعرابياً يقول:

إذا كان الهياجُ سحبتُ درعي وإن كان الرخاءُ جررتُ بُردي
وأبـذلُ للخليـل تـلادَ مـالي وإن قلَّ التلادُ بـذلتُ جهدي
وأُغني في الحروب غَنَاء مثلي ولستُ بموحشٍ إن كنتُ وحدي

[شعر في الدعوة إلى الفضيلة]

أنشدنا أبو بكر قال أنشدنا السكن قال أنشدنا محمد بن عباد(٢):

إذا عثرةٌ نابت صديقَكَ فاغتنمْ مَـرَمَّتها فـالدهـرُ بـالنـاس قُلَّبُ
وبادرْ بمعروفٍ إذا كنتَ قادراً زوالَ اقتدار أو غنىً عنك يَعْقُبُ

---

(١) ذيل أمالي القالي: ٤١ ومنها بيتان في عيون الأخبار ١: ٢٨٧ وتهذيب ابن عساكر ٥: ٣٢.
(٢) انظر الجليس الصالح ١: ٣٢٩ (وفيه تخريج) وتهذيب ابن عساكر ٣: ٢٤٢ والتذكرة الحمدونية ٢: ٣٠٧ لعباد بن عباد.

إذا كنتَ في الأمرين تأتي مخيّراً   فـأتقـاهمـا لله أولـى وأوجـبُ
وأخِّر هُدِيتَ السوءَ[1] إن كـان نازلاً   ولـو سـاعـةً إنْ القلوبَ تَقَلَّب
وكفَّ عن السوءات لا تقربنَّها   فكلُّ مسيءٍ مُحْسِنٌ حين[2] يُعْتَبُ
فكم فائتٍ في فوته لك خِيرةٌ   وإدراكُـهُ لو نلتَـهُ لكَ أعـطبُ
وكم مـدركٍ أمنيّـةً كـان داؤه   بإدراكها والغيـبُ عنـه محجب

[رشونا فقضيت حاجتنا]

حدّثنا أبو بكر قال أخبرنا الرياشي قال حدّثنا أبو معقل قال سمعت عبد الله بن رؤبة قال[3]: كانت لنا حاجةٌ إلى السلطان فاستشفعنا إليه فلم يشفعنا فرشونا فقضى حاجتنا فقال رؤبة:

لـمـا رأيت الـشـفـعـاء بـلَّدوا   وسـألـوا أميـرهم فـأنكـدوا
نـامستـهم بـرشـوةٍ فـأفـردوا   وسهَّـلَ الله بهـا مـا شـدَّدوا

[غزلٌ جميلٌ لأبي حية]

أنشدنا أبو بكر قال أنشدنا عبد الرحمن عن عمه لأبي حية النميري[4]:

إذا هنَّ ساقَطْنَ الأحاديثَ للفتى   سقوطَ حصى المرجانِ من سلكِ ناظمِ
رمينَ فأنفذْنَ القلوبَ فلا ترى   دماً مائراً إلا جرى في الحيازم
وخبَّركِ الواشون أن لا أحبكم   بلى وستورِ البيتِ ذاتِ المحارم
أصدُّ وما الصدُّ الذي تحسبينه   عـزاء بنا الا ابتـلاع العـلاقم

---

(١) م: الشرّ.
(٢) خ بهامش م: حيث.
(٣) أمالي القالي ١: ٢٨٠ ـ ٢٨١ وتهذيب ابن عساكر ٥: ٣٣٧ وربيع الأبرار ٤: ٣٦٦.
(٤) الشعر في الكامل ١: ٦٧ وأمالي المرتضى ١: ٤٤٣ وأمالي القالي ٢: ٢٨١ وزهر الآداب: ١٤ والحماسة البصرية ٢: ٨٥ وديوان أبي حية: ٨٦.

حياءً وبقيا أن تشيعَ نميمةٌ بنا وبكم أفٍّ لأهلِ النمائم
أما إنه لو كان غيرك أُرْقَلَتْ إليه القنا بالمرهفاتِ اللهاذم

ويروى: أُرْقَلَتْ صِعَادُ القنا بالراعفات الملاغم

ولكن وبيتِ الله ما طلَّ مسلما كغرِّ الثنايا واضحاتِ المباسم
وإنَّ دماً لو تعلمينَ جنيته على الحيِّ جاني مثلِهِ غيرُ سالم

[جمع فأوعى وسئل فأكدى]

أخبرنا أبو بكر قال أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي قال: سئل المساحقي عن عبد الله بن الحسن فقال: جمع فأوعى، وسئل فأكدى، وحكم فتعدَّى.

[رأي ابن المسيّب في مصارع بني هاشم]

أخبرنا أبو بكر قال حدّثنا عبد الرحمن عن عمّه قال: ذكر لسعيد بن المسيّب مصارع بني هاشم فقال: إني أظن أن الله جلَّ اسمه أراد أن يطهّر بهم بَطْنَ الأرضِ كما عَمَرَ بهم ظهورها.

[صاحب يجيد تمزيق عرض صاحبه]

أخبرنا أبو بكر قال أنشدنا أبو حاتم عن أبي عبيدة[1]:

لي صاحبٌ ليس يَخْلُو لسانُهُ من جراحي
يجيدُ تمزيقَ عرضي على طريقِ المُزَاحِ

---

(١) الجليس الصالح ١: ٣٢٧.

[يجود بخير أو يهم به]

أنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن يونس:

فتىً لا تراهُ الدهرَ إلّا ونفسُهُ   تجودُ بخيرٍ أو تهمُّ بِخيرِ

[تيه الغنى ومذلة الفقر]

أنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس (١):

خُلُقان لا أرضى فعالهما   تيهُ الغِنَى ومذلَّةُ الفقرِ
فإذا غنيتَ فلا تكنْ بَطِراً   وإذا افتقرت فَتِهْ على الدهر
واصبرْ فلستَ بواجدٍ خُلُقاً   أدنى إلى فَرَجٍ من الصبر

[أربع ضائعة]

حدّثنا أبو بكر قال سمعت الأصمعيّ [يقول] قال بعض الحكماء: لا شيء أضيع من أربع: مودة تمنحها من لا وفاءَ له، وبلاءٌ تصطنعه عند من لا شكرَ له، وأدب تؤدّبُ به من لا ينتفع به، وسر تستودعه من لا صيانة له.

[قول لسلم الخاسر أحسن ما مدح به معن]

أخبرنا أبو بكر قال أخبرنا أبو حاتم قال سمعتُ أبا عبيدة يقول: بلغني أنه قيل لمعن بن زائدة ما أحسنُ ما مدحت به؟قال: بقول سلم الخاسر:

أبلغِ الفتيانَ مألكةً   أنَّ خير الودّ ما نفعا
إن قرماً من بني مَطَرٍ   أتلفت كفَّاه ما جمعا

---

(١) عيون الأخبار ١: ٢٣٨ ومنها بيتان في تاريخ بغداد ٢: ١٦٥ والتذكرة الحمدونية (رئيس الكتاب: ٧٧١) الورقة ١٤٧.

كـلّمـا عُـدْنـا لـنـائِـلِهِ عـاد في معـروفـه جَـذَعـا

[عدم جواب اللئيم أشد عليه من الشتم]

أنشدنا أبو بكر ابن الأنباري قال أنشدنا أحمد بن عبيد قال أنشدنا الأصمعي[1]:

ومـا شـيءٌ أحـبُّ إلى لئيمٍ إذا شَتَمَ الكـريمَ من الجوابِ
متـاركـةُ اللئيـمِ بـلا جـوابٍ أشدُّ علـى اللئيم من السباب

[شديد عادة منتزعة]

وحدّثنا أبو بكر بن الأنباري قال حدّثني محمد بن المرزبان قال حدّثنا محمد بن عمران الضبي قال: كانت لأبي الأسود الديلي من معاوية ناحيةٌ حسنة، فوعده وعداً فأبطأ عليه، فقال له أبو الأسود[2]:

لا يكـن بـرقُـكَ بـرقـاً خُلّبـاً إنَّ خيرَ البرقِ ما الغيثُ مَعَهْ
لا تهنّـي بعـد إذ أكـرمتني[3] فـشـديـدٌ عـادةٌ مـنـتـزعَـهْ

[من مشى في حاجة أخيه المسلم]

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا عبد الله بن ناجية قال حدّثنا عبد الله بن عمران العابدي المخزومي بمكة سنة اثنتين وأربعين ومائتين قال حدّثنا عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه عن أنس قال قال رسول الله ﷺ[4]: مَنْ مَشَى في حاجةِ

---

(١) البيتان للخليل في نور القبس: ٦٣.
(٢) الشعر والشعراء: ٦١٦ وعيون الأخبار ٣: ١٥٦ وديوانه: ٦٤ (يخاطب من اسمه حوثرة بن سليم) وتنسب أيضاً لغيره.
(٣) أصل م: بعدما أكرمتني؛ خ بهامش م: بعد إكرامك لي.
(٤) أورده في المستطرف ١: ١١٣ نقلاً عن مكارم الأخلاق للخرائطي.

أخيه المسلمِ كتبَ اللّهُ له بكلٍّ خطوةٍ سبعين حَسَنةً ومحا عنه سبعين سيئة من حين يخرج فيها، فإن قضيت الحاجة على يده خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمه، وان مات بينَ ذلك دخل الجنةَ بغيرِ حساب.

[لم اختار الوحدة]

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثني أبي عن محمد بن الحسن الجوهري قال: دخلت على أحمد بن صاعد الصوري وهو جالس وحده في مسجده، فقلت له: ما لي أراك وحدك؟ فقال[1]:

قنعتُ بعلم اللّهِ ذُخْرِي وواحدي   بمكنونِ أسرارٍ تضمَّنها صدري
فلو جاز سترُ السرِّ بيني وبينَهُ   عن القلبِ والأحشاءِ ما علما سرّي

[النعم مغضوب عليها]

حدّثنا أبو بكر قال حدثني محمد بن المرزبان قال حدّثنا عبد الرحمن بن موسى قال حدّثنا أبو عاصم[2] أحمد بن يونس قال حدّثنا روح بن عبد الرحمن البوشنجي قال سمعت سفيان بن عيينة يقول: ما أرى النعم إلا مغضوباً عليها، أراها في غيرِ أهلها.

وأنشدني محمد بن المرزبان قال أنشدني أبو عبد الله النهمي لسعيد بن حميد في هذا المعنى:

يا حجة الله في الأرزاق والقِسَمِ   ومحنةً لذوي الأخطار والهممِ
تُراكَ أصبحتَ في نعماءَ سابغةٍ   إلا وربك غضبان على النعم

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٣: ١٠٤.
(٢) م: أبو غانم.

وأنشدنا أبو الحسن ابن البراء:

ليست النعمة عند الله في مثلك نعمهْ
غضب الله عليها فابتلاها بك نقمه

[أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع]

حدّثنا أبو بكر قال حدّثنا علي بن محمد بن أبي الشوارب القاضي، قال حدّثنا أبو الوليد قال حدّثنا شعبة قال حدّثنا الأشعث بن سليم قال: سمعت معاوية بن سويد بن مقرن يحدث عن البراء قال(١): أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع، أمرنا بعيادة المريض وتشييع الجنائز وتشميت العاطس وإجابة الداعي ونصرة المظلوم وإبرار القسم وإفشاء السلام؛ ونهانا عن آنية الفضة وخاتم الذهب والميثرة والحرير والديباج والاستبرق والقسيّ.

[تفسيرات لغوية]

قال اللغويون: التشميت هو الدعاء، يقال له التسميت والتشميت، والتشميت معجمة فيه أعرف وأفصح. من ذلك أنه ﷺ لما أدخل عليّاً على فاطمة عليهما السلام قال: لا تعجلا حتى آتيكما، فلما أتاهما شمَّتَ عليهما وانصرف، يعني دعا لهما. والميثرة: سرج من سروج العجم فيه حرير. والاستبرق: الغليظ من الديباج. والقسّيّ: ثياب فيها حرير تعمل في ناحية مصر بقرية يقال لها القسّ.

[أيمن بن خريم لا يقاتل مصلياً]

وحدّثنا أبو بكر قال، حدّثنا محمد بن أحمد المقدمي قال حدّثنا أبو

---

(١) يرد في عدة مواطن من صحيح البخاري، انظر مثلاً ٢ : ٩٠ (جنائز).

حفص الفلاس، قال: أخبرنا وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي أن عبد الملك بن مروان قال لأيمن بن خريم بن فاتك(١): ألا تخرج فتقاتل معنا؟ فقال: إنّ أبي وعمي شهدا بدراً مع رسول الله ﷺ وأمراني أن لا أقاتل رجلاً يصلي، فإن أعطيتني براءةً من النار قاتلت معك، فتركه. وهو الذي يقول:

فلستُ مقاتلاً رجلاً يُصلّي على سلطانِ آخرَ من قريشِ
له سلطانه وعليَّ وزري معاذَ اللهِ من سَفَهٍ وطيش
أأقتلُ مسلماً في غيرِ جُرْمٍ فليس بنافعي ما عشتُ عيشي

[إلى متى هذا الفراق]

أنشدنا أبو بكر قال أنشدنا المظفر بن عبد الله رحمة الله عليه:

وقد ضقتُ ذرعاً بشقِّ الإزارِ غداةَ الرحيل وبلّ الخمارِ
كأن الدموعَ على خدّها بقيةُ طلٍّ على جُلّنارِ

[تلبية لأبي نواس]

حدّثنا أبو بكر قال حدّثني أبي قال حدّثنا عبد الله بن عمر قال حدّثنا سعيد بن اليمان قال حدّثنا ابن صفوان قال: لما حجّ أبو نواس لبّى فقال(٢):

إلهنا ما أعْدَلَكْ مليك كلِّ مَنْ مَلَكْ
لبّيْكَ قد لبيتُ لك لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك ما خاب عبد سألك

---

(١) الزهرة ٢: ٣٦٢ وتهذيب ابن عساكر ٣: ١٩١، ٥: ١٣٤. والوافي بالوفيات ١٠: ٣١.
(٢) تهذيب ابن عساكر ٤: ٢٧٨.

أنت لـه حيثُ سلك | لولاك يا ربِّ هلك
لبيك إنَّ الحمد لك | والملكَ لا شريكَ لك
والليل لما أنْ حَلَكْ | والسابحات في الفلك
على مجاري المنسلك | لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك | كل نبيٍّ وملك
وكلّ مَنْ أهلَّ لك | سبَّح أو صلى فلك
لبيك إن الحمد لك | والملك لا شريكَ لك
يا مخطئاً ما أغفلك | عجِّلْ وبادرْ أجلك
واختم بخيرٍ عملك | لبيك ان الحمد لك

والملك لا شريك لك

[في القوت غنىً]

وأنشدني أبي رحمه الله:

ليس بذلُ الوجوهِ في طَلَبِ الفضـ | ـلِ عن القوتِ من فعالِ الكرامِ
فإذا ما أنالك الله قوتاً | من حلالٍ فأنت أغنى الأنام

[جود حاتم]

أنشدني أبو بكر قال أنشدنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي لحاتم بن عبد الله[1]:

سلي البائسَ المقرورَ يا أُمَّ مالكٍ | إذا ما أتاني بين ناري[2] ومجزري

(١) تاريخ دمشق (عبد الله بن جابر - عبد الله بن زيد): ٦٤ وأمالي الزجاجي: ٢٠٤ والشريشي ٥: ١٤٢ وديوان حاتم: ٣٠٠ وينسبان لعروة بن الورد وللعجير (انظر التخريج في الديوان).
(٢) يروى أيضاً: فأسي، قدري (هامش م).

أأبسطُ وجهي أنه أوّلُ القرى وأبذل معروفي له دون منكري

[إن الحديث طرف من القرى]

وأنشدنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي(١):

إنَّكَ يا ابنَ جعفرٍ نعم الفتى ونعم مأوى طارقٍ إذا(٢) أتى
فربَّ ضيف طَرَقَ الحيَّ سرى صادفَ زاداً وحديثاً ما اشتهى
إن الحديث طَرَفٌ من القرى ثم اللحاف بعد ذاك في الذرى

[شريك يتلقى الخيزران]

حدّثنا أبو بكر قال حدّثني أبي قال حدّثنا أبو عكرمة الضبي قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ عن أبي سفيان الحميري، قال: وحدّثني محمد بن المرزبان قال حدّثنا أبو بكر العامري قال حدّثنا سليمان بن معصوم قال حدّثنا عبد الله بن صالح بن مسلم ـ والألفاظ في الروايتين مختلطة، قالا(٣): حجت الخيزران أم موسى وهارون فخرج شريك يتلقاها وحمل معه خبزاً، فأبطأت فأقام ثلاثاً ينتظرها فَيَبِس خبزه فجعل يبلّه بالماءِ ويأكله، فهجاه ابن عبدل ـ قال أبو بكر: كذا في رواية أبي، وفي رواية ابن المرزبان فهجاه أبو المنهال العلاء الغنوي ـ فقال:

فإن يكن الذي حَدَّثْتَ حقاً بأن قد أكرهوك على القضاءِ
فمالك حين تخرجُ كلَّ يومٍ تلقَّى من يحجُّ من النساءِ

---

(١) تاريخ دمشق (السابق): ٦١ ـ ٦٢ ما عدا الشطر الأخير، وقد سقط هذا الشطر من ب أيضاً، وانظر تهذيب ابن عساكر ٧: ٣٤٥.

(٢) م س: طارق الحيّ.

(٣) انظر خلاصة القصة وبعض الأبيات في أخبار القضاة ٣: ١٥٢ وتاريخ بغداد ٩: ٢٨٥ (والشعر فيه للعلاء بن المنهال) وشرح النهج ١٧: ٦٢.

وسـوَّدْتَ القميصَ وصرتَ فيـه   تـطوِّفُ يا شـريك مـع الإماء
مقيمـاً في قرى شـاهي ثلاثـاً   بـلا زادٍ سـوى كِسَـرٍ ومـاء
يـزيدُ النـاس خيراً كـلَّ يـومٍ   وتـرجعُ يـا شـريـك إلى وراء

[المودة أقرب الأنساب]

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي[1]:

ولقد سبرتُ الناسَ ثم خبرتهم   وعلمتُ ما عرفوا من الأسبابِ
فـإذا القرابـةُ لا تقرِّبُ قـاطعاً   وإذا المـودةُ أقـربُ الأنســاب

[أرقني أن لا ضجيع ألاعبه]

حدّثنا أبو بكر قال حدّثني أبي قال حدّثنا حميد بن الربيع الخزاز قال حدّثني يونس بن بكير الشيباني قال حدّثني أبو إسحاق عن السائب بن جبير مولى ابن عباس وكان قد أدرك أصحاب رسول الله ﷺ قال[2]: ما زلنا نسمع حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا انه خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة، وكان يفعل ذلك كثيراً، إذ مرّ بامرأةٍ من نساءِ العرب مغلقة عليها بابها وهي تقول:

تطاول هذا الليل تسري كواكبه   وأرقني أن لا ضجيع ألاعبه[3]
ألاعبـه طـوراً وطـوراً كـأنمـا   بدا قمر في ظلمة الليل حاجبه
يُسَرُّ به من كـان يلهو بقـربه   لطيفُ الحشا لا تجتويه صواحبه
فوالله لولا اللهُ لا شيء غيره   لنُقِّضَ من هذا السرير جوانبه

---

(١) قد مرّ البيتان في ما تقدّم من هذا الجزء. ص: ٣٣.
(٢) نقل الخبر والشعر في مصارع العشاق ٢: ١٤٦ وانظر المنتقى للباجي ٤: ٣١ وتخريج الدلالات: ٣١٣ والتذكرة الحمدونية (رئيس الكتاب: ٧٧١) الورقة ١٦٧.
(٣) س: أصاحبه.

ولكنني أخشى رقيباً موكلاً بأنفسنا لا يفتر الدهرَ كاتبه

ثم تنفست الصعداء، وقالت: لهان على عمر بن الخطاب وحشتي وغيبةُ زوجي عني، وعمر واقفٌ يستمع قولها، فقال لها: يرحمك الله يرحمك الله، ثم وجه إليها بكسوة ونفقة، وكتب في أن يقدم زوجها عليها.

[وصايا أخلاقية]

أنشدنا أبو بكر قال أنشدني أبي رحمه الله:

اسلكْ من الطُّرقِ المناهجْ واصبر وإن حُمِّلْتَ لاعجْ
انْبِذْ همومك لا تضقْ ذرعاً بها فلها مفارج
واقضِ الحوائجَ ما استطعـتَ وكنْ لهمٍّ أخيك فارج
فلخيرُ أيامِ الفتى يومٌ قضى فيه الحوائج

وأنشدني أبي رحمه الله[1]:

ليس في كلِّ ساعةٍ وأوان تتهيا صنائعُ الاحسانِ
فإذا أمكنت فبادرْ إليها[2] حَذَراً من تَعَذُّرِ الإمكان

وأنشدني أبي رحمه الله[3]:

وإني ليثنيني عن الجهل والخنا وعن شتم أقوامٍ خلائقُ أربعُ
حياء وإسلام وتقوى وأنني كريم ومثلي قد يضر وينفع

---

(١) البيت الثاني في شرح النهج ١٧: ١١٦.
(٢) م س: تقدمت فيها.
(٣) قارن هذين البيتين بقول البختري بن أبي صفرة (أمالي القالي ٢: ١٣٧)
وإني لتنهاني خلائق أربع عن الفحش فيها للكريم روادع
حياءٌ وإسلامٌ وشيب وعفة وما المرء إلا ما حبته الطبائع

[تفسير ابن عمر لآية النور]

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثني أبي قال حدّثنا أبو علي العنبري قال حدّثني علي بن ثابت الجزري[1] عن الوازع بن نافع العقيلي عن سالم عن ابن عمر في قول الله عز وجل: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ (النور: ٣٥) قال: المشكاة: جوف محمد ﷺ، والمصباح: النور الذي في قلبه، والزجاجة قلبه ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ (النور: ٣٥) الشجرة إبراهيم عليه السلام ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ (النور: ٣٥) لا يهودي ولا نصراني، ثم قرأ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حنيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران: ٦٧).

[مصير عبدة زوج هشام]

حدّثنا أبو بكر قال حدّثني أبي قال حدّثنا الحسن بن عبد الرحمن الربعي قال حدّثنا عياش بن عبد الواحد قال حدّثني ابن عائشة قال حدّثني أبي قال[2]: كانت عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية عند هشام بن عبد الملك، وكانت من أجملِ النساءِ، فدخل عليها يوماً وعليها ثيابٌ سودٌ رقاق من هذه التي يلبسها النصارى يومَ عيدهم، فملأتهُ سروراً حين نظر إليها ثم تأملها فقطب، فقالت: مالك يا أميرَ المؤمنين، أكرهتَ هذه، ألبس غيرها؟ قال: لا، ولكن، رأيتُ هذه الشامةَ التي على كشحك من فوق الثياب، وبك يُذْبحُ النساء ـ وكانت بها شامةٌ في ذلك الموضع ـ أما إنهم سينزلونك عن بغلةٍ شهباء ـ يعني بني العباس ـ وردةٍ، ثم يذبحونك ذبحاً (قال وقوله يُذْبَحُ بكِ النساءُ يعني اذا كانت دولة لأهلك ذبحوا بك من نساء القوم الذين ذبحوك)

---

(١) س: الخوزي.
(٢) نقل السراج هذه القصة في كتابه ٢: ١٥١.

فأخذها عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس فكان معها من الجوهر ما لا يُدْرَى ما هو، ومعها درعُ يواقيتَ وجوهر منسوجٌ بالذهب، فأخذ ما كان معها وخلَّى سبيلها، فقالت في الظلمة: أيُّ دابةٍ تحتي؟ قيل لها: دهماء، لظلمةِ الليل، فقالت: نجوتُ، قال: فأقبلوا على عبدالله بن علي فقالوا: ما صنعتَ؟ أدنى ما يكونُ يبعث أبو جعفر إليها فتخبره بما أَخَذْتَ منها فيأخذه منك. اقتلها. فبعث في أثرها، وأضاءَ الصبح فإذا تحتها بغلةٌ شهباء، وردة، فلحقها الرسولُ فقالت: مه، قال: أمرنا بقتلك، قالت: هذا أهون عليّ، فنزلت فشدَّتْ درعها من تحت قدميها وكميها[1] على أطراف أصابعها وخمارها فما رئي من جسدها شيء، والذي لحقها مولى لآل العباس، قال ابن عائشة: فرأيت من يدخل دورنا يطلب اليواقيت للمهدي ليتم به تلك الدروع التي أخذت منها، وإنما كانت بدنا يُغطّي المرأةَ إذا قعدت.

[من أفاعيل الزنج بالبصرة]

قال الحسن بن عبد الرحمن: ولما دخل الزنج البصرة فيما أخبرني مشايخنا ـ لا يختلفون ـ دخلوا دار جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس فجاءوا إلى بنته آمنة[2] وهي عجوز كبيرة قد بلغت تسعين سنة، فلما رأتهم قالت: اذهبوا بي إليه فإنه ابن خال جدتي أم الحسين بنت جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي، قالوا: بل أُمرنا بقتلك فقتلوها.

[ابن الزبير ينشد معاوية ثلاث أبيات]

حدّثني أبي قال حدّثني أبو أحمد العباس قال أخبرنا عمر بن محمد أبو حفص قال حدّثنا عبد الله بن خبيق قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله قال قال

---

(١) هنا ينقطع النقل في مصارع العشاق.

(٢) في أصل م: أمية.

معاوية لعبد الله بن الزبير[1]: أنشدني ثلاثة أبيات غريبة، قال: أنشدكها بثلاثين ألفاً تدفعها إليّ، قال: حتى تنشد وأسمع، قال: فأنا أقول وتسمع وأنت الحكم، فأنشده أبيات الأفوه الأودي:

بلوتُ الناس قرناً بعد قرن ... فلم أرَ غيرَ ختّال[2] وقالِ
ولم أَرَ في الخطوب أشدَّ ضُرّاً ... وأضنى من معاداة الرجال
وذقتُ مرارةَ الأشياءِ طراً ... فما شيءٌ أمرّ من السؤال

قال: فحكم له ودفع إليه ثلاثين ألفاً[3].

[أحبوا العرب لثلاث]

حدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو حصين قاضي الكوفة قال حدّثنا العلاء بن عمرو الحنفي قال حدّثنا يحيى بن يزيد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ[4]: أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي.

[بلسان سؤول وقلب عقول]

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثني أبو عيسى الختلي قال حدّثنا أبو يعلى الساجي قال حدّثنا الأصمعي عن عبد الحميد[5] بن الحسن الهلالي عن مغيرة

---

(١) تاريخ دمشق (عبد الله بن جابر - عبد الله بن زيد): ٤٣٩ وتهذيب ابن عساكر ٧: ٤٠٨.
(٢) س وأصل م: ختار.
(٣) زاد في ب هنا: أعاد هذه الحكاية بعينها فيما بعد فرواها عن محمد بن القاسم.. (وقد فعل ذلك ليحذف الحكاية من الموضع الثاني).
(٤) ورد هذا الحديث في تهذيب ابن عساكر ٦: ٦٦ ومجمع الزوائد ١٠: ٥٢ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط. وفيه العلاء بن عمرو الحنفي وهو مجمع على ضعفه.
(٥) م: عبد الله.

عن الشعبي قال[1]: قيل لابن عباس: أين أصبتَ هذا العلم؟ قـال: « بلسان سؤول وقلب عقول ».

[مقطعات في العتاب]

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدني أبي رحمة الله عليه:

أُعـاتبُ ذا المروءةِ من صـديقي إذا مـا رابني منـه اجتنـابُ
إذا ذهب العتـابُ فليس ودٌّ ويبقى الـودُّ ما بقيَ العتـاب

وأنشدني أبي:

أعاتبُ من أُبقي على حفظِ وُدِّهِ ولا قَدْرَ عندي للذي لا أُعاتبُهْ

وأنشدني أبي:

إن بعضَ العتاب يدني من العَتْـــبِ ويؤذي به المحبُّ الحبيبا
وإذا ما القلوبُ لم تضمر الودْ دَ فلن يعطفَ العتـابُ القلوبا

(١) عيون الأخبار ٢: ١١٨ (والمسؤول هو دغفل).

المجلس التاسع والسبعون

[أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا]

حدّثنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى إملاء من لفظه في يوم الاثنين الثاني من شهر رمضان سنة تسع وتسعين وثلاثمائة قال حدّثنا محمد بن أحمد بن صالح الأودي قال حدّثنا يوسف بن موسى القطان قال حدّثنا رجا بن مُرَجّى قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الحنيني عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسولَ الله أنفقْ ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً قال: بذلك أُمِرْتُ.

قال القاضي: وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال[1]: أنفق بلالُ ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً.

وقد قال الله عز وجلّ: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبأ: ٣٩).

---

(١) الدلالات السمعية ٦٥٠.

[أعرابية قسرية عند خالد القسري]

حدّثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا الأصمعي قال[1]: ذكروا أنّ خالد بن عبد الله القسريّ لما أحكم جسرَ دجلة واستقام له نهر المبارك أفشى عطايا كثيرة وأذن للناس إذناً عاماً، فدخلتْ عليه أعرابية قسْرِيّةٌ فأنشأت تقول:

إليكَ يا ابنَ السادة الأماجدِ[2]
يَعْمَدُ في الحاجات كلُّ عامدِ
فالناسُ بين صادرٍ ووارد
مثلُ حجيجِ البيتِ نحو خالد
وأنت يا خالدُ خيرُ والد
أصبحتَ عند الله بالمحامد
مجدك قبل الشُمَّخِ الرواكد
ليس طريفُ المجد مثلَ التالد

قال: فقال لها خالد: حاجَتَكِ كائنةً ما كانت، فقالت: أصلح الله الأمير، أناخ علينا الدهر بجرانه، وعضّنا بأنيابه[3]، فما ترك لنا صافناً ولا ماهناً، فكنتَ المنتجعَ وإليكَ المفزع، قال فقال لها خالد: هذه حاجة لك دوننا فقالت: والله لئن كان لي نفعها إنّ لك لأجرها وذخرها، مع أن أهلَ الجود لو لم يجدوا من يقبل العطاءَ لم يوصفوا بالسخاء، قال لها خالد: أحسنتِ فهل لك من زوج؟ فقالت: لا، وما كنت لأتزوج دعيّاً، وإن كان

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٥: ٨٠ ـ ٨١ (نقلاً عن الجليس الصالح).

(٢) م: المواجد.

(٣) م: بنابه.

موسراً غنيّاً، وما كنت أشتري عاراً يبقى بمالٍ يفنى، وإني بجزيل مالِ الأميرِ لغنية، قال الأصمعي: فأمر لها بعشرة آلاف درهم.

[شرح الغريب]

قال القاضي: أما قولها «فما ترك لنا صافناً ولا ماهناً»: الصافن من الخيل فيما ذكر أبو عبيدة الذي يجمع بين يديه وبين طرف سُنْبُكِ إحدى رجليه، والسُّنْبُكُ مُقَدَّمُ الحافر. قال وقال بعض العرب: بل الصافن الذي يجمع بين يديه، والذي يرفع طَرَفَ سُنْبك رجليه فهو مُخِيم، يقال أخام برجله. وقال الفراء: الصافنات فيما ذكر الكلبي بإسناده: القائمة على ثلاث، وقد أناخت الأخرى على طرف الحافر من يدٍ أو رجل، وهي في قراءة عبد الله ﴿صوافِن فإذا وَجَبَتْ﴾ (الحج: ٣٦)يريد معقولةً على ثلاث، وقد رأيت العرب تجعل الصافن القائم على ثلاث أو غير ثلاث، وأشعارهم تدلّ على أنه القائم خاصة، والله أعلم بصوابه.

وقد روي عن ابن عمر أنه قال لرجل يريد نحر ناقته: انحرها معقولةَ اليمنى أو اليسرى قائمةً على ثلاث، سنةَ محمد ﷺ، أو نحو هذا القول. وقد قرئ: ﴿فَاذْكُرُوا اَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافِن﴾ (الحج: ٣٦) ـ على ما تقدم من الحكاية عن ابن مسعود ـ وصوافي، بمعنى خالصةً لله عز وجل من الصفاء والخلوص، فأما قراءة الجمهور الأعمّ والسواد الأعظم فإنه (صوافّ) على جمع الصافّة وهي المصطفة، ورسمُ مصاحف المسلمين شاهدٌ لهذه القراءة بالصحة مع استفاضة النقل لها في الأمة، وقد قال عمرو بن كلثوم في معنى هذه اللفظة:

تركنا الخيلَ عاكفةً عليه مقلَّدَةً أعنَّتها صُفُونا

وأما قولها: «ولا ماهناً» فإنها تعني ولا خادماً، ومن الماهن قول الشاعر:

وهـزئنَ منّي أنْ رأينَ مُـوَيْهنـاً تبـدو عليه شتـامـةُ المملوكِ

المويهن: تصغير ماهن، والخويدم تصغير خادم، والشتامة القبح والكلوح، يقال: وجهٌ شتيمٌ أي باسرٌ قبيح، ومن هذا الشتم والشتيمة في القول معناه قبحه وقذعه، والمشاتمة المسابّة وهما من هُجْرِ القول وفحشه.

وقال بعض اللغويين: لا يقال عضّنا الدهر وإنما يقال عظنا بالظاء، والمعروف فيه الضاد.

[أعز شيئين: درهم حلال وأخ في الله]

حدّثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي قال: حدّثنا محمد بن عيسى الواسطي قال: حدّثنا ابن عائشة عن حزم بن أبي حزم قال: كان يونس بن عبيد يمرّ بنا في بني لاحق فيقول: ما أعرف اليومَ شيئاً أعزَّ من شيئين: درهمٌ حلال وأخ في الله عز وجل. وأنشدنا إبراهيم قال أنشدنا أحمد بن يحيى[1]:

خيـر إخـوانـك المشـارك في المـرِّ
وأين الشـريـكُ فـي المـرِّ أينـا
لا يني شـاهـداً يسـرُّك بـالبشـ
ـرِ وإن غبتَ كـان أذنـاً وعينـا
مثـل سـرِّ العقيـان إن مسَّـه النـا
ر جـلاه التـلامُ فـازداد زينـا

(١) الأبيات لكثير في ترجمته من تاريخ ابن عساكر وفي الذهب المسبوك: ٣٣ ودون نسبة في الصداقة والصديق: ٩٢ وانظر بهجة المجالس ١: ٧١٧ والعقد ٢: ٣٠٨ وهي في معاهد التنصيص ١: ٣٠٤ لبشار بن برد، وانظر ديوان كثير: ٤٩٢ والجليس الصالح ١: ٥٨٧.

[تفسير بعض الألفاظ]

ويروى: أخلصه القَيْنُ وهو الحداد، والعقيان من أسماءِ الذهب. وسرّه أخلصه وأشرفه، وسرُّ كلِّ شيء جيده ومختاره، والتلام هو الذي يُجْلَى به، ويقال له المِدْوس، وقيل: هو التلام يريد التلامذة والتلاميذ مثل الأساورة والأساوير وقيل إنها في قراءة عبد الله (أساوير من ذهب) وقال: التلام بالحذف دون التمام كما قال الشاعر[1]:

عفت المنا بمتالعٍ فأبانِ

يريد المنازل، فحذف اكتفاءً بدلالة ما بقي من الكلام وأقام وزن شعره مستغنياً فيه عن التمام.

[حكاية غريبة عن توسط عمر بن عبد العزيز لدى يزيد بن المهلب]

حدّثنا أبو النضر العقيلي قال: حدّثنا أبو إسحاق الطلحي قال: أخبرنا أحمد بن معاوية قال: وقال ابن الكوفي وكان بشر بن مروان قد ادّخر[2] وهو على العراق ـ عن ابنه عبد الملك وعن عيينة بن أسماء ـ من غلّات أراضيهم[3] مالاً عظيماً، فلما ولي الحجاج أخرج تلك البقايا فوجد ما على عبد الملك وعيينة بن أسماء فقال: وما على بشرٍ أن يهبَ من مال الله تعالى لابنه وختنه هذا وأكثر منه، والله لآخذنهما به أَخْذَ الضبِّ ولده، وطالبهما فريَّثاه حتى هلك فلحقا بالشام فنزلا على عمر بن عبد العزيز فقالا له: إن بشراً كان أطعمنا شيئاً كثيراً من غلّاتنا فبسطنا فيه أيدينا، وان الحجاج بسفهه وخرقه

(١) البيت للبيد في ديوانه: ١٣٨. وعجزه: وتقادمت بالحبس فالسوبان.
(٢) اصل م: أحرز، وفي الحاشية: أخر.
(٣) م: أرضهم.

وظلمه أخرج علينا ثم أخذنا به، فلم نزل نخدعه عن أنفسنا حتى هلك، فكلّم أميرَ المؤمنين في هبة ذلك لنا، فضحك عمر وقال: لستُ أثق لكما بكلامي، ولكن لكما عندي رأيٌ فيه نجاح طلبتكما، قالا: فادللنا عليه، قال: تمشي إلى يزيد بن المهلب فإما أن يحملها من ماله، وإما أن يعيننا على سليمان فيهبها لكما، ولا والله ما كنتُ لأمشي إلى عربيٍ على الأرض غيره ليس من ولد مروان. ثم أتوا يزيد فقال له عمر: إنا أتيناك زواراً وهذان من قد عرفت، فلا تنظرنَّ إلى جرم أبويهما عند أبيك، فضحك يزيد وقال: عفا الله عنك يا أبا حفص، أرجعُ في ذنبٍ قد غفره أبي قبلي؟! والله ما عجز عن مكافأتهما في حياته ولا أوصاني بالثأر من بعده. فإنهما لأخواي وصاحباي، هاتوا حاجتكم، فقال عمر: إن الحجاج أخرج عليهما مما كان بشرٌ ترك لهما من غلاتهما ألف ألف وخمسمائة ألف فما ترى؟ قال: رأيكم فاحتكموا، قال: تحملُ منها ما شئتَ قال: عليَّ نصفها، والمطلب إلى أمير المؤمنين في بقيتها، فإن حمله عني وإلا حملته، فقال عبد الملك بن بشر: والله ما ظلم الناس أن زعموا أنك سيدهم. ثم خرجوا وعمر يقول: ما رأينا مثل هذا العراقي في وطأته فعل قبلها مثلها، ثم حمل عن القيسيين وعن يزيد بن عاتكة، وهذه ألف ألف وخمسمائة ألف. ثم ركب يزيد الى سليمان فدخل عليه وعنده جماعة من وجوه أهل اليمن فقام فقال: يا أمير المؤمنين، فقال له سليمان: أمْسِكْ، وأبيك إنك لقادر على خلواتي، اجلس، فقال يزيد: ما قمتُ لأجلس فأذنْ لي في الكلام، فقال: هات، فأخبره بمجيء عمر إليه وقال: قد حملتُ النصفَ وضمنتُ عليك الباقي، والله يا أمير المؤمنين إن مقامي بالشام لمن تمام نعمة الله عليّ بأمير المؤمنين، إنه لم يعمدْ إليّ أحد في حاجة إلا قضاها الله بك يا أمير المؤمنين على يديّ، فقال سليمان: قد وهبنا ذلك كلَّه لك، فلك حمده وعلينا غُرْمُه.

[الرشيد يستنشد الكرماني شعراً في خلوب جارية الرشيد]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكواكبي قال: حدّثني عمي أبوعبدالله أحمد بن فراس السامي قال حدّثنا الجهم بن بدر قال: قال الكرماني في خلوب جارية الرشيد شعراً، فبلغ الرشيدَ فوجّه إليه وأقعد الرشيد خلوبَ خلف ستر، ومرَّ الكرماني بالفضل بن الربيع فقال: إنّ أمير المؤمنين قد وجَّهَ إليّ فأنشدُهُ إن استنشدني؟ قال؛ نعم، بعد الأمان. فلما دخل قال له الرشيد: أأنت الكرماني؟ قال: نعم، قال: أنشدني، قال في الزهد؟ قال: لستَ هناك، قال: ففي المديح؟ قال: ولا، قال: فما أنشدك يا أمير المؤمنين؟ قال: شعرَك في خلوب، قال: بعد الأمان يا أمير المؤمنين قال: نعم، فأنشده قوله فيها حتى بلغ:

لو لم أذقها طاب لي حبُّها   لكنني ذقتُ فلا ذقتُ

فخرجتْ خلوبُ من وراء الستر فقالت: والله يا أمير المؤمنين ما ذقته ولا ذاقني، ولا رأيتُه ولا رآني، وقد أقرَّ بالزنا فحدَّه، قال: يا خلوب قد أعطيناه الأمان، قالت: لا أمانَ في حدٍّ من حدود الله عز وجل، قال: قد سمعتَ يا كرماني، قال: يا أمير المؤمنين قال الله عز وجلّ: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٤) إلى قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٦) قال: صدقت، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

[طريقة الشعراء]

قال القاضي: ومن الموجود في طريقة الشعراء أنهم يقولون ما لا يفعلون، ويصفون من يمدحونه أو يهجونه بما ليس فيه وبما لا علم لهم به،

وقد قال في هذا عمران بن حطان للفرزدق[1]:

أيها المادحُ العبادَ لِيُعْطَى إن لله ما بأيدي العبادِ
فسلِ الله ما طلبتَ إليهم وارجُ فضلَ المهيمن العواد
لا تقل في الجوادِ ما ليس فيه وتُسَمِّ البخيلَ باسم الجواد

وأنشدني عن ابن الرومي[2]:

يقولون ما لا يفعلون مسبةٌ من الله مسبوبٌ بها الشعراءُ
وما ذاك فيهم وحده بل زيادةٌ يقولون ما لا يفعلُ الأمراءُ

ونظير خبر الكرماني مع الرشيد ما روي أن الفرزدق أنشد عبد الملك:

فبتنَ جنابتيَّ مصرَّعاتٍ وبتُّ أفضّ أغلاقَ الختامِ

فقال له: قد أقررت بما أوجب عليَّ أن أقيمَ عليك الحدّ، فقال: يا أمير المؤمنين يمنعك من ذلك آية من كتاب الله عز وجل، فقال: وما هي؟ قال: قوله عز وجل: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٦).

[هشام يستدعي حماداً الراوية ليسمع منه شعراً]

حدّثنا محمد بن القاسم الأنباري قال حدّثنا أبو الحسن بن البراء قال حدّثني حميد بن محمد الكوفي قال حدّثنا إبراهيم بن عبد الله القرشي قال

(١) الأبيات في الأغاني ١٦: ١٥١ والخزانة ٢: ٤٤٠ وربيع الأبرار: ٢٠٧/أ ؛وديوان شعر الخوارج: ١٧٦.
(٢) ديوان ابن الرومي ١: ٧٥ والمختار من شعر بشار: ٢٤٧.

حدّثني محمد بن أنس صاحب شعر الكميت قال[1]: قال حماد الراوية: كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك وكان هشام يقليني على ذلك، فلما ولي هشام مكثت سنةً لا أخرج، فلما لم أُذْكَرْ خرجتُ فصليتُ الجمعة وجلست على باب الفيل، وهو باب مسجد الكوفة، فإذا شرطيان قد وقفا عليَّ فقالا لي: يا حماد أجبْ الأميرَ يوسفَ بن عمر، فقلتُ: مِنْ هذا كنتُ أحذر، ثم قلت لهما: هل لكما أن تدعاني آتي أهلي فأودعهم وداعَ مَنْ لا يرجعُ إليهم أبداً ثم أصير إليه معكما؟ قالا: ما إلى ذلك سبيل، فاستسلمت في أيديهما ودخلت على يوسف بن عمر في الإيوان الأحمر، فسلمتُ فردَّ عليَّ السلامَ فطابت نفسي بردّه عليَّ السلام، ثم رمى إليّ بكتاب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر، إذا أتاك كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غير مُرَوَّعٍ ولا مُتَعْتَعٍ، وادفعْ إليه خمسمائة دينار وجملاً مهرياً يسير عليه اثنتي عشرة ليلةً إلى دمشق، فأخذت الخمسمائة الدينار ونظرت فإذا جمل مَرْحُولٌ فوضعت رجلي في الغرز وسرت احدى عشرةَ ليلةً، فلما كان اليوم الثاني عشر وافيتُ بابَ هشام فاستأذنت فأذن لي، فدخلتُ عليه في دار قوْراء مفروشةٍ بالرخام، بين كلِّ رخامتين قصبةٌ من ذهب، وحيطانها على ذلك العمل، وإذا هشامٌ جالسٌ على طنفسة من خزّ أحمر وعليه ثيابُ خَزٍّ حمرٌ مضمَّخةٌ بالعنبر؛ فسلمتُ فاستدناني حتى قبلت رجله وأجلسني، فإذا أنا بجاريتين لم أر مثلهما قبلهما، في أذن كلٍّ واحدة منهما حلقةٌ من ذهب فيها جوهرةٌ تتوقد، فقال لي: يا حماد كيف أنت وكيف حالك؟ قلت: بخير يا أمير المؤمنين قال: أتدري لم بعثت إليك؟ قلت: لا، قال بعثت

---

(١) الأغاني ٦: ٧٢ - ٧٤ وتهذيب ابن عساكر ٤: ٤٣١ (عن الجليس الصالح ونقل التعليقات أيضاً) والشريشي ٣: ٢٦٧ ودرة الغواص: ١١٠ ونزهة الألباء: ٢٣ ومعجم الأدباء ٤: ١٣٧ (ط. مرغوليوث) والوافي للصفدي ١٣: ١٣٩.

إليك لبيت خطر ببالي لم أدر من قائله، قلت: وما هو؟ قال:

فدعتْ بالصبوح يوماً فجاءت قينةٌ في يمينها إبريقُ

قلت هذا يقوله عديّ بن زيد العباديّ في قصيدة له، فقال أنشدنيها، فأنشدته:

بَكَرَ العاذلون في وَضَح الصبـ ـح يقولون ما له لا يُفيقُ
ويلومونَ فيكِ يا ابنةَ عبد اللـ ـه والقلبُ عندكم موثوق
لستُ أدري إذ أكثروا العذل عندي أعدوٌّ يلومني أم صديق
زانها حُسْنُها بفرعٍ عميمٍ وأثيثٌ صَلْتُ الجبينِ أنيق
وثنايا مفلجاتٌ عِذابٌ لا قصاراً ترى ولا هُنَّ رُوقُ
فدعتْ بالصَّبوح يوماً فجاءتْ قينة في يمينها إبريق
ثم كان المزاجُ ماءَ سماء ليس ما آجنٌ ولا مطروق

فقال: أحسنتَ يا حماد، يا جاريةُ اسقيه فسقتني شربةً ذهبت بثلث عقلي، ثم قال: أعِدْ، فَأَعَدْتُ فاستخفَّه الطرب حتى نزل عن فرشه، ثم قال للأخرى: يا جارية اسقيه، فسقتني شربة ذهب ثلثا عقلي، فقلت: إن سقتني الثالثة افتضحت، ثم قال: سلْ حوائجك كائنةً ما كانت، قلت: إحدى الجاريتين قال: هما لك بما عليهما من حليّ وحلل، ثم قال للأولى: اسقيه، فسقتني شربة سقطتُ فلم أعقل حتى أصبحت، فإذا أنا بالجاريتين عند رأسي، وإذا خادمٌ تقدم عشرة خدم مع كلّ واحد بدرة فقال: أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: خُذْ هذه فانتفعْ بها في شأنك، فأخذتها والجاريتين وانصرفت.

[تعليقات وتفسيرات]

قال القاضي: قد رويت قصةَ هذا الشعر عن حماد أنها كانت مع

الوليد بن يزيد وفيها ما ليس في هذا الخبر، وفي هذا الخبر ما ليس فيها، وجائز أن تكون القصتان جرتا في وقتين فيكونا غير متنافيتين وقد أثبتنا القصةَ الأخرى في بعض مجالس كتابنا هذا والله أعلم بصواب ذلك.

وقول عدي بن زيد في هذا الشعر يصف ثنايا هذه المرأة: «ولا هن روق» الروق الطوال، يقال ناب أروق وثنيّةٌ رَوْقاءُ والجمع روق مثلُ أحمر وحمراء وحمر، قال الأعشى(١):

وإذا ما الأكسّ شُبِّه بالأر وقِ يومَ الهيجا وقلَّ البصاقُ

يقال ناب أكسُّ وثنيّة كَسَّاء، إذا كانا قصيرين، وإنما وصف الحربَ بالشدة وان ريق المحارب قد شبهت اسنانه على كسسها بالروق لتجردها وقلّة البصاق فيها.

[النوشجاني يتغاضى للمأمون فلا يرضيه ذلك]

حدّثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدّثنا الحسين بن يحيى الكاتب قال حدّثني من سمع قحطبةَ بن حميد بن قحطبة يقول(٢): حضرتُ المأمونَ يناظر محمد بن القاسم النوشجاني في شيء ومحمد يغضي له ويصدّقه فقال له المأمون: أراك تنقاد لي إلى ما تظنّ أنه يسرني قبلَ وجوبِ الحجة عليك ولو شئت أن أقتسرَ الأمور بفضل بيانٍ وطول لسان وأُبهة الخلافة وسطوة الرياسة لصُدِّقْتُ وان كنت كاذباً، وصُوِّبْتُ وان كنت مخطئاً، وعُدِّلْتُ وإن كنت جائراً، ولكني لا أرضى إلا بإزالة الشبهة وغلبة الحجة، وإن شرَّ الملوك عقلاً وأسخفهم رأياً من رضي بقولهم صدق الأمير.

---

(١) ديوان الأعشى: ١٤٤.

(٢) نثر الدر ٣: ٤٢ والتذكرة الحمدونية ١: ٤١٨ وشرح النهج ١٧: ١١٤ - ١١٥.

[لا بأس أن يكون الخال أشرف من العم]

حدّثنا يزداد بن عبد الرحمن قال: حدّثنا أبو موسَى يعني تينة قال حدّثنا القحذميّ قال[1]: تزوج قيس بن معد يكرب بنت الحارث بن عمرو من بني آكل المرار فولدت له الأشعث بن قيس فقال أبو هانئ الكندي:

بنـاتُ الحـارثِ الملك بن عمـرٍو   تـخيـرهـا فتنكـح في ذراهـا
لهـا الـويـلاتُ إذ أنكحتمـوهـا   ألا طعنتْ بمـديتهـا حشـاهـا
وقـد نـبئتـهـا ولـدتْ غـلامـاً   فـلا عـاش الغـلام ولا هنـاهـا

فأجابه أبو قساس الكندي:

ألا أبـلغ لـديـكَ أبـا هُـنَـيّ   ألا تَنْهَى لسـانَك عـن رداهـا
فقـد طـالبتَ هنـداً قبـل قيسٍ   لتنكحَـهـا فلم تـك مـن هـواهـا
فـطافت في المنـاهـل تبتغيـهـا   فـلاقتْ منهـلاً عـذبـاً شفـاهـا
شـديـدَ السـاعدين أخـا حروبٍ   إذا مـا سِيـلَ منقـصـةً أبـاهـا
ومـا حُـثَّتْ مـطيَّـتُـهُ إليـهـا   ولا مـن فـوق ذروتـهـا أتـاهـا

قال عيسى قال القحذمي: وآل الأشعث ينشدون هذا الشعر ولا ينكرونه قال: والأشراف لا يبالون أن يكون أخوالهم أشرف من أعمامهم.

[اللسان في اللغة]

قال القاضي: قوله في هذا الشعر: « ألا تنهى لسانك عن رداها » أنثَ اللسان، وذكر أهل العلم بالعربية أن العرب تذكر اللسان وتؤنثه وقيل من أنثه

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٣: ٦٨ (نقلاً عن الجليس الصالح) وكذلك بغية الطلب ٣: ٢٣٤.

أراد به اللغة والرسالة كقول الشاعر[1]:

إني أتتني لسانٌ لا أُسَرُّ بها   من علوَ لا صَخَبٌ فيها ولا سَخَرُ

[مقولة لعلي في مفهوم القضاء والقدر]

حدّثنا الحسين بن أحمد بن محمد الكلبي قال حدّثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدّثنا العباس بن بكار قال حدّثنا أبو بكر الهذلي عن عكرمة قال: لما قدم علي رضي الله عنه من صفين قام إليه شيخ من أصحابه فقال[2]: يا أمير المؤمنين أخبرني عن مسيرنا إلى أهل الشام، بقضاء وقدر؟ فقال علي عليه السلام: والذي فلق الحبّةَ وبرأَ النسمة، ما قطعنا وادياً ولا علونا تَلْعَةً إلا بقضاءٍ وَقَدَرٍ، فقال الشيخ: عند الله أحتسبُ عنائي، فقال علي عليه السلام، ولم؟ بل عظَّمَ الله أجركم في مسيركم وأنتم مُصْعدون، وفي مُنْحَدَرِكُمْ وأنتم مُنْحدورن، وما كنتم في شيءٍ من أموركم مُكْرَهِين ولا إليها مضطرين، فقال الشيخ: كيف يا أمير المؤمنين والقضاءُ والقدرُ ساقنا إليها؟ قال: ويحكَ لعلَّكَ ظننته قضاءً لازماً وقدراً حاتماً، لو كان ذاك لسقط الوعدُ والوعيدُ، ولبطل الثوابُ والعقابُ ولا أتت لائمةٌ من الله لمذنب، ولا مَحْمَدَةٌ من الله لمحسن، ولا كان المحسن أولى بثواب الإحسان من المذنب، ذلك مقالُ إخوان عَبَدَة الأوثان وجنود الشيطان وخصماء الرحمن، وهم قَدَرِيّةُ هذه الأمة ومجوسُها، ولكن الله تعالى أمر بالخير تخييراً، ونهى عن الشرِّ تحذيراً، ولم يُعْصَ مغلوباً، ولم يُطَعْ مكرهاً، ولم يملك تفويضاً، ولا خلق السموات والأرضَ وما أرى فيهما من عجائبِ

---

(1) هو أعشى باهلة كما في الأصمعيات: ٨٨ ورواية البيت فيه:

قد جاء من عَلُ أنباء انبؤها   إليّ لا عجب منها ولا سخر

وله روايات مختلفة، وتخريجه في حاشية الأصمعيات.

(2) قارن بنهج البلاغة: ٤٨١ ولعلي كلمات أخرى في القدر، انظر مثلاً العقد ٢: ٣٧٨ - ٣٧٩ والبصائر ٥ رقم: ٦٥٤.

آياتهما باطلاً ﴿ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾(ص: ٢٧).

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين فما كان القضاء والقدر الذي كان فيه مسيرنا ومنصرفنا؟ قال: ذلك أمرُ الله وحكمته. ثم قرأ علي رضي الله عنه ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ (الإسراء: ٢٣) فقام الشيخ تلقاء وجهه ثم قال:

أنتَ الإمامُ الذي نرجو بطاعتِهِ ... يومَ النشورِ من الرحمن رضوانا

أوضحتَ من ديننا ما كان ملتبساً ... جزاكَ ربُّكَ عنّا فيه إحسانا

المجلس الثمانون

[يا أبا بكر دعها فإن لكل قوم عيداً]

أخبرنا المعافى بن زكريا قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن أبي شيبة قال حدّثنا علي بن شعيب قال حدّثنا ابن نمير قال حدّثنا هشام عن أبيه عن عائشة(١) أنها كانت عندها جاريتان تغنيّان في يوم عيد وعندها رسول الله ﷺ لا ينهاها، فدخل عليها أبو بكر رضي الله عنه فانتهرها، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بكر دَعْها فإن لكلِّ قومٍ عيداً وهذا عيدنا.

[الرخصة في الغناء المباح]

قال القاضي: قد ضَمَّنّا هذه المجالس نظائر لهذا الخبر، وذكرنا في غير موضع من كتبنا ما جاء من الرخصة في الغناء المباح وما يستعمل معه من آلات الملاهي كالدف ونحوه، وأن ذلك يختار ويؤمر به في الأعياد والعرسات وما يجري مجراها مما ينبسط عنده المسلمون وينشطون فيه في مجامعهم

---

(١) الحديث أخرجه مسلم ١: ٢٤٢، ٢٤٣، وأورده البخاري ٢: ١٧ وهو من الأحاديث التي يحتج بها من يذهب إلى إباحة الغناء الملهي، انظر رسائل ابن حزم ١: ٤٣٦ وبوارق الالماع: ١٣٢ والسماع: ٣٧ وتخريج الدلالات السمعية: ٧٥٦ والمستطرف ٢: ١٦٧.

ومآدبهم. وذكرنا في عدة مواضع ما يكره من ترجيع الغناء والتمطيط في تلاوة القرآن وإنشاد الشعر، وأوضحنا سقوط من مَوَّهَ على الناس في ذلك وتعلق بسخيف الشُّبَه فيه إرهاصاً لمعيشته وتوطئاً للحطام من مأكلته، وان في وفور السرور واستقامة الأمور بالتصرف فيما أباحه الله عز وجل وأذن فيه لمندوحةً عما حظره وزجر عنه وعابه.

[ابن ورقاء يحسب الشعر قرآناً]

حدّثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة قال: خطب عتاب بن ورقاء الرياحي على المنبر فقال: أقول كما قال الله تعالى في كتابه[1]:

ليس شيءٌ على المنون بباقٍ   غير وجه المسبّح الخلاقِ

فقيل له: أيها الأمير، هذا قول عديّ بن زيد، فقال: فنعم والله ما قال عديّ بن زيد.

قال ابن دريد أخبرنا أبو عثمان في عقب هذا الحديث ولم يسنده الى أحد قال[2]: أتي عتاب بن ورقاء بامرأة من الخوارج فقال لها: يا عدوة الله ما حملك على الخروج علينا؟ أما سمعت الله يقول:

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا   وعلى المُحصَناتِ جرُّ الذيولِ

فقالت: جَهْلُكَ بكتابِ الله حملني على الخروج عليك وعلى أئمتك يا عدوَّ الله.

(١) تهذيب ابن عساكر ٥: ٨٦.

(٢) البيان والتبيين ٢: ٢٣٥ وعيون الأخبار ٢؛ ٤٩ والبصائر ١ رقم: ٣٦٤ ونثر الدر ٦: ١١١ وتهذيب ابن عساكر ٥: ٨٦.

[كيف سار المثل: الخير يبقى.. والشر أخبث زاد]

حدّثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدّثنا أبو الفضل الربعي قال حدّثني أبي، وحدّثنا محمد بن القاسم الأنباري قال حدّثني أبي قال حدّثنا أحمد بن عبيد قال حدّثنا محمد بن السائب عن أبيه عن الشرقي بن القطامي - وألفاظ الروايتين مختلفة ومعانيهما متقاربة - قال[1]، قال الرشيد للمفضل الضبيّ: أخبرني يا مفضَّلُ عن قولِ العرب:

الخيرُ يبقَى وإن طالَ الزمانُ به والشرُّ أخبثُ ما أوعيتَ من زادِ

فقال: يا أمير المؤمنين هذا مَثَلٌ لهم سائرٌ قبل الإسلام، وكان من حديث هذا المثل أن عبيد بن الأبرص الأسدي كان حكيماً من حكماء العرب وشاعراً مجيداً، قتله المنذر بن ماء السماء من أجلِ الغريَّيْنِ - وكان من حديث هذا المثل قبل أن يقتله المنذر بثلاثة أحوال أن ناساً نزلوا عليه فقراهم وأحسن ضيافهتم وكان يقري الضيفَ ويُحْسِنُ إلى المنْقَطعِ به، فلما أراد القومُ الرحيلَ خرج معهم يُشَيِّعهم، فشيعهم حتى أبعدوا ونزلوا في موضع - وقال غيره: فلما نزل القوم وعرسوا خرج عبيد وصاحب له يمشيان في الموضع الذي نزل القوم فيه، وسارا حتى أتيا حبّاً هناك فرأيا شجاعاً عظيماً أقرَعَ يلهثُ قد أَدْلَعَ لسانَهُ من العطش، فأخذ صاحبُ عبيدٍ حجراً وهمَّ أن يَشْدَخَهُ به، فقال له عبيد: ما أنت صانع؟ قال: أقتلُ هذا الشجاعَ فإنه عدوّ، قال عبيد: لا تفعلْ فإن الأسير قد يُجَارُ وإن كان عدواً، ثم استقى من الحبِّ ماءً فسقَى الشجاع، فجعل يشربُ حتى روي، ثم تسبسبَ في الرمل فغاب، قال: ورجع عبيدٌ

---

(1) قارن بالأغاني ٢٣ : ٤١٩ وقال أبو الفرج: وهو خبر مصنوع يتبين التوليد فيه، وانظر المستطرف ١ : ٢٤٤ - ٢٤٥، وورد في كتب الأمثال، «الشر أخبث ما أوعيت من زاد» انظر جمهرة العسكري ١ : ٥٤٢ والميداني ١ : ٢٤٧ وقال الميداني: وزعموا أن هذا بيت قالته الجن.

إلى القوم فودَّعهم ثم رحلوا، ورجع عبيد إلى منزله فأقام حولين، فأتاه بعضُ الرعاةِ فخبَّره أن إبلَهُ قد شَرَدَتْ فركب راحلةً لـه وخرج في طَلَب الإبـل، وكان شجاعاً بطلاً، فسار عَشْرَ مراحل لا يرى لها أثراً ولا يعرفُ لها خبـراً، حتى إذا كان في بعض الليالي وقد كلَّتْ راحلتُهُ وتعب وأظلم الليلُ وهبَّت الرياحُ فلم يرَ سهلاً ولا جبلاً نفقتْ الراحلة، فقال: يا لك من ليلٍ ديجور ومن نفـوق راحلةٍ بالليل، وكان الموضع الذي هو فيه يقال له الصادي وهناك مـاء، فقال: والله ما أرى إلّا الإقامةَ على هذا المـاء والموت، ثم حطَّ رحله عـن راحلتـه وأسند ظَهْرَهُ إليه وطأطأ رأسه إلى الأرض وجمع أثوابه عليه، فإذا هـاتفٌ يهتفُ به من خلفه، يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول:

يـا أيها الشخصُ[1] المضِـلّ مَذْهَبُـهْ ... ولـيس مَعْــهُ مـن أنيسٍ يَـصْـحَـبُـهْ
دونــك هـذا البَكْـرَ خُـذْهُ فـارْكَبُـهْ ... حتى إذا الليــل تـوارى مغـربـه[2]
بســاطعِ الصبـحِ ولاح كـوكبُـهْ ... فـحطَّ عـنــه رَحْـلَه وسَـبْـسِـبُـهْ[3]

قال القاضي: ويروى تواري غيهبـه، والغيهب الظلمـة. فالتفت وراءه فـإذا بكر معقولٌ عليه رحل، فوثب حتى حلَّ عِقالَهُ وصار في متنه، فوثب البكر من غير أن يثيره حتى استقام على الطريق يسيرُ به كالبرقِ الخاطفِ وكالريح العاصف لا يلوي على شيءٍ ولا يفترُ من السير، حتى إذا كان في وجه الصبح ونظر عبيد إلى بياض الحيرة برك البكرُ فلم يقم، فاستحثَّه فلم يقم، فقال: إنه لمأمور، وثنى رجله فنزل عنه وولّى ناحيةً فثار البكر يجرُّ بزمامه، فقال عبيد: بكرٌ يسري في ليلةٍ واحدةٍ عَشْرَ مراحل لا أسأله ما أنت ولا من الذي أرسلك إليَّ؟! ثم أدار وجهه إليه وهو يقول:

---

(١) الأغاني: الساري.
(٢) الأغاني: تجلى غيهبه.
(٣) الأغاني: وسَيِّبُهْ.

يـا أيها البكـر قـد أنجيتَ من كُـرَبٍ ومن خيـافٍ تُضِـلُّ المـدلـجَ الهـادي
ألا أبنتَ لـنـا بـالقـولِ نـعـرفـه من الـذي جاد بـالنعماءِ في الـوادي
اذهب سليمـاً فقـد بلَّغْتَ مـأمننـا بوركتَ من ذي سنامٍ حـامل حـادي

قال: فأجابه البكر وهو يقول:

أنـا الشجـاع الـذي ألفيتَهُ رَمِضـاً ينـازِعُ الماءَ من ذي المـورد الصادي
فجـدتَ بـالمـاءِ لما ضنَّ حـامِلُهُ روَّيْتَ هـامي ولم تُـولَعْ بـإنكـادي
الخيـرُ يَبْقَى وإن طـال الـزمـانُ بـه والـشـر أخبـثُ مـا أوعيـتَ من زاد

قال القاضي ويُرى: ما أوعَبْتَ[1] في الزاد

هــذا جــزاؤك مــنـي لا أمــنُّ بــه فســرْ سليـمـاً وقــاك الله من هــادِ

فقال له الرشيد: أحسنت يا مفضَّل، يا ربيع أَعْطِهِ عشـرين ألفاً، عشـرة آلاف لمعرفته بالمثل وأصله، وعشرة آلاف لحسن روايته له.

قال القاضي: في هـذا الخبر « نفقت الـراحلة » وإنما يقـال نفق الفرس وتنبَّل البعير.

[ابن الزبير ينشد معاوية ثلاثة أبيات]

حدّثنا محمد بن القاسم الأنباري قال حدّثني أبي قال حـدّثني أبو أحمـد العباسي قال أخبرنا عمر بن محمد بن حفص قال حدّثنا عبد الله بن خبيق قـال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله قال قال معاوية لعبد الله بن الزبير[2]: أنشدني ثلاثة أبيات غريبة، قال: أنشدكها بثـلاثين ألفاً تـدفعها إليّ، قـال: حتى تنشد

(١) م: أرغبت.
(٢) قد مر هذا في ما تقدم ص: ٣٤٧ ولهذا أسقطه ناسخ ب.

فأسمع، قال: فأنا أقول وتسمع وأنت الحكم، فأنشده أبياتاً للأفوه الأودي:

بلوتُ الناسَ قرناً بعدَ قرنٍ ... فلم أرَ غيرَ ختّالٍ وقالِ
ولم أرَ في الخطوب أشدَّ شراً ... وأضنى من معاداةِ الرجال
وذقتُ مرارةَ الأشياءِ طُرّاً ... فما شيءٌ أشدُّ من السؤال

قال: فحكم له ودفع إليه ثلاثين ألفاً.

[عمر معجب بمعاوية]

حدّثنا يزداد بن عبد الرحمن قال حدّثنا أبو موسى يعني تينة قال حدّثنا العتبي قال حدّثني أبي قال[1]: خرج عمر يسير في عمله، فلما قرب من دمشق تلقاه معاوية في موكبٍ له رز، وعمر على حمار إلى جنبه عبد الرحمن ابن عوف على حمار آخر، فلم يرهما معاوية وطواهما، فقيل له: خَلَّفْتَ أمير المؤمنين وراءك، فرجع فلما رآه نزل عن دابته فأعرض عنه عمر ومشى حتى عَلِقَ نفسه بأرنبته، فقال له عبد الرحمن: يا أمير المؤمنين، أجهدتَ الرجل، فقال عمر: يا معاوية أأنت صاحب الموكب آنفاً مع ما يبلغني من طول وقوف ذوي الحاجات ببابك؟ فقال معاوية: نعم، فرفع عمر رضي الله عنه صوته فقال: ولِمَ ويلك؟ فقال: إنا في بلاد لا يُمْتَنَعُ فيها من جواسيسِ العدوّ، ولا بدَّ لهم مما يرهبهم من آلة السلطان، فإن أمرتني أقمتُ عليه وإني نهيتني عنه انتهيت، فقال عمر: يا معاوية والله ما بلغني عنك أمر أكرهه فأعاتبك عليه إلا تركتني منه في أضيق من رواجب الفرس، فإن كان ما قلتَ حقاً إنه لرأي أديب، وإن كان باطلاً إنها لخدعة أريب، لا آمرك به ولا أنهاك عنه، فقال عبد الرحمن: يا أمير المؤمنين لأحسن الفتى المَصْدَرَ فيما أوردته فيه، فقال عمر

---

(١) البصائر ٤ رقم: ١٦ ونثر الدر ٣: ٣ ولقاح الخواطر: ٧٠ ب.

رضي الله عنه: لحسن مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه.

[تولية المهلب خراسان]

حدّثنا أبو النضر العقيلي قال حدّثنا أبو إسحاق الطلحي قال حدّثنا أحمد ابن معاوية قال قال ابن الكوفي: لما قدم المهلب على الحجاج بعد فراغه من أمر الأزارقة وقتالهم، أكرمه الحجاج وشرفه وبلغ له الغاية، قال: فخرج الحجاج يوماً آخذاً بيد المهلب، حتى إذا انتهى إلى المحراب قام ثم قال: يا أبا سعيد أنا أطول أم أنت؟ فقال: الأمير أطولُ مني وأنا أشخص منه، فلما انصرف من صلاته أخذ بيده فأدخله معه ثم قال له: سجستان خيرٌ ولايةً أم خراسان؟ قال: سجستان قال: وكيف؟ قال: لأنها ثغرٌ كابل وزابلستان، وان خراسان ثغر الترك، قال أيهما أحبّ إليك أن يليه رجل مثلك؟ قال:إن أمثالي في الناس لكثير وما نحن حيث يرى الناس، قال: سر إلى سجستان، قال: غيري خير لك فيها مني وأنا بخراسان خير لك من غيري، قال: ولم؟ قال: لأن بدء نعمة الله عليَّ بعد الإسلام كان في غزوتي خراسان مع الغفاريّ، وابن أبي بكرة بسجستان خير لك مني لأن أهلها أحبوه لحسن أياديه فيهم وأنا بخراسان خير منه، قال: وما كنت تلي من أمر الغفاري؟ قال: كنت فيمن صحبه فلما نزلنا بيهق ودنونا من عدونا قال الغفاري: هل من فوارس ينظرون لنا أمامنا وإن أصابوا أحداً أتوا به، فانتدب منا مع صاحب [شرطته] عشرة فوارس فلقينا عِدَّتنا من عدونا، فقال أصحابي: قد عاينًا طلائع القوم فانصرفوا، فقلت: وما عليكم ان نُشامَّهم؟فأبوا وأنصرفوا وتقدمت فقتل الله العشرة على يدي، ثم انصرفت برؤ وسهم ودوابهم وأسلابهم معي، وقد كان أصحابي نعوني إلى الغفاري، فلما رآني ضحك وقال:

كبا القومُ عند عيانِ الرهانِ ونال المهلب حظَّ الفرسْ
ففاز المهلبُ بالمكرماتِ وآب عميرُ بحد التَّعَسْ

ثم ولّاني شرطته وخرج إليّ من أمره. فولاه الحجاج خراسان، وكان واليها حتى هلك بها، فقال نهار بن توسعة يرثيه:

لله دركمُ غداةَ دفنتمُ سمَّ العداةِ ونائلاً لا يُحْظَرُ
إن تدفنوه فإنّ مثلَ بلائه في المسلمين وذكره لا يقبر
كان المدافعَ دون بيضة مِصْرِهِ والجابرَ العظمَ الذي لا يُجْبَرُ
والكافيَ الثغرَ المخوفَ بِحَزْمِهِ وَبِيُمْنِ طائرِهِ الذي لا يُنْكَرُ
أنَّى لها مثلُ المهلبِ بَعْدَهُ هيهاتِ هيهات الجنابُ الأخضر
كل امرئٍ وليَ الرعيةَ بعده بدلٌ لعمر أبيكَ منه أعور
ما ساسنا مثلُ المهلَّب سائسٌ أعْفَى عن الذنبِ الذي لا يُغْفَرُ
لا لا وأيمَنَ في الحروبِ نقيبةً منه وأعدلَ في النهابِ وأوقر
وأشدّ في حقِّ العراقِ شكيمةً يَخْشَى بوادرها الامام الأكبر
جمع المروءة والسياسةَ والتُّقى ومحاسنُ الأخلاق منها أكثر
تجري له الطيرُ الأيامِنُ عُمْرَهُ ولو آنه خمسين عاماً يخطر
لما رأى الأمرَ العظيمَ وأنه سيحلُّ بالمصرين أمْرٌ منكر
وأَرَنَّتِ العُوْذُ المطافِلُ حولَهُ حَذَرَ السِّباء وزلَّ عنها المئزر
أَلْقَى القناعَ وسار نحو عصابةٍ خُزرٍ فذاقوا الموتَ وهو مشمر
كان المهلبُ للعراقِ سكينةً وولِيَّ حادثها الذي يستنكر

[أبو الديك المعتوه]

حدّثنا حمزة بن الحسين بن عمر السمسار قال حدّثنا العباس بن محمد بن عبد الرحيم(١) الأنصاري قال حدّثني أبي قال قال أبو نعيم: أرسل إليّ عمران بن إسحاق بن الصباح، وكان كثيراً ما يرسل إلى الفقهاء، وكان أبوه قبله يفعل ذلك، قال: فأتيته فإذا أبو الديك(٢) ـ وكان معتوهاً ذاهب العقل

(١) م س: عبد الرحمن.
(٢) عن أبي الديك انظر ربيع الأبرار ٣٩٧ ب والجليس الصالح ١: ٤٠٩ ـ ٤١٠.

مختـلاً محتالاً جيـد البـديهـة حسن الجـواب ـ على بـاب عمـران بن إسحـاق يخاصم ويجلب ويختلط ويشير إلى الحـائط كأنـه يرى شيئـاً يخاصمـه، وكان ذلك لا يعتريه إلا عند الجوع وكان قد عرف بذلك، وكان علية أهـل الكوفـة: فقهاؤ ها وأمراؤ ها، يأمرون بتفقد ذلك. فـدخلت على عمران فلم أجلس حتى قلت لـه: أيها الأميـر، أبو الـديك على البـاب يخاصم ويخلط ولا أحسبـه إلا جائعاً، فإن ذلك يعتريه مع الجوع، فقال عمران: يا غلام، المائدة، فطلع بها مهيأة، ثم قال: أبو الديك، فدخل، فلما عاين المائدة ورأى حسنها قـال، قال الله تعالى في كتابه يحكي مسألة نبيه ﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّماءِ تَكُـونُ لَنَـا عِيداً لأَوَّلِنَـا وآخِرَنـا﴾ (المائـدة: ١١٤) الآية؛ وهـذه المائـدة لأول أهـل الكوفة وآخرهم، والآية معـرفة أبي نعيم بما كنت فيه؛ قال أبو نعيم: ثم أقبـل عليَّ فقـال: يا أبـا نعيم هذه فطنـة العقـلاء وأذهان الفقهـاء واختيار العلمـاء، جـزاك الله خيراً. ثم أقبل على عمران فقـال: أيها الأميـر، قـال الله تعـالى في كتابه: ﴿ويُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ (الدهر: ٨) وأنـا مسكين، يتيم من عقلي، أسير في حبس شيطان موكل بي.

[فتيان بني عبد مناف وفتيان بني أسد]

حدّثنا محمد بن سهل بن الفضل الكاتب قـال حدّثنـا أبو زيـد يعني عمر ابن شبة قال حدّثني الوليد بن هشام قال قال معاوية للحـارث بن نوفـل: أدخل عليَّ فتيان بني عبد مناف، فأدخلهم كأن وجوههم الدنانير، فنظر إليهم فقـال: بأبي أنتم[1]:

(١) البيتـان لحريث بن محفض المـازني، انظر طبقـات ابن سلام: ١٩٤ والشعـر والشعراء: ٥٣٦ والاصـابـة ٢: ٦٠ (وهـو ينقـل عن معجم المـرزبـاني) وخـزانـة البغـدادي ٢: ٥١٠ والـوافي للصفدي ١١: ٣٤٥.

بنو المجدِ لم تقعدْ بهم أمهاتُهُمْ   وآباؤهم آباءُ صدقٍ فأنجبوا
همُ حفظوا غيبي كما كنتُ حافظاً   لهم غيبَ أخرى مثلها لو تغيبوا

فقال عبد الله بن الزبير: يا أمير المؤمنين ألا أدخل عليك فتيان بني أسد قال: فأدخلهم كأن وجوههم الحيات، فقال معاوية:

أكلنَ حمضاً فالوجوه شِيبُ   شربنَ حتى نَزَحَ القليبُ

[أبو الدرداء ينظم شعراً]

حدّثنا أحمد بن العباس العسكري قال حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثني محمد بن إسحاق المسيبي قال: سمعت شيخاً يقال له عبد الملك بن عمارة من ولد خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين من الأنصار يحدث أبي أن أبا الدرداء قيل له كل أصحابك قد قال الشعر غيرك، فنكس أو أطرق قليلاً ثم قال[١]:

يريدُ العبدُ أن يُعْطَى مُنَاهُ   ويأبَى اللهُ إلاَّ ما أرادا
يقولُ العبد فائدتي ومالي   وتقوى الله أفضلُ ما استفادا

فقالوا: لقد أحسنتَ فزدْ، فقال: لا، إنما قلت حين قلتم إن أصحابكَ[٢] كلهم قد قالوا، فكرهت أن يعملوا عملاً لا أعمله، وليس الشعر من شاني.

[لا تملأوا أعينكم من أئمة الجور]

حدّثنا عبد الباقي بن قانع قال حدّثنا عبد الله بن علي بن الحسن الخواص العابد قال حدّثنا الحسن بن جرير[٣] الصوري قال حدّثنا محمد بن عمرو

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر: ١٦٤٦ وتخريج الدلالات السمعية: ٩٨.
(٢) م: اصحابي.
(٣) س وأصل م: حزم.

العسقلاني قال حدّثنا إبراهيم بن أدهم عن أبي عيسى المروزي قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول في إمرة عبد الملك بن مروان: لا تملأوا أعينكم من أئمة الجور ولا من أعوانهم إلا بإنكارٍ بقلوبكم كيلا تحبطَ أعمالكم الصالحة.

[السفاح يعمل بيتين لتخويف بني أمية]

حدّثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدّثنا الحسين بن فهم قال حدّثنا ابن النطاح قال: روينا أن السفاح عمل بيتين ووجه برجل إلى عسكر مروان ليقوم على الجبل ليلاً فيصيح بهما وينغمس فلا يوجد، وهما:

يا آلَ مروانَ إنّ الله مهلككم ومبدلٌ أمنَكُمْ خوفاً وتشريدا
لا عَمَّر الله من أنسالكم أحداً وبثّكم في بلاد الخوفِ تطريدا

قال: ففعل ذلك فدخلت قلوبهم مخافة.

[وصية علي لشريح]

حدّثنا محمد بن الحسن بن زياد المقري قال حدّثنا موسى بن شبيب بشيزر عن يونس بن موسى البصري عن الحسن بن حماد عن الرمّاح بن المنذر النهدي عن محمد بن علي بن الحسين بن علي عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب عليهم السلام أنه قال لشريح: لسانُكَ عبدُكَ ما لم تتكلم، فإذا تكلمتَ فأنت عبده، فانظر ما تقضي وفيم تقضي وكيف تقضي وفيما تمضي وإليه تُفْضي.

قال القاضي: هذا الذي خاطب به أمير المؤمنين شريحاً من أحسن الكلام، وأشرفه لفظاً ومعنى ومتى تأمله من يلي الأحكام واعتبر به وأجرى أمره عليه فاز ورشد، وأفلح وسعد، نسأل الله توفيقه وعصمته برأفته ورحمته.

المجلس الحادي والثمانون

[أسئلة أبي ذر للرسول]

حدّثنا علي بن محمد بن أحمد البصري[1] قال حدّثنا الفضل بن جعفر بن همام أبو العباس البصري قال حدّثنا عبد الله بن سعيد القيسي قال حدّثنا يحيى بن سعيد السعدي[2] قال حدّثنا ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن عبيد بن عمير الليثي عن أبي ذر قال: دخلت على رسول الله ﷺ المسجد وهو جالس وحده، فاغتنمت خلوته، فقال يا أبا ذرّ إن للمسجدِ تحيةً، قلتُ: ما تحيَّتُهُ يا رسولَ الله؟ قال: ركعتان، فركعتهما ثم التفتُّ إليه فقلتُ: يا رسولَ الله أنت أمرتني بالصلاة فما الصلاة؟ قال: خير موضوع فمن شاء أقلَّ ومن شاء أكثر، قلت: يا رسولَ الله أيُّ الأعمالِ أحبّ إلى الله؟ قال: الإيمانُ بالله ثم الجهادُ في سبيل الله، قلت: يا رسولَ الله أيّ المؤمنين أكملُ إيماناً؟ قال: أحسنهم خلقاً، قلت: يا رسول الله فأيُّ المسلمين أفضل؟ قال: مَنْ سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، قلت: فأيّ الهجرة أفضل؟ قال: من هَجَرَ السوء،

---

(١) م س: ا المصري.
(٢) قد تقرأ في م: العبدي.

قلت: فأيّ الليلِ أفضل؟ قال: جوفُ الليلِ الغابر، قلت: فأيّ الصلاة أفضل[1]؟ قال: طولُ القنوت، قلت: فأيُّ الصدقةِ أفضل؟ قال: جُهْدٌ من مقلّ إلى فقير في سِرٍّ، قلت: فما الصوم؟ قال: قَرْضٌ مجزيّ وعند الله أضعاف كثيرة، قلت: أيّ الرقاب أفضل؟ قال: أغلاها ثمناً وأنفسها عند أهلها، قلت: فأيّ الجهاد أفضل؟ قال: مَنْ عَقَرَ جواده وهُرِيقَ دمه، قلت: أيّ آية أنزلها الله عليك أعظم؟ قال: آية الكرسي. ثم قال: يا أبا ذر، ما السموات السبع في الكرسيِّ إلا كحلقةٍ ملقاةٍ بأرضِ فلاة، وفضلُ العرشِ على الكرسيّ كفضل الفلاة على تلك الحلقة؛ قلت: يا رسول الله، كم النبيون؟ قال: مائة ألف وأربعةٌ وعشرون ألف نبي، قلت: يا رسول الله، كم المرسلون منهم؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر، جم الغفير، قلت: من كان أولَ الأنبياء؟ قال: آدم، قلت: وكان من الأنبياءِ مرسلاً؟ قال: نعم نبياً مكلّماً خَلَقَهُ الله بيده ونفخَ فيه من روحه. ثم قال: يا أبا ذر، أربعةٌ من الأنبياء، سريانيون: آدم وشيث وإدريس ـ وهو أول من خطَّ بالقلم ـ ونوح، وأربعة من العرب: هود وصالح وشعيب ونبيك محمد ﷺ، وأولُ الأنبياء آدم وآخرهم محمد ﷺ، وأول نبيّ من أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى صلى الله عليهما، وبينهما ألف نبي، قلت: يا رسول الله كم أنزل الله تعالى من كتاب؟ قال: مائة كتابٍ وأربعة كتب، أنزل على شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشرين صحيفة، وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان، قلت: يا رسول الله، فما كانت صُحُفُ إبراهيم؟ قال: أمثال كلها: أيها الملك المبتلى المغرور، لم أبعثك لتجمعَ الدنيا بعضَها إلى بعض ولكن بعثتك لتردَّ عني دعوةَ المظلوم فإني لا أردّها ولو كانت من كافر. وعلى

---

(١) قارن بعض هذه الأسئلة عن الصلاة والصدقة.. الخ بما ورد في البصائر ١ رقم: ٣٥٠.

العاقل ما لم يكن مغلوباً أن تكون له ثلاثُ ساعات[1]: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه ويتفكر بما صنع، وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال فإن في هذه الساعة عوناً لتلك الساعات استجماماً للقلوب وتفريغاً لها، وعلى العاقل[2] أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شانه، حافظاً للسانه، فإن من حسب كلامَه من عمله قلَّ كلامه[3] إلا في ما يعنيه. وعلى العاقل أن يكون طالباً لثلاث: مرمَّة لمعاش، أو تزوداً لمعاد، أو تلذذاً في غير محرم. قلت: يا رسول الله، فما كانت صحف موسى؟ قال: كانت عبراً كلها: عجبتُ لمن أيقنَ بالموت ثم يفرح، ولمن أيقن بالنار ثم يضحك، ولمن يرى الدنيا وتقلُّبها بأهلها ثم يطمئنُّ إليها، ولمن أيقنَ بالقدر كيف[4] يَنْصَبُ، ولمن أيقنَ بالحساب ثم لا يعمل. قلت: يا رسول الله، هل في الدنيا مما أنزل الله عليك شيءٌ مما كان في صحف إبراهيم وموسى؟ قال: يا أبا ذر، تقرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا والآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّ هَـذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (الأعلى: ١٤ ـ ١٩) قلت: يا رسول الله، أوصني قال: أوصيك بتقوى الله فإنه زين لأمرك كله، قلت: يا رسول الله زِدْني، قال: عليكَ بتلاوةِ القرآن وَذِكْرِ الله فإنه ذكرٌ لك في السماء ونورٌ لك في الأرض، قلت: زدني، قال: عليكَ بطولِ الصمت فإنه مَطْرَدَةٌ للشيطان وعونٌ لك على أمرِ دينك، قلتُ: زدني، قال: إياكَ وكثرةَ الضحك فإنه يميتُ القلب ويَذْهَبُ بنور الوجه، قلت: زدني، قال: قلِ

(١) في ساعات العاقل (وهي اربع) انظر عيون الاخبار ١: ٢٧٩ ـ ٢٨٠ وقد صرَّح هنالك أن هذه هي حكمة داود.
(٢) ورد هذا القول في المجتنى: ٨٠.
(٣) م س: أقلَّ الكلام.
(٤) م س: ثم.

الحقَّ، وإن كـان مُرّاً[1]، قلت؛ زدني، قـال: حبَّ المسـاكينَ وجـالسهم[2]، قلت: زدني، قال: لا تخفْ في الله لومة لائم، قلت: زدني، قال: ليحجـزْكَ عن النـاس ما تعلمُ من نفسك؛ ولا تجـد عليهم في ما تـأتي. ثم قـال: كفى بالمرءِ عيباً أن تكونَ فيه ثلاث خصـال: أن يعرف[3] من النـاس ما يجهـل من نفسه، ويستحيي لهم مما هو فيه، ويؤذي جليسَهُ في ما لا يعنيه، ثم قال: يـا أبا ذر، لا عقلَ كالتدبير ولا ورَع كالكف ولا حَسَبَ كحسن الخلق.

[تعليق على خبر أبي ذر]

قال القاضي: في خبـر أبي ذر هذا أنـواع من الحكم وفوائـد من العلم والانباء عن الأمور الخالية، وإخبار عن الأمور[4] المـاضية، وفيـه اعتبارٌ لأولي البصـائر والعقـول، وتنبيهٌ لـذوي التمييز والتحصيـل، وقد روينـا في كثير من فصوله رواياتٍ موافقـةً لألفاظـه ومعانيـه، وأُخر مضـارعة لمـا اشتمل عليـه من الأغراض فيه، وروينا في بعض فصوله رواياتٍ مختلفـة لظاهـر ما تضمنـه إلا أنها إذا تؤملت رجعت إلى التقارب إذ اقتضت غلطاً من بعض الرواة. فأمـا ما ثَبَتَ أن رسول الله ﷺ قاله وأخبر به فهو الحقُّ الـذي لا مِرْيـةَ فيه ولا ريبَ في صحته والقطع على حقيقة مُغَيَّبِه.

قال القاضي: وفي خبر أبي ذر ما دلَّ على أنَّ مِنَ الأنبياء من أُوتيِ النبوةَ وأُرسل إلى طائفة، ومنهم من كان نبياً غيرَ مرسل إلى أحد. وقد قال الله تعالى ذكـره: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَـا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْـطَانُ فِي أُمْنِيَّتِـهِ﴾ (الحج: ٥٢) وروي عن النبي ﷺ أنـه قال فيـه: «ولا محـدث»

---

(١) تأخرت هذه العبارة عن التي بعدها. في م.

(٢) م: ومجالستهم.

(٣) س: يعلم.

(٤) س: الأيام.

وقال: «إن منكم محدثين» وذكر عمر رضي الله عنه. ومن الدعاء المنتشر المستعمل الظاهر على ألسنةِ خاصَّةِ المسلمين وعامتهم: اللهمَّ صَلِّ على ملائكتك المقرَّبين وعلى أنبيائك والمرسلين، وظاهر هذا يقتضي الفصل بين الفريقين، وقد أحال هذا بعضُ المنتسبين إلى علم الكلام ومن يدعي له فريق مفتون به مغرور بمخاريقه، وأحال أيضاً أن لا يختصَّ أحدٌ من الأنبياء بشيء من الشريعة مجدد على يده مخالف في الصورة لما أتى به من قبله، وان يقتصر به في الدلالة على صدقه وصحة نبوته بخبر نبيّ من الأنبياء بذلك وتعيينه عليه تعييناً لا يشكل، وكل ما أحاله من ذلك على غير ما قدَّرَهُ، ولا حجةَ له في شيء مما أتى به من ذلك، ولا شبهة توقع العذر له، إذ لم يكن السمع ولا العقل يحيلانه، بل يدلان على جوازه ويشهدان بصحته، وقد ثبت الخبر الصادق به وله[1] في إعجاز القرآن وصحة شهادتِهِ بالصدقِ للنبيِّ ﷺ، وانه لكلامٌ يبعد من إطلاق مثله من صحت فطرته[2] وسلمتْ من التعصُّبِ والتحامل والغفلة والتجاهل طريقتُهُ، وكنتُ استبعدتُ هذا حين حُكِيَ لي عنه إذ لم يكن عندي ممن بلغ في الذهاب عن النظر الصحيح هذا الحدّ، إلى أن رأيته مُثْبتاً بخطِّه، وقد حكيتُهُ على جهته في معناه ولفظه في غير موضع، من ذلك كتابنا المسمى «البيان[3] الموجز عن علم[4] القرآن المعجز» وليس كتابنا هذا من مواضع البيان عن ذلك والاشتغال بحكايته وإيضاح القول فيه وتبيين فساده. وقد قال بعض أهل العلم: لو سكت من لا يعلم لاسترحنا، وأنا أقول: لو كان له دين[5] يردعُهُ، ويكفُّهُ ويمنعه، ويقبضه فيقدعه، فيسكته قهراً، ويصمته قسراً، أو كان مَنْ يصْرِفُهُ عن شنيع الجهالات وبديع الضلالات

(١) س: بفعله.
(٢) م: من صحة تطرقه.
(٣) م: التأويل.
(٤) م: علوم.
(٥) م: من.

بالتأديب والقضْبِ والتثريب، والتبكيت والتأنيب، لرجونا أن يعفي الناسَ بذلك عما ينالهم من الضرر أو كثير منه من جهته، وإلى الله المشتكى وهو المستعانُ على كلِّ حادثةٍ وبلوى.

[كلمة بليغة لعلي]

حدّثني محمد بن عمر بن نصير الحربي[١] الجمّال سنة ست عشرة وثلاثمائة إملاء من حفظه، قال حدّثنا حاجب بن سليمان المنبجي ـ وهو يومئذ بحلب سنة اثنتين وستين ومائتين ـ قال حدّثنا الوصاف بن صالح، وحدثنا محمد بن محمد بن زيد المقري النهرواني المعروف بابن زندويه[٢] قال حدّثنا أبو منصور يعني سليمان بن محمد بن الفضل بن جبريل البجلي قال حدّثنا حاجب بن سليمان ومحمد بن حسن بن سفيان[٣] المنبجيان، قالا: حدّثنا الوصاف بن حاتم[٤] أبو الحسن ـ قال القاضي: وهو الصواب عندي ـ وقالا جميعاً: أعني الحربي وابن زندويه قال حدثنا أبو إسحاق الكوفي عن خالد بن طليق عن أبيه عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال[٥]: ذمتي رهينة وأنا به زعيم، لا يهيجُ على التقوى زَرْعُ قومٍ ولا يظمأ على التقوى سِنْخُ أصْلٍ، وإن أجهل الناس من لم يعرف قدره، وإن أبغضَ الناس إلى الله عز وجل رجلٌ قَمَشَ علماً في أغمارٍ من الناس غشوه، أغار فيه بأغبار الفتنة عمىً عما

(١) م: نضرة الحربي.

(٢) م س: زيدويه.

(٣) م س: سنان.

(٤) س: جابر.

(٥) قوله: ذمتي رهينة وأنا به زعيم، في نهج البلاغة: ٥٧ وهو افتتاح كلام لم يرد هنا، ثم ورد في الصفحة التالية «لا يهلك على التقوى سنخ أصل ولا يظمأ عليها زرع قوم، وفي ص ٥٩ ورد: إن أبغض ا لخلائق إلى الله رجلان.. ورجل قمش جهلاً موضع في جهال الأمة، عادٍ في أغباش الفتنة، عمٍ عما في ريب الهدنة قد سمّاه أشباه الناس عالماً... الخ.

في رَيْبِ الهدنة ـ (وقال ابن زندويه مكان الهدنة «الفتنة ») سمَّاه أشباهُ الناسِ عـالماً ولم يَغْنَ في العلم يـوماً سـالماً (ولم يقـل الحـربي «في العلم») ذكـر فاستكثرَ ما قلَّ منه (وقال الحربي : « وما قـلَّ منه خيـر مما كثـر ») حتى [إذا] ارتـوى من آجنٍ واستكثر من غيـرِ طائـل، جلس للناس مفتيـاً (قال الحـربي : « لتلخيص مـا لبس على غيره » وليس هـذا في حديث ابن زنـدويه، وقـالا :) فإن نزلتْ به إحدى المهمات (قال الحـربي : « هيَّأ لهـا حشواً من رأيـه » وقال ابن زندويه :) هيأ حشواً لرأي من رأيه، فهو من قِطَع المشتبهات في مثل نسـج العنكبـوت لا يدري أخطأ أم أصاب (وقال ابن زندويه مكان « نسج » « غزل » وقال الحربي :) خبَّاط جهالات ، ركَّـابُ عَمايات (وقال ابن زنـدويه « ركـاب جهالات خبـاط عشوات ») لا يعتـذر ممـا لا يعلم فيسلم، ولا يَعَضُّ على العلم بضرسٍ قاطـعٍ فيغنم، تبكي منه الـدنيا (وقـال ابن زندويـه مكان «الـدنيا » «الـدماء » وكـأنـه أشبَـهُ بـالصـوابِ عنـدي ؛ وقـالا :) وتصـرخُ منـه المواريث، ويستحلُّ بقضـائه الفـرج الحرام، لا مليّ والله ولا أهلٌ بإصـدار ما ورَدَ عليه ولا هو أَهْلٌ لما فُرِضَ له (وقال ابن زندويه: لا ملـي والله بإصدار ما ورد عليه ولا هو أهل لما قـرظ به، وقـال الحربي : أولئـك الذين حقّتْ عليهم النياحة أيام الدنيا. قال القاضي : وأنهى ابن زندويه حديثـه عند قـوله «لمـا قرظ به » ثم قال: وزاد فيه غيره، وأتى بمـا رويناه بعـد هذا عن الحـربي منفرداً بـه على ما وصفْناه).

[تفسير ما غمض في كلمة علي]

قال القاضي : قـول أمير المؤمنين نضـر الله وجهه « ذمّتي رهينـة وأنا بـه زعيمٌ » إبانةٌ عن تيقّنه ما أخبر به وبصيرتِهِ فيـه وثقتِهِ بحقيقتـه وتوثيقه لمن أخبره بثبوته وصحَّته. وأما قوله: « وأنا به زعيم » فـإن الذي تـرجعُ إليـه هاءُ الضميـر في جملة الكلام ومعناه وما دلَّ عليه مفهومُهُ وفحواه، كأنه قال: وأنا بقولي هذا

زعيم، وإن لم يأتِ بصريح اسمٍ خاصّ ولا مصدرٍ يعودُ الضمير عليه على أصله، وذلك مستعملٌ فصيحٌ فاشٍ في العربية، وقد يأتي في مثل هذا فعلٌ أو اسمُ فاعلٍ يدلُّ على مصدر يعودُ الضمير إليه دون لفظِ جملةٍ من كلام يحمل عليه، فأما الفعل الدال على مصدره فكقولهم: مَنْ كَذَبَ كان شراً له؛ أضمر في «كان» الكذب الذي دل عليه «كَذَبَ» وعاد الضمير إليه وإن لم يأت على بنيته، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٨٠) يعني البخل الذي لم يأت على خاصّ لفظه اكتفاءً بدلالة الفعل الذي هو «يبخلون» عليه. وأما اسم الفاعل فكقولهم: إذا أحسن كما أمر فجازِه عليه، يريد على إحسانه الذي دلَّ أحسن عليه، ورجع عائد الضمير إليه، ومثل هذا قول الشاعر[1]:

إذا نُهِيَ السفيهُ جَرَى إليه وخالفَ والسفيهُ إلى خلافِ

أراد إلى السفيه، على ما بيّنا، وقد يكتفون في هذا الباب بدلالة العهد والحال وتجلي الأمر الشائع فيه، قال الله جل ذكره: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ (النحل: ٦١) وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِها مِنْ دَابَّةٍ﴾ (فاطر: ٤٥) فأعاد الضمير على الأرض ولم يجر لها في هذه القصة ذكر. وقال جل ثناؤه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: ١) يعني القرآن، وقال: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ (صٓ: ٣٢) يعني الشمس في قول جمهور أهل العلم، قال الشاعر[2]:

هذا مَقَامُ قَدَمَيْ رباحِ غُدْوَةَ حتى دلكتْ براح

(١) الخصائص ٣: ٤٩ ومعاني القرآن للفراء ١: ١٠٤ وخزانة الأدب ٢: ٣٨٣.

(٢) مجاز القرآن ١: ٣٨٧ ونوادر أبي زيد: ٣١٥ ومجالس ثعلب: ٣٧٣ وفصل المقال: ٦٣ واللسان والتاج (برح، ربح) ونوادر أبي مسحل ١: ٦٢.

يـريد الشمس. وقـال الله تعالى وهـو أصدق القـائلين ﴿فَأَثَـرْنَ بِـهِ نَقْعـاً فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾ (العاديات: ٤، ٥) يريد الوادي أو الموضـع أو المكان أو المنزل. وهذا باب واسع وله شرح ليس هذا موضعـه وقد أتينـا منه هـاهنا بمـا يكفي معه بعضه بل هو جميعه.

وأما «الزعيم» فـإنه الكفيـل، ومنـه قول رسول الله ﷺ: الزعيم غارم. وقال جل ذكره: ﴿ولِمَنْ جَاءَ بِـهِ حِمْـلُ بعِيرٍ وأَنـا بِهِ زَعِيمٌ﴾ (يوسف: ٧٢) وقال جَلَّ ثناؤه: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ (القلم: ٤٠) ويقال: فلان زعيم القوم أي القائم بأمورهم المتكفل بها. ومنه ما جاء به الأثر في ذكر أشراط الساعة: وصار زعيم القوم أرذلهم. قال الشاعر:

إنّـي زعـيـمٌ يـا نُـوَيـــقَةُ إن نـجـوتِ مـن الـرواحِ
وسـلمتِ من غَرَضِ الـحـتـو فِ مـع الـغـدوّ إلـى الـرواح
أن تـهـبـطـين بـلادَ قـو م يـرتـعـون مـن الـطلاح

ويقـال أيضاً في الـزعيم ضمين وقبيل وحميـل، من القبالـة والحمـالـة، وصبير وتبيع كما قال الشاعر:

غـدوا وغـدت غـزلانهم وكـأنهـا ضـوامِـنُ غُـرْمٍ أَزَّهُـنَّ تـبـيـعُ

وقـد قيل في قـول الله جلَّ ثنـاؤه: ﴿أَوْ تَـأْتِيَ بِـاللَّهِ وَالمَـلاَئِكَـةِ قَبِيـلاً﴾ (الإسـراء: ٩٢) إنه بمعنى القبيـل أي الكفيل، وقيـل بل هـو من الجماعـة، وقيـل هو من المقـابلة والمعاينـة. واختلف في تـأويـل قولـه عـز وجـل: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ العَذَابُ قُبُلاً﴾ (الكهف: ٥٥) وقوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنا علَيْهِمْ كُـلَّ شيْءٍ قُبُلاً﴾ (الأنعام: ١١١) على أقـوال مع اختـلاف القراءة في كسـر القاف وفتـح الباء وفي ضمهما وفي الجمـع بين الموضعين والتفـريق بينهما، وهـذا مشروح في كتبنا التي ألفناها في القراءات والتأويل.

وقوله: « لا يهيج على التقوى » أي يفسدُ فيصيرُ هشيماً، من قول الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ﴾ (الزمر: ٢١، الحديد: ٢٠).

وقوله: «سنخ» أصل، يقال قلع سِنَّهُ من سنخها، وقوله في الخبر «بأغبار الفتنة » يعني بقاياها، ويقال بفلان غُبَّرٌ من المرض أي بقايا، كما قال الشاعر:

فإن سألتْ عنّي سُلَيمى فقلْ لها ... به غُبَّرٌ من دائِهِ وهو صالحُ

وقوله: « حتى إذا ارتوى من آجن » الآجن: الماءُ المتغيّر لركوده وطولِ وقوفه وكذلك الآسِنُ، يقال: أَسِنَ الماءُ يأسَن ويأسُن وأجن يأجَن ويأجُن، قرأ ابن كثير « غير أَسن »مقصور الهمزة. وقيل في قوله تعالى: ﴿فانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ (البقرة: ٢٥٩) إنه من السَّنَةِ أي لم تؤثر فيه السنون فتحيله وتغيره، ووصلوا بالهاء ووقفوا عليها إذ كانت فيه أصلاً، يقولون: بعته مسانَهَةً ومساناة، فجعل من قرأ هكذا الهاءَ لام الفعل وأصلاً فيه، وأثبت الهاء فيه آخرون زائدة للسكت إذا وقفوا كقوله آقتدِهْ، وكقولهم: ارمه وتعاله وحذفوها في الوصل فقالوا: يتسنَّ وانظر، وزعموا أنّه من أسن الماء. وهذا التأويل عندنا غلط من متأوليه، وذهابٌ عن وجه الصواب فيه، ولو كان على ما توهموه لوجب أن يقال لم يتأسن لأن الهمزة فيه فاء الفعل والسين عينه والنون لامه، وإشباع هذا في ما أَلَّفناهُ من حروف القرآن ومعانيه. ومن الآجن قول عبيد بن الأبرص(١):

يا ربَّ ماء آجنٍ وردته ... سبيلُهُ خائفٌ جديبُ
ريشُ الحمام على أرجائِهِ ... للقلب من خوفه وجيب

وقوله: « خبّاط عشَوَاتٍ » يعني الظُّلم. وهذا الفريق الذين وصفهم أمير

---

(١) ديوان عبيد: ١٦.

المؤمنين من الجهلة الأراذل السفلة قد كثروا في زمـاننا وغلبـوا على أهله واستَعْلَوْا على علمـائِهِ والـربّـانيين فيـه، وإلى الله المشتكى. وقـد تـظاهـرتِ الأخبارُ عن رسول الله ﷺ أنـه قال: إن الله لا يقبضُ العلمَ انتـزاعاً ينتـزعُهُ من النـاس، ولكن يقبضُ العلمَ بقبض العلمـاء، حتى إذا لم يبق عـالمٌ، اتخـذ الناسُ رؤساء جهالاً فسئلوا فأفْتَوْا بغير علمٍ فضلُّوا وأضلوا.

[ما أحوجك إلى محدرج]

حدّثنا محمدُ بن الحسن بن دريد قال أخبرنا عبد الأول بن مزيد السعدي قال حدّثني أبو عدنـان عن الهيثم بن عدي عن ابن عيـاش الهمداني قـال(١): كـان الشعبي إذا ابتدأ في حـديث أحببتُ أن لا يقطعـه من حسنه، قـال: فإنـه ليتحدثُ يومـاً وعنده خُنَيسٌ العـلّاك، قال: فقـام خنيس فقال: مـا أبغضَ إليَّ الفقيـه يكون جيـدَ الكلام، فقـال الشعبي: من هذا؟ فقـالوا: خُنَيسٌ العـلّاك، قال: وما خنيس؟ قال: يبيع العلك، فـأقبل عليـه وقال: ويحـك يا خنيس، مـا أحوجك إلى مُحَدْرَجٍ شديد الإحْصَادِ ليّن المهـزَّة قد أُخِذ(٢) من عجبِ ذَنَب عَوْدٍ إلى مغرز عنقه فيوضَعَ منكَ على مثل ذلك الموضع فتكثر له رقصاتك من غير جَذَلٍ، قال: ما ذاك؟ قال: شيء لنا فيه أرب ولك فيه أدب.

---

(١) نقله ابن عسـاكر في تـاريخ دمشق (عـاصم - عـايذ) ١٨٩ - ١٩٢ (التهذيب ٧: ١٤٥ - ١٤٦) ومعه تعليقات القـاضي المعافى، وانـظر عيون الاخبـار ٢: ٣٧ والعقد ٢: ٤٩٢ والبصـائر ٦: ٢٤ ونثر الدر ٥: ٤٨ وديوان المعاني ٢: ٧١ وربيع الأبرار ١: ٥٠١ وقد ورد في هذه المصادر من قـول الشعبي: «يأخـذ منك فيمـا بين عجب الذنب ومغـرز العنق» والمعنى يصيب السوط منـك هذه المـواضع، ولكن المعـافى أورده بصورة «قـد أُخِذَ من عجب ذنب عَـوْدٍ إلى مغـرز عنقه» فهو منتزع مما بين ذينك الموطنين، وهذا أدلُّ على طوله.

(٢) م: أعد.

[شرح الغريب]

قال القاضي: قوله: « محدرج » أي سوط محكم جيد الفتل كما قال الشاعر[(١)]:

أخافُ زياداً أن يكونَ عطاؤه أداهيمَ سوداً أو محدرجةً حمرا

وقوله: « شديد الاحصاد » أي قد أحكم واشتد، يقال حبل مُحْصَدٌ أي موثَقٌ. وقوله: « لين المهزة » يصفه بالتثني إذا هُزَّ، كما قال الشاعر يصف رمحاً[(٢)]:

تَقَاكَ بكعبٍ واحدٍ وتلذه يَدَاكَ إذا ما هُزَّ بالكف يَعْسِلُ

وأما قوله: « قد أُخِذَ من عَجْب ذَنَب عودٍ » فإن العَوْدَ البعيرُ المسنّ، وعَجْبُ الذنب أصله، وهو العُصْعُصِ، ويقال له القحقح[(٣)]. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: يبلَى من ابن آدم كلُّ شيءٍ إلا عَجْبُ الذنب فإنه منه رُكِّبَ وبُدِئَ خلقه. وروينا عن الشعبي هذا من طريق آخر أنه قال في صفة السوط: يُؤْخَذُ من صليفِ العُنُقِ إلى عَجْبِ الذنب، وصليفُ العنق صفحته، ويقال: عَجْمُ الذنب في هذا بالميم، وهذا مما تعاقبت فيه الباء والميم كما قالوا رِكْمَةُ سَوْء ورِكْبَةُ، وضربةُ لازبٍ ولازم، في حروف كثيرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ (الصافات: ١١) ومن اللازب قول نابغة بني ذبيان[(٤)]:

---

(١) هو الفرزدق كما في ديوانه١: ١٨٨ واللسان (حدرج) ورواية الديوان: فلما خشيت أن يكون عطاؤه؛ وفي م: محدرجة سمرا.

(٢) هو أوس بن حجر، والبيت في ديوانه، ٩٦ واللسان (عسل).

(٣) خ بهامش م: الغجغج.

(٤) ديوانه: ٤٨.

ولا يحسبــون الخيرَ لا شــرَّ بعْــدَهُ ولا يحسبــونَ الشرَّ ضــربةَ لازبِ

وقال كثير في الميم[1]:

ومــا وَرَقُ الــدنيــا ببــاقٍ لأهــلِهِ وما حَـدَثـانُ الـدهـرِ ضـربـةُ لازمِ

وفي هـذا لغة أُخـرى وهي «لاتب» بـالتـاء والبـاء، وهي لغـة في قيس، وأنشد الفراء[2]:

صــداع وتـوهيمٌ[3] العــظامِ وفَتْـرَةٌ وغثيٌ مع الأحشاء في الجـوف لاتبُ

وأما قوله: «من غير جذل» فالجذل الفرح، يقال قد جَذِل الرجل يجذَلُ جذلاً إذا سُرَّ وفرح، فأما الجذْل ـ بالاسكان ـ فهو العود المنتصب، وفيـه لغتان جِذْل وجَذْل، قال ذو الرمة[4]:

تـرى ذكـر الحـربـاء[5] فيهـا مصليـاً علـى الـجـذْل إلا أنّــه لا يُـكَـبِّــرُ
إذا حـوَّل الــظلَّ الـعـشــيُّ رأيـتــه حنيفــاً وفي قَــرْنِ الضحى يتـنصَّــر

والحرباء دابة يقال للأنثى منها أم حبين، وهو يقف على العود مستقبـل الشمس يدور معها حيث دارت، وقد اختلف في علة هذا، فقال قائلون: هـذه دابة مقرورة تتبع الشمس لتستدفئ بهـا، وقال آخـرون: بل تستضـرّ بالشمس فتتقيه برأسها لأنّه أقوى ما فيها، والقولُ الأولُ أشبه القولين بالصواب عندي.

---

(١) ديـوان كثير: ٢٢٥ والأغـاني ٩: ١٥ وحماسـة البحتـري: ٢٢٤ والسمط، ٥٠ والتـاج (لـزب) وربيع الأبرار ١: ٥٩٤ ومجموعة المعاني: ٧٤.
(٢) البيت في اللسان (لتب).
(٣) م: وترضيم، س: وتوشيم.
(٤) ديوان ذي الرمة: ٦٣١، ٦٣٢.
(٥) م: بأرض ترى الحرباء.

وقوله: « لنا فيها أرب » أي حاجة، قال ذو الرمة[1]:

والهمُّ عينُ أُثالٍ ما ينازِعُهُ　　من نفسه لسواها مَوْرِداً أَرَبُ

قال القاضي: وإني لأستحسن قول أبي نواس[2]:

كما لا ينقضي الأربُ　　كذا لا يفترُ الطلبُ

وهذا من أفصح الكلام وأوضحه[3] وأعذبه، ولله درّ السابق إلى أصل هذا المعنى، القائل[4]:

تموتُ مع المرءِ حاجاتُهُ　　وتبقى له حاجةٌ ما بقي

قال القاضي: وقد روينا عن الشعبي من وجه آخر أنه أجاب خُنَيساً عن قوله: ما هذا؟ بأن قال: «بعض الأمر»[5] وهذا جوابٌ حسن بليغ مختصر، وإن كان كما أتت به الرواية موقعها من الحسن والبلاغة.

(١) ديوانه: ٦١.
(٢) ديوان أبي نواس.
(٣) م س: وأصحه.
(٤) هو الصلتان العبدي كما في عيون الاخبار ٣: ١٣٢.
(٥) هي رواية المصادر الأدبية مثل عيون الاخبار والبصائر...

المجلس الثاني والثمانون

[وفد عند ملك الروم يباحثهم ويريهم صور الأنبياء]

أخبرنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري، قال حدّثنا الحسن ابن علي بن زكرياء العدوي أبو سعيد البصري قال حدّثنا أحمد بن محمد المكي أبو بكر قال حدّثنا محمد بن عبد الرحمن المديني عن محمد بن عبد الواحد الكوفي قال حدّثنا محمد بن أبي بكر الأنصاري عن عبادة بن الصامت، وكان عقبياً بدرياً نقيباً، أنه قال[1]: بعثني أبو بكر رضي الله عنه إلى ملك الروم يدعوه إلى الإسلام ويرغبه فيه، ومعي عمرو بن العاص بن وائل السهمي، وهشام بن العاص بن وائل السهمي وعدي بن كعب ونعيم بن عبيد الله النحام[2]، فخرجنا حتى قدمنا على جبلة بن الأيهم دمشق، فأدخلنا على ملكهم بها الرومي، فإذا هو على فرش له مع الأسقف، فأجلسنا وبعث إلينا رسوله وسألنا أن نكلمه، فقلنا: لا والله لا نكلّمه برسول بيننا وبينه، فإن كان

---

(١) انظر إعلام السائلين: ٧٤ (ورواية أخرى: ٧٣).

(٢) م: بن النجار.

له في كلامنا حاجة فليقربنا منه، فأمر بسلم فوضع ونزل إلى فرش له في الأرض فقربنا، فإذا هو عليه ثياب سود مسوح، فقال له هشام بن العاص بن وائل: ما هذه المسوح التي عليك؟ قال: لبستها ناذراً أن لا أنزعها حتى أُخرجكم من الشام، فقلنا (قال القاضي : وذكر كلاماً خفي عليّ من كتابي معناه:) بل نملك مجلسك وبعده ملككم الأعظم فوالله لنأخذنه إن شاء الله، فإنه قد أخبرنا بذلك نبينا ﷺ الصادق البارّ، قال: إذاً أنتم السمراء، قلنا: وما السمراء؟ قال: لستم بها، قلنا: ومن هم؟ قال: الذين يقومون الليل ويصومون النهار، قال فقلنا: نحن والله هم، قال فقال: وكيف صومكم وصلاتكم وحالكم؟ فوصفنا له أمرنا، فنظر إلى أصحابه وراطنهم وقال لنا: ارتفعوا، ثم علا وجهَهُ سوادٌ حتى كأنه قطعة مسح من شدة سواده، وبعث معنا رسلاً إلى ملكهم الأعظم بالقسطنطينية فخرجنا حتى انتهينا إلى مدينتهم، ونحن على رواحلنا علينا العمائم والسيوف، فقال لنا الذين معنا: إن دوابكم هذه لا تدخل مدينة الملك، فإن شئتم جئناكم ببراذين وبغال، قلنا: لا والله لا ندخلها إلا على رواحلنا، فبعثوا إليه يستأذنونه، فبعث إليهم أن خلوا سبيلهم، فدخلنا على رواحلنا حتى انتهينا إلى غرفة مفتوحة الباب، فإذا هو جالس فيها ينظر، قال: فأنخنا تحتها ثم قلنا: لا إله إلا الله والله أكبر، فيعلم الله لانتفضتْ حتى كأنها نخلة تصفقها الريح، فبعث إلينا رسولاً: إن هذا ليس لكم أن تجهروا بدينكم في بلادنا، وأمر بنا فأدخلنا عليه، فإذا هو مع بطارقته، وإذا عليه ثياب حمر، وإذا فرشه وما حواليه أحمر، وإذا رجل فصيح بالعربية يكتب، فأومأ إلينا فجلسنا ناحيته فقال لنا وهو يضحك: ما منعكم أن تحيوني بتحيتكم فيما بينكم؟ فقلنا: نرغب بها عنك، وأما تحيتك التي لا ترضى إلا بها فإنا لا يحل لنا أن نحييك بها، قال: وما تحيتكم فيما بينكم؟ قلنا: السلام، قال: فما كنتم تحيون به نبيكم؟ قلنا: بها، قال: فما كان تحيته هو؟ قلنا: بها، قال: فبم تحيون ملككم اليوم؟ قلنا: بها، قال: فبم يحييكم؟ قلنا: بها، قال: فما

كان نبيكم يرث منكم؟ قلنا: ما كان يرث إلا ذا قرابة، قال: وكذلك ملككم اليوم؟ قلنا: نعم، قال: فما أعظمُ كلامكم عندكم؟ قلنا: لا إله إلا الله، قال: فيعلم الله لانتفض حتى كأنه طير ذو ريش من حسن ثيابه، ثم فتح عينيه في وجوهنا، قال فقال: هذه الكلمة التي قلتموها حين نزلتم تحت غرفتي؟ قلنا: نعم، قال: كذلك إذا قلتموها في بيوتكم تنفضت لها سقوفكم؟ قلنا: والله ما رأيناها صنعت هذا قط إلا عندك، وما ذلك إلا لأمرٍ أراده الله تعالى، قال: ما أحسن الصدق! أما والله لوددت أني خرجت من نصف ما أملك وأنكم لا تقولونها على شيء إلا انتفض لها، قلنا: ولم ذاك؟ قال: ذلك أيسر لشأنها وأحرى أن لا تكون من النبوة وأن تكون من حِيَل ولد آدم، قال: فماذا تقولون إذا فتحتم المدائن والحصون؟ قلنا: نقول لا إله إلا الله والله أكبر، قال: تقولون لا إله إلا الله والله أكبر ليس غيره شيء؟ قلنا: نعم، قال وتقولون: الله أكبر الله أكبر هو أكبر من كلّ شيء، قلنا: نعم، قال: فنظر إلى أصحابه فراطنهم ثم أقبل علينا فقال: تدرون ما قلت لهم؟ قلت: ما أشدّ اختلاطهم[1]. ثم أمر لنا بمنزل وأجرى لنا نزلاً فأقمنا في منزلنا تأتينا ألطافه غدوةً وعشيَّةً ثم بعث إلينا فدخلنا عليه ليلاً وحده ليس معه أحد، فاستعادنا الكلام فأعدناه عليه، ثم دعا بشيء كهيئة الربعة ضخمة مذهبة فوضعها بين يديه ثم فتحها[2] فإذا فيها بيوتٌ صغار عليها أبواب، ففتح منها بيتاً فاستخرج منه خرقة حرير سوداء فنشرها، فإذا فيها صورة حمراء، وإذا رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم ير مثل طول عنقه في مثل جسده، أكثر الناس شعراً، فقال لنا: هل تدرون من هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا آدم صلى الله عليه، ثم أعاده وفتح باباً آخر فاستخرج منه خرقة حرير سوداء فنشرها فإذا فيها صورة بيضاء، وإذا رجل أشعر كثير الشعر[3]

---

(١) م: ما أشك في اختلاطهم.

(٢) م: وفتحها.

(٣) ب: رجل له شعر كثير كشعر القبط؛ م: كثير كشعر القبط.

(قال القاضي : أراه قال: ضخم العينين بعيد ما بين المنكبين عظيم الهامة)
فقال: هل تدرون من هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا نوح عليه السلام، ثم أعادها في موضعها وفتح بيتاً آخر فاستخرج منه خرقة حرير خضراء، فإذا فيها صورة شديدة البياض، فإذا رجل حسن العينين شارع الأنف سهل الخدين أشيب الرأس أبيض اللحية كأنه حيّ يتنفس فقال: أتدرون من هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا إبراهيم ﷺ، ثم أعادها وفتح بيتاً آخر فاستخرج منه خرقة حرير خضراء فإذا فيها صورة محمد ﷺ فقال: تدرون من هذا؟ قلنا: هذا محمد ﷺ وبكينا، فقال: بدينكم أنه محمد؟ قلنا: نعم بديننا إنها صورته كأنما ننظر إليه حياً، قال: فاستخف حتى قام على رجليه قائماً ثم جلس فأمسك طويلاً فنظر في وجوهنا قال: أما إنه كان آخر البيوت ولكني عجلته لأنظر ما عندكم، فأعاده وفتح بيتاً آخر فاستخرج منه خرقة حرير خضراء فإذا فيها صورة رجل جعد أبيض قطط غائر العينين حديد النظر عابس متراكب الاسنان مقلّص الشفة كأنه من رجال أهل البادية فقال: أتدرون من هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا موسى ﷺ وإلى جانبه صورة شبيهة به رجل مدور الرأس عريض الجبين بعينه قَبَل قال: أتدرون من هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا هارون عليه السلام.وفتح بيتاً آخر فاستخرج منه خرقة حرير خضراء فنشرها فإذا فيها صورة بيضاء وإذا رجل شبه المرأة ذو عجيزة وساقين، وسأل قال: أتدرون من هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا داود عليه السلام، فأعادها وفتح بيتاً آخر فاستخرج منه خرقة حرير خضراء فنشرها فإذا فيها صورة بيضاء، وإذا رجل أوقص قصير الظهر طويل الرجلين على فرس لكل شيء منه جناح، فقال: تدرون من هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا سليمان وهذه الريح تحمله عليه السلام. ثم أعادها وفتح بيتاً آخر فيه حريرة خضراء، فنشرها فإذا فيها صورة بيضاء، وإذا رجل شاب حسن الوجه حسن العينين شديد سواد اللحية يشبه بعضه بعضاً فقال: أتدرون من هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا عيسى بن مريم عليه السلام فأعادها وأطبق الربعة، قال قلنا:

فأخبرنا عن قصة الصور ما حالها فإنا نعلم أنها تشبه الذين صورت صورهم فإنا رأينا نبينا ﷺ يشبه صورته قال: أخبرت أن آدم عليه السلام سأل ربه أن يريه أنبياء بنيه فأنزل عليه صورهم فاستخرجها ذو القرنين من خزانة آدم في مغرب الشمس فصوَّرها لنا دانيال في خرق الحرير على تلك الصور فهي هذه بعينها، أما والله لوددت أنّ نفسي طابت بالخروج من ملكي فتابعتكم على دينكم، وأن أكون عبداً لأسوئكم ملكة، ولكن نفسي لا تطيب، فأجازنا وأحسن جوائزنا وبعث معنا من يخرجنا إلى مأمننا فانصرفنا إلى رحالنا.

[تعليق القاضي على الخبر المتقدم]

قال القاضي: قد كنا أمللنا هذا الخبر من طريق آخر، ومعاني الخبرين متقاربة، ولما حَضَرَنا هذا الخبرُ من هذا الطريق رسمناه هاهنا، وقد تضمَّن ما يدل على صدق نبينا ﷺ وصحة نبوته على كثرة الأخبار والروايات فيه وشهادة الكتب السالفة مع تأييد الله جل اسمه إياه بالآيات التي أظهرها الله على يديه والأعلام الشاهدة له. وفي هذا الخبر عند ذكر داود عليه السلام وصفته بأنه ذو عجيزة وقد أنكر كثير من علماء الفقه أن يقال في الرجل: ذو عجيزة وذكروا أن هذا يقال في النساء خاصة دون الرجال، وذكروا أنه إنما يقال عجز فلان، وقد رأيت بعضَ أهل العلم قال في صفة الصلاة وما ينبغي للمصلي أن يكون عليه في صلاته: « ويرفع عجيزته » ولست أدري أهذا شيء وقع إليه من جهة اللغة أم ذكره لأنه وصف جملة المصلين ذكورهم وإناثهم وقد أتى في هذا الخبر ما وصفناه، والله أعلم بصواب ذلك.

[براعة العجفاء المغنية]

حدّثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو الفضل الرياشي عن

محمد بن سلام قال[1]: بلغني عن غرير بن طلحة الأرقمي قال، قال لي أبو السائب، وكان من أهل الفضل والنسك: هل لك في أحسن الناس غناءً لا تسأمه [قلت: نعم، وكان عليّ يومئذ طيلسان لي أسميه] من غلظه وثقله مقطّع الأزرار، قال: فخرجنا حتى جئنا الجبانة إلى دار مسلم بن يحيى [الارت صاحب الخمر] مولى بني زهرة فأذن لنا فدخلنا بيتاً طوله اثنا عشر ذراعاً في مثلها، وطول البيت في السماء ستة عشر ذراعاً، وفي البيت نمرقتان قد ذهب عنهما اللحمة وبقي السَّدى[2]، وقد حشيتا بالليف، وكرسيان قد تفككا من قدمهما بينهما ثلاث وسائد، ثم طلعت علينا [عجوز] عجفاء كلفاء عليها قَرْقَلٌ هَرَوِيّ أصفر غسيل لم يجدد في الصبغ، وكأنَّ وركيها في خيط من رَسَحها فقلت لأبي السائب: بأبي أنت من هذه؟ فقال: اسكت، فتناولت عوداً فضربت ثم غنت[3]:

بيدِ الذي شَعَفَ الفؤادَ بكم ... تفريجُ ما ألقى من الهمِّ
فاستيقني أني[4] كلفتُ بكم ... ثم افعلي ما شئتِ عن علم
قد كان صَرْمٌ في المماتِ لنا ... فعجلتِ قبل الموتِ بالصرم

قال: فتحسنت في عيني، فتلاها [نقاء وصفاء] فأذهب الكلف عنها وزحف أبو السائب وزحفت معه، ثم تغنت[5]:

بَرِحَ الخفاءُ فأيّ ما بك تكتم ... ولسوف يظهر ما تُسِرُّ فيُعْلَمُ
مما تضمن من غرير قلبه ... يا قلبُ إنّكَ بالحسان لمغرم

---

(١) القصة وما يتخللها من شعر في الأغاني ٢٣: ٢٨٥ ـ ٢٨٨.
(٢) بهامش م: الستا.
(٣) الأبيات لأبي الصخر الهذلي (الأغاني ٢٣: ٢٨٢) ومنها بيتان في ذيل أمالي القالي: ١١٨.
(٤) خ بهامش م: أن قد.
(٥) الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان كما في الأغاني ٨: ٢٧٢ ولم يورد منه البيت الثاني.

بـل ليت أنـك يـا حسـام بـأرضنـا ... تُلْقي المـراسيَ طـائـعـاً وتُـخَيِّـمُ
فـتـذوقَ لـذّةَ عيشِنَـا ونـعـيـمَـهُ ... ونكـونَ إخـوانـاً فـمـاذا تـنـقـم

فقال أبو السائب: إنْ نَقِم هذا فأعضَّه الله بكذا وكذا من أمـه، ولا يكني. وزحفت مع أبي السائب حتى فارقنا النمـرقتين، وربت العجفاء في عيني كمـا يربو السويق شيب بماء قربةٍ. ثم غنت:

يـا طـولَ لـيـلي أُعـالـجُ السَّـقَما ... إذ حَـلَّ كـلُّ الأحـبّـةِ الـحـرمـا
مـا كـنت أخشى فـراقـكـمْ أبـداً ... فـالـيـومَ أمسى فـراقكم غـرمـا

قال غرير: فألقيتُ طيلساني مُقَطّع الأزرار، وأخذتُ شاذكـونة فـوضعتها (قـال القاضي: أحسبـه قال: على رأسي) وصحتُ كمـا يصاحُ في المـدينة: الدّجر بالنوى، وقام أبو السائب فتناول رَبْعَةً كانت في البيت فيها قواريـرُ ودهنٌ فـوضعها على رأسـه، وصاح صـاحبُ الجاريـة وكان ألثغ: قوانيني قـوانيني، وحرك أبو السـائب رأسه فاصطكَّتِ القوارير فتكسَّرتْ وسال الدهنُ على صدر أبي السائب وظهره وقال للعجفاء: لقد هجتِ لي داءً قديماً، ثم وضع الربعة. فكنا نختلف إليها حتى بعث عبد الرحمن بن معاوية بن هشـا م بن عبد الملك من الأندلس فابتيعت له العجفاء وحملت إليه.

[تفسيرات وتوضيحات]

قال القاضي: قـول الأرقميّ في هذا الخبـر اثنا عشـر ذراعاً وستـة عشرة ذراعاً على لغة من ذكَّر الذراع والتأنيث فيها أظهر، وإن كانت اللغتان فيها قـد حكيتا.

أنشدنا في التأنيث محمد بن القاسم الأنباري قال أنشدنا أبو العباس عن سلمة عن الفراء:

أَرْقى عليـهـا وهي فـرعٌ أجـمـعُ ... وهـي ثـلاثُ أَذْرُعٍ وإصـبـعُ

وحدّثنا ابن الأنباري قال حدثني أبي عن محمد بن عبد الحكم عن اللحياني قال: الذراع والكراع يذكّران ويؤنثان، قال: ولم يعرف الأصمعي التذكير فيهما. قال ابن الأنباري وحكى السجستاني عن أبي زيد أنه قال: الذراع يذكر ويؤنث، وقولهم هذا ثوبٌ سبعٌ في ثمانية، ذكروا ثمانية وأنثوا سبعاً لأنهم أرادوا سبع أذرع في ثمانية أشبار، والشبر مذكر فلذلك ألحقوا الهاء في ثمانية. وقال الفراء عند ذكره تأنيث الذراع: وقد ذكَّر الذراع بعض عكل فقال: الثوب خمسة أذرع وستة أذرع وخمس أذرع وست أذرع. وقوله: « وفي البيت نمرقتان » الواحدة نمرقة- بضم النون والراء فيما حكى اللغويون - وذكر الفراء أنه سمع بعضَ كلب يقول نِمْرِقة بكسرهما - وتجمع نمارق وهي الوسائد والمرافق، قال الله تعالى ذكره: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ (الغاشية: ١٥) ومن هذا قول امرأة من بني عجلٍ في يوم ذي قار تحضُّ قومها على قتال الأعاجم:

إنْ تقدموا نعانقْ ونفرشِ النمارقْ
أو تهزموا نفارق فراقَ غيرِ وامقْ

وقالت على نحو هذا هند بنت عتبة(١):

نحن بناتِ طارقْ نمشي على النمارقْ
ونلبسُ اليلامق إن تُقْبِلُوا نعانقْ
أو تُدْبِروا نفارِقْ فراقَ غيرِ وامقْ

ومنَ النمارق قول ذي الرمة(٢):

كان فؤادي قلبُ جانِي مَخُوفَةٍ على النفسِ إذ يُكْسَيْنَ وَشْي النمارقِ(٣)

---

(١) الجليس الصالح ١: ٢٤٩.

(٢) ديوان ذي الرمة: ٢٤٩.

(٣) معناه: حين رأيتهم يتحملون وتكسى الابل بالنمارق فكأن قلبي قلب رجل قد جنى قتلاً أو أمراً طلب به، ففؤادي يخفق.

قال القاضي: وفي تسمية الوسادة مرفقة وجهان: أحدهما أنه من الرفق والارتفاق بالشيء والانتفاع من مرافق الدار والأثاث، قال الله عزَّ ذكره ﴿ويُهَيِّئ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً﴾ (الكهف: ١٦) وقرئ مَرْفِقا. وقالوا: قد ارتفق فلان بمالِ فلان وأرفقه صاحبه، وجاء في مرفق اليد مَرْفِق وَمِرْفَق أيضاً، والوجه الآخر أن يكون من مرفق اليد لأنه يتكأ به على الوسادة، فكسر كما تكسر الأدوات مثل مِقْطَع ومِخْرَز ومِخْيط، قال أمية بن أبي الصلت يخاطب سيف بن ذي يزن لما ظفر بالحبشة وأجلاهم عن اليمن[١]:

فاشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتفقاً ... في رأس غمدانَ داراً منك مِحلالا

وقيل لها وسادة لتوسدها، قال الأعشى[٢]:

إن كنتِ لا تشفين غُلّةَ عاشقٍ ... كلفٍ بحبِّكِ يا جبيرةُ صادي
فانْهَيْ خيالَكِ أن يزورَ فإنه ... في كلِّ منزلةٍ يعودُ وسادي

وقال الأسود بن يعفر[٣]:

نام الخليُّ وما أحسُّ رقادي ... والهمُّ محتضرٌ لديَّ وسادي

قد يقال في الوسادة إسادة فتبدل الواو همزة استثقالاً لابتداء الكلمة بها كما قالوا: إشاح ووشاح ووجوه وأُجوه، وحكي عن العرب سماعاً: ما أحسن هذه الأجوه، في كثير من الكلام، ومنه قول الشاعر:

يحلّ أحيده ويقال بَعْلٌ ... ومثل تموّلٍ منه افتقارُ

أصله وحيده. وهذا باب نأتي على شرحه وتفصيله وذكر جائزه وممتنعه

---

(١) ديوان أمية بن أبي الصلت: ٤٥٨ (وهو كثير التردد في المصادر).
(٢) ديوان الأعشى: ٩٨.
(٣) المفضليات (ابن الانباري): ٤٤٥.

وما هو مرسوم فيه، وقد قرأت عامة القَرَأَةِ ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ (المرسلات: ١١) وهو من الوقت، وقرأ أبو جعفر المدني «وقتت» بالواو والتخفيف، وقرأ أبو عمرو بالواو وقّتت، على الأصل أيضاً، إلا أنه شدده؛ وهم يكرهون كثيراً افتتاحَ الكلام بالواو، وخاصة إذا تكررت، وقالوا إن ذلك يشبه بنباح الكلاب، وقالوا في تصغير واصل أويصل وفي جمعه أواصل فقلبوا الواو همزة، ويقولون حضر زيد وواصل فلا يقلبون لأنّ الواو زيدت للعطف كالفاء وثم وليست من سنخ الكلام في أصلها، ويقال فلان يتوسَّدُ القرآن وهذا يكون مدحاً بمعنى يجعله وسادة أيّ يتلوه مكان توسده إياه، ويكون ذماً أي ينامَ عن القيام به وتأدية الحق فيه. وجاء عن النبي ﷺ أنه قال في رجل ذكر عنده: ذاك رجلٌ لا يتوسد القرآن. وروي عن عدي بن حاتم أنه ذكر للنبيّ ﷺ أنه جعل تحت وساده خيطين أسود وأبيض فلم يبنْ له بذلك أمر الفجر، فقال له: إنك لعريض الوسادة، ويروى عنه أنه قال لعريض القفا، إنما هو بياض النهار من سواد الليل. فأما اشتقاق اسم المرفقة من المرفق فهو باب معروف مستمرٌ، ألا ترى أنهم يقولون مخدة من الخد لأنه يوضع عند الاضطجاع عليها، ويقولون مصدغة من الصدغ، وقد يقولون مزدغة فيبدلون من الصاد زاياً لسكونها واتيان الدال تاليةً لها، وهذه لغة معروفة في العربية، وقد قرأ بعض القَرَأة بها في مواضع من القرآن كقوله يصْدر ويصدقون وقصد السبيل. وقوله: « قد ذهبت عنها اللحمة وبقي السّدى» فاللحمة لحمةُ الثوب والسّدى سداه، واللام هاهنا مفتوحة، فأما لحمة النسب فمضمومة وكذلك لحمة البازي والصقر وهو ما أطعمه إذا صاد. وقوله « من رسحها » فإنه يقال منه: امرأة رسحاء ورجل أرسح إذا كان مؤخرهما من العجز وما والاه عارياً من اللحم. وقول غرير: « وأخذت شاذكونة » معناه وسادة، وهي عندي في الأصل فارسية تكلم بها من تكلم من العرب، وهي مشتقة من موضع الجلوس ويقال له بالفارسية «كون» وهذا من الباب الذي بيّنا الاشتقاق فيه كالمصدغة

والمخدة. وقد فسر أبو عبيدة الزرابي في قول الله جل ثناؤه: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوبَة﴾ (الغاشية: ١٦) فقال: هي البسط كما قال غيره من أهل التأويل والعربية، ثم قال: واحدها زربية ثم قال: والزرابي في لغة أُخرى الشواذكين وأتى به على هذا اللفظ في الجمع. وقوله: « الدجر بالنوى » حكى بذلك نداءَ من يطوف بالدجر من باعته ويعرض بيعه بالنوى، كأنه يقول اشتروا الدجر بالنوى أو يعني الدجر يباع بالنوى، والدجر من أسماء اللوبيا، وله أسماء ذوات عدد: اللوبياء واللوبيا بالمدّ والقصر، وليا الواحدة لياءة، ويقال للجارية المستحسنة كأنها لياءة مقشورة، وروي عن بعضهم أنه قال: دخلت على معاوية وفي يده لياء مقْشوّ أي مقشور ويقال له اللوبياج والأحبل والحبيل والدجر.

[ما بال العرب تطيل كلامها وأنتم تقصرونه]

حدّثنا يزداد بن عبد الرحمن قال حدّثنا أبو موسى يعني تينة قال حدّثنا العتبي عن أبيه عن أبي خالد عن أبيه قال: وفد محمد بن عطارد بن محمد إلى الحجاج في نيف وسبعين راكباً فاستزارهم عمرو بن عتبة فقال: يا أبا سفيان ما بالُ العربِ تطيلُ كلامها وتقصّرونه معاشرَ قريش؟ فقال عمرو: بالجندل يُرْمَى الجندل، إن كلامنا كلامٌ يقلّ لفظه ويكثر معناه ويكتفى بأولاه ويُشْتفَى بأخراه، يتحدر تحدُّر الماء الزلال على الكبد الحرَّى، ولقد نقص كما نقص غيره بعدَ أقوامٍ والله أدركتهم كأنما جُعلوا لتحسين ما قَبَّحتِ الدنيا، سهُلَتْ لهم ألفاظُهُمْ كما سهلت لهم أنفاسهم، فصانوا أعراضهم وابتذلوا أموالهم حتى ما يجدُ المادحُ فيهم مزيداً، ولا العائب فيهم مطعناً، فلو احتفلت الدنيا ما تزينت إلا بهم، ولو نطقت ما افتخرت إلّا بفعالهم، ولقد كان آل أبي سفيان مع قلتهم كثيراً منه نصيبهم، ولله درّ مولاهم حيث يقول:

وضع الدهرُ فيهم شَفْرتيه فمضى سالماً وأضحوا شعوبا

شفرتان والله وضعتا على من كان قبلهم فأفنت أبدانهم وأبقت[1] أخبارهم، فأبقت حسناً في الدنيا ثوابه، وسيئاً في الدنيا عقابُه وفي الآخرة أسوأ.

قال القاضي: قول عمرو بن عتبة في هذا الخبر من أبلغ كلامٍ وأحسنه وكان قوله: «فأفنتْ أبدانهم وأبقت أخبارهم» مأخوذ من قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خبر كميل بن زياد النخعي وقد ذكر العلم وفضله على المال وشرفه: مات خُزّانُ الأموالِ وهم أحياء والعلماءباقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوبِ موجودة. على أن فضل كلام أمير المؤمنين عليه السلام وجزالته وبهاءه وطلاوته وظهور تقدمه ومزيته بيّنٌ، وان كان هذا وقع لعمرو، لقد امتار علمه من معدنِ الحكم، واقتبس شريفَ الفائدةِ من الإمام الربانيّ العَلَم.

(١) أصل م: وأثبتت.

تذييل

كان الدكتور محمد مرسي الخولي رحمه الله قد بدأ تحقيق الجليس الصالح ونشر منه جزءين، الأول والثاني، (بيروت ١٩٨١، ١٩٨٣)، ولكن يد المنية تخطفته فلم يستطع إنجاز ما تبقى من الكتاب، أي انه انتهى إلىٰ آخر المجلس الخامس والخمسين، وبقي من المجالس خمسة وأربعون (من أصل مائة) تنتظر التحقيق والنشر.

وقد رأى صاحب دار عالم الكتب أن أقوم بتحقيق ما تبقى من الكتاب، فقبلت ذلك، رغم ما يكتنفني من مشاغل كثيرة، وطلبت النسخ التي اعتمدها المحقق الأول، فزوّدت بنسخة مضطربة لا يمكن الاعتماد عليها لاستكمال العمل.

وكان الدكتور الخولي رحمه الله قد ذكر في مقدمة الجزء الأول أنه اعتمد في التحقيق على ثلاث نسخ:

(١) نسخة أحمد الثالث (وهي على حسب قوله كاملة).
(٢) نسخة داماد إبراهيم (ويذكر بروكلمان أنها تحمل رقم: ٢٨٢).
(٣) نسخة الحبيبية.

ولم أطلع على هذه النسخ؛ ولكني حرصاً مني على الوفاء بوعدي ذهبت أتلمس النسخ الموجودة في خزائن الكتب في العالم، فاستطعت الحصول على نسخ هذه رموزها:

(١) ب: نسخة باريس رقم ٣٨٤٧.
(٢) س: نسخة باريس رقم ٣٨٤٩.
(٣) م: نسخة قدمها إليَّ الصديق الدكتور رضوان السيد (ولعلها هي نسخة برلين رقم ٨٣٢٥).
(٤) ك: نسخة كيمبردج رقم: ٢٩٧، وقد كان تصويرها سيئاً، فلم أفد منها كثيراً، إلا في بعض مجالس الجزء الرابع.
(٥) خ: وهي نسخة خدابخش (وقد نسيت رقمها).
(٦) د: وهي قطعة لا أذكر مصدرها.

ولقد قمت بتحقيق الجزء الثالث منذ مدة غير قصيرة، وسلمته للناشر الأستاذ نزيه بعلبكي، ببيروت؛ وبعيد ذلك اضطرتني أحداث بيروت إلى الهجرة، فغادرتها مخلفاً فيها مكتبتي وأوراقي والمصوّرات الكثيرة، وفي جملتها مصورات نسخ الجليس الصالح، ولهذا فإنني إذ اكتب هذا التذييل بعيداً عن مكتبتي أعتذر للقراء والدارسين، عن عدم وصفي لكل المخطوطات المذكورة.

لقد تمت قراءة النص ووضع التعليقات وأنا ما أزال في بيروت، وقد بذلت جهداً طويلاً وأنا أحاول أن أستكمل جميع المجالس التي يحتويها هذا الجزء، إذ النسخ متفاوتة والخلل فيها كثير.

كذلك رأيت أن الطريقة التي اتبعها الدكتور الخولي قد قيدتني كثيراً، فهو بعد أن قام بتدوين قراءات النسخ التي لديه، خلال بضع صفحات، لم يعد يذكر شيئاً من فروق القراءات في الحواشي؛ ولهذا رأيت أن لا أسرف في اثبات الفروق، وأن أعتمد ذلك في الحالات الضرورية، وعلى ذلك جاءت المقارنات كثيرة.

ثم إن الدكتور الخولي لم يقرأ الكتاب في ضوء الكتب التي نقلت عنه مثل تاريخ دمشق لابن عساكر ومصارع العشاق للسراج وبغية الطلب لابن العديم وغيرها (إلا في مواضع غير كثيرة مهملاً كثيراً مما كان يسعفه في قراءة نص الكتاب)

فرأيت أن مخالفتي له في هذا الصدد أمر مشروع وأنَّ التحقيق الصحيح يتطلب مني ذلك .

أما الجزء الرابع فإن إكماله لا يزال يتعثر، لأن النسخ التي لديّ ناقصة، ولهذا فلا بد من الانتظار إلى حين العثور على نسخة كاملة، والله الموفق.

عمان في أول تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٦ .

كشـاف المصـادر

١ ـ أخبار الدولة العباسية، تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور عبد الجبار المطلبي، بيروت ١٩٧١.
٢ ـ أخبار الزجاجي، تحقيق الدكتور عبد الحسين المبارك، دار الرشيد، بغداد ١٩٨٠.
٣ ـ أخبار الظراف لابن الجوزي، دمشق ١٣٤٧.
٤ ـ أخبار القضاة (١ ـ ٣) لوكيع بن خلف، القاهرة ١٣٦٦ ـ ١٣٦٩.
٥ ـ الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار، تحقيق الدكتور سامي العاني، بغداد ١٩٧٢.
٦ ـ أخبار النساء لابن قيم الجوزية، مصر ١٣٠٧.
٧ ـ اختيار المنظوم والمنثور لابن أبي طاهر طيفور، نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية.
٨ ـ كتاب الاختيارين صنعة الأخفش الصغير، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة (الطبعة الثانية) ١٩٨٤.
٩ ـ الأدب الصغير المنسوب لابن المقفع، بيروت ١٩٦٠.
١٠ ـ أدب الكتاب للصولي، تحقيق محمد بهجة الأثري، القاهرة ١٣٤٢.
١١ ـ الأذكياء لابن الجوزي، دار الآفاق الجديدة، (الطبعة الثالثة) بيروت ١٩٧٩.

١٢ ـ الأسد والغواص، باعتناء الدكتـور رضـوان السيد، دار الطليعـة، بيروت ١٩٧٨
١٣ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١ ـ ٤) لابن عبد البـر النمـري، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة.
١٤ ـ الاشتقاق لابن دريد، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٥٨.
١٥ ـ الاصابـة في تمييز الصحابـة (١ ـ ٨) لابـن حجـر العسقلانـي، ط. الخانجي، مصر ١٣٢٣ ـ ١٣٢٥.
١٦ ـ الأصمعيات، تحقيق عبد السـلام هارون وأحمـد محمـد شاكر، القاهـرة ١٩٥٥.
١٧ ـ اعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه، دار الكتب المصرية ١٩٤١.
١٨ ـ اعلام السائلين عن كتب المرسلين لابن طولون، حققه محمود الأرنـاؤوط، بيروت ١٩٨٣.
١٩ ـ الأغاني (١ ـ ٢٥) لأبي الفرج الأصبهانـي، دار الثقافـة، بيروت ١٩٥٥ ـ ١٩٦٠.
٢٠ ـ الاقتضاب في شرح أدب الكتاب (١ ـ ٣) لابن السيد البطليوسي، تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد، القاهرة ١٩٨٣.
٢١ ـ ألف باء البلوي (١ ـ ٢)، القاهرة ١٢٨٧.
٢٢ ـ أمالي الزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٣٨٢.
٢٣ ـ أمالي ابن الشجري (١ ـ ٢)، ط. حيدر أباد الدكن.
٢٤ ـ أمالي القالي (١ ـ ٢) والذيل، القاهرة ١٩٥٣.
٢٥ ـ أمالي المرتضى (١ ـ ٢)، تحقيق محمد أبو الفضل إبـراهيم، دار الكتـاب العربي، بيروت ١٩٦٧.
٢٦ ـ امتاع الأسماع للمقريزي، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة ١٩٤١.
٢٧ ـ الامتاع والانتفاع.
٢٨ ـ الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي (١ ـ ٣)، تحقيق أحمد أمين وأحمد

الزين، القاهرة ١٩٣٩ - ١٩٤٤ م.

٢٩ - كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق عبد المجيد قطامش، دمشق ١٩٧١.

٣٠ - الأمثال والحكم للماوردي، مخطوطة ليدن (صورة عنها لدى الدكتور رضوان السيد).

٣١ - أمثال العرب للضبي، تحقيق الدكتور احسان عباس بيروت ١٩٨١.

٣٢ - أنساب الأشراف (جـ ١)، تحقيق محمد حميد الله، القاهرة ١٩٥٩.

٣٣ - أنساب الأشراف للبلاذري، (نشر المحمودي)، بيروت ١٩٧٧.

٣٤ - أنساب الأشراف للبلاذري (٤/ ١)،تحقيق الدكتور احسان عباس، بيروت ١٩٧٩.

٣٥ - الانصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٦١

٣٦ - أنيس الجلساء في ديوان الخنساء، ضبطه أحد الآباء اليسوعيين، بيروت ١٨٨٨.

٣٧ - البصائر والذخائر (١ - ٩) لأبي حيان التوحيدي، تحقيق الدكتورة وداد القاضي (تحت الطبع).

٣٨ - كتاب بغداد لابن أبي طاهر طيفور، القاهرة ١٩٤٩.

٣٩ - بغية الطلب لابن العديم (١ - ٩)، مصورة بمكتبة الجامعة الامريكية ببيروت.

٤٠ - بغية الملتمس للضبي، مجريط ١٨٨٤.

٤١ - بغية الوعاة (١ - ٢) للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٥.

٤٢ - بهجة المجالس (١ - ٢) لابن عبد البر، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتاب العربي، القاهرة.

٤٣ - بوارق الالماع لمجد الدين الغزالي، (طبع مع ذم الملاهي لابن أبي

الدنيا)، تحقيق وترجمة جيمس روبسون، لندن ١٩٣٨ .
٤٤ ـ البيان والتبيين (١ ـ ٤)للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦١ .
٤٥ ـ تاريخ بغداد (١ ـ ٤) للخطيب البغدادي، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت (مصورة عن طبعة القاهرة).
٤٦ ـ تاج العروس (١ ـ ١٠) للزبيدي، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦ - ١٣٠٧ .
٤٧ ـ تاريخ دمشق لابن عساكر (عاصم ـ عايذ)، تحقيق الدكتور شكري فيصل (مع آخرين) دمشق ١٩٧٦ .
٤٨ ـ تاريخ دمشق لابن عساكر (عبادة ـ عبد الله بن ثوب) ، تحقيق الدكتور شكري فيصل وروحية النحاس ورياض عبد الحميد مراد، دمشق ١٩٨٢ .
٤٩ ـ تاريخ دمشق لابن عساكر (عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد)، تحقيق سكينة الشهابي ومطاع الطرابيشي، دمشق ١٩٨١ .
٥٠ ـ تاريخ دمشق لابن عساكر (عبد الله بن عمران ـ عبد الله بن قيس)، صورة عن الأصل، دمشق ١٩٧٨ .
٥١ ـ تاريخ دمشق لابن عساكر، نسخة خطية رقم: ٢٠ بالمكتبة التيمورية.
٥٢ ـ تاريخ دمشق لابن عساكر (جـ: ١٠)، تحقيق الشيخ محمد أحمد دهمان.
٥٣ ـ تاريخ الطبري (١ ـ ١٥)، الطبعة الأوروبية.
٥٤ ـ تاريخ اليعقوبي (١ ـ ٢)، ط. دار صادر، بيروت ١٩٦٠ .
٥٥ ـ التذكرة الحمدونية (١ ـ ٢) لابن حمدون، تحقيق الدكتور احسان عباس، بيروت، ١٩٨٣، ١٩٨٤ .
٥٦ ـ التذكرة الحمدونية، نسخة رئيس الكتاب رقم ٧٧١ .
٥٧ ـ التشبيهات لابن أبي عون، تحقيق الدكتور عبد المعيد خان، كيمبردج ١٩٥٠ .
٥٨ ـ التعازي والمراثي للمبرد، تحقيق محمد الديباجي، دمشق ١٩٧٦ .

٥٩ ـ التنبيه والايضاح (١ ـ ٢) لابن بري، القاهرة.
٦٠ ـ تهذيب تاريخ ابن عساكر (١ ـ ٧)، صنع عبد القادر بدران، دار المسيرة بيروت ١٩٧٩.
٦١ ـ تهذيب التهذيب (١ ـ ١٢) لابن حجر العسقلاني، حيدر آباد الدكن ١٣٢٥ ـ ١٣٢٧.
٦٢ ـ جذوة المقتبس للحميدي، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة ١٩٥٢.
٦٣ ـ الجليس الصالح الكافي (١ ـ ٢) للمعافى بن زكريا النهرواني، تحقيق الدكتور محمد مرسي الخولي، بيروت ١٩٨١ ـ ١٩٨٣.
٦٤ ـ الجمهرة (١ ـ ٤) لابن دريد، ط. حيدر آباد الدكن.
٦٥ ـ جمهرة الأمثال للعسكري (١ ـ ٢)، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم والدكتور عبد المجيد قطامش، القاهرة ١٩٦٤.
٦٦ ـ الجوهر النفيس في سياسة الرئيس لابن الحداد، تحقيق الدكتور رضوان السيد، بيروت ١٩٨٣.
٦٧ ـ حدائق الأزاهر لابن عاصم، (ط. حجر) بمدينة فاس.
٦٨ ـ الحدائق الغناء في أخبار النساء، لعلي بن محمدالمعافري، تحقيق دكتورة عائدة الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس ١٩٧٨.
٦٩ ـ حلية الأولياء (١ ـ ١٠) لأبي نعيم، القاهرة ١٩٣٨.
٧٠ ـ حماسة البحتري، تحقيق لويس شيخو، بيروت ١٩١٠.
٧١ ـ الحماسة البصرية (١ ـ ٢) لعلي بن أبي الفرج البصري، تحقيق مختار الدين أحمد، حيدر آباد الدكن ١٩٦٤.
٧٢ ـ حماسة ابن الشجري، حيدر آباد الدكن ١٣٤٥.
٧٣ ـ حماسة الظرفاء (١ ـ ٢) لأبي محمد العبد لكاني، تحقيق محمد جبار المعيبد، بغداد ١٩٧٨.
٧٤ ـ حياة الحيوان الكبرى (١ ـ ٢) للدميري، مصر ١٢٩٢.

٧٥ ـ الحيوان (١ ـ ٧) للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٣٨ ـ ١٩٤٥.
٧٦ ـ كتاب الخراج لأبي يوسف، تحقيق الدكتور احسان عباس، بيروت ١٩٨٤.
٧٧ ـ خزانة الأدب (١ ـ ٤) للبغدادي، ط. بولاق ١٢٩٩.
٧٨ ـ الخصائص (١ ـ ٣) لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة ١٩٥٢ ـ ١٩٥٦.
٧٩ ـ الدر المنثور (١ ـ ٦) للسيوطي، القاهرة ١٣١٤.
٨٠ ـ درة الغواص للحريري، تصوير مكتبة المثنى ببغداد.
٨١ ـ الدلالات السمعية للخزاعي، تحقيق الدكتور احسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٥.
٨٢ ـ دلائل النبوة للبيهقي، ط. حيدر آباد الدكن.
٨٣ ـ ديوان ابن الرومي (١ ـ ٦)، تحقيق الدكتور حسين نصار، القاهرة ١٩٧٣ ـ ١٩٨١.
٨٤ ـ ديوان ابن عبد الملك الزيات، تحقيق الدكتور جميل سعيد، القاهرة ١٩٤٩.
٨٥ ـ ديوان ابن المعتز، ط. دار صادر، بيروت.
٨٦ ـ ديوان أبي تمام (١ ـ ٤) بشرح التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، القاهرة ١٩٥١ ـ ١٩٦٥.
٨٧ ـ ديوان أبي حية النميري (الصواب: شعر)، جمع وتحقيق رحيم صخي التويلي (ص ١٣١ ـ ١٥٢)، مجلة المورد، المجلد الرابع، العدد الأول ١٩٧٥.
٨٨ ـ ديوان أبي الأسود الدؤلي، تحقيق محمد حسن آل ياسين، بيروت ١٩٧٥.
٨٩ ـ ديوان أبي العتاهية، تحقيق الدكتور شكري فيصل، دمشق ١٩٦٥.
٩٠ ـ ديوان أبي قيس ابن الأسلت، جمعه وحققه دكتور حسن محمد باجوده، القاهرة ١٣٩١.
٩١ ـ ديوان أبي نواس برواية الصولي، تحقيق الدكتور بهجت الحديثي، بغداد ١٩٨٠.

٩٢ ـ ديوان الأخطل، تحقيق الأب انطون صالحاني اليسوعي، بيروت ١٨٩١ .
٩٣ ـ ديوان الأعشى، تحقيق غوبار، بيانه ١٩٢٧ .
٩٤ ـ ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٨ .
٩٥ ـ ديوان أمية بن أبي الصلت ، جمع وتحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي، دمشق ١٩٧٤ .
٩٦ ـ ديوان أوس بن حجر، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، بيروت ١٩٦٠ .
٩٧ ـ ديوان البحتري (١ ـ ٤)، تحقيق حسن كامل الصيرفي، القاهرة ١٩٦٣ ـ ١٩٦٥ .
٩٨ ـ ديوان بشار (١ ـ ٣)، تحقيق محمد الطاهر ابن عاشور، القاهرة ١٩٥٥ ـ ١٩٦٦ .
٩٩ ـ ديوان بشار (بدر الدين العلوي)، دار الثقافة، بيروت.
١٠٠ ـ ديوان تميم بن أبي بن مقبل تحقيق الدكتور عزة حسن، دمشق ١٩٦٢ .
١٠١ ـ ديوان جران العود، دار الكتب المصرية ١٩٣١ .
١٠٢ ـ ديوان جرير (١ ـ ٢)، تحقيق الدكتور نعمان أمين طه، القاهرة ١٩٦٩ .
١٠٣ ـ ديوان دعبل الخزاعي، جمع وتحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، بيروت ١٩٦٢ .
١٠٤ ـ ديوان ذي الرمة (١ ـ ٣)، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، دمشق ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ .
١٠٥ ـ ديوان الراعي النميري، جمع راينهرت فايبرت، فيسبادن ١٩٨٠ .
١٠٦ ـ ديوان سلامة بن جندل، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، حلب ١٩٦٨ .
١٠٧ ـ ديوان السموأل، ط. دار صادر بيروت.
١٠٨ ـ ديوان شعر حاتم الطائي، تحقيق الدكتور عادل سليمان، القاهرة ١٩٧٥ .
١٠٩ ـ ديوان شعر الخوارج، جمعه الدكتور احسان عباس، (الطبعة الرابعة)، بيروت ١٩٨٢ .
١١٠ ـ ديوان الشماخ بن ضرار، تحقيق صلاح الدين الهادي، القاهرة ١٩٦٨ .
١١١ ـ ديوان الطرماح بن حكيم، تحقيق الدكتور عزة حسن، دمشق ١٩٦٨ .

١١٢ ـ ديوان العباس بن مرداس، جمع وتحقيق الدكتور يحيى الجبوري، بغداد ١٩٦٨.
١١٣ ـ ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق الدكتور حسين نصار، القاهرة ١٩٥٧.
١١٤ ـ ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، بيروت ١٩٥٨.
١١٥ ـ ديوان العجاج (١ ـ ٢)، تحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي، دمشق ١٩٧١.
١١٦ ـ ديوان عدي بن زيد، تحقيق محمد جبار المعيبد، بغداد ١٩٦٥.
١١٧ ـ ديوان العرجي، تحقيق خضر الطائي ورشيد العبيدي، بغداد ١٩٥٦.
١١٨ ـ ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مردم بك، دمشق ١٩٤٩.
١١٩ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة، بيروت ١٩٦١.
١٢٠ ـ ديوان عمرو بن معديكرب الزبيدي، جمع هاشم الطعان، بغداد ١٩٧٠.
١٢١ ـ ديوان عنترة، تحقيق محمد سعيد مولوي، المكتب الاسلامي ١٩٦٤.
١٢٢ ـ ديوان الفرزدق (١ ـ ٢)، ط. دار صادر، بيروت ١٩٦٦.
١٢٣ ـ ديوان القطامي، تحقيق ابراهيم السامرائي، بيروت ١٩٦٠.
١٢٤ ـ ديوان كثير عزة، جمعه وشرحه الدكتور احسان عباس، بيروت ١٩٧١.
١٢٥ ـ ديوان كعب بن مالك الأنصاري، دراسة وتحقيق سامي مكي العاني، بغداد ١٩٦٢.
١٢٦ ـ ديوان مجنون ليلى، جمعه عبد الستار فراج، القاهرة.
١٢٧ ـ ديوان محمد بن حازم الباهلي، تحقيق شاكر العاشور، مجلة المورد، المجلد السادس، العدد الثاني ١٩٧٧.
١٢٨ ـ ديوان مسكين الدارمي، جمعه وحققه خليل ابراهيم العطية وعبد الله الجبوري، بغداد ١٩٧٠.
١٢٩ ـ ديوان المعاني (١ ـ ٢) للعسكري، القاهرة ١٣٥٢.
١٣٠ ـ ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة ١٩٧٧.

١٣١ ـ الذخيرة في محاسـن أهـل الجـزيرة (١ ـ ٤ في ٨ مجلـدات)، تحقيق الدكتور احسان عباس، الدار العربية للكتاب ١٩٧٥ .
١٣٢ ـ الذهب المسبوك في وعظ الملوك للحميدي، تحقيق أبو عبد الرحمن بن عقيل وعبد الحليم عويس، الرياض ١٩٨٢ .
١٣٣ ـ ربيع الأبرار (١ ـ ٤) للزمخشري، تحقيق الدكتور سليم النعيمي، بغداد ١٩٧٦ ـ ١٩٨٢ .
١٣٤ ـ ربيع الأبرار للزمخشري، نسخة برنستون رقم ٣٥٣٥ .
١٣٥ ـ رسائل ابن حزم (١ ـ ٤)، تحقيق الدكتور احسان عباس، بيروت ١٩٨٠ ـ ١٩٨٣ .
١٣٦ ـ الروض الأنف (١ ـ ٧) للسهيلي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، القاهرة.
١٣٧ ـ الزاهر (١ ـ ٢) لابن الأنباري، تحقيق حاتم صالح الضامن، بغداد ١٩٧٩ .
١٣٨ ـ زهر الآداب (١ ـ ٢) للحصري، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهـرة ١٩٧٠ .
١٣٩ ـ الزهرة (١ ـ ٢) لابن داود الظاهري، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائـي والدكتور نوري حمودي القيسي، الطبعة الثانية، عمان ١٩٨٥ .
١٤٠ ـ سر الصناعة لابن جنى، تحقيق مصطفى السقا وآخرين. القاهرة ١٩٥٤ .
١٤١ ـ سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتـة المصـري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٢ .
١٤٢ ـ سرور النفس للتيفاشي، تحقيق الدكتور احسان عباس، بيروت ١٩٨٠ .
١٤٣ ـ السماع لابن القيسراني، تحقيق أبو الوفا المراغي، القاهرة ١٩٧٠ .
١٤٤ ـ سمط اللآلي ـ انظر: اللآلي في شرح أمالي القالي.
١٤٥ ـ سنن ابن ماجه (١ ـ ٢)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.
١٤٦ ـ سنن أبي داود (١ ـ ٢)، القاهرة ١٩٥٢ .
١٤٧ ـ سنن الترمذي (١ ـ ٥)، حققه عبد الوهاب عبد اللطيف، بيروت ١٩٨٣ .
١٤٨ ـ سنن النسائي بشرح السيوطي (١ ـ ٨)، القاهرة: ١٩٣٠ .
١٤٩ ـ سيرة عمر لابن الجوزي، القاهرة ١٩٢٤ .

١٥٠ ـ السيرة النبوية (١ ـ ٤) لابن هشام، تحقيق السقا والأبياري وشلبي، القاهرة: ١٩٥٥.
١٥١ ـ أشعار الهذليين (١ ـ ٣)، تحقيق عبد الستار فراج ومحمود محمد شاكر، القاهرة.
١٥٢ ـ شرح الحماسة (١ ـ ٤) للمرزوقي، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٥١ ـ ١٩٥٣.
١٥٣ ـ شرح الحماسة (١ ـ ٤) للتبريزي، القاهرة ١٢٩٦.
١٥٤ ـ شرح ديوان زهير لثعلب، دار الكتب المصرية ١٩٤٤.
١٥٥ ـ شرح السبع الطوال لابن الأنباري، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٣.
١٥٦ ـ شرح شواهد المغني للسيوطي، مصر ١٣٢٢.
١٥٧ ـ شرح المفصل (١ ـ ١٠) لابن يعيش، القاهرة.
١٥٨ ـ شرح المفضليات لابن الأنباري، تحقيق كارلوس لايال، بيروت ١٩٢٠.
١٥٩ ـ شرح مقامات الحريري (١ ـ ٥)للشريشي، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة ١٩٦٩ ـ ١٩٧٦.
١٦٠ ـ شرح نهج البلاغة (١ ـ ٢٠) لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة ١٩٥٩ ـ ١٩٦٣.
١٦١ ـ شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي، تحقيق محمد سعيد خطيب أوغلي، أنقرة ١٩٧١.
١٦٢ ـ شروح سقط الزند (١ ـ ٥) لأبي العلاء المعري، دار الكتب المصرية ١٩٤٧.
١٦٣ ـ شعر ابن ميادة، جمعه وحققه محمد نايف الدليمي، الموصل ١٩٦٨.
١٦٤ ـ شعر الحارث بن خالد المخزومي، جمعه الدكتور يحيى الجبوري، بغداد ١٩٧٢.
١٦٥ ـ شعر خفاف بن ندبة، جمعه وحققه الدكتور نوري حمودي القيسي، بغداد ١٩٦٨.

١٦٦ ـ شعر الراعي النميري، جمع هلال ناجي ونوري حمودي القيسي، بغداد ١٩٨٠.
١٦٧ ـ شعر عبد الله بن الزبعرى، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري، (الطبعة الثانية) بيروت ١٩٨١.
١٦٨ ـ شعر عروة بن أذينة، تحقيق عبد المعين الملوحي، دمشق ١٩٦٦.
١٦٩ ـ شعر الكميت، جمع الدكتور داود سلوم، بغداد ١٩٦٩.
١٧٠ ـ شعر النابغة الجعدي، المكتب الاسلامي ١٩٦٤.
١٧١ ـ شعر هدبة بن الخشرم، جمعه وحققه الدكتور يحيى الجبوري، دمشق ١٩٧٦.
١٧٢ ـ شعر الوليد بن يزيد، جمعه وحققه الدكتور حسين عطوان، عمان ١٩٧٩.
١٧٣ ـ الشعر والشعراء (١ ـ ٢) لابن قتيبة، ط. دار الثقافة. بيروت ١٩٦٩.
١٧٤ ـ شعراء أمويون (١ ـ ٣)، دراسة وتحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي، بغداد.
١٧٥ ـ صحيح البخاري (١ ـ ٩)، دار أحياء التراث العربي، القاهرة ١٩٥٨.
١٧٦ ـ صحيح مسلم (١ ـ ٢)، مصر ١٢٩٠.
١٧٧ ـ الصداقة والصديق للتوحيدي، تحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني، دمشق ١٩٦٤.
١٧٨ ـ صفة الصفوة (١ ـ ٤) لابن الجوزي، ط. حيدر آباد الدكن.
١٧٩ ـ طبقات فحول الشعراء (١ ـ ٢) لابن سلام، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة ١٩٧٢.
١٨٠ ـ الطبقات الكبرى (١ ـ ٨) لابن سعد، ط. دار صادر ودار بيروت ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨.
١٨١ ـ عبث الوليد لأبي العلاء المعري، تحقيق ناديا علي الدولة، دمشق ١٩٧٨.
١٨٢ ـ العروض لابن جنى، تحقيق حسن شاذلي فرهود، الرياض ١٩٧٢.

١٨٣ ـ العقد (١ ـ ٧) لابن عبد ربه، تحقيق أحمد أمين والزين والأبياري، القاهرة ١٩٦٢.
١٨٤ ـ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (١ ـ ٢) لابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣.
١٨٥ ـ عين الأدب والسياسة لابن هذيل، مصر ١٣٠٢.
١٨٦ ـ عيون الأخبار (١ ـ ٤) لابن قتيبة، ط. دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٦٣.
١٨٧ ـ غرر الخصائص للوطواط، بيروت.
١٨٨ ـ الفاضل للمبرد، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي، القاهرة ١٩٥٦.
١٨٩ ـ الفاخر في الأمثال للمفضل بن سلمة، تصحيح شالس انبروس استوري، ليدن ١٩١٥.
١٩٠ ـ الفائق في غريب الحديث (١ ـ ٣) للزمخشري، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة ١٩٤٥.
١٩١ ـ فرق الشيعة للنوبختي، تصحيح هلموت ريتر. استانبول ١٩٣١.
١٩٢ ـ فصل المقال في شرح الأمثال لأبي عبيد البكري، تحقيق الدكتور احسان عباس والدكتور عبد المجيد عابدين، بيروت ١٩٧١.
١٩٣ ـ القسطاس المستقيم للزمخشري، تحقيق بهيجة باقر الحسني، بغداد ١٩٦٩.
١٩٤ ـ الكامل في التاريخ (١ ـ ١٢) لابن الأثير، ط. دار صادر بيروت.
١٩٥ ـ الكامل للمبرد (١ ـ ٤)،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة، القاهرة ١٩٥٦.
١٩٦ ـ الكتاب لسيبويه (١ ـ ٢)، ط. بولاق.
١٩٧ ـ كنز العمال (١ ـ ١٦) لابن قاضي خان الهندي، حلب ١٩٦٩ ـ ١٩٧٧.
١٩٨ ـ اللآلي في شرح أمالي القالي (١ ـ ٢) لأبي عبيدالبكري ،تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة ١٩٣٦.

١٩٩ ـ لباب الآداب لأسامة بن منقذ، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، القاهرة ١٩٣٥.
٢٠٠ ـ اللباب في شرح الشهاب، تصنيف أبي الوفا مصطفى المراغـي، القاهـرة ١٩٧٠.
٢٠١ ـ لسان العرب (١ ـ ١٥) لابـن منظـور، ط. دار صادر، بيروت ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦.
٢٠٢ ـ لقاح الخواطر وجلاء البصائر لعبد الله بن يحيى بن عبد الله، مخطوطـة كيمبردج رقم: ١٣٩.
٢٠٣ ـ مالك ومتمم، تأليف ابتسام مرهون الصفار، بغداد ١٩٦٨.
٢٠٤ ـ مجاز القرآن لأبي عبيدة، تحقيق الدكتـور محمـد فؤاد سزكين، القاهـرة ١٩٥٤.
٢٠٥ ـ مجالس ثعلب (١ ـ ٢)، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٠.
٢٠٦ ـ مجالس العلماء للزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون، الكويت ١٩٦٢.
٢٠٧ ـ مجمع الأمثال (١ ـ ٢) للميداني، مصر ١٣١٠.
٢٠٨ ـ مجمع الزوائد (١ ـ ١٠) لابن حجر الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت.
٢٠٩ ـ مجموع أشعار العرب (ديوان رؤبة)، نشر وليم بن آلورد البروسي، برلين ١٩٠٣.
٢١٠ ـ مجموعة المعاني، الجوائب ١٣٠١.
٢١١ ـ مجموعة ورام (تنبيه الخواطر ونزهة النواظر) (١ ـ ٢)، بيروت (صورة عن طبعة سنة ١٣٧٦).
٢١٢ ـ المحاسن والأضداد المنسوب للجاحظ، القاهرة ١٣٢٤.
٢١٣ ـ المحاسن والمساوئ (١ ـ ٢) للبيهقي ط. دار صادر بيروت ١٩٦٠.
٢١٤ ـ محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني (١ ـ ٤)، ط. دار الحياة، بيروت.
٢١٥ ـ المحاضرات (١ ـ ٢) لليوسي، تحقيق الدكتور محمد حجي والدكتـور أحمد الشرقاوي اقبال، دار الغرب الاسلامي ١٩٨٢.

٢١٦ ـ المحتسب (١ ـ ٢) لابن جني، تحقيق علي النجدي ناصف ورفيقيه، القاهرة ١٩٦٦.
٢١٧ ـ المختار من شعر بشار، اختيار الخالديين بعناية بدر الدين العلوي، القاهرة ١٩٣٤.
٢١٨ ـ مختصر تاريخ ابن عساكر (١ ـ ٩) لابن منظور، بعناية محققين مختلفين، دمشق ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥.
٢١٩ ـ المخصص (١ ـ ١٧) لابن سيده، مصر ١٣٢١.
٢٢٠ ـ مروج الذهب (١ ـ ٧) للمسعودي، تحقيق شارل بلا، ١٩٦٥ ـ ١٩٧٩.
٢٢١ ـ مسائل الامامة للناشئ الأكبر، تحقيق الدكتور يوسف فان اس، بيروت ـ فيسبادن ١٩٧١.
٢٢٢ ـ المستطرف في كل فن مستظرف (١ ـ ٢) للأبشيهي، مصر ١٢٧٧.
٢٢٣ ـ المستقصى في الأمثال (١ ـ ٢) للزمخشري، بيروت ١٩٧٧.
٢٢٤ ـ مسند أحمد (١ ـ ٦)، دار صادر والمكتب الاسلامي، بيروت ١٩٦٩.
٢٢٥ ـ مصارع العشاق (١ ـ ٢) للسراج، ط. دار صادر، بيروت.
٢٢٦ ـ المصباح المضيء في سيرة المستضيء (١ ـ ٢) لابن الجوزي، تحقيق ناجية عبد الله ابراهيم، بغداد ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧.
٢٢٧ ـ مصنف عبد الرزاق (١ ـ ١١)، تحقيق عبد الرحمن الأعظمي، بيروت ١٩٧٠.
٢٢٨ ـ المصون للعسكري، تحقيق عبد السلام هارون، الكويت ١٩٦٠.
٢٢٩ ـ معاني القرآن (١ ـ ٢) للفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، القاهرة ١٩٥٥.
٢٣٠ ـ المعاني الكبير (١ ـ ٣) لابن قتيبة، ط. حيدر آباد الدكن ١٩٤٩.
٢٣١ ـ معاهد التنصيص (١ ـ ٤) للعباسي، تحقيق الشيخ محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٧.
٢٣٢ ـ معجم الادباء لياقوت الحموي (١ ـ ٧ نشرة مرغوليوث) (١ ـ ٢٠، الطبعة

المصرية ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧).
٢٣٣ ـ معجم البلدان (١ ـ ٦) لياقوت الحموي، تحقيق وستنفلد (صورة في طهران ١٩٦٥).
٢٣٤ ـ معجم الشعراء للمرزباني، تحقيق عبد الستار فراج، القاهرة ١٩٦٠.
٢٣٥ ـ معجم ما استعجم (١ ـ ٤) لأبي عبيد البكري، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة ١٩٤٥.
٢٣٦ ـ المقاصد النحوية للعيني (على هامش خزانة الأدب).
٢٣٧ ـ المقتضب (١ ـ ٤) للمبرد، تحقيق عبد الخالق عضيمة، القاهرة.
٢٣٨ ـ مناقب الشافعي للبيهقي، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة ١٩٧١.
٢٣٩ ـ منتخب صوان الحكمة المنسوب إلى أبي سليمان المنطقي، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي، طهران ١٩٧٤.
٢٤٠ ـ المنتقى في شرح الموطأ (١ ـ ٧) للباجي، مصر ١٣٣٢.
٢٤١ ـ المنصف (١ ـ ٤) لابن جني، تحقيق ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين، القاهرة ١٩٥٤ ـ ١٩٦٠
٢٤٢ ـ الموشح للمرزباني، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة ١٩٦٥.
٢٤٣ ـ موطأ مالك، تحقيق أحمد عرموش، دار النفائس بيروت.
٢٤٤ ـ نثر الدرّ (١ ـ ٣) للآبي، تحقيق محمد علي قرنة، القاهرة ١٩٨٠ ـ ١٩٨١.
٢٤٥ ـ نزهة الألباء لابن الأنباري، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، بغداد ١٩٥٩.
٢٤٦ ـ نهاية الأرب (١ ـ ٢٤) للنويري، ط. دار الكتب المصرية.
٢٤٧ ـ نهج البلاغة للامام علي، جمع الشريف الرضي، تحقيق الدكتور صبحي الصالح، بيروت ١٩٦٧.
٢٤٨ ـ نوادر أبي زيد تحقيق محمد عبد القادر أحمد، بيروت ١٩٨١.
٢٤٩ ـ نوادر أبي مسحل الأعرابي، تحقيق عزة حسن، دمشق ١٩٦١.

٢٥٠ ـ نور القبس المختصر من المقتبس للمرزباني، تحقيق رودلف زلهايم، فيسبادن ١٩٦٤ .
٢٥١ ـ هاشميات الكميت بعناية يوسف هوروفتز، ليدن ١٩٠٤ .
٢٥٢ ـ الوافي بالوفيات للصفدي (١ ـ ١٧، ٢٢)، تحقيق عدد من المحققين، فيسبادن - بيروت).
٢٥٣ ـ الوثائق السياسية، جمعها الدكتور محمد حميد الله، الطبعة الثالثة ١٩٦٩ .
٢٥٤ ـ الوحشيات لأبي تمام، تحقيق عبد العزيز الميمني ومحمود محمد شاكر، القاهرة ١٩٦٣ .
٢٥٥ ـ الوزراء والكتاب للجهشياري، تحقيق مصطفى السقا والأبياري وشلبي، القاهرة ١٩٣٨ .
٢٥٦ ـ وفيات الأعيان (١ ـ ٨) لابن خلكان، تحقيق الدكتور احسان عباس، بيروت ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢ .
٢٥٧ ـ وقعة صفين لنصر بن مزاحم، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية ١٣٨٢ .

فهرس محتويات الكتاب